الجزء
الثالث

3

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

جمعه وأعدّه
ثابت العمّور

سرايا القدس
القناة 9
HISPANTV
PRESS
REUTERS
القدس

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

الجزء الثالث

جمعه وأعدّه

ثابت العمّور

تراجيديا فلسطينية

د. وليد علي القططي

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

1441هـ - 2020م

غزة - فلسطين

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

من إصدارات

مركز الشام للدراسات والبحوث

جمعه وأعدّه

ثابت العمّور

تصميم وإخراج فني

سائد حسّونه

سورة القلم، آية رقم (1)

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

إهداءٌ

إلى روح أبي الذي زرع في نفسي حب القلم

إلى أمي التي علمتني من غير قلم

إلى زوجتي التي صبرت على عشقي الكتابة والقلم

إلى أبنائي الذين أخذت من أعمارهم لأعطي القلم

إلى روح ابنتي ليلي وأرواح كل مرضى السرطان الذين عانوا الألم

إلى كل شعبي الذي ألهمني الطريق إلى وحي القلم

إلى كل المقاومين الأحرار والكادحين الأطهار

إلى الفقراء البؤساء والعاطلين التعساء

أهدي هذا الكتابْ

تراجّيديـا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

تقديم

منذ صدور الجزأين الأول والثاني من تراجيديا فلسطينية؛ كانت النية باستكمال الجزء الثالث، وها هو بين أيديكم يرى النور وقد جمع بين دفتيه جهد عامين متواصلين عصفت خلالهما بالمشهد كثير من المتغيرات والتطورات.

عندما قدمت قبل عام الجزأين الأول والثاني من تراجيديا فلسطينية؛ ولم يكن معدا لهما مسبقا أن يصدرا في كتاب؛ فإن هذا الجزء أعد له مسبقا أن يكون كتابا؛ يهدف إلى تكملة ما قد يغيب عن أدبيات الحركة الإسلامية في فلسطين عموما وحركة الجهاد الإسلامي على وجه الخصوص.

وما بين دفتي الكتاب نجد جزءا مهما وأصيلاً لفكر ومواقف الحركة الإسلامية في فلسطين، أما الكاتب (د. وليد) فإنه بدا حريصا على ضرورة استحضار مواقف وأفكار حركة الجهاد الإسلامي ومناقشتها والكتابة عنها.

عندما كتبت "تقديم" الجزأين السابقين من تراجيديا فلسطينية قلت أن الكاتب (د. وليد) الذي يبدو صلبا وعنيدا وشديدا يخفي خلف ذلك رجلا لينا هينا بسيطا، ولكنني وجدت في هذا الجزء أن هناك ما هو أعمق وأكبر فبعضا من نصوص هذا الكتاب كُتبت بوجع وتخضبت بالدمع.

لم يكتب مقالا واحدا في الكتاب على عجالة. بل إن سفر الكاتب لم يمنعه من مواصلة الكتابة وانتظامها وإرسالها في وقتها وأذكر أنه قد كتب أثناء سفره عن الثورة والفساد، وعن صيحة الفجر ومأزق النصر، وعن المقاومة الفلسطينية بين مراكمة القوة ومشاغلة العدو، واستمر قلمه يرفد بالكتابة.

قُدر لهذا الكتاب أن ينعى مجموعة من الأحبة الذين قضوا نحبهم ابتداء من الدكتور رمضان شلح رحمه الله مرورا بضحايا حريق النصيرات وضحايا انفجار بيروت وانتهاء بنعي الكاتب (د. وليد) لإحدى مقلتيه ابنته ليلى في مقاله "عندما يموت الجمال".

هذا الكتاب يُقدم الفكر والسياسة والأدب وفلسطين والعروبة والإسلام والوطني والإسلامي والقومي. وهو شاهد على عامين حافلين بالتطورات والمتغيرات التي رصدها وقدم الموقف منها للأجيال والتاريخ.

هذا الكتاب لم يكن بحاجة إلى تقديم فهو كتاب جدير بتقديم نفسه.

ثابت محمد العمور

30 ديسمبر 2020م

تراجّيديا فلسّطينية

د. وليد علي القططي

تراجّيديا 2019

الصورة من انفجار مرفأ بيروت الهائل في الرابع من آب/أغسطس والذي أدى إلى دمار كبير في مدينة بيروت بلبنان

ما الذي أضحكهم؟!...

• كُتب بتاريخ:
2019-2-13م

تناقلت وسائل الإعلام المختلفة مؤخراً صورة لبعض شخصيات الوفود الفلسطينية التي ذهبت للعاصمة الروسية موسكو؛ لخوض جولة جديدة من الحوار الفلسطيني- الفلسطيني في إطار السعي للمصالحة الفلسطينية، الصورة تُظهر هذه الشخصيات السياسية تضحك بانشراح وتقهقه بارتياح، ما لفت الانتباه أنَّ تلك الصورة الضاحكة لاقت الكثير من التعليقات الساخرة التهكمية على صفحات التواصل الاجتماعي، ربما بسبب التناقض بين حالة الضحك التي تبعث على السرور، وحالة البؤس التي تبعث على الحزن كما يعيشها الشعب الفلسطيني، وهذا التناقض بين المشهدين- المُضحك والمُحزن- مدعاة لأن نلقي الضوء حوله لمعرفة ما الذي أضحكهم؟!.

وقبل ذلك من المفيد إلقاء الضوء على أسباب الضحك باعتباره أحد الأشكال التي يُعبّر بها الإنسان عن مشاعره وعواطفه في المواقف المختلفة، ومنها المواقف المُضحكة والنكتة اللطيفة، أو السخرية من الآخرين كنوع من العدوانية تجاههم، أو في المواقف المتناقضة التي تُخالف توقعاتنا، والضحك وسيلة للتعبير عن مشاعر السعادة والمرح والسرور، ووسيلة للتواصل الاجتماعي والتعاطف المتبادل بين بني البشر. وقد يكون الضحك وسيلة دفاعية ضد مواقف الخوف المختلفة، أو التنفيس عن رغباتنا الداخلية حسب نظرية التحليل النفسي، ويدخل في إطارها الضحك الهستيري كعرض لمرض اضطراب الهوس -الاكتئاب، أو رد فعل لصدمة نفسية قوية، وقد يضحك الإنسان في المواقف المأساوية عند سماع خبر محزن كالمثل القائل (شرُّ البليّةِ ما يضحك)، فهل هذا ما أضحكهم؟!

المثل القائل (شرُّ البليةِ ما يُضحك) ينطبق على حالتنا الفلسطينية، فيكون فيها الضحك بديلاً عن الموت حُزناً، والسخرية بديلاً عن الهلاك قهراً، والتهكم بديلا من الاحتقار نكداً. وهو نوع من الكوميديا السوداء التي تتحول فيها المواقف الجادة المأساوية المُحزنة، إلى مواقف هزلية ساخرة مضحكة، كمخرج لحالة العجز والفشل والشلل في مواجهة أزماتنا المستعصية ومآزقنا العميقة، فالبليّة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، والبلوى التي تخيّم على ليله الحالك السوداء، رغم أنَّ أساسها ومنبعها الاحتلال الصهيوني لفلسطين وما سببه للشعب الفلسطيني بأسره من معاناة ومآسٍ أدت إلى وقوع نصفه تحت الاحتلال والنصف الآخر في الشتات، إلا أنَّ بعض هذا البؤس هو ما فعلناه نحن بأيدينا، أو ما فعله الساسة بشعبهم.

فهل الذي أضحكهم هو البؤس الذي فعلناه بأنفسنا، من إقامة سلطة تحت الاحتلال بدلاً من إقامة «سلطة الشعب الوطنية المستقلة المُقاتلة على جزء من الأرض الفلسطينية يتم تحريرها»، وأقمنا نظام سياسي تحت سقف أوسلو يُعاني من الشيخوخة والشلل والعجز، ويُعاني من أزمة الشرعية في أهم مؤسساته -الرئاسة والتشريعي-، ويتجاهل أننا في مرحلة تحرر وطني وليس في مرحلة بناء الدولة. وعموده الفقري سلطة تقف حاجزاً بين الاحتلال والمقاومة، استطاع الاحتلال في ظل وجودها مضاعفة الاستيطان والتهويد، واستخدامها جسراً للوصول إلى العواصم العربية والتطبيع والتحالف مع الأنظمة العربية، فهل هذا سبب جيد للضحك؟!.

وهل الذي أضحكهم هو عجزنا عن تجاوز الانقسام منذ عقدٍ ونيف من الزمان، وما تبعه من مناكفات وعقوبات أرهقت الشعب قبل أن تُرهق الفصائل، وأصبح لدينا سجونٌ صغيرة لما ملكت أيدينا من مواطنين، سجانٌ يُمسك سجان، داخل السجن الكبير الذي يُمسك مفاتيحه الاحتلال، وما الاستبداد في الممارسة السياسية عنا ببعيد، والفساد في مؤسساتنا السلطوية وغيرها أقرب إلينا من حبل الوريد، حتى أصبحنا نستحق شهادة الجودة في إدارة البؤس، ومظاهره تملأ البر والبحر بما كسبت أيدينا، وخير دليل على ذلك البؤس طوابير الخريجين الواقفين على أرصفة البطالة القاتمة، وجيوش العاطلين عن العمل التائهين وسط صحراء الفقر القاحلة، وحشود المتسولين

على أبواب الشؤون الاجتماعية والجمعيات الخيرية المُذلة، وأفواج المهاجرين الفارين من المجهول إلى المجهول، ومواكب الموظفين والأسرى المحررين وذوي الأسرى المقطوعة رواتبهم والمحكوم عليهم بالانضمام إلى أحد أصناف البؤساء السابقين.

ما الذي أضحكهم؟!، سؤال استفهامي يُراد به التعجُّب وربما التوبيخ أو التهكم، أطلقهُ نشطاء التواصل الاجتماعي الشباب، تعبيراً عن حالة فقدان الثقة بالسياسيين، وانعدام الأُفق السياسي، وانسداد الأمل بمستقبل أفضل... ولكي يستعيدوا الثقة والأُفق والأمل أمامنا مشوار طويل يبدأ من استعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية وينتهي بإعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني، وصولاً إلى التحرير والعودة والاستقلال.

من الذي يجب أن يرحل؟!

• كُتب بتاريخ:
2019-2-25م

من حينٍ لآخر يتم إطلاق حملات إعلامية على شبكات التواصل الاجتماعي تحمل عناوين مختلفة ومتناقضة تجاه السيد محمود عباس تُعبّر عن عمق الصراع السياسي الفلسطيني، ومن هذه العناوين المؤيدة: فوّضناك، بايعناك، اخترناك، ومن العناوين المعارضة: عباس لا يُمثّلنا، عباس مش رئيسي، ارحل يا عباس، ومن المفيد التوّقف عن العنوان الأخير (إرحل يا عباس) وهو عنوان الحملة الأخيرة المعارضة لنجيب على السؤال التالي: من الذي يجب أن يرحل؟!.

هذا العنوان والشعار مشروع في ظل الفشل المتواصل في إدارة الصراع مع العدو، فرغم أن مشروع أوسلو بدأ في عهد الزعيم الراحل ياسر عرفات، فقد كان أبو مازن أحد كبار مهندسيه، وفي عهده تم ترسيخ الاحتلال في الضفة الغربية، وتوسيع مساحة الاستيطان وزيادة عدد المستوطنين أضعافاً مُضاعفة، والمضي قُدماً نحو تهويد القدس، وفي عهده أصبحت السلطة الفلسطينية مقبرة للمشروع الوطني الفلسطيني، ومُعيقة لتحقيق الأهداف الوطنية الكبرى المتمثلة بالتحرير والعودة والاستقلال، وتحوّلت المرحلة الانتقالية لاتفاقية أوسلو إلى مرحلة نهائية ومحطة أخيرة للحُلم الفلسطيني الوطني، واتخذها العدو جسراً للعبور إلى كل العواصم العربية، وممراً للتطبيع والتحالف مع الأنظمة العربية المهرولة نحو تل أبيب.

هذا العنوان والشعار مشروع في ظل الفشل المتواصل في إدارة الشأن الداخلي الفلسطيني، فبعد أن قادت حركة فتح النضال الوطني عقوداً من الزمن انتهى بها المطاف في عهده لتكون حزباً لسلطة تحت الاحتلال، واُختزلت في شخص واحد، وانقسمت على نفسها بين تيارين. وبعد أن كانت المنظمة بيتاً وطنياً للفلسطينيين،

وحامية للثوابت الوطنية، وقائدة للمشروع الوطني، تعمقت في عهده أزمة شرعية المنظمة، وابتلعت السلطة ما تبقى منها، وهُرس الثوار في طاحونة السلطة، وأصبحت تُستخدم عند الحاجة لتجديد الشرعية المتآكلة بمن حضر من المضمون صوتهم وصمتهم. وفي عهده حدث الانقسام الفلسطيني؛ وكنتيجة لمأزق أوسلو، والتنافس على سلطة تحت الاحتلال، وما تبع الانقسام من مناكفات سياسية وإجراءات عقابية فرضها على الشعب الفلسطيني الصامد والمقاوم في قطاع غزة، مما تسبب في تعميق مأساة ومعاناة الناس في غزة، وبالتالي التأثير على صمودهم فوق أرض وطنهم.

هذا العنوان والشعار مشروع، ولكن ماذا لو رحل السيد محمود عباس فعلاً؟!، هل سيؤدي ذلك إلى حل المشكلة، والخروج من المأزق؟!، إذا كانت المشكلة في السيد عباس فقط ممكن أن تُحل المشكلة ونخرج من المأزق بعد رحيله، ولكن المشكلة أعمق من ذلك، فهي في النظام السياسي الفلسطيني الرسمي القائم على مشروع التسوية، المرتكز بدوره على اتفاقية أوسلو، والنابع من فكر سياسي مبني على مقدمات خاطئة، تفترض إمكانية تحقيق أهدافنا الوطنية ومشروعنا الوطني بالمفاوضات والتسوية المرحلية والتنازل عن ثلثي فلسطين مسبقاً، وهي في مخالفة قوانين حركات التحرر الوطني التي يتم بموجبها تحرير الأرض ثم إقامة الكيان الوطني المستقل وتأسيس سلطة الشعب الوطنية، وبدلاً من ذلك أقمنا سلطة تحت الاحتلال فعجزنا عن إقامة الدولة أو الرجوع إلى الثورة، لذلك فإن رحيل من يقف على رأس هذا النظام السياسي، ومجيء رئيس آخر لن يحل المشكلة أو يخرجنا من المأزق، طالما استمر النظام السياسي محكوماً بسقف أوسلو، ومُقيّداً بالشراكة الأمنية والاقتصادية مع الاحتلال.

الوضع الصحيح هو المُطالبة والعمل على رحيل كل هذا النظام السياسي المشوّه، ابتداءً من تحديد طبيعة المرحلة التي نعيشها كمرحلة تحرر وطني، وتعريف المشروع الوطني الفلسطيني كمشروع تحرير وعودة واستقلال، ومراجعة الفكر السياسي الفلسطيني للتخلّص من المقدمات التي قادتنا إلى مأزقي أوسلو والانقسام، وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية لتكون بيتاً للكل الفلسطيني وقائدة للمشروع الوطني الفلسطيني الأصلي قبل التعديل، وإعادة توصيف وظيفة السلطة الفلسطينية

لتكون رافداً للمشروع الوطني وداعمة لصمود الشعب فوق أرضه، واستعادة الوحدة الوطنية على أساس التمسك بالثوابت الوطنية ونهج المقاومة، وإطلاق مشروع مقاومة شامل لسحب مكاسب الاحتلال بعد أوسلو، ورفع كُلفة الاحتلال، وتعميق مأزقه الأمني والوجودي على طريق التحرير والعودة.

منظمة التحرير والجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:

2019-3-3م

بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين وظهور مخاطر المشروع الصهيوني في مطلع القرن العشرين، حاول الفلسطينيون إيجاد إطار سياسي يوّحدهم ويُمثّلهم، وتجسدّت تلك المحاولات في إنشاء أُطر مُختلفة كان أبرزها: المؤتمر العربي الفلسطيني بين عامي 1919 – 1928 برئاسة عارف الدجاني ثم موسى كاظم الحسيني، ثم اللجنة العربية العليا بين عامي 1936 – 1946 برئاسة الحاج أمين الحسيني، ثم الهيئة العربية العُليا بقرار من الجامعة العربية عام 1946 برئاسة الحاج أمين الحسيني حتى نهاية نكبة فلسطين عام 1948، وبعد النكبة شُكلت حكومة عموم فلسطين في غزة بقرار من الجامعة العربية والهيئة العربية العليا برئاسة أحمد عبدالباقي ولكنها ظلت حبراً على ورق. أما الإطار الأكثر بروزاً واستمرارية فكان منظمة التحرير الفلسطينية.

أُنشأت منظمة التحرير الفلسطينية بقرار من الجامعة العربية في مؤتمر القمة الثالث المنعقد في القاهرة عام 1964 بدعوة من الزعيم جمال عبدالناصر، وتم ولادة المنظمة بعد انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول في القدس نفس العام، وشُكلّت كافة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وانتُخب أحمد الشقيري رئيساً لها، وأُعلن في المؤتمر (الميثاق القومي الفلسطيني)، ثم عُدّل إلى (الميثاق الوطني الفلسطيني) عام 1968 مؤكداً على أن»فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ»، وعلى أن»الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين»وأن الثورة الشعبية المسلحة هي طريق التحرير والعودة. وبعد هزيمة 1967 وضياع ما تبقّى من فلسطين –الضفة والقطاع– دخلت حركة فتح وفصائل المقاومة المنظمة بعد

أن كانت تشكك في شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني وتتهمها بالارتباط بالأنظمة العربية، ثم أُنتخب قائد حركة فتح الزعيم الراحل ياسر عرفات رئيساً للمنظمة خلفاً ليحي حمودة، فأصبحت حركة فتح قائدة للمنظمة، ومن خلالها للحركة الوطنية الفلسطينية.

منظمة التحرير الفلسطينية هي التعبير الأقوى عن الهوية الوطنية الفلسطينية والصياغة الأبرز للأهداف الوطنية الفلسطينية، المتمحورة حول التحرير والعودة والاستقلال، فأظهرت البُعد الوطني للقضية بعد أن كان البُعد الإنساني لقضية اللاجئين هو الظاهر منها، كما أن المنظمة شكلّت أهم ملامح النهوض القومي العربي في مرحلة المد القومي والناصري، وساهمت قيادة فتح للمنظمة في تكريس الاستقلال الوطني آنذاك، واكتسبت المنظمة شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني من تمسكها بالحقوق الوطنية الفلسطينية وممارستها للكفاح المسلح، وكذلك من خلال قدرتها على تعبئة قوى الشعب الفلسطيني حولها وتوحيد فصائل المقاومة في مشروعها الوطني التحرري، فكانت الشرعية الثورية والشعبية تسبق اعتراف العرب والعالم بها، هذا الاعتراف الذي كان له ثمن سياسي دفع بالمنظمة إلى القبول بقرارات ما يُسمى بالشرعية الدولية، وجوهرها القبول بفكرة تقاسم فلسطين بين صاحب الأرض ومغتصبها.

فكرة القبول بتقاسم فلسطين تسللت في الفكر السياسي الفلسطيني؛ ثمناً للرغبة في الحصول على الاعتراف الدولي، وتحت مبررات الفلسفة السياسية الواقعية المشبعة بروح الانهزامية وشعار الواقعية الثورية، وأثمر هذا الفكر أول ثماره في طرح البرنامج المرحلي عام 1974 المعروف ببرنامج النقاط العشر، ثم تراجع بفعل عوامل التعرية الوطنية، وتآكل النظرية الثورية، وانفضاض العرب من حول فلسطين، حتى تدحرج البرنامج المرحلي إلى الدرك الأسفل مما يُسمى بالتسوية السلمية، التي تبلوّرت في اتفاقية أوسلو بعد عشرين عاماً من مسيرة التراجع عن الحقوق الوطنية الفلسطينية لتتحول

السلطة من «سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة» إلى سلطة تحت الاحتلال ليست مستقلة وغير مقاتلة، لم تنقلنا إلى الدولة، ولم تُعيدنا إلى الثورة.

كانت التحوّلات في الفكر السياسي للمنظمة تنتقل من محطةٍ إلى أخرى تبعدنا أكثر من فلسطين، كان الجهاد الإسلامي كفكرة ومشروع يجمع بين الإسلام وفلسطين والجهاد في بوتقة واحدة أثمرت حركة الجهاد الإسلامي اتخذت الإسلام مُنطلقاً، وفلسطين هدفاً، والجهاد وسيلةً، وحلّت الإشكالية التي فصلت بين الإسلاميين والوطنيين، وأنهت الفصام النكد بين الانتماء للجماعة الوطنية والانتماء للأمة الإسلامية، وجمعت بين دوائر الولاء الوطني الفلسطيني والقومي العربي والديني الإسلامي، فحددت هويتها حركة تحرير وطنية بمرجعية إسلامية، أو حركة إسلامية قضيتها المركزية وطنية، وكانت منذ البداية ترى في الإسلام منهج حياة، ونظرية ثورية، وإيديولوجية مُحرّكة للجماهير وباعثة للأمة، ودافعة للنضال الوطني. وترى في إغفال المنظمة لهذه الحقيقة ولأبعاد الصراع الحقيقية مع المشروع الصهيوني خطأً كبيراً، وتُنظر للصراع مع المشروع والكيان الصهيوني إضافة إلى بُعده الوطني باعتباره صراعاً حضارياً بين الأمة الإسلامية والمشروع الاستعماري الغربي ورأس حربته المشروع الاستعماري الصهيوني،وكذلك باعتباره صراع وجود لا صراع حدود أو ضد نظام تمييز عنصري وإن كان ذلك أحد أشكاله.

وترى الحركة إضافة للجانب الفكري كما جاء في الوثيقة السياسية للحركة عام 2018 أن شرعية أي مؤسسة فلسطينية، وأهليتها لتمثيل الشعب الفلسطيني، إنما تُستمد من التزامها الأمين بكامل حقه في وطنه فلسطين، ومن جهادها لاسترداده، ورفضها لأي تسوية تنتقص منه، وتمثيلها للهوية الوطنية بجميع مقوماتها، وتجسيدها وحدة الشعب. وأن التخلّي عن هدف تحرير فلسطين، والاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني، وتوقيع اتفاقية أوسلو، ونبذ المقاومة وتجريمها، يُعد انقلاباً على المنظمة والثوابت التي نص عليها ميثاقها. وهناك جزء كبير من الشعب الفلسطيني مُمثلاً بحركتي حماس والجهاد الإسلامي، ومعهما شرائح فلسطينية واسعة غير منخرط في إطار المنظمة، وهذا ينتقص من شرعيتها التمثيلية وتعبيرها عن الإرادة الشعبية الفلسطينية. وأن استعادة

مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، كممثل للشعب الفلسطيني، يتطلب إعادة بنائها، على نحو ديمقراطي توافقي، لتصبح إطاراً جامعاً للكل الفلسطيني، وذلك على أسس فكرية وسياسية جديدة تستند إلى الحقوق والثوابت الوطنية وبرنامج كفاح وطني شامل.

ورغم كل ذلك ترى حركة الجهاد الإسلامي في الخلاف مع المنظمة خلافاً فكرياً وسياسياً يتم حله بالحوار الفكري والسياسي بعيداً عن العنف، وترى أن هناك إمكانية لإصلاح المنظمة لتكون بيتاً للكل الفلسطيني وقائدة للمشروع الوطني الفلسطيني، ولا زالت ترفض إيجاد كيان سياسي بديل أو موازٍ لها، ولذلك كانت جزءاً من (إعلان القاهرة) عام 2005 الذي ينص على«تفعيل وتطوير منظمة التحرير الفلسطينية وفق أُسس يتم التراضي عليها بحيث تضم جميع القوى والفصائل الفلسطينية بصفة المنظمة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني»وهذا ما تم التأكيد عليه في كل اتفاقيات المصالحة اللاحقة خاصة اتفاقي –2009 2011، والذي يُعيق اجتماع الإطار القيادي الموّحد للمنظمة المخّول بإصلاح المنظمة هو السيد محمود عباس.

ونختم بكلام الأمين العام السابق لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدكتور المجاهد رمضان عبد الله شلح رداً على سؤال حول منظمة التحرير الفلسطينية«نحن لسنا ضد منظمة التحرير، نحن نريد منظمة التحرير، هي مكسب للشعب الفلسطيني... لكن أن تحكم عليَّ أن أقر بشرعية منظمة التحرير ممثلاً للشعب الفلسطيني وممثل وحيد وأنا مش فيها... كأنك تقول لي يجب أن تسحب اعترافك بنفسك، أنت غير موجود، أنت لا شرعية لك، وهذا غير منطقي... نحن بحثنا هذا المسألة في القاهرة، وتوافقنا على أن حماس والجهاد ليس لديهم مانع من الحديث عن منظمة التحير كممثل شرعي للشعب الفلسطيني بشرط إعادة بنائها على أسس سياسية وتنظيمية جديدة... شرعية المنظمة تتوقف على قدرتها على تمثيل الشعب الفلسطيني وتوحيده».

بدنا نعيش
وبدنا نقاوم

• كُتب بتاريخ:

2019-3-16م

كتبت في سبتمبر 2015 مقالاً بعنوان (ثورة الكهرباء محطة على طريق الانفجار الكبير) تعقيباً على المظاهرات المطالبة بالكهرباء جاء في الفقرة الأخيرة منه (والخطورة ليست في مثل هذه المظاهرات التي لا تزال محدودة في حجمها وانتشارها؛ ولكن الخطورة في أن مثل هذه المظاهرات قد تكون محطة على طريق الانفجار الكبير، إذا ما استمرت أزمات القطاع دون حل ابتداءً بالأزمة السياسية، وانتهاءً بالأزمة الاقتصادية، مروراً بأزمة الكهرباء، واستمرار هذه الأزمات دون حل سيراكم السخط والتذمر والغضب لدى الجماهير، وستأتي لحظة ينفجر فيها مخزون السخط والتذمر والغضب لدى الجماهير... ولا يوهمنَّ أحدٌ نفسه بأن الانفجار القادم سيكون باتجاه (إسرائيل) فقط، فقد تأتي الرياحُ بما لا تشتهي السفن).

المظاهرات الحالية في قطاع غزة تحت شعار (بدنا نعيش) تأتي في هذا السياق، وهي في حد ذاتها تنادي بمطالب مشروعه تحتج على زيادة الضرائب واستفحال الغلاء واحتكار السلع، وتطالب بخفض الضرائب وتوفير فرص العمل وحماية حقوق العمال والموظفين، من حق الناس المطالبة بها بأي شكل من أشكال النضال الشعبي السلمي والكفاح المدني القانوني، بغض النظر عن المسئول والمتسبب بهذا الوضع المأساوي الناتج عن الحصار والعقوبات، وبعيداً عن الأطراف التي تحاول توظيفها سياسياً واستغلالها إعلامياً لصالح مشروع سياسي ما، أو في إطار مناكفات الانقسام. وبناءً على هذا الحق في التعبير عن الرأي وإيصال الصوت وإظهار الألم والمطالبة بالحقوق؛

فإن المعالجات الأمنية فقط لا تحل المشكلة الحالية، كقمع المتظاهرين، ومنعهم من التعبير عن رأيهم ومعاناتهم، وكتم صوتهم وصراخهم، وكبت أنين ألمهم وجوعهم، وهذا يتناقض مع هذا الحق الإنساني والقانوني المشروع.

هذا هو الوجه الأول للحقيقة، أما وجهها الثاني الأكثر أهمية، فهو أن وصول مأزق غزة إلى هذا الحد الخطير من الفقر المدقع والحاجة والعوز، كان بفعل فاعل وتخطيطٍ شيطاني، يبدأ من أساس الداء وأصل البلاء، وهو الكيان الصهيوني الذي يحتل فلسطين بالكامل إضافة إلى حصاره لقطاع غزة، وهو المتسبب في نكبة ومأساة الشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين، وزاد على الشعب الفلسطيني القاطن في قطاع غزة بعد الاحتلال والتشريد، الحصار والحروب والإرهاب لإجبار المقاومة وحاضنتها الشعبية على الخضوع لمشيئته والإذعان لرغبته والاستسلام لإرادته. وتستمر المأساة بعد النكبتين أو النكستين بتراجع مشروع التحرير، واختزال البرنامج المرحلي، وتآكل مفهوم السلطة الوطنية لتنحدر إلى كيان غير محدد المعالم هجر الثورة قبل أن يصل إلى الدولة، تقوم على الشراكة الأمنية مع الاحتلال والتبعية الاقتصادية للاحتلال.

هذه السلطة جعلت الاحتلال نظيفاً، له مغانم دون مغارم، وقامت بمهام الإدارة المدنية دون امتلاك السلطة الحقيقية والسيادة الفعلية، وتقف حاجزاً بين الاحتلال والمقاومة، ويمر من تحتها وبجانبها كل مشاريع الاستيطان والتهويد في الضفة والقدس، ومهدّت للانقسام عندما توهم البعض بأننا نتنافس على سلطة فعلية، وأن السلطة بمواصفاتها السابقة يُمكن أن تحمل في جوفها نقيضها، فكان الخصام ثم الانقسام، الذي أعقبه المناكفات الحزبية، وصولاً إلى الإجراءات العقابية التي أضنت الشعب الفلسطيني الصامد والمقاوم في قطاع غزة، بهدف إيجاد بيئة شعبية ساخطة تنفجر في وجه حماس كسلطة فعلية بغزة، وربما الوصول من خلال ذلك إلى إسقاط مشروع المقاومة الذي تُعتبر غزة حصنه الأهم ومعقله الكبير.

بعد سنوات الاحتلال والحروب والحصار والعقوبات، وما تبع كل ذلك من تعميق أزمات قطاع غزة في مختلف الاتجاهات، جاءت السياسة الاقتصادية للسلطة في غزة لتزيد الطين بلة، فاعتمدت على الجباية المحلية المتزايدة من شعبٍ مُنهك لتمويل النفقات الحكومية، والغريب أن الضرائب زادت في الوقت الذي تراجع دخل المواطنين فزادتهم فقراً على فقر، فأدركَ حينها الناسُ أن الفرجَ ليس بقريب، والاستبشارُ بالخير أمرٌ غريب، والكربُ قد يستمر لأمدٍ بعيد، ولا يبدو في الأُفقِ شُعاعَ أملٍ جديد، واليأسُ أقربَ إليهم من حبلِ الوريد، فلم يكن أمامهم إلاّ التعبير عن معاناتهم كمخرجٍ وحيد من حالة البؤس الشديد...

والمخرج من هذا المأزق هو السماح للجماهير بالتعبير عن غضبهم بطريقة سلمية وفي إطار القانون، والاستجابة لمطالبهم الحياتية المشروعة قدر الإمكان، وبنفس القدر التصدي لمشروع الفتنة الداخلية وصراع الضحايا فيما بينهم؛ لعدم السماح لانحدار الوضع نحو ما يريده المشروع الصهيو أمريكي ضد المقاومة والقضية الفلسطينية والحفاظ على الأمن العام.

وبعد ذلك العمل مع الكل الوطني لإيجاد صيغة توافقية لترتيب البيت الفلسطيني وتحقيق الوحدة الوطنية على أسس تلتزم بالثوابت الوطنية ونهج المقاومة. وحتى يتحقق ذلك لا بد من مراكمة عناصر القوة للشعب، وفي مقدمتها القوة الاقتصادية، لتعزيز صمود الشعب الفلسطيني الذي يحتضن المقاومة ويحمي ظهرها.

فبقدر ما نلبي احتياجات الشعب الاقتصادية،ونوّفر له مقومات الحياة الأساسية، ونخفف عنه المعاناة في حياته اليومية، ونفتح أمامه آفاق الحياة الحرة الكريمة... بقدر ما يتعزز صموده وقوته، وبالتالي صمود المقاومة وقوتها، وبهذا نحقق المطلبين المترابطين (بدنا نعيش وبدنا نقاوم)، فبالعيش بكرامة تقوى المقاومة وتترسخ كنهج ثابت، وبالمقاومة تتحقق الحياة الحرة الكريمة، وكلاهما معاً يعيدان وضع عجلات قطار المشروع الوطني الفلسطيني على قضبان طريق التحرير والعودة والاستقلال.

صراع الضحايا
وضحايا الصراع

• كُتب بتاريخ:
2019-3-20م

سبارتاكوس، فيلم أمريكي ينتمي للدراما التاريخية، يؤرخ لثورة العبيد الثالثة، في الإمبراطورية الرومانية القديمة قبل الميلاد، اسم الفيلم هو اسم قائد الثورة (سبارتكوس)، سبارتكوس كان رجلاً حُراً ثم اُستعبد لسببٍ ما كغيرهِ من آلاف البشر البؤساء، وآلاف الآدميين التُعساء، ضحايا نظام العبودية السائد في الإمبراطورية، هؤلاء العبيد البؤساء والتُعساء يتم تقسيمهم إلى فئات حسب الأعمال المفروضة عليهم، لخدمة السادة من النبلاء والأعيان الرومان، ومن هذه الفئات مجموعة يتم تدريبهم بقسوة؛ ليصبحَ مُصارعاً في مباريات الموت، هذه المصارعة أو المُجالدة غالباً ما تنتهي بموت أحد المتصارعين، ونجاة الآخر إلى حين المباراة التالية، ليُقتل حتماً أمام متصارع من العبيد أقوى منه في مباراة أُخرى، من أجل تسلية وإمتاع السادة والجمهور الروماني، وهم يشاهدون دماء الضحايا المتصارعين تُهرق، وأرواح البؤساء المتقاتلين تُزهق.

سبارتكوس كان من فئة المتصارعين المدربين على القتل، ولكنه لم يحتمل حياة العبيد غير الآدمية، ولم يرضَ أن يكون مصيره مرتبطاً بدائرة القتل العبثي إرضاءً للسادة، فتمرد وثار على هذا الواقع البائس والمصير المأساوي، بعد أن عرف أنه لن يخسر سوى القيد المُهين والموت الذليل، وأعلن ثورته من حلبة الموت ليوّجه سهامه إلى السادة الطغاة، بدل توجيهها إلى الضحايا المستضعفين أمثاله، فتبعه آلاف البؤساء المُستعبدين المتعطشين للحرية، والتواقين للانعتاق من نير العبودية، فانتزعوا حريتهم من فك عدوهم، وقاتلوا مستعبدهم وطغاتهم، لمدة عامين من الزمان، عاشوا فيها أحراراً أعزاء، بعد أن كانوا عبيداً أذلاء، حتى قتلوا في ميدان الوغى رجالاً عظماء،

فماتوا أحراراً أعزاء، بعد أن رفضوا أن يقتل بعضهم بعضاً في مباريات الموت، ليكون القاتل والمقتول ضحية على مذبح السادة الطغاة.

الصراع حتى الموت على حلبة المصارعة الرومانية بين البؤساء المستعبدين، هو في الحقيقة صراع بين الضحايا يتكرر بصور مُختلفة عبر التاريخ، ومن أمثلته الصراع بين إمارتي الغساسنة في الشام التابعة للروم، والمناذرة في العراق التابعة للفرس، فالصراع بين الإمارتين العربيتين قبل الإسلام هو مصارعة بين الضحايا لصالح الإمبراطورتين الرومانية والفارسية، من أجل تحقيق مصالحهما ونيابة عنهما، والنتيجة زوال الضحايا وإمارتيهما، وبقاء السادة وإمبراطوريتهما إلى حين، وهذا الشكل من الصراع بين الضحايا لا زال مستمراً بين العرب المهجنين والأعراب المستنسخين، مع فرق بسيط هو تغيّر السادة من الروم والفرس، إلى سادة غيرهم كالجرمان، والطليان، والفرنجة، والانجليز... وصولاً إلى الأمريكان والروس ومعهما يهود الصهاينة... وآخر أشكال صراع الضحايا ما أنتجته ثورات الربيع العربي القاحل من ثورات دموية، وجماعات إرهابية، ووحوش بشرية، تجيد صناعة الموت، وتنفيذ مخططات السادة.

أما فيلم سبارتكوس في نسخته الفلسطينية لا ينتمي إلى الدراما التاريخية؛ بل إلى الكوميديا السوداء؛ ذلك بأن السجينُ فيها يُصبح سجاناً، والضحيةُ تلبسُ ثوب الجلاد، والمقهور يتقمّص دور القاهر، والمغلوب يقتدي بسلوك الغالب، والمستضعف يتماهى مع شخصية المستكبر... وقد تكون هذه الظاهرة نوعاً من التوّحد بالمعتدي وفق تفسير مدرسة التحليل النفسي، أو كما جاء في كتاب (سيكولوجية الإنسان المقهور) لمصطفى حجازي (إن المقهور يتماهى بأحكام المتسلّط الذي يستغل الفرصة ليتسلط على من هم أضعف منه)، أو كما قال ابن خلدون في مقدمته (إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده).

وإذا لم يكن الأمرُ كذلك فكيف يُمكن تفسير سلوك السلطة وأجهزتها الأمنية في كل من الضفة وغزة في قمع المتظاهرين، واستخدام طُرق قمعية مُهينة ضد المواطنين، وهي سلطة تحت الاحتلال، أو مُحاصرة من الاحتلال، رغم أن القانون الأساسي

الفلسطيني أعطاهم الحق في التظاهر السلمي للتعبير عن رأيهم تجاه منهج سياسي وأمني خاطئ. كالتنسيق الأمني، والعقوبات المفروضة على غزة، وملاحقة المقاومين واعتقالهم، وفرض قوانين مناقضة لحقوق المواطنين. أو تجاه سياسة اقتصادية عمّقت معاناة الناس وزادتهم فقراً على فقر، وأضافت إلى حصار الاحتلال وعقوبات السلطة زيادة الضرائب وغلاء الأسعار.

وصراع الضحايا في جميع صوره وأشكاله لا يصلح فيه التقسيم الثنائي القاطع، بين القاتل والمقتول، والغالب والمغلوب، والمنتصر والمهزوم، والقاهر والمقهور، والسجان والسجين، والجاني والمجني عليه... فالطرفان المتباينان ظاهراً والمختلفان شكلا، هما في الواقع متفقان باطناً ومتشابهان مضموناً، فالطرف الضحية هما اللذان يقتلهما جميعاً ويقهرهما جميعاً الاحتلال الذي أوقعنا في كمين السلطة، فأوهم بعضنا أنفسهم أنها الطريق إلى الدولة المستقلة، وصدّق بعضنا الآخر بأن السلطة يُمكن أن تحملَ في جوفها نقيضها، وأن تلدَ من رحمها ضدها، فإذا هما سلطتان منفصلتان، أشبه بالكبشين المتناطحين، والضرتين المتناكفتين.

هذا عن صراع الضحايا، أما ضحايا الصراع فأولهم فلسطين بأرضها وشعبها وقضيتها، وثانيهم آلاف بل مئات الآلاف من طوابير الخريجين الواقفين على أرصفة البطالة القاتمة، ومواكب العاطلين التائهين وسط صحراء الفقر القاحلة، وحشود المتسوّلين المصطفين أمام أبواب الجمعيات والشئون والأسواق، وأفواج المهاجرين الهاربين من رمضاء الحاضر المجهول إلى نار المستقبل غير المعلوم، وأجيال الشباب الهائمين على وجوههم المُحطّمة أحلامهم على صخور الاحتلال والحصار والانقسام، وقوافل الأجيال الصاعدة من الفتيان والفتيات المتوقف قطار حياتهم وحياتهن عند محطة البطالة والفقر.... وبعد كل ذلك أما آن للضحايا أن يتوقف صراعهم فيما بينهم وتتوّجه طاقاتهم وتتصوب بندقيتهم نحو جلادهم وعدوهم، كما فعل البطل الثائر سبارتكوس الذي عاش حراً ومات عزيزاً.

رسالة صاروخ تل أبيب:
حياة غزة أو موت تل أبيب

• كُتب بتاريخ:

2019-3-28م

صاروخ غزة الأخير، والصاروخان اللذان سبقاه بأيام على تل أبيب، ليست مجرد صواريخ أحدثت أضراراً مادية وبشرية في صفوف العدو، كما أنها ليست الصواريخ الأولى التي تسقط على تل أبيب، ولكنها افتتحت مرحلة جديدة من النضال الوطني الفلسطيني، والصراع بين المقاومة الفلسطينية والكيان الصهيوني، مرحلة ترسم ملامحها وتحدد قواعدها المقاومة، مرحلة تُصبح فيها المستوطنة الإسرائيلية الكُبرى المسماة تل أبيب كمستوطنات غلاف غزة من حيث استباحة صواريخ المقاومة لها، وسيأتي اليوم الذي تصبح فيه حتماً كمستوطنات قطاع غزة من حيث إزالتها وهجرة المستوطنين منها، وحتى ذلك الوقت القادم يقيناً من المفيد استخلاص بعض دلالات ورسائل صاروخ تل أبيب.

صاروخ تل أبيب أجهز على ما تبقى من قوة الردع للجيش الإسرائيلي تجاه المقاومة، وأصاب منظومة الردع للكيان الصهيوني في مقتل، وضرب كافة مراحل الردع لنظرية الأمن الإسرائيلية. ابتداءً من عدم قدرة الكيان على ردع المقاومة من إطلاق الصاروخ خوفاً من ردة الفعل الإسرائيلية التدميرية، وهذا يُشير إلى فشل آليات الردع الإسرائيلية السابقة كعقيدة الضاحية التدميرية الشاملة، ومفهوم كي الوعي الفلسطيني القائم على إقناع الشعب والمقاومين بعبثية الصواريخ والمقاومة، أو ارتفاع تكلفة إطلاق الصواريخ بحيث تصبح غير مجدية، وكذلك ضمن مراحل الردع فشل المنظومة الاستخبارية في التنبؤ بإطلاقه، وفشل القبة الحديدية في اسقاطه كما فشلت

مع الصاروخين من قبله، وتآكل قوة الردع الإسرائيلية أمام المقاومة الفلسطينية أصبح محط اجماع للساسة والخبراء والإعلاميين الإسرائيليين.

صاروخ تل أبيب عمّق المأزق الوجودي الإسرائيلي، المرتبط بدوره بمأزقه الأمني الدائم كما عبّر عنه دافيد بن جوريون (إن جوهر مشكلتنا الأمنية هو وجودنا بالذات»فضرب تل أبيب قلب الكيان الاقتصادي، ومركز ثقله السكاني ومنتصف عمقه الاستراتيجي... وفقدان مستوطنيها الإحساس بالأمن هو ضرب لجوهر المشروع الصهيوني، ذلك بأن المشروع الصهيوني وكيانه الإسرائيلي قائمان على أساس الأمن الذي تستطيع دولة (إسرائيل) توفيره لليهود، وبالتالي الهجرة إليها والاستيطان فيها، فإذا ما ضُربَ الأمن الشخصي الفردي والجماعي (القومي)، فإن مشروع الهجرة سيُضرب بدوره ومعه الاستيطان بالطبع، هذا الحُلم الشخصي أو (القومي) ليهود العالم المؤمنين بالصهيونية سيتآكل بتآكل نظرية الردع الإسرائيلية، وسيؤدي ذلك تدريجياً إلى وقف الهجرة القادمة، بل وتزايد الهجرة العكسية نحو أوربا وأميركا الأكثر أمناً واستقراراً.

والإضافة الجديدة لصاروخ تل أبيب بعد الدلالات السابقة، هي رسالته السياسية القادمة معه من غزة إلى قادة تل أبيب، وفحواها واضح يُمكن اختصاره بـ (إما حياة غزة أو موت تل أبيب)، بمعنى إما أن تعيش غزة بكرامة، فيتم رفع الحصار والعقوبات عنها، وترك أهلها يعيشون حياة طبيعية، أو تعطيل الحياة الطبيعية لمستوطني تل أبيب، من خلال جعل مصيرها كمصير مستوطنات غلاف غزة، بأن تكون في مرمى الصواريخ الفلسطينية بطريقة مُكررة، بحيث تصبح مدينة ميتة اقتصادياً وفي مختلف مجالات الحياة الأخرى، وبذلك تتعطل الحياة في عمق الكيان الصهيوني وثقله السكاني والاقتصادي، في تل أبيب وكل تجمع (قوش دان) الذي يشكل ما يقرب من نصف مستوطني الكيان وهذه المرحلة في كل الأحوال ستكون محطة متقدمة من إدارة الصراع مع العدو على طريق التحرير والعودة والاستقلال.

وطريق الكفاح الوطني والمقاومة على طريق التحرير والعودة والاستقلال، هي قدر وخيار غزة ومقاومتها، وقدر وخيار الضفة بأهلها الرافضين لنهج أوسلو ومقاوميها الخارجين عن طوق التنسيق الأمني، ومعهما كل الشعب الفلسطيني، ومن خلفه أحرار الأمة العربية والإسلامية وكل أحرار العالم... غزة التي تخوض معركة كرامة متواصلة، وملحمة بطولة مستمرة، وموقعة عزة دائمة... أصبحت نداً عنيداً وضداً صلباً للكيان الصهيوني المأزوم وجيشه المهزوم، بكل غطرسته المجروحة المذلولة، وعنجهيته المكلومة المُهانة، فالمقاومة بشعبها الصامد المقاوم الذي يحتضنها ويحمي ظهرها، وبما لديها من إرادة صلبة للصمود والثبوت، وتصميم قوي للنزال والقتال، تمتلك القدرة على تحقيق الظفر وانتزاع النصر، وما صاروخ تل أبيب عنّا ببعيد.

في يوم الأرض
(خلي هواك فلسطيني)

• **كُتب بتاريخ:**
2019-3-30م

يـوم الأرض، اليـوم الـذي يؤكـد فيـه الشـعب الفلسـطيني عـلى جـذوره المرتبطـة بـالأرض، وإصراره عـلى التمسـك بـالأرض، ويؤكـد فيـه عـلى وحـدة الأرض والشـعب والقضيــة، ويؤكــد فيــه عــلى الأرض كمحــور للتحريــر والعــودة، والاســتقلال، تحريــر الأرض، والعـودة للوطـن، والاسـتقلال الوطنـي عـلى ترابهـا، في وطـنٍ حُـر وأرض مُحـررة.

يـوم الأرض هـو يـوم التوَحـد حـول الدفـاع عـن الأرض الفلسـطينية، تلـك الأرض المجبـول ترابهـا المُبـارك بدمـاء الشـهداء المُدافعـين عنهـا منـذ أول التاريـخ وحتـى آخـره، والممـزوج رملهـا وطينهـا بعـرق الكادحـين فيهـا منـذ بدايـة الزمـان وحتـى نهايتـه، والمُعَبـق ثراهـا الطاهـر برائحـة الأجسـاد، المدفونـة أجسـادهم في كل شـبر فيهـا، والمُحَلقـة أرواحهـم في كل سـهل ووادٍ وتـلٍ وجبـل مـن ربوعهـا الخـضراء. في يـوم الأرض تنـادي عـلى أصحابهـا وأهلهـا: خـلِّ هـواك فلسـطيني، بالخـروج عشـقاً لـلأرض وتأكيـداً عـلى وحـدة الأرض والشـعب والقضيـة.

يـوم الأرض، اليـوم الـذي يؤكـد فيـه الشـعب الفلسـطيني عـلى تمسـكه بحـق العـودة إلى الأرض التـي أخـرج منهـا بغـير حـق إلا أن يقـول ربنـا الله ووطننا فلسـطين، وحـق العـودة أكـدت عليـه مسـيرات العـودة في عنوانهـا وهدفهـا الأول، ذلـك بـأنَ العـودة إلى الأرضِ المُحتلـة هـي جوهـر القضيـة ولُـب الـصراع، بعـد أن كان الخـروج مـن الأرض السـليبة هـو مصـدر المأسـاة وأسـاس النكبـة ومُقدمـة النكسـة، فـالأرض هـي مـادة النـزاع وموضـوع الـصراع، الأرض بـما تحمـل مـن معـانٍ ماديـة ومعنويـة، ومـن قيـم وطنيـة وقوميـة، ومـن

دلالات دينية وحضارية، الأرض بهذه المعاني والقيم والدلالات هي هدف العودة، وموضوع ثقافة العودة، التي تهدف مسيرات العودة إلى ترسيخها، لتكون حاضرةً في عقول وقلوب الجيل الصاعد لتزرع في داخلهم بذور نبتة العودة المباركة، لتكبر شجرةً طيبةً ثمارها التحرير والعودة والاستقلال، ولهذا في يوم الأرض تنادي على أصحابها وأهلها: خلَي هواك فلسطيني، بالخروج تأكيداً على حق العودة وحتمية العودة بإذن الله.

يوم الأرض، اليوم الذي يؤكد فيه الشعب الفلسطيني على حقه في أرضه والعودة إليها، يؤكد أيضاً على هدف مسيرات العودة الثاني (كسر الحصار)، وإنهاء الحصار المفروض من الاحتلال على قطاع غزة، الحصار الذي زادت وطأته بفعل العقوبات الاقتصادية المفروضة من رام الله، وتعمقت مأساته بفعل جباية الضرائب المتزايدة في قطاع غزة. وإنهاء الحصار ليس مُجَرد هدف إنساني- وإن كان كذلك- بل هو هدف وطني وقضية وطنية من الدرجة الأولى، ذلك بأن إنهاء الحصار ورفع العقوبات سيخفف المعاناة التي يعيشها الناس في قطاع غزة، وهذا من شأنه دعم صمودهم وتثبيت وجودهم في وطنهم، وبذلك نحافظ على المشروع الوطني الفلسطيني حياً بحياة وصمود الشعب فوق أرضه، وسيقوي الحاضنة الشعبية للمقاومة عمود خيمة المشروع الوطني الفلسطيني. في يوم الأرض تنادي على أصحابها وأهلها: خلَي هواك فلسطيني، بجعل قضية إنهاء حصار غزة ورفع العقوبات المفروضة عليها قضية وطنية لكل وطني فلسطيني حر لا يرضى لشعبه الهوان والمذلة.

في يوم الأرض خلَي هواك فلسطيني، في إحياء يوم الأرض، والمشاركة في فعاليات مسيرات العودة، والكفاح ضد الحصار المضروب على قطاع غزة، والمطالبة الوطنية بإنهاء العقوبات المفروضة على أهل غزة، ولنردد معاً وسوياً كلمات الشاعر الفلسطيني خليل عابد التي غناها الفنان الفلسطيني محمد الهباش: (وين الهوى ما وداك خلَي هواك فلسطيني).. قلبك على قلوب بتهواك طول غيابك حزينة.. بعروقك لو حن الدم شملع بلادك يا عم.. بأهلك شملك رح يلتم وشد شراع السفية.. (وين الهوى ما وداك خلي هواك فلسطيني).

تفاهمات التهدئة..
فصل المقال بين الشك واليقين

• كُتب بتاريخ:
2019-4-7م

تفاهماتُ التهدئة بين المقاومة والاحتلال، موضوعُ جدالٍ بين مُوافقٍ ومُخالف، ومادةُ سجالٍ بينَ مُؤيد ومُعارض، وبابُ نزاعٍ جديد للمُناكفةِ السياسية، ومدخلُ صراعٍ أكيد للمُناطحة الإعلامية. الوصولُ إلى فصلِ المقالِ فيما وقعَ بينَ المختلفين من إشكال، لم يعُدْ بالأمر الهيّنْ، ولا بالشيءِ الليّنْ، لذلك احتاجَ الموضوعُ إلى حِكمة توازن بين الشك واليقين، وفطنة تسلّط الضوء على بعض النقاط، ثم تضع النقاطَ على الحروف. ومن المفيد لتحقيق ذلك دراسة تفاهمات التهدئة في سياقها الطبيعي وإطارها المنطقي، وإدراكها من خلال أبعادها المكانية والزمانية والسياسية، للخروج برؤيةٍ واضحةٍ وموقفٍ محدد، دون مبالغة أو تقصير، من غير تعظيم أو تحقير.

تفاهمات التهدئة اجتهاد سياسي لقوى المقاومة في قطاع غزة، في إطار إدارة الصراع مع الاحتلال، وبهدف تخفيف معاناة الشعب الحاضن للمقاومة في القطاع، والاجتهاد السياسي هو جهد عقلي بشري جمعي، يخضع لقانون الرأي والرأي الآخر، وقابل للصواب والخطأ، وبالتالي يحتمل التأييد والمعارضة أو الموافقة والمخالفة، ويُمكن أن يكون محل نقد وكذلك نقد النقد؛ لاسيما وأن المرجعية الوطنية التي يُمكن الاحتكام إليها غير موجودة، والإجماع على مشروع وطني موّحد مفقود، والتوافق حول منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب بعيد، والانقسام ضارب بجذوره في عمق سحيق، والنتيجة أن الخلاف حول ملف تفاهمات التهدئة في إطار مشروع

ومسموح، طالما يبعد عن اتهامات التخوين والخروج عن الإجماع الوطني غير الموجود، والتآمر على القضية الوطنية وهلم جرا على هذا المنوال.

تفاهماتُ التهدئةِ في جوهرها تسعى لانتزاع حقوق طبيعية من الاحتلال كفلها القانون الدولي للشعب الفلسطيني ولكل شعب تحت الاحتلال، فالقطاع كالضفة وكل فلسطين من الناحية القانونية و الفعلية لازال تحت الاحتلال الإسرائيلي بموجب قراري مجلس الأمن رقم (242) لسنة 1967، ورقم (338) لسنة 1973. التغيير الذي حدث بعد إنشاء السلطة الفلسطينية سنة 1994 بموجب أوسلو سنة 1993 لم يمس جوهر وجود الاحتلال رغم انتقال صلاحيات إدارة شؤون السكان المدنية إلى السلطة الفلسطينية بدلاً من سلطة الاحتلال. وهذا الوضع القانوني والفعلي لم يتغير بعد تطبيق خطة فك الارتباط في قطاع غزة سنة2005، رغم إخلاء المستوطنات والجيش من داخل القطاع، فقد ظلت السيطرة الفعلية على الحدود البرية للاحتلال، وبقيت السيادة الحقيقية على المجالين البحري والجوي للقطاع كالضفة وكل فلسطين بيد دولة الاحتلال. هذا يعني تغير شكل وأسلوب الاحتلال دون جوهره ومضمونه، وهذا الوضع لم يتغير كثيراً بعد أحداث الانقسام سنة 2007 واستفراد حركة حماس بمؤسسات السلطة في القطاع، ورغم إطلاق يد المقاومة على الأرض وتحركها بهامش حرية سمح لها زيادة قوتها المادية والبشرية وهذا ما أعطى الاحتلال فرصة لترويج التخلي عن مسئوليته تجاه السكان في القطاع ولكن آثار مشروع أوسلو وما نتج عنه من إنشاء سلطة تحت الاحتلال، هو المتغير الأهم الذي سمح للاحتلال بالترويج لمزاعم ترى أن الاحتلال قد أخلى التزاماته تجاه سكان قطاع غزة وألقى بالمسؤولية على السلطة الفلسطينية بخلاف القانون الدولي الذي يجبر دولة الاحتلال على تزويد المنطقة المحتلة بكافة متطلبات الحياة من غذاء ودواء وغيرها. وهو ما نحاول الحصول عليه من خلال تفاهمات التهدئة الحالية، ونضطر لدفع ثمن كبير من أرواح ودماء الشعب الفلسطيني الصامد والمقاوم في قطاع غزة.

تفاهمات التهدئة في إطارها التاريخي ظهرت مع نهاية انتفاضة الأقصى عام 2005 عندما كُتب مصطلح (التهدئة) في وثيقة إعلان القاهرة للفصائل الفلسطينية المجتمعة

في القاهرة، وارتبطت بالتهدئة مقابل التهدئة، أي وقف عمليات المقاومة الفلسطينية مقابل وقف أشكال العدوان على الأرض والشعب الفلسطيني، وبعد فرض الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة سنة2006، واشتداده في سنة2007، وتزامنه مع الحروب العدوانية الثلاثة على غزة، أصبحت تفاهمات التهدئة مرتبطة بالمطالبة بإنهاء الحصار كشكل من أشكال العدوان، وظهر ذلك جلياً في التفاهمات التي أنهت حرب 2012، ثم حرب 2014، ولكن ذلك ظل حبراً على ورق ولم يتعد الأمر إدخال المساعدات الإنسانية والإغاثية وتسهيل حركة عبور الأشخاص والبضائع عبر المعابر، وأدت مماطلة العدو إلى النزول لسقف التفاهمات من إنهاء الحصار بإقامة ميناء بحري وجوي يسمح بحرية السفر ونقل البضائع إلى إجراءات تخفيف الحصار وحل المأزق الإنساني في غزة.

تفاهمات التهدئة جاءت في ظل واقع سياسي واقتصادي ضاغط على غزة، فالواقع السياسي الدولي في ظل الإدارة الأمريكية بقيادة ترامب مُشجع لدولة الاحتلال بممارسة كافة أشكال الإرهاب والعدوان ضد الشعب الفلسطيني وفي مقدمتها الحصار على غزة، والواقع السياسي العربي في أسوأ حالاته بعد تهافت الأنظمة العربية على التطبيع مع الكيان الصهيوني وتجاوز القضية الفلسطينية التي أصبحت آخر اهتماماتهم، والواقع السياسي الفلسطيني في أضعف حالاته باستثناء بقعة الضوء المشرق الصادر من جذوة المقاومة في الضفة والقطاع، فالانقسام ضرب بجذوره الخبيثة في عمق السياسة الفلسطينية، والتنسيق الأمني -لفريق من السلطة- أصبح بقرة مقدسة لا يمكن المساس به، والعقوبات المفروضة على غزة وأهلها مصلحة وطنية، المطالبة برفعها خيانة، والحصار والعقوبات تحولا إلى وجهين لجريمة واحدة تهدف إلى تركيع المقاومة وإذلال حاضنتها الشعبية، وفي ضوء هذا الواقع السياسي غير المريح جاءت تفاهمات التهدئة مدعومة فقط بقوة ردع سلاح المقاومة ورجالها، وقوة صمود الشعب الفلسطيني حاضنة المقاومة وحامي ظهرها، وضغط مسيرات العودة وكسر الحصار.

تفاهمات التهدئة الحالية جاءت بعد عامٍ من انطلاقة مسيرات العودة وكسر الحصار، وإن كان إنهاء الحصار هو العنوان الثاني للمسيرات، إلا أنه كان ولازال الهدف الأول القابل للتحقق كلياً أو جزئياً. هذه التفاهمات قد تكون بداية الطريق لإنهاء

الحصار، بعد أن أوصلت الاحتلال إلى قناعة إجبارية بأنَّ الشعب الفلسطيني لن يتنازل عن حقه في إنهاء الحصار بالكامل مهما كان الثمنُ باهظاً، والتضحيات كبيرة، وأن المقاومة مصممة على تخفيف معاناة حاضنتها الشعبية ودعم صمودها وتعزيز قوتها.

المسيرات الشعبية حلقة من حلقات النضال الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال البريطاني ثم الصهيوني منذ قرن من الزمان، هذا النضال لن يتوقف إلا بالوصول إلى محطة التحرير والعودة والاستقلال، فالتفاهمات في هذا الإطار الوطني محطة على طريق الصراع الطويل مع الكيان الصهيوني، هذا النضال الوطني سيراكم نقاط القوة للشعب الفلسطيني، ونقاط الضعف للكيان الصهيوني، وستقدمنا خطوة على طريق الألف ميل.

تفاهمات التهدئة يحوطها الكثير من المخاطر والمحاذير السياسية الحقيقية، خاصة وأنها تتزامن مع صفقة القرن الصهيو أمريكية والرغبة الإسرائيلية بفصل قطاع غزة عن الضفة الغربية، والتعامل مع كل واحد منهما كإقليم منفصل، ليسهل تفكيك القضية الفلسطينية وتصفيتها، ويصاحبها الكثير من الاتهامات غير الحقيقية الصادرة عن فريق أوسلو والسلطة تتلخص في: تمرير صفقة القرن، وتدمير المشروع الوطني الفلسطيني، وتطبيق حرفي للمخطط الإسرائيلي الهادف إلى تدمير القضية الفلسطينية، وتحويل الانقسام إلى انفصال، وانشاء كيان سياسي بديل للدولة الفلسطينية وحل الدولتين. وفي كلا الحالتين: المخاطر حقيقية، والاتهامات وهمية.. فهذا تطبيق للمثل الشعبي القائل: (رمتني بدائها وانسلّت)، وقريب من آلية (الإسقاط) في مدرسة التحليل النفسي، التي يسقط الشخص عيوبه على غيره وينسب رغباته المحرّمة لغيره.

ولهذا نجدُ أنّ غالبية القادة المزيفين أكثر ذرفاً للدموع على المشروع الوطني الضائع في غزة، وهم أنفسهم الذين ضيّعوا المشروع الوطني الحقيقي بين وهم الدولة المستقلة وحقيقة التنسيق الأمني. وأنَّ أكثر السادة العبيد بكاءً على فقراء غزة المُعذّبين

في الأرض، هم الأغنياء المترفون الذين حرّضوا على فرض العقوبات على أهل غزة وساهموا في تجويعهم وإفقارهم بقطع رواتب الموظفين، والأسرى، وذوي الشهداء. وأنَّ معظم المرجفين الخائفين من دفع ثمن سياسي مقابل التهدئة هم الذين فرضوا على الشعب الفلسطيني أن يدفع أكبر ثمن سياسي في أضخم خيبة سياسية فرضها قادة على شعبهم... وعلى هذا الموّال الذي يحاول اقناعنا بأنَّ التخفيف من وطأة الحصار، وثقل العقوبات ضد المصلحة الوطنية ويصل لدرجة الخيانة العُظمى.

فصل المقال في تفاهمات التهدئة: هي اجتهاد سياسي يقبل الصواب والخطأ، ويحتمل النقد ونقد النقد، هدفها انتزاع حقوق طبيعية من الاحتلال كان قد تخلّى عنها بخلاف القانون الدولي الذي يجبره على توفيرها، وهي تتم في إطار إدارة الصراع مع الاحتلال منذ أن نفذ خطة فك الارتباط وإعادة الانتشار مع قطاع غزة، وتجري في ظل واقع سياسي دولي وعربي وفلسطيني غير ضاغط على العدو، -باستثناء ضغط المقاومة المسلحة ومسيرات العودة-، ورغم سمو هدفها المرتكز على دعم صمود الشعب الفلسطيني؛ إلا أنَّ هناك محاذير حقيقية يجب الحيطة لتجنبها، ومخاطر وهمية ابتكرها فريق سياسي يرغب في إبقاء الحصار والعقوبات على الشعب الفلسطيني في غزة، لأهداف سياسية بعيدة عن المصلحة الوطنية الفلسطينية، التي تقتضي تحقيق الوحدة الوطنية على أساس مشروع التحرير والعودة والاستقلال.

عندما تنتصر إرادة الحياة على غريزة الموت

• كُتب بتاريخ:
2019-4-17م

حب البقاء غريزة مزروعة في عمق النفس البشرية، وظيفتها المحافظة على حياة الإنسان واستمرار نوعه، تقف وراء السلوك الذي يضمن دوام الإنسان على قيد الحياة وحفظ الذات من الهلاك. وهذا ينسحب على الجماعة البشرية، التي تسعى لإبقاء وجودها ككيان اجتماعي انطلاقاً من غريزة حب البقاء المزروعة في عقلها ووجدانها الجمعي، والنخبة الحاكمة باعتبارها جماعة بشرية لا تشذ عن هذه القاعدة؛ بل تزيد عليها شهوة حب السلطة، فتصبح لديها غريزة حب البقاء في السلطة، لتكون فتصبح هذه الغريزة دافعاً لغريزة أخرى أكثر شراسة وأشد جبروتاً، وهي غريزة الموت والتدمير، فتدفع الإنسان إلى أن يُدّمر ويحطم ويخرّب كل من يهدد بقاءه ويتحدى وجوده. وهذا واضح في النخب العربية الحاكمة وأنظمتها السياسية الاستبدادية أكثر من أخواتها في البلدان غير العربية؛ ذلك بأنها أكثر الأنظمة الاستبدادية حرصاً على الحياة واستمرار الوجود، وجشعاً لحب البقاء مواصلة الخلود، وأشد الأنظمة الديكتاتورية تشبثاً بالسلطة بكل مكتسباتها المادية وامتيازاتها المعنوية.

غريزة حب البقاء في السلطة عبّر عنها الأدباء والفنانون في أعمالهم الإبداعية المتعددة، ومنها الدراما السينمائية، ومن نماذجها فيلم (البداية)، حيث اجتمع كل من المؤلف لينين الرملي والمُخرج صلاح أبو سيف على فكرة التسلّط في النفس البشرية، بواسطة دراما واقعية كان من المفترض أن تكون خيالية، وهذه الواقعية نابعة من تجسيده لثلاثة نماذج بشرية موجودة في واقع الجماعات البشرية، فالنموذج الأول الشخصية المتعطشة للسلطة والتسلّط على الآخرين واحتكار السلطة والثروة من دون الناس، والنموذج الثاني الشخصية ذات القابلية للعبودية الطوعية والرضى بالاستعباد

من الحاكم ليتخذ منهم أعواناً وخدماً له، ويسخرهم جلادين وسجانين لأبناء شعبهم، والنموذج الثالث المُشرق هو الشخصية المتمردة على الظلم والتسلّط، والثائرة على السلطة المستبدة، والرافضة للعبودية والاستعباد. والمستعدة لدفع ضريبة الحرية وثمن الكرامة. والفيلم وصفة مخرجة في نهايته "كان هدفي أن أقدم لكم فيلماً ليس له علاقة بالواقع، ولكن الطبع غلب التطبع، فإذا بالفيلم كما شاهدتموه يصبح واحداً من أفلامي الواقعية".

الواقعية التي تحدّث عنها المُخرج المصري صلاح أبو سيف، تحدّث عنها الفيلسوف الايطالي ميكافيلي في كتابه (الأمير) في كيفية الوصول إلى السلطة وممارستها والبقاء فيها، ولكن بطريقة نفعية انتهازية أقرب إلى الوحشية، مُتخذّاً من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة منهجاً للمحافظة على السلطة، بعيداً عن كل القيم الأخلاقية والقانونية والدينية. ولكن وحشية منهج ميكافيلي المغطاة بقناع الواقعية قد تكون أكثر رحمة من وحشية الأنظمة الحاكمة في بلاد العُرب ومنازل العُربان؛ لأنَّ حبَ البقاء في السلطة عند الأنظمة الاستبدادية العربية المعاصرة لها لونٌ خاص مُخضّبٌ بالدم القاني المسفوح من أفواج البؤساء في أزقة مدن الصفيح الفقيرة، ولها طعمٌ مُختلف مُغمّسٌ بالعرق الملتصق بظهورِ الأجساد المجلودة والأرواح المنهوكة في زنازين القهر الآسنة، ولها رائحةٌ مميزة بعفنِ التاريخ المُثقل بتراثٍ كثيف من الصراع الدموي والنزاع الوحشي على السلطة منذ استشهاد الخليفة الراشد الثالث ثم الرابع وحتى آخر الدماء المُراقة في عواصم الربيع العربي.

حب البقاء وشهوة السلطة ومعهما غريزة الموت الموّجهه لكل من يهدد وجود الأنظمة الحاكمة، فاقت كل الاعتبارات الأخرى لدى النُخب العربية الحاكمة وأنظمتها السياسية الاستبدادية الفاسدة، وظهرت جلياً أثناء أثناء ثورات الربيع العربي، من خلال التشبث بالسلطة والإمساك بالحكم بأي ثمن، وإن كان الثمنُ إزهاقَ أرواح المواطنين والعباد، وتدمير بُنيان الأوطان والبلاد، لتبقى النُخبة الحاكمة في السلطة ولو على أنقاض الأرواح الفانية والبلاد المُخرّبة. وحتى لو تم الإطاحة بالنظام الحاكم أو

بعضه أو رأسه فإنَّ حبَ البقاءِ وشهوة السلطة يدفع ما تبقى منها متغلغلاً في الدولة العميقة إلى العودة للحكم من بوابة الثورة المُضادة، لتعيدَ إنتاج النظام القديم بعد تبديل رأسه، أو لتعيدَ تدوير النظام السالف بعد التخلّص من بعض أجنحته، أو لتعيدَ تجميل النظام الغابر بعد إجراء عملية تجميل يائسة لإعادة نظام عجوز إلى مرحلة الشباب، وآخر هذه المحاولات الخائبة لا زالت مستمرة في آخر موجات الربيع العربي في كل من الجزائر والسودان، ولكن هيهات أن تنتصر غريزة الموت الكامنة في النظامين الحاكمين البائدين على إرادة الحياة المتدفقة في عقول دماء الجماهير الثائرة.

إرادة الحياة الفياضة في عروق الشعوب العربية الحرة في الجزائر والسودان وغيرها، ستنتصر على غريزة الموت المنبثقة من شهوة البقاء في السلطة للنخب الحاكمة في كلا البلدين العربيين، ولن تنطلي خدع الأنظمة الهرمة على شعوبها، حتى لو قامت هذه الأنظمة بالتضحية ببعض أركانها وأجنحتها لتقديمه كبش فداء لإنقاذ رأس النظام والصفوة المقربين في السلطة، أو يقوم النظام بعكس ذلك عندما يُضّحي برأس النظام فـ(تتغدى به قبل أن يتعشى بها)، كما حدث في الجزائر عندما أجبر الجيش الجزائري الرئيس عبد العزيز بوتفليقة على التنحي، بعد أن انتهت صلاحيته كغطاء لمنظومة الفساد والاستبداد للنظام العسكري والجبهة الوطنية، التي تآكلت شرعيتها الثورية والشعبية منذ زمنٍ سحيق، وهو نفس السيناريو الذي حدث في السودان، مع اختلاف بسيط في الخدع البصرية لفيلم فاشل وإخراج أكثر فشلاً، فقد أطاح الجيش السوداني بالرئيس عمر البشير، عندما أعلن وزير الدفاع اقتلاع النظام واعتقال رأسه ونسي أنه ركنٌ من هذا النظام المتشبث بالسلطة والمحتكر للثروة.

خُلاصة الكلام أنَّ إرادة الحياة لشعبي الجزائر والسودان وكل الشعوب العربية الحرة ستنتصر على غريزة الموت الكامنة في شهوة السلطة للنخب الحاكمة وأنظمتها الاستبدادية، وروح الأمل الجميل في مستقبلٍ أفضل للأجيال الصاعدة ستنتصر على واقع اليأس القبيح في الحاضر الرديء والماضي الأكثر رداءة، وصدق الشاعر التونسي الثائر أبو القاسم الشابي عندما قال: إذا الشعبُ يوماً أرادَ الحياة... فلا بدَّ أن يستجيبَ القدر. ولا بدَّ لليلِ أن ينجلي... ولا بدَّ للقيدِ أن ينكسر.

خرافةُ البُعبُعْ وصفقةُ القرن..

• كُتب بتاريخ:
2019-4-21م

البُعبُعُ صورةٌ خياليةٌ لكائنٍ مُخيف، قد يكون حيوان متوحش، أو غول مُرعب، أو وحش بشع، أو مخلوق مشوّه، أو موجود مسخ، أو شبح بدون ملامح. يُعتقد أنه يعيش في الأماكن المهجورة والخربات المتروكة، أو في الدروب المعتمة والأزقة المُظلمة، أو في كهوف الجبال ومجاهل الغابات، أو في أعماق الصحراوات وأغوار الوديان. ولا يوجد للبُعبُع صورة مُحددة وملامح معروفة، فكل إنسانٍ يتخّيلُه بالصورة التي تُصورها مخيلته، وكل شعبٍ يتوّهمهُ بالرسم الذي أوحته ثقافتهُ. ويُوّظف البُعبُعُ لتخويف الآخرين أفراداً وجماعات، كرمز للخوف الوهمي المجهول، ولكن استخدامه وظيفياً للتخويف تجاوز المستويين الفردي والجماعي إلى المستوى السياسي، لتخويف الشعوب والأمم نفسياً من عدوٍ حقيقي أو وهمي، ليوظف البُعبُعُ السياسي كميكانزم فعاّل في الحروب النفسية بين الأمم.

البُعبُعُ في صورته السياسية يُعبَر عنه باستراتيجية الرعُب التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني لفرض إرادتهما على العرب والمسلمين، بهدف إلحاق الهزيمة النفسية بالأمة قبل إلحاق الهزيمة العسكرية بها، ومن ثم فرض الإرادة السياسية عليها، فاخترعت (أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر) كبُعبُعُ تُهزم أمامه الجيوش العربية نفسياً قبل أن تُهزم في ميادين المعارك. وهي نفس الأسطورة أو الخُرافة التي صنعتها أمريكا حول داعش ككيان مسخ، وتنظيم متوحش، وبعبع مخيف، لتحقيق المصالح الصهيو أمريكية في المنطقة. ولا يبعُد عن ذلك اختراع خُرافة (البُعبُعُ الإيراني)، العدو الوهمِي البديل للعرب، انتاج أمريكي إسرائيلي مشترك تم تصديره وبيعه للعرب كمنتجٍ رديء ومُخرجٍ ركيك؛ لإيجاد عدو للأمة من داخلها، واستبدال

العدو الحقيقي (إسرائيل) بعدو وهمي (إيران)، للتطبيع والتحالف مع العدو الحقيقي، والصراع والتخاصم مع العدو الوهمي.

خُرافة البُعبُعُ المُوظفة في السياسة الصهيوأمريكية كاستراتيجية للرعب، هدفها إبقاء حالة الهزيمة النفسية للعرب، لضمان وجود وأمن واستقرار (إسرائيل)، وآخر نماذجها هو بُعبُعُ (صفقة القرن) المُنتظرة، صفقة القرن كمشروع سياسي مسخ بدون ملامح واضحة إلاّ ملمح تثبيت وجود الكيان، وخطة استعمارية مشوّهة بدون معالم مُحددة إلا معلم شرعنة وجود الكيان، هي بُعبُعٌ لتخويف الشعب الفلسطيني والعرب كما كان البُعبُع في التراث الشعبي لتخويف الأطفال وأحياناً الكبار، وهي رمز لذلك المجهول المُخيف والمصير غير المعروف، الذي ينتظر الشعب الفلسطيني، هدفها شلّ قدرة الشعب الفلسطيني على المواجهة والمقاومة، وإبطال قدرته على مواصلة الثورة والتحرير، تحت تأثير فعل الانتظار السلبي لما يُريد الآخرون أن يفعلوه به، والآخرون هنا هم العدو الصهيوأمريكي، آخر تجليات المشروع الاستعماري الغربي الصهيوني المشترك مُجسّداً في صفقة القرن.

صفقة القرن ليست أكثر من امتداد لسلسلة طويلة من تحالف المشروعين الاستعماريين-الغربي والصهيوني- ابتداءً من وعد بلفور سنة 1917، وانتهاءً باتفاقية أوسلو سنة 1993، ومروراً بصك الانتداب، وقرار التقسيم، وإعلان دولة (إسرائيل) واتفاقية كامب ديفيد، وكل مشاريع تصفية القضية الفلسطينية، وصولاً إلى آخرها المسماة بـ (صفقة القرن)، وهي ترتكز على محورين: الأول تصفية القضية الفلسطينية، وقد بدأ هذا المحور بالفعل عندما أعلن ترامب اعترافه بالقدس عاصمة للكيان، ونهاية حل الدولتين، وإلغاء حق العودة، وتأييده لبقاء المستوطنات في الضفة، وتحدث عن السلام الاقتصادي... والمحور الثاني هو شرعنة ودمج (إسرائيل) في المنطقة، عن طريق ما يُسمى بالسلام الإقليمي المرتكز على المشاريع الاقتصادية والتطبيع والتحالف بين الأنظمة العربية والكيان...وهي تنسجم مع ثوابت السياسة الامريكية في المنطقة العربية والإسلامية المرتكزة على حماية وضمان وجود وأمن (إسرائيل)، ونهب ثروات العرب، وتجريدهم من مصادر قوتهم.

صفقة القرن ليست قدراً لا فكاك منه، وليست بُعبُعاً لا مهرب منه، فهي مشروع سياسي استعماري سبقته مشاريع أكثر خطورة منه، والشعب الفلسطيني الصامد والمقاوم يمتلك كلمة السر التي بإمكانها إبطال مفعول الصفقة وتبديد وهم البُعبُع، وكلمةُ السر هي قول كلمة (لا) ورفض صفقة القرن التي لن تمر بدون الشعب الفلسطيني، وستظل حبراً على ورق مهما أُوتيت من مفاتيح القوة الأمريكية، ومُعطيات الأمر الواقع الإسرائيلية، ولن تكون أكثر من وجود (إسرائيل) كواقعٍ باطل على الأرض الفلسطينية، والمستوطنات كحقيقة مزّورة فوق التراب الفلسطينيّ، فالصفقة الصهيوأمريكية لن تعُطي الكيان الصهيوني أكثر مما أخذ منّا بالقوة، و ما أعطاه بعضنا في غفلةٍ من الزمن وغفوةٍ من التاريخ.

واسترداد ما أُخذ منّا بالقوة، وما أعطاهُ بعضُ المخدوعين وقليلٌ من المتآمرين بالحيلة، وما يخطط لآخذهُ في خُرافة البُعبُع المسماة صفقة القرن، لا يمكن استرداده إلا بالرفض الشعبي؛ والرفض هنا ثورة، والثورة هي حياة الشعوب الحرة المظلومة، وروح الأمم الأبية المستضعفة، والثورة تعني التمسك بحقوقنا الوطنية الكاملة في تحرير فلسطين والعودة إليها، وتعزيز عناصر قوتنا الكامنة في الصمود والمقاومة، ويتبع ذلك الخروج من مأزقي أوسلو والانقسام، وإطلاق مشروع مقاومة شامل يتم من خلاله سحب مكاسب الاحتلال بعد أوسلو، ورفع كُلفة الاحتلال، وتعميق مأزق الكيان الأمني والوجودي حتى بشرى النصر ووعد الآخرة.

إرهابٌ واحد وضحايا مختلفون..

• كُتب بتاريخ:
2019-4-27م

مذبحة سيرلانكا إبريل الحالي، ومذبحة نيوزيلندا مارس الماضي، وكل المذابح على خلفية دينية عبر التاريخ، مذابح متشابهة في دوافعها ومضمونها، رغم اختلاف الزمان والمكان، ورغم تُبدّل الجناة والمجني عليهم وتغيّر المجرمين والضحايا، ووجه الشبه البائس بين المذابح الدينية هو أنها إرهابٌ بطعم الهمجية والوحشية، وأنها إرهابٌ واحد وضحايا مختلفون، وربما أكثر ما يجمع بينها هو أنَّها إرهابٌ باسم الله – سبحانه وتعالى– ، ووحشية بغطاء ديني، والعجب العُجاب المُثير للاستغراب هو مقدار الشر الهائل المخزون في جوف المخلوق الآدمي؛ ثم مدى قدرته على إفراغ هذا الشر عُنفاً لا رحمة فيه وقسوةً لا شفقة فيها، ثم جرأته على نسب كل هذا التوّحش الشرير إلى الله – سبحانه وتعالى– وإلى الدين– إفكاً وبُهتاناً– ، والأشدُ عجباً وغرابةً أن يفرحَ ويبتهجَ بعضُ المخلوقات الآدمية بمذبحةِ سيريلانكا، كما فرحَ وابتهجَ البعض الآخر بمذبحة نيوزيلندا، بدلاً من أن يصيبهم الحزن والهم، أو يدركهم الشجن والغم.

إرهابٌ واحد وضحايا مختلفون، نتيجة طبيعية للتطرف الديني، وهو أخطر أنواع التطرف؛ لأنَّ نتيجته الحتمية هي تكفير الآخر المختلف والمُخالف، ثم شيطنته ووضعه في مرتبة أقل من الآدمية، لنزع الصفة الإنسانية عنه، تمهيداً لاستسهال قتلة باسم الله وبغطاء الدين؛ ذلك بأنَّ المتطرف الديني، وكل أنواع التطرف الديني والمذهبي والعرقي والحزبي، وحتى التطرف غير الديني كالعلماني والشيوعي وغيرها، يعتقد فيها المتطرف بأنَّه يمتلك الحقيقة المُطلقة والحقَّ الكامل والصواب التام، والآخر المُختلف والمُخالف يمتلك البُهتان المُطلق والباطل الكامل والخطأ التام. وأنَّ جماعته أو طائفته أو حزبه هي شعبُ الله المختار أو الفرقة الناجية التي تستحق الحياة في الدنيا والخلود في

الجنة، وأنَّ الجماعات المُغايرة هي فرق هالكة تستحق الموت في الدنيا والخلود في النار. وجميع المتطرفين يستقون من بركة آسنة واحدة تمدهم بماء ملوث بمنهج تفكير موّحد يعتمد على أُحادية الرؤية، والثنائية القطعية، والنظرة الإقصائية، وعدم تقبل الآخر المُختلف... بتفاوت نسبي بين المتطرفين أفراداً وجماعات.

التطرف المُنتج للإرهاب الدموي أصله واحد، رغم اختلاف الأديان التي تقف خلفه، واختلاف الإرهابيين الوحشيين، واختلاف الضحايا الأبرياء. فالتطرف المسيحي الذي قتل من المسيحيين ملايين البشر في حروب صراع المذاهب المسيحية الدموية، وفي محاكم التفتيش الرهيبة ضد الخارجين على الكنيسة، وقتل من المسلمين الملايين في الحروب الصليبية في العصور الوسطى، وحروب الاستعمار الأوروبي الحديث، بعد أن زاد التطرف الديني إلى غلوائه وعنفوانه الفكرة العنصرية، وجوهرها أحقية وواجب الجنس الأبيض (المتحضر) في احتلال واستيطان أراضي الشعوب غير الأوروبية (المتخلفة)، من أجل تعمير أراضيها (وترقية) سكانها، ولا ضير أن قُتل وهُجر واستُعبد في سبيل ذلك الهدف (السامي) الملايين من السكان الأصليين (الهمج). وقد صبت الثقافة الانجلو - بروتستانتية المهيمنة على كل من بريطانيا وأمريكا زيتاً ملوّثاً بالعقيدة الإنجيلية المستمدة من العهد القديم (التوراة)، والمؤمنة بعودة المسيح المُخلّص على أنقاض هدم المسجد الأقصى، الذي سيقتل المسلمين وينصّر اليهود، لتبدأ الألفية المسيحية السعيدة.

التطرف الديني اليهودي لا يُبعد كثيراً عن التطرف المسيحي، بل كلاهما يخرجان من شجرة خبيثة واحدة هو مفهوم الأفضلية على سائر البشر، وكأن الأفضلية للجماعة البشرية التي تحمل الدَّين، وليس للدين نفسه، فإن تخّلت عن الدَّين ذهبت أفضليتها، وهذا ينطبق أيضاً على المسلمين الذين كانوا خير أمة أُخرجت للناس عندما حملت رسالة الإسلام للبشرية' فإن ألقت عن كاهلها الرسالة انتهت خيريتها. فاليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأبناء الله وأحبائه، وينظرون لبقية البشر الأغيار (الجوييم) بأنَّهم دونهم في المرتبة البشرية أقل منهم في المستوى الأدمي، بل بأنَّ الله خلقهم خدماً لليهود،وهذه الفكرة لوحدها هي مصدر تطرفهم وإرهابهم، فماذا لو أُضيفت لها

الفكرة العنصرية الغربية الموجودة فعلاً في الايديولوجية الصهيونية بمفهومها العنصري وبُعدها الاستعماري الاستيطاني الإحلالي، الذي يجعل وجودهم في فلسطين ككيان قومي ديني مرتبط بإبادة وتهجير الشعب الفلسطيني من وطنه.

التطرف الديني عند المسلمين لا يختلف كثيراً عن التطرفين المسيحي واليهودي من حيث منبعه ونتيجته مع اختلاف في كم العنصرية الطافح في التطرفين السابقين، ومنبعه مستمد من قراءة خاطئة لحديث(الفرقة الناجية)، التي أُسقطت عليها عقيدة (شعب الله المختار) اليهودية، وهي بداية تقديس الذات الفردية والجمعية، واحتقار الآخرين الأغيار، ليتحوّل من فهم عقلي إلى انفعال وجداني فعمل سلوكي إرهابي. وزاد على ذلك خطيئة تاريخية وقراءة جامدة لمدرسة فقهية وعقيدية للإسلام، ترى في رؤيتها واجتهادها في فهم النصوص الدينية هو الإسلام نفسه وليس اجتهاداً داخل الإسلام. وتعتبر فتاوي شيوخها الدينية هو الدِّين ذاته وليس فكراً دينياً ناتجاً عن فهم عقولهم للنص الديني، وهو نوع من الفهم الحرفي للنصوص بمعزلٍ عن المقاصد الكلية للدِّين، والإدراك الفعلي للأحكام الشرعية، وفي إطار تغير الزمان والمكان والظروف. وقد أُعيد انتاج التطرف المُعاصر بفعل تلاقح تيارين تكفيريين، أحدهما قادمٌ من لظى رمال الصحراء الجرداء والآخر قادمٌ من لهيب حجارة السجون الصماء.

خُلاصة الكلام وفصل المقال بما أنَّ المذابح التي يرتكبها المسلمون ضد غيرهم تضر بالإسلام والمسلمين أكثر مما تضرُ المذابح التي يرتكبها غير المسلمين بالمسلمين فاقتبس فقرة من مقال (لا همجية في الإسلام) من كتاب (النظرات) للأديب الكبير مصطفى المنفلوطي كتبها بعد مذبحة ارتكبها المسلمون ضد المسيحيين في إحدى ولايات الدولة العثمانية الغابرة "أيها المسلمون: اقتلوا المسيحيين ما شئتم وشاءت لكم شراستكم ووحشيتكم، لكن حذار أن تذكروا اسم الله على هذه الذبائح البشرية، فالله سبحانه وتعالى أجلُ من أن يأمر بقتل الأبرياء... ما جاء الإسلام إلاّ ليقضي على هذه الهمجية والوحشية التي تزعمون أنَّها الإسلام".

التهدئة والعمادي والجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:
2019-5-16م

تصريحات السيد محمد العمادي رئيس اللجنة القطرية لإعادة إعمار قطاع غزة الأخيرة حول التهدئة أثارت غضب الفلسطينيين في قطاع غزة والتي قال فيها "إن التهدئة كانت من المفترض أن تبقى كما هي، والتصعيد الأخير لم يكن يريده الطرفان، ولكن أحد الفصائل اختلق مشكلة على الحدود، والجهات الرئيسية – حماس و(إسرائيل)- كانا يريدان الهدوء". وبما أنَّ أحد الفصائل (غير الرئيسية والمثيرة للمشاكل) يُقصد بها حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بما لا يدع مجالاً للشك، فإنَّ الأمين العام للحركة السيد زياد النخالة قد ردّ عليه رافضاً لهذا الاتهام، ومطالباً بالاعتذار، ومؤكداً على حق الشعب الفلسطيني في المقاومة، وحق المقاومة في عدم السماح للعدو باستباحة الدم الفلسطيني، وفي هذا الإطار من المفيد توضيح بعض النقاط الخاصة بالتهدئة وتصريحات العمادي وموقف الجهاد الإسلامي.

قال السيد محمد العمادي "إنَّ التهدئة كانت من المفترض أن تبقى كما هي" من غير المعروف كيف تبقى كما هي فعندما حدث التصعيد الأخير لم تكن التفاهمات قد دخلت حيز التنفيذ من طرف العدو، فهل كان المطلوب هو بقاء التهدئة مقابل التهدئة، وهو يعني عملياً التهدئة من جانب المقاومة مقابل استمرار الحصار من جانب الاحتلال، وهذا يُخالف جوهر التهدئة التي تريدها المقاومة والتي تعني التهدئة مقابل إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة، وهو ما تم الاتفاق عليه في كل جولات الحروب والتصعيد السابقة، والتهدئة هنا هي امتداد لتفاهمات إنهاء الحرب العدوانية عام 2014، وليست طويلة الأمد، وتضمن حق المقاومة في الرد على العدوان، وبدون ثمن سياسي يستفيد منه كيان الاحتلال.

قال السيد محمد العمادي "ولكن أحد الفصائل اختلق مشكلة على الحدود"، هذا الكلام فيه اختزال مشوّه للصراع مع العدو، وتبرئة الاحتلال من المسئولية على عدوانه وإرهابه المتواصل ضد الشعب الفلسطيني، بما فيه قتله للمتظاهرين السلميين على حدود قطاع غزة مع فلسطين المُحتلة عام 1948، وتبسيط للصراع وكأنه مشاكل على الحدود بين طرفين أحدهما مُشاكس ومُختلق للمشاكل وهو بالتأكيد ليس كيان الاحتلال، وتجاهل لجوهر المشكلة المتمثلة في وجود الاحتلال نفسه ومحاصرته لقطاع غزة، والحصار وحده جريمة حرب متواصلة ضد مليونين من الشعب الفلسطيني، وحتى لو تم إنجاز كل ما ورد في تفاهمات إنهاء الحصار، أو ما يُعرف إعلامياً بتفاهمات التهدئة، فإنّ الصراع لن ينتهي إلاّ بإنجاز مشروع التحرير والعودة والاستقلال، والتركيز في هذه المرحلة على إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة هو مرحلة على طريق إنجاز المشروع الوطني التحرري.

قال السيد العمادي "الجهات الرئيسية -حماس و(إسرائيل)- كانا يريدان الهدوء في محاولة للتفريق بين فصائل المقاومة، وبالتحديد بين أهمها في قطاع غزة وهما حماس والجهاد الإسلامي، باعتبار أنَّ الجهاد الإسلامي لا يريد الهدوء، ويتسبب في جولات التصعيد العسكرية، كأنما ينصب السيد العمادي نفسه حكماً يوزّع شهادات حسن سير وسلوك على العدو ومن يُريد من الفصائل، وهذا مُخالف للحقيقة والواقع فالتنسيق بين حركات المقاومة وبالتحديد حماس والجهاد الإسلامي، على المستوى السياسي والعسكري على أعلى مستوى في المواقف والميدان، والأعمال العسكرية المشتركة بينهما خير دليل، والهيئة الوطنية العُليا لمسيرات العودة وكسر الحصار خير شاهد، ونموذج الوحدة الوطنية في قطاع غزة فيما يتعلق بمواجهة العدو وإدارة الصراع معه في قيادة مسيرات العودة وجولات التصعيد العسكرية من النماذج المثالية في التاريخ الفلسطيني المُعاصر. وبالمقابل فإنَّ شهادة حسن السير والسلوك التي مُنحت للعدو لا يستحقها لأنَّ هذا الهدوء الذي يريده العدو مصحوباً ببقاء الاحتلال والحصار والإرهاب الذي يُمارسه ضد كل الشعب الفلسطيني.

السيد محمد العمادي جاء في مهمة إنسانية في إطار عمله كرئيس للجنة القطرية لإعادة إعمار قطاع غزة، وفي إطار دور قطر في تطبيق الجزء من التفاهمات المتعلق بالمساعدات المالية، وهو دور مشكور من قبل الشعب الفلسطيني وحركة الجهاد الإسلامي كما صرح بذلك أمينها العام السيد زياد النخالة "إننا شكرنا قطر على تقديم مساعدات إنسانية لقطاع غزة"، وهنا يُمكن القول أنَّ الحركة - كما جاء على لسان أمينها العام سابقاً- تتفهم التعقيدات المُقيدة لقطر وغيرها من الدول في تقديم المساعدات للشعب الفلسطيني، وتقبل تقديم المساعدات من الدول العربية وغيرها حسب قدرات وظروف كل دولة، وتدرك أهميتها في دعم صمود الشعب الفلسطيني، ولكنها لا تتفهم ولا تقبل استخدام هذه المساعدات كمدخل للتأثير السلبي على نهج المقاومة، وعمل فصائل المقاومة، والعلاقة بين فصائل المقاومة، كما أنها لا تتفهم ولا تقبل أن تكون هذه المساعدات مدخلاً لمشاريع سياسية لا تخدم المصلحة الوطنية الفلسطينية سواء على المستوى الداخلي الفلسطيني، أو على مستوى الصراع مع العدو الصهيوني.

خُلاصة الكلام أنَّ التهدئة المأسوف على خرقها، لم تنهِ معاناة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة بعد، ولم يثبت أَنَّها ستكون مدخلاً لإنهاء الحصار المفروض على غزة بعد؛ ولذلك فعوامل خرقها وأسباب تفجيرها موجودة في كل وقت وحين، كما أنَّ عوامل استمرار الصراع مع الكيان الصهيوني باقية طالما بقي الاحتلال في فلسطين، ومن الأفضل لنا كشعب فلسطيني وقوى سياسية وحركات مقاومة الخروج من جدل التهدئة والتصعيد، ومغادرة مربع الفعل ورد الفعل، إلى الفعل الوطني المبادر، وهذا لا يتم إلاّ بإعادة الركوب في قطار المشروع الوطني الفلسطيني، والانتقال من محطة الانقسام إلى محطة الوحدة الوطنية، وبناء مرجعية وطنية واحدة تقود قطار المشروع الوطني نحو التحرير والعودة والاستقلال.

مؤتمر المنامة الاقتصادي: لماذا البحرين؟!

• كُتب بتاريخ:
2019-5-22م

أعلن البيت الأبيض الأمريكي مطلع هذا الأسبوع عن عقد مؤتمر اقتصادي دولي في مملكة البحرين في يونيو المقبل لدعم الفلسطينيين ضمن خطة السلام الأمريكية المعروفة بصفقة القرن، وينعقد المؤتمر تحت شعار (السلام من أجل الازدهار) وهدفه المُعلن تشجيع الاستثمار في الأراضي الفلسطينية، وسيحضر المؤتمر أو الورشة الولايات المتحدة الأمريكية، ودولة (إسرائيل)، والدول العربية، ودول كبرى وأُخرى إقليمية. هذا حسب نص الإعلان الرسمي للمؤتمر، أما في قراءة خلفيات النص الرسمي فلا بد من الإجابة على بعض الأسئلة الخاصة بالمؤتمر، ومنها ما هي دلالات المؤتمر؟ ولماذا يُعقد المؤتمر في مملكة البحرين بالذات وليس في مكانٍ آخر رغم عدم وجود أي ثقل سياسي لها مقارنة بالسعودية والإمارات؟!.

دلالات المؤتمر عديدة من أهمها أنَ مؤتمر المنامة سيكون إعلاناً رسمياً عن انطلاق صفقة القرن، أو بالتحديد بدء الشق الاقتصادي من الصفقة ، بعد أن بدء الشق السياسي منها على شكل قرارات أمريكية تُغير مرجعية حل الصراع من المرجعيات الدولية ممثلة في القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية ، إلى مرجعيات جديدة مصدرها الإدارة الأمريكية المنسجمة مع الرؤية الإسرائيلية لإنهاء الصراع، وفي هذا الإطار تم إعلان القدس عاصمة موّحدة للكيان الصهيوني، وتم إعلان نهاية حل الدولتين الذي تقوم عليه كل مشاريع التسوية الأمريكية السابقة لإدارة ترامب، وتم إعلان شرعية المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وتم اسقاط حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ووقف المساعدات لوكالة الأونروا، والإعلان عن خطة التوطين للاجئين، وغيرها من القرارات الأمريكية التي تُغيّر طبيعة ومرجعية الصراع.

المؤتمر خطوة مهمة لانطلاق عملية التطبيع العربي مع الكيان الصهيوني، وهو الهدف الثاني في صفقة القرن بعد تصفية القضية الفلسطينية، فطوال العقود السبعة الماضية كان جُلّ اهتمام الإدارات الأمريكية هو تثبيت وجود دولة (إسرائيل) وتقويتها عسكرياً واقتصادياً، وبعد أنَ تم هذا الهدف، جاء دور إدارة ترامب لتنتقل إلى هدف أكثر تقدماً، وهو شرعنة هذا الوجود، بإنجاز الاعتراف العربي بالكيان، بعد الاعتراف الدولي به، وشرعنة الكيان سيكون مصحوباً بدمجه في المنطقة العربية والإسلامية كدولة طبيعية، بل ورائدة لحلف أمريكي عربي ضد دول أصيلة في المنطقة وجزء من الأمة الإسلامية كإيران، وهذا المؤتمر يُساهم بقوة في تحقيق هذا الهدف والحُلم الصهيوني بتحويل دولة (إسرائيل) إلى دولة اقليمية كُبرى في المنطقة بالمفهوم السياسي والاقتصادي.

المؤتمر بطبيعته الاقتصادية جزء من ما يُعرف بالسلام الاقتصادي في صفقة القرن، والسلام الاقتصادي يعني ببساطة تحويل القضية الفلسطينية من قضية وطنية، قضية شعب تحت الاحتلال، يسعى لتحرير وطنه والعودة إليه والاستقلال الوطني، إلى قضية إنسانية، شعب يسعى إلى تحسين أوضاعه الاقتصادية وظروفه المعيشية تحت الاحتلال، وتحويل الحل السياسي للقضية الفلسطينية إلى الحل الاقتصادي، وكأن مشكلة الشعب الفلسطيني في المأكل والملبس والمسكن والخدمات وغيرها، في تجاهل واضح لسبب نكبة ومأساة الشعب الفلسطيني وهو كيان الاحتلال منذ عام 1948 . وحتى الدعم الاقتصادي الكريم المزعوم سيمر عبر البوابة الأمريكية والإسرائيلية في إطار تصفية القضية الوطنية الفلسطينية بدلاً من أن يمر عبر البوابة العربية في إطار دعم صمود ومقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال وإبقاء قضيته الوطنية حية حتى التحرير والعودة.

وتبقى الإجابة على السؤال الأهَم في هذا المجال، وهو لماذا البحرين؟ بمعنى لماذا اختارت الإدارة الأمريكية مملكة البحرين لعقد هذا المؤتمر أو الورشة كما أطلقت عليها من دون غيرها من الدول العربية، لا سيما وأنَ هناك دولاً أهمُ منها كالسعودية والإمارات يُمكن أن تستضيف المؤتمر، بالتأكيد كان من الممكن أن ينعقد المؤتمر في دولة

خليجية أُخرى أو غير خليجية فمعظم الدول العربية لا تملك من أمرها شيئاً أمام الإدارة الأمريكية، وليس لها دور الشريك في صفقة القرن الاّ ما يُملى عليها، خاصة في الجانب الاقتصادي منها، وبالتحديد التمويل المالي الذي سيعود معظمه بالفائدة على (إسرائيل)، وبعضه الآخر سيُدفع كرشوة للدول العربية المؤلفة قلوبها، بدون أن تخسر الإدارة الأمريكية شيئاً يُذكر، طالما أن رأي ترامب في الأنظمة الخليجية الغنية أنها لا تملك سوى المال، وهذا المال لا تملك منه شيئاً إلا ما يتركه السيد الأمريكي لها بعد أن يأخذ منه ما يريد، ويأمر بصرف ما يريد على مشاريعه العسكرية والاقتصادية في المنطقة.

مملكة البحرين أكثر الدول الخليجية مؤهلة لاستضافة المؤتمر الأمريكي بعد أن باتت الحاضنة للمخططات الإسرائيلية والأمريكية ولكل المشاريع التطبيعية، وهي الدولة السبّاقة في عمليات التطبيع مع العدو منذ التسعينات من القرن الماضي، ومنذ التقاء سلمان بن حمد آل خليفة بشمعون بيريس عام 2000 في منتدى دافوس الاقتصادي، ومنذ أن رفعت البحرين الحظر على البضائع الإسرائيلية عام 2005، ومنذ إغلاق مكتب المقاطعة الإسرائيلية عام 2006، وزيارة وفد بحريني رسمي كبير للكيان عام 2017. ومنذ أن قال وزير خارجية البحرين أنَ التهديد الإيراني أخطر وأهم من القضية الفلسطينية مطلع هذا العام. كما أمرت وزارة الشئون الإسلامية البحرينية بوقف الخطب المناهضة لـ(إسرائيل) في المساجد... وبذلك فازت مملكة البحرين العُظمى بسباق المارثون الخليجي للتطبيع مع (إسرائيل)، وتربعت على عرش القابلية للتماهي مع المخططات الصهيوأمريكية في المنطقة.

نظام آل خليفة الحاكم في البحرين أكثر الأنظمة الخليجية ضعفاً وبحاجة للحماية السعودية والأمريكية، أمام التهديد الداخلي الشعبي، خاصة وأنَ البحرين كانت الدولة العربية الثالثة التي ضربتها عاصفة الربيع العربي بعد تونس ومصر، ولا زال هذا التهديد موجوداً. وأمام التهديد الخارجي الإيراني- الحقيقي أو الوهمي- الوجودي على النظام، وهو خطر يتم تغذيته خارجياً عبر شريان يضخ دمَ الخوف والرعب للنظام، بهدف إبقائه مُحتاجاً لمن يحميه باستمرار، ولذلك تشرّب النظام الحاكم كابراً عن كابر العبودية

الطوعية لحماته البريطانيين ثم الأمريكيين، وتجرّع كأس التبعية السياسية لأي دولة كبرى تفرض حمايته عليه، فأدرك بفطنة العبيد وذكاء الرقيق أنَ أقصر الطرق لقلب الأمريكان هو حب (إسرائيل)، ومصداقية الحبَ العمل، ومؤتمر المنامة الاقتصادي التطبيعي قمة العمل المُعبّر عن الولاء والحب الجالب للرضا والحماية الأمريكية.

تخاريف من الزمن السخيف ..

• كُتب بتاريخ:
2019-5-25م

خُرافة اسم رجل من بني عذرة، غابَ فترة عن قبيلته ثم عاد، فزعم أنَّ الجنَّ استهوتهُ واختطفتهُ، وأخذَ يُحدّثُ قومهُ بقصصٍ مما زعمَ أنَّهُ رأى من الغرائب والعجائب في بلاد الجن فكذبوه، فجرى على ألسنةِ العرب القول (حديثُ خُرافة) على كل كلام مكذوب، وعنْ كلِ غريبٍ مُستعجب، أو كلِ عجيبٍ مُستغرب، وجاء في لسانِ العربِ لابن منظور أن "الخُرافة هي الحديث المستملح المكذوب". كما ضربوا المثلَ بُخرافة فقالوا: (أكذب من خُرافة). إذا ما سمعوا كلاماً مُخالفاً للمنطق، أو مناقضاً للواقع، أو مُضاداً للحقيقة، وقالوا عن هذا الضرب من الكلام (كلام تخاريف)، وكلام التخاريف لا يمكن فصله عن الزمن السخيف، وغالباً ما نسمع تخاريف من الزمن السخيف.

والحقيقة لا يوجد زمن سخيف وآخر حصيف، ولكن سخافة الزمن دلالة على تفاهة وضآلة من يعيش فيه، وكثرة كلام التخاريف التي تُقذف من فيه، وهذا يحدث عندما يُوّسدُ الأمرُ إلى غير أهلهِ، ويُرفع شأنُ من ليس أهلٌ له، وهو ما يُعرفُ بزمن الرويبضة، كما جاء على لسان من لا ينطق عن الهوى- صلى الله عليه وسلم- "سيأتي على الناسِ سنواتٌ خداعات يُصدّقُ فيها الكاذب، ويُكذّبُ فيها الصادق، ويؤتمنُ فيها الخائن، ويُخوّنُ فيها الأمين، وينطقُ فيها الرويبضة، قيل: ما الرويبضة؟ قال: الرجلُ التافهُ يتكلمُ في أمر العامة". والرويبضة هو السفيه الذي لا عقل له يتكلم في أمر العامة، أي في السياسة، وما أكثر هؤلاء اليوم من الشخصيات التي طفت على سطح بركةِ السياسة الرسمية الآسنة.

فـزّاع الأهـوج إحـدى نـماذج إنسـان الرويبضـة، وأكثـر مـن ورثَ جينـات عصـور الأزمنـة السـخيفة، وانتهـت إليـه كل فصائـل الـدم غـير النظيفـة؛ ذلـك بـأن فـزّاع الأهـوج أكثـر هـذه النـماذج خِفـة، الممزوجـة بـشيءٍ مـن الغِلظـة وقليـلٍ مـن الفِطـة، فـكان أسرعهـا طفـواً عـلى سـطح البِرْكـة الراكـدة غـير الجاريـة، وأعجلهـا تردّيـاً في قـاع الدنيـا الفانيـة غـير الباقيـة، وأسـبقها صعـوداً نحـو قمـة الجبـل التـي يـأتي بعدهـا الهاويـة. وهـو إلى جانـب ذلـك مـن الشـخصيات العاليـة المقـام، وأحـد كبـار القـادة العظـام، وأكثـر المخضرمـين الذيـن عاشـوا الأحـداث الجسـام، وقـد يكـون أبـرز فلاسـفة الثـورة والنضـال، وأشـهر مـن خـاض المعـارك في ميادين النـزال، وأشـجع مـن تمـرّغ جبينـه في غبـار القتـال.

فـزّاع الأهـوج ليـس لـه مـن اسـمهُ نصيـب بخـلاف المعـروف، فـزّاع يعنـي كثـير الفـزع والرعـب والهلـع، والأهـوج فاعـل مشـتقه مـن هـوج ورجـل أهـوج يعنـي أحمـق وأخـرق وأرعـن، وصاحبنـا لا تنطبـق عليـه هـذه الصفـات. فهـو لم يـضرهُ كيـد المتآمريـن الحاقديـن عـن مواصلـة كفاحـه الوطنـي، متنقـلاً مـن مكتـب مُكيـف إلى آخـر أكثـر تكييفـاً، تـاركاً الخنـادق والبنـادق للفدائيـين (المهابيـل) والمجاهديـن (المسـاطيل). ولم يمنعـه تشـويه المغرضـين الموتوريـن عـن متابعـة نضالـه العنيـد، قافـزاً مـن منصـبٍ رفيـع إلى آخـر أكثـر رِفعـة، تـاركاً مقاومـة المحتلـين للمنتفضـين (المعتوهـين) والثائريـن (المغفلـين). ولم تـؤذِهِ اتهامـات الحاسـدين الكارهـين بالفسـاد الإداري والمـالي عـن إصراراه العجيـب وتصميمـه الغريـب عـلى خدمـة أبنـاء شـعبه الحبيـب، مبتدءاً بخدمـة صاحبتـه وأخيـه، ومنتهيـاً بخدمـة فصيلتـه التـي تؤيـه، تـاركاً النزاهـة والشـفافية للمسـئولين (الأغبيـاء) والقـادة (غـير الأذكيـاء).

فـزّاع الأهـوج صاحـب مواهـب غريبـة، وقـدرات عجيبـة، وعبقريـات رهيبـة، تجلّـت في نظريـات كثـيرة، ونصائـح وفـيرة، ومؤلفـات غزيـرة، واختراعـات غـير يسـيرة. نذكـر منهـا عـلى سـبيل القـصر لا الحـصر، ومـن بـاب الاقتضـاب بعيـداً عـن الاسـهاب، وللتذكـير مـن غـير تفصيـل. أنـه صاحـب نظريـة (الطائـرة المخطوفـة)، المقتبسـة فكرتهـا مـن فيلـم (إحنـا بتـوع الاوتوبيـس)، مسـتبدلاً الأوتوبيـس بالطائـرة، وركاب الأوتوبيـس بـركاب الطائـرة، إشـارة إلى سـكان قطـاع غـزة المخطوفـين عـلى يـد ألـف دسـتة أشرار مـن (الانقلابـين الفُجّـار). وأنـه مبتكـر نصيحـة القـرن التـي فاقـت صفقـة القـرن، وهـي موّجهـة لأهـل غـزة

دون الضفة، وفيها تعدّياً على وزارتي البيئة والصحة، ومضمونها دعوة لأهل غزة، لا سيما الخارجين عن الصف الوطني منهم، للشرب من ماء بحر غزة المالح، وبالتحديد الحتة الملوّثة منه، ليذوقوا طعم الملوحة دون طعم التلوّث، زيادةً في العقاب لعلهم يرجعون إلى الصف الوطني.

فزّاع الأهواج إضافة لذلك مؤلف كتاب العصر على غرار صفقة العصر (الأسرار الخفية لمعاني التمكين المخفية)، الذي فجّر فيه قنبلة التمكين الذي هو حق الحكومة على المواطنين، وأهم ما جاء فيه عن فوائد التمكين، أنَّ في التمكين فائدتين: الأولى أنه يُبعد المكروه عن الثقلين، والثانية أنه يُقّرب المسافة بين الخصمين، في الوطن الواحد ذي الاقليمين. وهو مُسجل براءة اختراع نظام المقاطعة بين الفصائل مبتدءاً بالجهاد الإسلامي- أكثرها خروجاً عن الصف غير الوطني -، وواضع الخطة الاستراتيجية المشهورة بخطة تقويض حكم حماس في غزة، لإعادة الشرعية إلى بلد العزة، ومكتشف الحقيقة الخائبة بأنَّ حركة حماس أخطر من الاحتلال على القضية الفلسطينية، وصاحب دعوة إحياء الفريضة الغائبة الواجبة، وهي نزع سلاح المقاومة وإزالة الشرعية عن نهجها وأهلها، على خلاف واضح بين شخصيات الرويبضة والأرباض من علماء المساومة وفلاسفة الهزيمة إن كانت الفريضة فرض عين أم فرض كفاية؟! أم أنَّه مجرد تخاريف من الزمن السخيف.

شخابيط عن أسرار الحمار والاستحمار..

• كُتب بتاريخ:
2019-5-30م

مرَّ اليومُ العالمي للحمير في الثامن من مايو أيار الماضي خلسةً دونَ أنْ يشعرَ بهِ أحدٌ، أو يهتمَ بهِ أحد، باستثناءِ بعض منظمات حقوق الحيوان، وجمعيات الحمير المحلية والدولية، المهتمة بتوضيح أهمية الحمير الاقتصادية، والدفاع عن الحمير، ورفع الظلم الحسي والمعنوي الواقع عليها، ومن ذلك الظلم الحسي ضربها، والتحميل الزائد عليها، وتشغيلها ساعات تتجاوز قانون العمل الآدمي والحيواني، وربما الظلم المعنوي للحمير أشد وأقسى من الظلم الحسي، ومنه توظيف اسمها في سبِّ الناس وانتقادهم بعضهم بعضاً، لا سيما إلصاق صفة الغباء بالحمار وإنزالها على كل متهم بالغباء منهم بقولهم (أنت حمار). وهي معتقدات خاطئة؛ فالحمار حيوانٌ هادئ وذكي، ويتعلم بسهولة، ويتدرب بسلاسة- بخلاف كثير من البشر- إلا أنَّه مخلوق عنيد جداً، وهذا نابعٌ من تقديره العالي لذاته واعتزازه الكبير بنفسه، ورغم ذلك فقد استُخدم الحمار وسيلة للتندر في نكت عديدة أشهرها سلسلة (جحا وحماره).

وإذا كان هناك من ظَلَم الحمير، فهناك من أنصفها، لا سيما من الأدباء ذوي المشاعر المُرهفة والعواطف الرقيقة، كالأديب الكبير توفيق الحكيم في روايته (حمار الحكيم) التي روى فيها تجربته مع حماره في الريف المصري مستعرضاً بؤس الريف المصري وإهمال الحكومات المتعاقبة له، وكتابه (حماري قال لي) وهو عبارة عن مجموعة مقالات فلسفية ساخرة بطريقة حوار بين الحمار والحكيم، وصف فيها الحمار بأنه "مخلوق يجيد نوعاً من السخرية، ليس من الهيّن أن يُلمح في كل الأحيان، لأنه مُغلّف في طيات التواضع والتسليم والإذعان، ولكني أعرف فيه قوة المقاومة، وصلابة المراس، وشيئاً من الاعتداد بالذات، ولا يظهر إلاّ إذا وُخز وخزة تجرح نفسه...".

ويكفي أن نذكر أنَّ أول رواية كاملة في التاريخ الإنساني كتبها باللغة اللاتينية (لوكيوس أبوليوس) بعنوان (الحمار الذهبي) في القرن الثاني الميلادي كانت عن قصة رجل يتحوّل إلى حمار بفعل السحر، فيصوّر ما يُعانيه على أيدي البشر الذين تعاقبوا على امتلاكه من قسوة وظلم وإهانة.

ربما كان من أنواع الظلم الآدمي للحمير اشتقاق مصطلحات مفهومها سلبي من الحمار وإسقاطها على الإنسان، ومن هذه المصطلحات مفهوم (الاستحمار)، على وزن (استفعال)، القريبة من مفاهيم الاستغفال والاستهبال والاستعباط، والاستحمار يُطلق على كل عملية استغباء فردية أو جماعية من فرد أو جماعة تُمارس على فرد أو جماعات أُخرى، بمعنى معاملة الإنسان كأنه حمار من حيث تسخيره واستغلاله بدون إرادته، وصاحب المصطلح هو فيلسوف الثورة الإيرانية المفكر (علي شريعتي) ذكره في كتابه (النباهة والاستحمار)، وعن معنى الاستحمار يقول "الاستحمار تزييف ذهن الإنسان، ونباهته وشعوره، وتغيير مسيره عن النباهة الإنسانية والنباهة الاجتماعية... من أجل الوقوع في العبودية، والذهاب ضحية لقوة العدو، والاستحمار المُطلق" ويضيف شريعتي عن مفهوم الاستحمار بأنه تسخير الإنسان لخدمة أغراض الاستعمار الخارجي والاستبداد الداخلي كما يُسخر ويُستغل الحمار. ولا يمكن الخروج من حالة الاستحمار إلاّ بحالة النباهة ممثلة في الوعي النفسي والأصالة والابداع، وهي حالة من فعالية الإنسان في المجتمع ليكون مستعصياً على الاستعمار والاستبداد.

بعد الاعتذار للحمير ونحن لا زلنا نعيش أجواء يوم الحمير العالمي، لا بد من استخدام مفهوم الاستحمار لوصف الحالة النفسية والعقلية للنخب العربية الحاكمة، وأنظمتها السياسية، وفئاتها الطفيلية، في علاقتها مع قوى الاستعمار القديم المتجدد، بدءاً من أسبانيا والبرتغال، وانتهاء ببلاد العم سام الأمريكان، مروراً ببريطانيا (العُظمى) ذات التيجان، ومع كل من فرض في الماضي، ويفرض في الحاضر حمايته على بلدانها، ويرتع في نعيم ثرواتها، تطبيقاً للمثل الشعبي شديد الانبطاحية (اللي يتجوز أمي أقوله يا عمي)، وانسجاماً مع فقه الخضوع ونظريات الخنوع، واتساقاً مع الروح الانهزامية والنفس الدنية. الاستحمار يصلح لوصف حال النخب العسكرية والقبلية الحاكمة في

بعض الدول العربية، وأنظمتها السياسية، وما التصق بها من فئات طفيلية، من رجال الأعمال الفاسدين، وأنصاف المثقفين الانتهازيين، وأشباه علماء الدين المنتفعين، ومن سار على دربهم من عيون يترصّد بها الحكام المستبدون شعوبهم، وأيدي تنهال على شعوبهم بالضرب، وسجانين حرّاس على زنازين القهر من أحرار الشعب، ليتحولوا في عملية استحمار مُركبة شركاء اللص الذي يسرقهم، والقاتل الذي يقتلهم، كما جاء في مقالة (العبودية الطوعية) للفيلسوف الفرنسي (ايتان لابوسي).

الأنظمة العربية الحاكمة العسكرية أو القَبلَية، المفروضة على بعض البلدان العربية لاسيما الغنية المترفة، تعيش في علاقتها مع الاستعمار الأمريكي الجديد، حالة من الاستحمار تعدت حالة الاستعمار، وتجاوزت القابلية للاستعمار الذي ذكرها مالك بن نبي إلى القابلية للاستحمار التي ذكرها علي شريعتي، لتصل إلى حالة أقرب من العبودية الطوعية، التي يتنازل فيها الانسان الحُر عن حريته وكرامته لسيدٍ أقوى منه يوهمّهُ بأنَّه يستطيع حمايته من عدوٍ داخلي هو شعبه المقهور، وعدوٍ خارجي هو البعبعُ الموهوم، ليظل النظام بنخبته الحاكمة والفئات الطفيلية اللصيقة بها في حالة رعب وذُعر متواصل، تبقيهم بحاجة لحمايته فيتنازلون طواعية للسيد المستعمر عن حرية إرادة بلدانهم ومعظم ثرواتها له، أليس هذا بالضبط الذي يحدث بين تلك الأنظمة والأمريكان ومعهم الكيان الصهيوني العاجز عن حماية نفسه فضلاً عن حماية غيره؟!.

مأزق خطباء البؤس والنكد

• كُتب بتاريخ:

2019-6-13م

ذكر علي عشماوي في مذكراته التي نُشرت بتاريخ 2006 وهو يصف زيارته لسيد قطب "وجاء وقت صلاة الجمعة فقلت لسيد قطب دعنا نقم ونصلي، وكانت المفاجأة أن علمتُ- ولأول مرة- أنه لا يُصلّي الجمعة، وقال أنه يرى أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة وأنه لا جمعة إلا بخلافة". وقد يكون هذا الكلام على الأغلب من باب التشويه لفكر سيد قطب، خاصة وأن سيد قطب - رحمه الله - قد حث على صلاة الجمعة في كتابه (في ظلال القرآن) في تفسيره لسورة الجمعة "وصلاة الجمعة هي الصلاة الجامعة، التي لا تصح إلا جماعة، وهي صلاة اسبوعية يتحتم أن يتجمع فيها المسلمون ويلتقوا ويستمعوا إلى خطبة تذكرهم بالله... وقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل هذه الصلاة والحث عليها والاستعداد لها بالغُسل والثياب والطيب". وهذا لا ينفي وجود رأي فقهي ضعيف يربط إقامة صلاة الجمعة بوجود الخليفة، فالأحناف ذكروا من شروط الجمعة "إذن السلطان بذلك أو حضوره أو حضور نائب رسمي له" وبعض الشيعة الإمامية لهم رأي قريب من ذلك، فيربطون إقامتها بوجود الإمام أو نائبه أو الولي الفقيه.

لبرهة من الزمن فكّرت في هذا المبرر الشرعي لترك صلاة الجمعة واستبدالها بصلاة الظهر طالما لا يوجد خليفة للمسلمين بالمفهوم الشرعي التقليدي، بعد سقوط نظام الخلافة العثمانية عام 1924، بإعلان إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى اتاتورك وخلع آخر السلاطين العثمانيين محمد السادس، إلاّ إذا اعتبرنا الدكتور إبراهيم السامرائي المعروف بأبي بكر البغدادي زعيم تنظيم (الدولة الإسلامية) المعروف اختصاراً باسم (داعش) هو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين عندما نصّب نفسه خليفةً

المسلمين وأميراً للمؤمنين من على منبر الجامع الكبير في مدينة الموصل العراقية، فأصبح قائداً للمجاهدين وفاتحاً لبلاد الكافرين وقاطعاً لرؤوس المنافقين. وبما أنني لم أنضم لنادي المعجبين بداعش وأخواتها، ومن المبشرين بزوال دولتهم وأشباهها، ومن المُحذرين لتغلغل فكرهم القادم من صحراء نجد القاحلة، التي خرج منها قرن الشيطان ليُرخي بليله الحالك الظلام على بلاد العرب والعجم... فلا أرى أن البغدادي خليفة يأذن بصلاة الجمعة، أو يأمر بأدائها، وأرى كغيري من جمهور المسلمين أن صلاة الجمعة فرض لا يرتبط بوجود الخليفة أو إذنه.

لم يكن البحث عن مبرر شرعي لترك صلاة الجمعة رغبةً في مجاراة النفس الأمارة بالتهاون والكسل، وموافقة لوساوس الشيطان الداعية إلى التقصير والتفريط؛ بل كانت رغبةً في الهرب من الاستماع لخطب الجمعة أو الكثير منها على الأقل، التي لا يجيد الخطباء فيها إيصال رسالتهم الدينية إلى جمهور المصلين، ويكون مضمونها مناقضاً لمقاصدها الدينية وروح الشريعة ووسطية الإسلام، وتكون طريقة أدائها تفتقر إلى فقه الدعوة وأصول الوعظ والإرشاد الديني، حتى تحوّلت كثيرٌ من خطب الجمعة ذات مضمونٍ داعشي متطرف، أو حزبي ضيق، أو اتهامي هجومي على المجتمع، لا يرى من ظواهر المجتمع إلاّ الرذيلة والفساد، فيضخم الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية ليجعلها الأصل في سلوك الأفراد والمجتمع، ولا يرى الفضيلة في المجتمع والاستقامة في الأفراد.

هذا النوع من الخطباء - وهم كثر - غلب عليه النبرة التشاؤمية الهجومية الاتهامية ضد الناس، وإساءة الظن بهم، ويرجع كل مصائب الدنيا، من هزائم وفقر وفساد وجرائم وأمراض وكوارث طبيعية وغيرها إلى المجتمع وبما كسبت أيدي الناس من فساد في البر والبحر، وبما ارتكبوا من فواحش وآثام، وبما ابتعدوا عن دين الله وعدم تحكيم شرع الله واتباع القرآن والسنة، لذلك فهم يستحقون عقاب الله وعذابه في الدنيا والآخرة. هؤلاء الخطباء البائسون يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً، وهم يجعلون خطبهم مليئة بتقريع وتوبيخ وتعنيف المُصلين، وهم لا يدرون أنهم يعطونهم جُرعةً من البؤسِ والتعسِ، ممزوجةٌ بقليلٍ من التحبيط والتثبيط وشيء من الهم والغم، فيخرج الناسُ من

الخطبة ما بين كئيب ومكروب، أو بائس ويائس، أو منكود وقنوط. وهذا يختلف عن النقد الموضوعي الذي يبحث في العوامل الذاتية للفشل والهزيمة والتأخر وفق سنن القرآن التي ترد المسلمين إلى ما في النفس من خلل لإصلاحه.

وقد نسي هؤلاء الخطباء النكدون حديث سيد المرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه - ونصه "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم" أي أكثرهم هلاكاً ومعصيةً وتقصيراً بما قام بهِ من تيئيس للناس من رحمة الله، وبما يرى في نفسه من فضل عليهم وعُجب بأعماله، وبما نسي آيات الله وأحاديث رسوله المُبشّرة. وبما تجاهل الأصل في الخطاب الديني الداعي إلى إشاعة روح التفاؤل والحث على نشر ثقافة الأمل والرجاء في رحمة الله، والنظر للحياة بإيجابية ورؤية الجمال فيها، خاصة وسط بحر الظُلمات الذي يعيشه الشعب الفلسطيني المظلوم والمنكوب بالاحتلال والحصار والانقسام.

ولعل ما قاله الدكتور شوقي علام حول الخطاب الديني المنشود في مقال سابق له مفيد في هذا المجال خاصة خطباء الجمعة للخروج من مأزق خطباء البؤس والنكد "الخطاب الديني المنشود، لا بد أن يدفع باتجاه الأمل والبناء، وهذان لن يؤتيا ثمارهما إلاّ بالتفاؤل... فلا بد أن يُصبغ خطابنا الديني بالتفاؤل والشعور بالرضا والفرح والسرور والسعادة، وما ينعكس عنه من أثر إيجابي على كسب الإنسان، وعلى عمله وتوجهه نحو فعل الخير، لأن التفاؤل هو الميل إلى وجهة نظر مفعمة بالأمل، والتفكير في أن كل شيء سيؤول إلى الأفضل... فالتفاؤل هو ميل يحمل الشخص طبيعياً إلى الشعور بالسعادة الدائمة المتجددة، بحيث يشعر في أمل مستمر مهما كانت الظروف... وأنه سينتصر في النهاية".

مأزق الإعلام الفلسطيني ما بين خطابي المظلومية والقوة

• كُتب بتاريخ:
20-6-2019م

الخطاب الإعلامي الفلسطيني منقسم على نفسه كنتيجة للانقسام الفلسطيني في السلطة والسياسة، وهذا هو جوهر مأزقه الظاهر في تبنيه لخطابين إعلاميين مختلفين لدرجة التناقض، أحدهما يتبنى جانب المظلومية وصورة الضحية، دون اهتمام بإبراز صورة القوة المقابلة، والآخر يتبنى جانب القوة وصورة البطل، دون اهتمام بإبراز صورة الضحية المقابلة، وبذلك يعيش الإعلام الفلسطيني مأزقاً ما بين خطابي المظلومية والقوة، وإشكالية ما بين صورتي الضحية والبطل، دون توازن بينهما، وتحديد متى وأين يوّظف الخطابين الإعلاميين المختلفين، ومعرفة لأي جمهور نُعطي صورة الضحية أو صورة البطل في الروايتين المتناقضتين. ولذلك كان من المفيد توضيح أبعاد مأزقنا الإعلامي، من أجل وضع الخطابين -المظلومية والقوة- في إطار استراتيجية موّحدة، هدفها إبطال رواية المظلومية الإسرائيلية الكاذبة، وتأكيد رواية المظلومية الفلسطينية الصادقة.

نحن بحاجة إلى إبطال الرواية الصهيونية- الإسرائيلية للصراع، وجوهرها صورة الضحية النمطية التي رسختها تلك الرواية في أذهان الغرب منذ بداية الصراع، ولا زالت تعمل على ترسيخها من خلال توظيف بعض الصور الإعلامية التي تنفي الصفة الإنسانية عن الفلسطينيين، وشيطنتهم وتجريمهم باعتبارهم في مرتبة أقل من البشر، وتجريدهم من أسمائهم باعتبارهم أرقام لا أسماء إنسانية لها، وأعداد لا ذوات بشرية لها، وكائنات لا قيمة لها، فتصور الدعاية الإسرائيلية صورة السلاح والتهديد في جنازة شهيد فلسطيني، بينما تصوّر الدموع في عيون المستوطنين أثناء تشييع جنازة قتيل

إسرائيلي، وتصور صورة الصواريخ الفلسطينية التي تنطلق من غزة نحو المستوطنات الإسرائيلية، بينما تظهر صور الصواريخ التي تسقط على المدن الإسرائيلية وهرب المستوطنين كضحايا للإرهاب الفلسطيني، دون إظهار صور التدمير والقتل الذي تزرعه الطائرات الإسرائيلية في المدن الفلسطينية.

هذه الرواية بدأت بالتراجع منذ الانتفاضة الأولى أمام صور القتل والقمع والبطش التي مارسها الجيش الإسرائيلي والمستوطنين ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، وامتد هذا التراجع في الانتفاضة الثانية، والحروب العدوانية على قطاع غزة، وهبة القدس الأخيرة، واعترافاً بهذا التراجع في الرواية الإسرائيلية كتب أحد الخبراء العسكريين الإسرائيليين المهمين تعقيباً على صورة عهد التميمي وهي تتحدى جنود الاحتلال بقبضتها وغضبها مُعلّقاً "إن الوضع اليوم يزداد حرجاً أمام الجيش الإسرائيلي في ظل تطور التكنولوجيا وبات كل فلسطيني لديه كاميرا، وبعض هذه الصور تثير ضجة عالمية، وصوراً أخرى تُصبح رمزاً للكفاح الفلسطيني... إنَ هذه الصور تتسبب بإشكاليات للسفارات الإسرائيلية حول العالم، لا سيما في أوروبا والولايات المتحدة، وبعضها يتخلله تهديدات وتوجيه شتائم، العديد من وسائل الإعلام العالمية تُهاجم إسرائيل بسبب هذه المشاهد".

إذا كُنّا بحاجة لإبطال الرواية الإسرائيلية للصراع التي تتبنى رواية المظلومية وصورة الضحية، من الضروري استخدام خطاب القوة بطريقة حكيمة بعيداً عن الديماغوجية والفوضوية، ووضع خطاب القوة في إطار استراتيجية إعلامية يتم توجيهها في اتجاهين أحدهما نحو الشعب الفلسطيني، والأخر نحو جبهة العدو الداخلية، مع إبقاء خطاب المظلومية موجهاً نحو الخارج العربي والعالمي. واستخدام خطاب القوة نحو الجمهور الفلسطيني يوّظف جوهرياً لمقاومة إعلام العدو وحربه النفسية الهادفة إلى إحباط همم المقاومين، وإضعاف عزائم المناضلين، وإنهاك حماسة المجاهدين، وتحطيم الروح الوطنية للفلسطينيين، وزرع اليأس والإحباط في نفوس الشعب الفلسطيني الصامد فوق أرضه. وخطاب القوة هدفه شحذ همم المقاومين، وتقوية عزائم المناضلين، وتعزيز حماسة المجاهدين، والحفاظ على الروح الوطنية

للفلسطينيين، وزرع الأمل بالنصر في نفوس الشعب الفلسطيني... وإضافة لذلك تعزيز ثقة الشعب بنفسه ومقاومته دون مبالغة تؤدي إلى الوهم الخادع، أو الإفراط في تضخيم قدرات المقاومة، والإسراف في تحقير قوة العدو وقدراته التدميرية.

والاتجاه الآخر في خطاب القوة نحو جبهة العدو الداخلية، فلغة الاستعطاف، ورواية المظلومية، وصورة الضحية، غير مُجدية مع المجتمع الإسرائيلي الصهيوني العنصري والكيان الصهيوني الاستيطاني الإحلالي، الذي قام على العنف وإدامة العنف، والمجازر وتكرار المجازر، والخطاب الإعلامي الموجه له المرتكز على الاستعطاف والمظلومية والنضال السلمي اللاعنفي لا ينسجم مع كيان ومجتمع قام على أساس إلغاء نقيضه – الشعب الفلسطيني – واستند على نفي وجود الشعب الفلسطيني فوق وطنه كأساس لروايته القائمة على أن "اليهود شعب بلا أرض، وفلسطين أرض بلا شعب" ؛ لذلك فالخطاب الإعلامي الفلسطيني الموجه نحو جبهة العدو الداخلية ينبغي أن يكون باللغة التي يفهمها بالمعنى اللغوي- العبرية- وبالمعنى السياسي- القوة - على أن يكون ذلك الخطاب يوّظف الإعلام لحرب نفسية هدفها إضعاف الجبهة الداخلية الإسرائيلية، وزعزعة ثقة المجتمع الإسرائيلي بجيشهم وحكومتهم وصولاً للهجرة العكسية من فلسطين.

خُلاصة المقال أنَ خطاب المظلومية والضحية، هو الخطاب الإعلامي الفلسطيني الأساسي، الذي يصوّر الحقيقة التي يعيشها الشعب الفلسطيني منذ بداية الصراع وحتى إزالة الظلم الواقع عليه بزوال دولة (إسرائيل) من الوجود، فالشعب الفلسطيني هو الضحية المظلومة والذبيحة المُعذّبة، والكيان الصهيوني هو القاتل الجاني والمجرم المذنب، هذه الصورة الحقيقية المُعبّرة عن الصواب الكامل واليقين المُطلق، وهذه الصورة من الضروري إبرازها في كل وسائل الإعلام الفلسطينية، خاصة الموجهة للعالم الخارجي، لإبطال خطاب المظلومية المزيف وصورة الضحية المزورة للرواية الإسرائيلية، ولتأكيد ما يقابلها من مظلومية فلسطينية حقيقية وصورة الضحية الصادقة. وهذا لا يناقض خطاب القوة الإعلامي المتوازن تجاه الجبهة الداخلية الفلسطينية أو جبهة العدو الداخلية، بدون مبالغة في تضخيم قوة المقاومة، أو المبالغة في الاستهانة بقوة العدو.

مات الفيلسوف ولم يمت (الطاغية)

• كُتب بتاريخ:
2019-6-23م

إمام عبد الفتاح إمام، أستاذ دكتور في الفلسفة، باحث ومُفكر وفيلسوف مصري، رحل عن عالمنا منذ أسبوع فمات بصمت وبدون ضجيج، لم يشعر به أحدٌ إلاّ ثلةٌ من المهتمين بالحياة الثقافية والفكرية وسط زحمة الحياة المادية والاستهلاكية، ولد الفيلسوف إمام عبد الفتاح إمام بمحافظة الشرقية في مصر عام 1934 لوالد من علماء الأزهر الشريف، حصل على الليسانس في الآداب عام 1957، والماجستير في الفلسفة بعنوان (المنهج الجدلي عند هيجل) عام 1968، والدكتوراه في الفلسفة بعنوان (المنهج الجدلي بعد هيجل) عام 1972، عمل في الكثير من جامعات مصر والوطن العربي محاضراً وباحثاً ومشرفاً على رسائل الماجستير والدكتوراه في الفلسفة، وهو أبرز تلاميذ الفيلسوف الكبير زكي نجيب محمود وأهم المُعرّبين والمتأثرين بفلسفة هيجل المثالية الجدلية القائمة على الوعي والحرية، وأصبح صاحب رؤية فلسفية خاصة في السياسة والحكم لخصها في أهم كتبه، وهو كتاب (الطاغية) المنشور عام 1994م.

إذا كان الفيلسوف إمام عبد الفتاح إمام قد مات، فإن كتابه (الطاغية) لم يمت، وسيظل حياً يُلهم أنصار الحرية الوعي والإيمان والروح لمواصلة محاربة الطغيان والاستبداد والدكتاتورية. كتاب (الطاغية.. دراسة فلسفية لصور الاستبداد السياسي) بدأ بإهداء يُعبر عن خُلاصة مضمون الكتاب جاء فيه "إلى الذين يعانون من ظلم الطغيان ووطأة الاستبداد ويتوقون إلى الخلاص.. إلى الذين يشعرون أنَ الحرية هي ماهية الإنسان، إذا فقدها فقد وجوده معها.. إلى الذين يؤمنون أنَ أحداً منا ليس معصوماً من الخطأ، ومن ثم يتقبلون الرأي الآخر برحابة صدر وسعة أفق". ويبدأ مقدمة الكتاب في ذم حكم الطاغية ومن يزعم أنَ له إيجابيات بقوله "... فحتى لو

فرضنا أنَ لـه إيجابيات هائلة، فما قيمة هذه الايجابيات إذا كان ثمنها تدمير الإنسان، وتحطيم قيمه، وتحويل الشعب إلى جماجم وهياكل عظمية تسير في الشارع منزوعة النخاع. شخصيات تافهه تطحنها مشاعر الدونية والعجز واللا جدوى".

في موضوع متى تتحول السلطة إلى طغيان في الفصل الأول من الكتاب يقول: "إذا كانت السلطة ضرورية لتحقيق أمن الجماعة، فإنه ينبغي أن تحافظ على حريات الأفراد الذي جاءت لحمايتهم، ومن ثم يظهر السؤال عن الحدود التي يجب أن تقف عندها السلطة فلا تتجاوزها، فإن هي تجاوزاها انقلب إلى نوع من الطغيان". ويصف صفات الطاغية في الفصل الثالث بأنَه يصل إلى الحكم بطريقة غير مشروعة، ولا يعترف بقانون أو دستور يحكم البلاد وتصبح إراداته هي القانون، ويسخّر كل موارد البلاد لإشباع رغباته، ولا يخضع للمحاسبة والمساءلة والرقابة من أي نوع.

وينتقد الخلط بين وظيفة الأب في الأسرة التي هي مفهوم أخلاقي أو وظيفة الملك والرئيس الذي هو مركز سياسي، وهذا الخلط يؤدي إلى الاستبداد، ولهذا يستخدمه الحكام عندنا في الشرق، لأنَ الأب لا يجوز أخلاقياً معارضته، فقراره مُطاع واحترامه واجب، فينتقل هذا التصور الأخلاقي إلى مجال السياسة، فيُعامل الحاكم المواطنين كما يعامل الأب أبناءه على أنهم قُصر غير بالغين، فمن حقه توجيههم وعقابهم إذا انحرفوا لأنهم لا يعرفون مصلحتهم الحقيقية.

وانتقد الحكم الشمولي في عهد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر بقوله:" الترجمة الحقيقية للديمقراطية في المذهب الشمولي هي إنَ إرادة القائد أو الزعيم هي إرادة الشعب، أو كما ذهب بعض المنظرين عندنا في العهد الناصري هي (ديمقراطية التحسس)، بمعنى أنَ القائد الزعيم المُلهم يتحسس مطالب الجماهير، ويصدر بها قرارات وقوانين، ولما كان الشعب دائماً على حق، فإنَ الزعيم المُعبّر عن إرادة الشعب هو أيضاً دائماً على حق، ولكي يثبت القادة الشموليون أنَ إرادتهم هي إرادة الشعب، فإنهم يلجأون إلى أسلوب الاستفتاء العام، والتصويت (التهليلي)، بهذه الطريقة يستخرج الزعيم المُلهم، والقائد الساحر، من قبعة الدكتاتورية أرنباً اسمه الديمقراطية".

ورفض خُرافة المستبد العادل التي يُرّوج لها البعض بقوله :" كيف يُمكن أن يوصف المستبد بأنَه عادل، أو الطاغية بأنَه صالح، أو الدكتاتور بأنَه مستنير...؟!. الواقع أنَ هذه تعبيرات أقرب إلى تعبير (الدائرة المربعة). لأنَه إذا كان من صفات المستبد أن يكون ظالماً جباراً كما يقول الكواكبي بحقه، فكيف يُمكن أن يكون المُستبد عادلاً؟!، وكيف يُمكن مستنيراً من يرضى أن تكون رعيته كالأغنام؟!،... لا شك أنَ الاستبداد يهدم إنسانية الإنسان، والطغيان يحيل البشر إلى عبيد، وإذا تحوّل الناس إلى عبيد أو حيوانات فقدوا قيمتهم، فلا إخلاص ولا أمانة ولا صدق ولا شجاعة... الخ بل كذب ونفاق وتملّق ورياء وتذلل ومداهنة.

وتحت عنوان (الطاغية يرتدي عباءة الدين) ذكر "إننا نظلم الدِين كثيراً عندما ننسب إليه ذلك الحكم المطلق، الذي يقيم حاكماً مستبداً أو طاغية جائراً، ليكون هو الإله أو إبن الإله أو خليفة الله في الأرض. يأمر وينهي بلا حسيب ولا رقيب"، ويرى أنَ اليهود هم أول من ارتدى عباءة الدين في الحكم، باعتقادهم أنَ الله ميزهم عن الأمم الأخرى، وأنَهم شعب الله المختار، وأنَ الله تعالى قد اصطفاهم ليكونوا شعب الرب، وأنَ إسرائيل يحكمها الله بصورة مباشرة!!

وانتقد بني أمية ونظريتهم في تبرير حكمهم الاستبدادي"... ثم استقروا على النظرية التي حكموا على أساسها، ودعموا بها ملكهم الاستبدادي، وهي أنَ الله اختارهم للخلافة، وأتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإراداته، ويتصرفون بمشيئته، وأحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة،وأطلقوا على أنفسهم كثيراً من الألقاب الدينية... ولكي يؤكدوا هذه النظرية أشاعوا مذهب الجبر، فالسلطة يتم تحديدها من الله، وليس للناس فيها رأي ولا مشورة، والخليفة هو خليفة الله، وأنَ على الناس الاستسلام والطاعة... وبذلك يصبح الحاكم مستبداً يستمد سلطته من التفويض الإلهي لا من الناس، ويرسي قواعدها بقوة السيف وحده".

وتحدث عن مساوئ الحكم الاستبدادي بأنَه يؤدي إلى انفصام الشخصية كنتيجة لحكم الطاغية الذي يعتمد على الخوف، فلا يستطيع أحد أن ينتقد أو يناقش، ولا أن

يفكر بصوت مسموع فيلجأ إلى الرياء والنفاق والتملق... وهذا الانقسام سيمتد إلى جميع سلوك الفرد بحيث يكون نمطاً للشخصية: فتراه يهتم بالشكل دون الجوهر، فيكون تدينه زائفاً ظاهرياً، ويترك الجوهر الذي يتجلّى في الصدق والإخلاص والأمانة والتعاون والعدل... وتراه يفصل نفسه عن وطنه: فالحكومة والشرطة والصحافة شيء، ومصلحته الخاصة شيء آخر، هذه القسمة راجعة إلى أنه لم يشترك في حكم بلاده وتشريع قوانينها وإعداد خططها، فذلك كلهُ يُترك للقائد الملهم؟!

وخُلاصة كتاب (الطاغية) في المنهج الذي رسمه للتخلّص من الطغيان والاستبداد، والذي يكون بالحكم الديمقراطي فقط، فيوضح أن الديمقراطية ممارسة وتجربة إنسانية تصحح نفسها بنفسها، وأنَ أفضل علاج لأخطاء الديمقراطية، المزيد من الديمقراطية، ويرفض مقولة أنَ (الشعوب المتخلفة لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها حكماً ديمقراطياً صحيحاً) لأنَ البديل هو حكم الطاغية، والديمقراطية الناقصة خير ألف مرة من حكم الطغيان، ويرى أنَ ليس في الدين الإسلامي ما يمنع من تطبيق الديمقراطية التي تعتمد على الحرية والعدالة والمساواة، ويحدد وسائل الوصول إلى الديمقراطية بالتربية الديمقراطية، واحترام القانون، والإعلام الحر. ويرى أنَ الديمقراطية لا يمكن حصرها في نموذجٍ واحد طالما كانت تقوم على أسس أهمها: أنَ الشعب مصدر جميع السلطات، والحريةً بكافة أنواعها مكفولة للجميع، والمساواة بين أفراد الشعب، واحترام قيمة الإنسان وكرامته.

أوسعنا مؤتمر المنامة شتماً.. وماذا بعد؟

• كُتب بتاريخ:
2019-6-25م

تراثنا العربي زاخرٌ بالأمثال الفصيحة، وثري بالحِكم البليغة، ومنها المثل المُعبّر الذي يحوي في معناه حكمةً قيّمة (أوسعتهم شتماً وساروا بالإبل). وقصة المثل أنَّ رجُلاً أعرابياً كان يرعى الإبل لقومهِ، فأغارَ عليه مجموعةٌ من اللصوص، وأستولوا على الإبل وساروا بها، فلما تواروا عن الأنظار، صعدَ على تلةٍ وأنهال عليهم شتماً، فلما رجع إلى قومهِ سألوه عن الإبل فأخبرهم القصة، وعندما سألوه عما فعل ليمنع إستيلاء اللصوص على الإبل، قال لهم:" أوسعتهم شتماً وساروا بالإبل" فذهبَ قوله مثلاً يُضرب على كل من يُقصّر عمله بالفعل ويطول لسانه بالشتم.

الأكتفاء بالكلام دون الفعل، والاقتصار بالشتم من غير العمل، كتبَ عنه المفكر السعودي عبدالله القصيمي في كتابه (العرب ظاهرة صوتية) جاء فيه: "إنّ العربَ ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن أمجادهم وانتصاراتهم الخطابية حتى يحسبون أنَّ ما قالوه قد فعلوه، وأنَّه لم يبقَ شيءٌ عظيم أو جيد لم يفعلوه لكي يفعلوه.. أليسوا قد قالوا ذلك لكي يعتقدوا أنَّهم قد فعلوه؟ أليسوا قد قالوه ليكون بديلاً عما يفعلوه؟!". وهذا الوصف للعرب رغم قسوته الشديدة وسخريته اللاذعة، فهو صواب على الأقل في أزمنة الهزيمة والانكسار، ومراحل الخيبة والانحدار، وعهود الفشل واستحكار العار.

مفهوم الظاهرة الصوتية لما نقوم بهِ من ردات فعل كلامية على الأحداث الكُبرى لا ينبغي أن يزعجنا ويضايقنا، وجميل لو استفزنا وأغاظنا، والأجمل أن يصدمنا ويوقظنا، لنُعدّل من طريقة تفكيرنا ومنهج سلوكنا، كي لا يصبح كلامنا والكثير من أعمالنا، مُجرد تفريغ الشحنات الانفعالية بالكلام، وتنفيس التوترات النفسية بالصراخ، وتحرير

مخزون الغضب بالشتم، وإطلاق تراكم الكبت بالضجيج، وإخراج طبقات الضغط بالعجيج. وهذا لا يختلف عن الحقيقة التي يعرفها كل من ألقى السمع وهو شهيد، بأنَّ هناك علاقة عكسية بين كثرة الكلام وطريق النجاح، بمعنى أنَّه كلما كثر كلام قومٍ وقلَّ فعلهم يقل النجاح والإنجاز من الزاقع وينتقل إلى الخيال.

مثل الأعرابي والإبل، ومضمون كتاب القصيمي، ومفهوم التفريغ الانفعالي، لا يبتعدون كثيراً عن طريقة معالجتنا لمؤتمر المنامة الاقتصادي، باعتباره بداية انطلاقة الجانب الاقتصادي لصفقة القرن، عندما أوسعنا المؤتمرين شتماً- وهم يستحقون ذلك- دون أن نتبع ذلك ببرنامج عمل وطني موّحد ومستمر، وعندما قدمنا الاحتجاج بالصوت والرفض والصخب على الاحتجاج بالفعل الوطني والبرامج العملية، وعندما أفرغنا ما في داخلنا من غضب وسخط دون أن نستفيد من الإجماع الوطني الرافض لصفقة القرن في إعادة وحدتنا الوطنية وبناء مرجعية وطنية موّحدة، ولذلك سيكون كل هذا الجهد أشبه بـ(المولد) الذي يُشارك فيه الجميع، ثم ينفض ويخرج الناس منه بلا حمص.

إنَّ عقد عشرات ومئات المؤتمرات الصوتية، والورش الحوارية، والاجتماعات السياسية، والندوات الثقافية. وكتابة مئات المقالات والتقارير الصحفية، وإنتاج مئات البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وإجراء مئات اللقاءات والمقابلات مع السياسيين والخبراء والكتاب والمحللين... جهد مهم وضروري ومفيد لتعبئة الشعب والأمة لمواجهة مؤتمر البحرين ومُخرجاته السيئة، والتصدي لصفقة القرن ونتائجها الكارثية، ولكن كل ذلك سيظلُ حبراً على ورق، وصوتاً مُبعّثراً أدراج الرياح، وجهداً ضائعاً هباءً منثوراً، ما لم يتحوّل إلى خطوات عملية على الأرض، تبدأ بالالتفاف حول مرجعية وطنية واحدة ومشروع وطني جامع، ولا تنتهي إلاّ بالتحرير والعودة والاستقلال.

كلمة أخيرة تعديلاً لما جاء في كتاب (العرب ظاهرة صوتية)، إنَّ كان هذا الوصف يصلح في عهود الهزيمة والتأخر والهوان، فإنَّه لا يُصلح في عهود الانتصار والتقدم والعنفوان؛ فلم يكن العرب ظاهرة صوتية عندما حملوا رسالة الإسلام

للبشرية، وحرروا شعوب الأرض من نير العبودية، وأقاموا حضارة تشع نوراً للإنسانية، وعندما نهضوا مُجدداً في العصر الحديث ليحرروا أنفسهم وبلادهم من الاستعمار. وبالطبع لم يكن الفلسطينيون ظاهرة صوتية وهم يفجرون عشرات الثورات والانتفاضات والهبات ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني في الماضي، وبالتأكيد لم يكونوا كذلك وهم صامدون فوق أرضهم مقاومون لعدوهم في الحاضر، وقد وصفهم الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم – في حديث شريف "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ".

لماذا لم تفتح ألـ (ويكيبيديا) يا مدحت؟

• كُتب بتاريخ:
2019-7-4م

روى الكاتب الصحفي الموريتاني حنفي ولد دهاه ما حدث معه في مطار بيروت قبل عامين عندما سأله موظف الجوازات إن كان لديه تأشيرة دخول إلى لبنان، فأجابه أنه من بلد عربي والقانون اللبناني يعطيه حق الحصول على التأشيرة في المطار، فسأله الموظف عن بلده، فأجابه أنها موريتانيا، تلكأ الموظف قليلاً واستعان بموظفة أخرى ليسألها عن موريتانيا إن كانت دولة عربية أم لا، فاستعانت بدورها بموظفين آخرين، انقسموا فيما بينهم ما بينَ مؤكدٍ ونافٍ أومتيقنٍ ومرتاب لعروبة موريتانيا، فاستعانوا بضابطٍ كبير ليقطع الشك باليقين، فحسم الأمر وحكم بعدم عروبة موريتانيا، وأمر بترحيل الصحفي الموريتاني الأستاذ حنفي، وعند ذلك الحد المأساوي من القصة، وتطبيقاً لأصول الحبكة الدرامية في الأفلام العربية، تدخلت موظفة في المطار لتحل العقدة في لحظة التأزم، فبحثت عن موريتانيا في موقع الموسوعة الحرة باللغة العربية (ويكيبيديا)، وسرعان ما اكتشفت أن موريتانيا دولة عربية، فأخبرت الضابط الكبير بالنبأ اليقين والاكتشاف العظيم، فضرب رأسه بقبضة يده قائلاً: "صحيح لقد ألحقوها مؤخراً بالجامعة العربية"، ومؤخراً هذه عمرها أربعة عقود ونيف، فقد انضمت موريتانيا إلى جامعة الدول العربية في عام 1973، بعد استقلالها بحوالي عقد من الزمان، والعروبة متجذرة فيها حتى سُميّت ببلد المليون شاعر.

موقف مُشابه حدث مع الطالب الموريتاني خالد موسى المُقيم في مصر قبل أيام، عندما استضافهُ المُذيعُ والمُعلّقُ الرياضي مدحت شلبي على قناة النيل الرياضية (نايل سبورت) في برنامجه الرياضي (مساء الأنوار)، وتبين من خلال حواره مع الطالب الموريتاني عدم معرفته بأن موريتانيا دولة عربية، عندما سأله عن مكان تعلّمه

العربية مستغرباً من إجادته الحديث باللغة العربية، فأجابه الطالب الموريتاني أنه تعلم اللغة العربية منذ صغره في البيت والمدرسة، فردَّ عليه السيد مدحت شلبي متسائلاً بدهشة "لكن الشعب بشكل عام الموريتاني بيتكلم عربي؟!"، فأجابه الطالب الموريتاني بالإيجاب، فرد عليه شلبي "أوكيه يعني العربية لغة البلد"، وعند هذه المرحلة من الحوار غير الظريف، واللقاء غير الطريف، أدرك أنه وقع في مطبٍ ليس بالخفيف، فأسرع للاعتراف بخطأه والإقرار بغلطته في الحلقة التالية، ولكن بعد أن أثارت حلقته موجة من السخرية على مواقع التواصل الاجتماعي، وتداول نشطاء هاشتاق " موريتانيا دولة عربية يا مدحت" كان من الممكن أن يتجنب السيد مدحت شلبي هذا الحرج لو فتح الحاسوب قبل الحلقة كما فعلتْ الموظفةُ اللبنانيةُ، وكتب كلمة (موريتانيا) على محرك البحث (جوجل)، ثم فتح موقع (ويكبيديا)، لوجد أول سطر في الصفحة ما يلي:" موريتانيا أو رسمياً الجمهورية الإسلامية الموريتانية هي دولة عربية أفريقية" فلماذا لم تفتح ألـ(ويكيبيديا) يا مدحت؟!.

عدم معرفة أنَّ موريتانيا دولة عربية في كلتا الحالتين ليس مجرد خطأ في استدعاء المعلومات المُخزنة في الذاكرة طويلة المدى، فهذا الخطأُ مؤشرٌ على ظواهر عديدة اجتاحت ما كان يُعرف بالوطن العربي في الماضي، مجملها تدل على تراجع الشعور بالانتماء لأمة عربية واحدة، مما يُشير إلى خللٍ في البُنية الفكرية للإنسان العربي الجديد، في عصر ما بعد القومية العربية، وزمن الارتداد إلى ما دون الوطنية، ومرحلة إنكفاء الإسلام الحركي أو (الإسلام السياسي) إلى فقه الاستضعاف والدعوة السرية. هذا الخللُ زادَ طينتهُ بلة عاصفة الربيع العربي التي ضربت ما كان يُعرف في كُتب المواد الاجتماعية التي درسها جيلنا بالوطن العربي، فتْركت العاصفةُ العربَ كرمادٍ اشتدت بهِ الريحُ في يوم عاصف، لا يملكون من زمام أمرهم شيئاً، ورسنهم في يد غيرهم، ومصيرهم مُعلَّقٌ بيد سيد البيت الأسود في واشنطن، فألقى بهم في جُرفٍ هار، فأنهار بهم في نار التطبيع، ولهيب التمييع؛ ليصبحوا شركاء اللص الذي يسرقهم والمجرم الذي يقتلهم في سرقة وقتل شعوبهم وأمتهم، حتى إذا ما تآكلت هوياتهم الدينية والقومية والوطنية، فقدوا ما تبقى من كرامتهم، فتحوّلت شخوصهم إلى كائناتٍ مشوّهة بلا

ملامح، وتبدّلت دولهم كيانات ممسوخة بلا معالم، ولم يكن الاستبداد والفساد في كل منظوماتهم الفكرية والسلطوية عنهم ببعيد.

الخلل في البُنية الفكرية للإنسان العربي الجديد إضافة لما سبق ناتج عن غياب الرسالة الحضارية للعرب في العصر الحديث بعد أن تخلّوا عن رسالتهم الوحيدة للبشرية وهي الإسلام؛ ذلك بأن الرسالة للأمة هي إرادة الحياة التي إذا ما امتلكها أمةٌ استجابَ لها القدر، فهي كالروحِ التي تسري في الجسد الهامد فتدبُ فيه الحياة، وكالماء الذي يجري في الأرض الميتة فيحييها اللهُ بعدَ موتها، والنور الذي يشع في الليل البهيم فيضيء للناس الظلام، والفكرة التي تلامس العقل الساكن فتفجر قدرات الإبداع الكامنة فيه، والطاقة التي تسير في المحرك الجامد فتتحوّل إلى قوة انتاج جبارة. وهذه الرسالة قد تتمثل في عقيدة دينية صحيحة أو باطلة، وفكرة قومية إنسانية أو متوحشة، وهدف وطني نبيل أو دنيء، ورؤية حضارية حقيقية أو زائفة. والعرب فقدوا أو كادوا كل هذا تقريباً، فلم يكن للعرب رسالة حضارية للبشرية غير الإسلام، الذي جعل للعرب دولة واحدة، وهوية جامعة، وحضارة أممية، ومعنى لوجودهم، وهدف لحياتهم، ولقد لخص ربعي بن عامر بعبقرية فذة كل ذلك لرستم قائد جيش الفرس قُبيْل معركة القادسية رداً على سؤاله "ما الذي جاء بكم؟" فأجابه:" لقد ابتعثنا اللهُ لنخرجَ العبادَ من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

إصلاح الخلل يحتاج إلى أكثر من إصلاح الذاكرة العربية، وفتح آفاق جديدة للحُلم العربي يحتاج إلى أكثر من فتح موقع ويكيبيديا باللغة العربية، فهو يحتاج إلى مشروع نهضة كبرى محاورها: التنمية والوحدة والاستقلال، وهذا لم يتم بدون رسالة حضارية، تمنح إرادة الحياة للعرب، تنطلق من الإسلام- رسالة العرب الوحيدة للبشرية- بمفهومه الحضاري الإنساني المنفتح على الحضارات الإنسانية دون الذوبان فيها. وتنطلق من العروبة كهوية قومية موّحِدة للعرب، ونهج سياسي تحرري، وثقافة جامعة تقدمية. وتنطلق من الوطنية المُعبّرة عن حب الوطن والدفاع عنه والسعي لتقدمه ورقيه، في إطار دوائر الانتماء الأوسع للوطن العربي والأمة الإسلامية والجماعة

البشرية. وفق منظومة في الفكر والحكم تتبنى القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان ومبدأ المواطنة، وتقوم على التنمية المعتمدة على الإمكانيات الذاتية، وتتصدى للاستبداد السياسي والتطرف الديني والتعصب... والأهم من كل ذلك تتبنى القضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة كي يتحقق مشروع النهضة كما قال الدكتور المُفكر الشهيد فتحي الشقاقي "بدون حسم الصراع على فلسطين فكل محاولات الأمة للنهضة والاستقلال ستُجهض، أو تُحاصر أو تدفع الأمة تكاليفها مضاعفة من التضحيات والزمن على السواء".

البُعد الوطني في الوثيقة السياسية للجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:

2019-7-7م

أصدرت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فبراير 2018 وثيقة سياسية تضمنت مُقدمة وأربعة محاور، حددت فيها تعريفها وهويتها وموقعها من فلسطين والأمة العربية والإسلامية، والوضع الدولي. والوثيقة مدخل وإطار فكري لمعرفة الفكر السياسي للحركة، ودراسة الفكر السياسي للحركة الإسلامية الفلسطينية، وهذه الوثيقة إضافة لوثيقة حركة حماس السياسية الصادرة عام 2017 تعتبران تطوراً مهماً وتعبران عن اتجاه البُعد الوطني للحركة الإسلامية الفلسطينية، خاصة في ظل الاتهامات المتكررة لها بأنها حركات (غير وطنية) مرتبطة بأجندات خارجية كالإخوان المسلمين وإيران. والحقيقة أن هذا الاتهام ينطلق من أرضية فكرية إقصائية تحتكر مفهوم الوطنية وفق خلفيتها السياسية. وهذا لا ينفي ضبابية المفهوم الوطني وضعف البُعد الوطني في أدبيات الحركة الإسلامية في الماضي، فمقارنة ميثاق حماس عام 1988 مع الوثيقة السياسية لحماس عام 2017 سنجد فرقاً واضحاً لصالح البُعد الوطني في الوثيقة في معظم بنودها ابتداءً من التعريف والهدف وحتى لغة الخطاب السياسي.

لم يكن البُعد الوطني غائباً عن أدبيات حركة الجهاد الإسلامي منذ البداية، رغم تأثر الحركة بالفكر السياسي الإسلامي التقليدي باعتبارها حركة إسلامية تأثرت بالإخوان المسلمين، فقد جمعت الحركة بين الإسلام كمنطلق ومرجعية، وفلسطين كقضية وهدف، والجهاد والمقاومة كوسيلة ونهج، وحلت التناقض الوهمي بين الانتماء الوطني لفلسطين، والقومي للوطن العربي، والديني للأمة الإسلامية. وأنهت الفصام النكد بين الإسلاميين والوطنيين، كما وضح ذلك مؤسس الحركة وأمينها

العام الأول الشهيد فتحي الشقاقي عندما أجاب على سؤال عن مبررات نشأة الحركة فقال: "وجود نقاط ضعف في المشروع الوطني الفلسطيني تتركز حول الأيديولوجية السياسية الوطنية نفسها التي استبعدت الإسلام من محتواها الفكري، في الوقت نفسه إشكالية الحركة الإسلامية التقليدية التي كانت غائبة عن المسألة الفلسطينية... فمن يحملون الإسلام لا يتوجهون إلى فلسطين، ومن يتوجهون إلى فلسطين (التيار الوطني) يستبعدون الإسلام من محتواهم الفكري والنضالي، أما نحن فقد اكتشفنا أنَ فلسطين تقع في قلب القرآن، وأنَ فلسطين آية من الكتاب، وأدركنا بهذا الفهم مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للحركة الإسلامية والأمة العربية والإسلامية".

وفي هذا السياق من الفهم يوضح الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور المجاهد رمضان شلح مفهوم الوطنية والمواطنة في كتاب (الأسس والمفاهيم الإسلامية) البند رقم (18) بالنص التالي : "الترابط بين الإسلام وبين الوطنية ترابط وثيق راسخ، فحب الوطن من الإيمان، والدفاع عنه أوجب وأعلى فرائض الدين، والمواطنة في الدولة المسلمة تسع المسلمين بإسلامهم وولائهم لجماعة المسلمين، وغير المسلمين بولائهم للدولة، والجميع يشكلون معاً مجتمعاً إسلامياً، والناس فيه سواء، إلا ما اقتضاه التميز الديني". وهذه نظرة متميزة لمفهوم الوطنية بالعقيدة والواجب الشرعي تجعل الدفاع عن الوطن واجباً شرعياً على كل مُسلم ومسلمة، والجهاد لتحرير الوطن إذا أُحتلَ فرض عين على كل رجل وامرأة، وأن إخراج المسلمين من ديارهم من أهم أسباب الجهاد في سبيل الله حتى العودة، وهي رؤية متقدمة لمفهوم المواطنة تنسجم مع (وثيقة المدينة) التي أعطى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم حقوقاً وواجبات تعاقدية متساوية لكل مواطني الدولة كشركاء في نظام سياسي واحد أطلق عليهم الأستاذ راشد الغنوشي اسم (أمة المواطنة) التي تربطها الحياة المشتركة وتساوي الحقوق والواجبات في بقعة جغرافية واحدة هي (الوطن).

يبرز البعُد الوطني للجهاد الإسلامي في الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي بدءاً بالتعريف وفي محاور وبنود الوثيقة، فالوثيقة تُعرف الحركة بـ "حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، هي حركة مقاومة فلسطينية، الإسلام مرجعها، وتحرير فلسطين

من الكيان الصهيوني هدفها، والجهاد سبيلها" ، وتحديد مجال عمل وجهاد الحركة (في فلسطين) ككيان وطني فلسطيني، واعتبار الحركة (حركة مقاومة فلسطينية) كجزء من حركات المقاومة الفلسطينية الوطنية، وتحديد هدفها (تحرير فلسطين) هو هدف وطني ينسجم ومرحلة التحرر الوطني. وتحت عنوان الهوية والانتماء يحضر البُعد الوطني في كل بنوده المؤكدة على: إعلاء قيمة الانتماء للوطن وللأمة، والتأكيد على المسؤولية الوطنية لواجب التحرير، وتحديد أولوية الحركة ومهمتها الرئيسة في تحرير فلسطين، وتكرار تثبيت هوية الحركة كحركة تحرير وطنية، ورؤيتها لنفسها كجزء من التيار الإسلامي العام في العالم دون تناقض مع القيام بواجب الجهاد والمقاومة في فلسطين، في إطار التكامل بين التزامها الإسلامي، واعتزازها بالهوية العربية والإسلامية، وبين انتمائها الراسخ للوطن واعتزازها بالهوية الوطنية.

وفي محور فلسطيني يتضح البُعد الوطني لحركة الجهاد الإسلامي في محور (فلسطين) وذلك من خلال تأكيد الوثيقة على وحدة الأرض الفلسطينية بحدودها التاريخية زمن الاحتلال البريطاني، ووحدة الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية بكل مكوناته العقيدية، وتياراته الفكرية، وقواه السياسية والنضالية... كجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني وكشركاء في الوطن والنضال الوطني. إلى جانب إخوانهم المسلمين الفلسطينيين. وتؤكد الوثيقة على وجود الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني المستمدة من عقيدة الشعب وتاريخه وتراثه وثباته في الأرض المباركة وكفاحه من أجل تحريرها. باعتبارها هوية متكاملة بمقوماتها الوطنية والعربية والإسلامية والإنسانية. وبناءً على وحدة الشعب الفلسطيني كشخصية وطنية متميزة فقد جاء في البند السادس تحت عنوان فلسطين الشعب "أية مشاريع أو برامج سياسية، تقوم على تجزئة الشعب الفلسطيني أو استبعاد أي جزء منه، أو المساس بمقومات شخصيته وهويته الوطنية، تُعد فاقدة للشرعية، ولا تمثل الشعب الفلسطيني، ولا تعبر عن إراداته.".

إن البُعد الوطني في الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي وأدبياتها الفكرية والسياسية هو جانب واحد فقط من الفكر السياسي للحركة، فقضية فلسطين – كما جاءت في الوثيقة – بما لها من قداسة في الدين، وعمق في التاريخ، وأهمية وإستراتيجية

وحضارية ليست قضية الشعب الفلسطيني وحده، أو قضية العرب وحدهم، بل هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية جمعاء... وترتبط بكل قضايا العرب والمسلمين، ولن يتحرر العرب والمسلمون من واقع التجزئة والتخلف والتبعية، وكل مشاكلهم، ما لم تتحرر فلسطين، فتغيير حال الأمة وتحرير فلسطين أمران متكاملان، يهيئ أحدهما تحقيق الآخر، فنهضة الأمة واستقلالها وتوحدها هو طريق تحرير فلسطين، والعمل على تحرير فلسطين هو السبيل إلى النهضة والوحدة.

ثرثرة غير وطنية

• **كُتب بتاريخ:**
11-7-2019م

رواية (ثرثرة فوق النيل) للأديب الكبير نجيب محفوظ، معظم أحداثها تدور في عوامة فوق نهر النيل، يجتمع فيها بعض المثقفين يومياً للهرب من الواقع البائس المُحيط بهم، إلى عالمهم الخاص المليء بالمخدرات والخمر والجنس والثرثرة الفارغة، فهم يرون أنَّ لا قيمة ولا حاجة لهم، وكما عبّر أحدهم "أن السفينة تسير بدون رأينا أو معونتنا، وأنَّ التفكير بعد ذلك لن يجدي شيئاً، وربما جرَّ وراءه الكدر وضغط الدم". في إحساس مُفرط بعدم القيمة واللاجدوى. الرواية نُشرت عام 1966 قبل النكسة لتُعبّر عن حالة الاغتراب التي يعيشها المثقفون في المجتمع المصري آنذاك، وكل مجتمع يحكمه نظام سياسي تُسيّطر عليه نخبة تحتكر السلطة والثروة، مما يدفعهم لترك كل شيء ليقرره الحكام؛ فيعيشوا حياتهم الخاصة بعد أن فقدوا القدرة على التأثير والتغيير، ومعها فقدوا معنى الحياة والانتماء للوطن والمعايير الأخلاقية.

الرواية تحوّلت إلى فيلم سينمائي بعد النكسة تم إنتاجه عام 1971، بعد نهاية عهد الناصرية بموت الزعيم جمال عبد الناصر، وبداية عهد الانفتاح بتوّلي الرئيس أنور السادات الحكم، وهو العصر الذي سماه الكاتب الصحفي أحمد بهاء الدين بعصر (السداح مداح)، للتعبير عن هيمنة الانفتاح الاستهلاكي، وتراجع الضوابط والمعايير السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفقدان القيم الوطنية والقومية، فجاء الفيلم مُعبّراً عن ذلك العصر بمزيدٍ من الإغراق في حالة اغتراب المواطن بشكل عام عن نظامه السياسي، واغتراب المثقف بشكل خاص عن نظامه السياسي ومجتمعه، فأصبح المثقفون أمام ثلاثة خيارات: إمّا الالتصاق بالنخبة الحاكمة كشركاء مستفيدين وإمّا مرتزقة متطفلين، أو الانفصال عن النخبة الحاكمة المستبدة الفاسدة ومقاومتها

ومن ثم دفع الثمن من قوتهم وحريتهم وربما حياتهم، أو الانعزال عن النخبة الحاكمة بدون مشاركتها أو مقاومتها وهي الحالة التي صورتها الرواية وجسدها الفيلم كنوع من الاغتراب السياسي للمثقفين العرب بشكل عام.

حالة الاغتراب التي يعيشها المثقفون العرب من غير الانتهازيين بنوعيهم: القلة الشركاء أو التُبّع الأذلاء تنطبق على حالتنا الفلسطينية المحكومة بالاحتلال الذي يتحكم بكل تفاصيل الحياة الفلسطينية، بما له من سيطرة على الأرض والشعب؛ فأصبح مصدراً للقهر والإحباط الرئيسي للفلسطينيين، أفراداً وجماعات وشعباً ويأتي بعد الاحتلال السلطة بقسميها: الواقعة تحت الاحتلال أو المُحاصرة من الاحتلال، ككيان سياسي وإداري مُسيطر على جزء من حياة الناس وما أعقبها من مناكفات سياسية وحياتية زادت منسوب القهر والإحباط في قلب وعقل المواطن الفلسطيني، وزادت مستوى الاغتراب السياسي عند المثقف الفلسطيني، وجوهره مجموعة من المشاعر والمدركات تتلخص في : انفصال المثقف عن النظام السياسي شعورياً وعقلياً، والعجز عن التأثير في تغيير مجرى الأحداث السياسية، وانعدام فهم المعنى السياسي لقرارات أولي الأمر، والإيمان بأنَّه (مفيش فايدة)، وسيطرة الإحساس بالقهر والمذلة، وفقدان الأمان والأمل، وضياع الطموح والحُلم.

هذه الحالة من الاغتراب السياسي يُجسدّها مجموعة من المثقفين التقيتُ بهم في استراحة معزولة قريبة من شاطئ بحر غزة، يجتمعون فيها اسبوعياً، بعضهم أصدقائي دعوني لأحد لقاءاتهم، ومنهم موظفو سلطة نصفهم على رأس عمله والنصف الآخر ليس على رأس عمله (مستنكف)، وكلاهما إما رواتبهم مقطوعة لمصلحة وطنية أو مخسوفة لأسباب اقتصادية ومصرفية. ومنهم أصحاب رأي في أحزابهم فضاقت بهم بما رُحبت فأبعدتهم إلى الظل وهامش الفعل، أو ضاقوا هم بأحزابهم فتركوها إلى أجل أو غادروها من غير أمل. ومنهم مثقفون مستقلون لكنهم حالمون وثرثارون ومشاكسون، أحلامهم وردية وثرثرتهم (غير وطنية) ومشاكستهم نكَدية. ووجه الشبه بين أهل العوامة وأهل الاستراحة (الشاليه) هي حالة الاغتراب السياسي واستخدام الثرثرة كوسيلة للهروب من الواقع البائس، أما وجه الاختلاف فهو لجوء أهل العوامة

للمخدرات والخمر والجنس للهروب ونسيان الواقع، بينما أهل الاستراحة اكتفوا بشرب الشيشة والشاي والتدخين وأحياناً الشواء على نارٍ هادئة.

ثرثرة أصحاب الاستراحة (غير الوطنية) كانت في مُجملها تأخذ طابعاً حاداً من النقد الذاتي وشمولياً بحيث يطال معظم الأمور انسجاماً مع المثل الشعبي "لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب" تحت تأثير حالة الاغتراب والسخط المهيمنة عليهم، فتحوّلت لنوعٍ من جلد الذات الوطنية. والجلد هنا يعني التركيز على السلبيات دون الايجابيات، ونقاط الضعف دون القوة، والإخفاقات دون الانجازات، فتزيد طينة الإحباط بلة من الإحساس بالخيبة والفشل والهزيمة، وهم بذلك لا يختلفون كثيراً عن إخوانهم المضخمين للذات الوطنية بالمبالغة في تعظيم وتكبير قوتنا وقدراتنا، والمبالغة في تحقير وتصغير قوة وقدرات العدو، والأدهى من ذلك هو تضخيم الذات الحزبية على حساب الذات الوطنية، وتعظيم الانجازات الحزبية على حساب الانجازات الوطنية.

وفي كل الأحوال فالجلد والتضخيم يتناقضان مع منهجية موضوعية هدفها التقييم كمدخل للتقويم والتصويب وتصحيح المسيرة الوطنية، والاستيقاظ من حالة الغفلة والضياع، كما لسان حال أحد ركاب العوامة عندما اكتشف أنَّ غفير العوامة قد فك سلاسلها فانطلقت هائمة على وجهها في النيل، فأراد أن يوقظهم من غفلتهم بصيحته عليهم (فوقوا.. فوقوا)، في إشارة إلى حتمية تحطيم اللامبالاة وعدم الاكتراث، وعدم الاستسلام للعجز والضعف ، وكسر حالة الانهزام والانكسار، فقد تصل نفس الرسالة (فوقوا فوقوا) لأولي الأمر من القادة فينهضوا معاً لاستعادة حُلم الشعب الفلسطيني بالتحرير والعودة والاستقلال.

مفهوم الأمة في الفكر السياسي للجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:
2019-7-15م

الأمة مصطلح سياسي يعني جماعة من الناس تربطهم جوامع مشتركة كاللغة والجنس والدين والثقافة والتاريخ والمصالح المشتركة وغيرها، لديهم قدر معين من الوعي بشخصيتهم المتميزة والمنفصلة عن الجماعات الأخرى، قد تجمعهم دولة واحدة أو موزعين بين عدة دول.

وقد اعتبر القرآن الكريم أنَّ المسلمين على اختلاف شعوبهم أمة واحدة بقوله تعالى "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" واستمر شعور المسلمين بأنَّهم أمة واحدة رغم تعرضهم للتجزئة الداخلية والغزو الخارجي حتى سقط آخر نظام سياسي لهم وهو الخلافة العثمانية، وتفكك الرابطة الإسلامية وتراجع الدين كناظم للأمة، وقد حاول المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني إحياء الروح للأمة الإسلامية من خلال فكرة الجامعة الإسلامية، مستنداً إلى الخلافة العثمانية، ولكن لم يتفق معه مصلح آخر هو عبدالرحمن الكواكبي الذي دعا إلى استعادة العرب لدورهم في حمل راية الإسلام ولم يرَ فصلاً بين العروبة والإسلام.

بتأثير الاستبداد السياسي العثماني، وسياسة التتريك، وتحت وطأة التحديات الاستعمارية الغربية والصهيونية، تقدمت العروبة كفكرة قومية جامعة للعرب على حساب فكرة الجامعة الإسلامية أو الأمة الإسلامية، وحمل لواء هذا الفهم الكثير من المفكرين المسيحيين العرب باعتبار العروبة القاسم المشترك بين المسلمين العرب، وظهرت فكرة فصل الدين عن القومية العربية وإلباسها ثوب العثمانية أو الاشتراكية عند قسطنطين زريق وساطع الحصري وغيرهم. ولكن مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ميشيل عفلق اعتبر أنَّ العروبة من غير الإسلام مفهوم سلبي ومن دونه

تبقى القومية العربية قالباً أجوفاً فارغاً، وأنَّ الإسلام هو المضمون الحي والثوري للقومية العربية، وفي تفسيره لشعار الحزب (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) اعتبر الإسلام هو رسالة العرب وإسهامهم في الحضارة الإنسانية، كما أنَّ جمال عبدالناصر في كتاب (فلسفة الثورة) اعتبر الإسلام قوة تحريرية وتوحيدية، وفي بيان مارس عقب النكسة اعتبر الإسلام قوة دافعة للصمود وتجاوز الهزيمة. غير أنَّ اصطدام التيارين: البعثي والناصري بالإسلاميين حفاظاً على السلطة أدى إلى إنزواء هذا الفهم إلى الظل والهامش.

وتأكيداً على هذا الفهم تحدث الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي وأمينها العام الأول في المؤتمر القومي الإسلامي المنعقد في بيروت عام 1994 قائلاً "ليس هناك من تلازم ضروري بين العروبة أو القومية العربية وبين العلمانية، فالعلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة حقيقة غربية لا تتطابق مع واقعنا العربي والإسلامي... العلمانية موقف منفصل عن الموقف القومي وليس داع لافتعال رابط لا أساس منطقي له... إن تجاوزنا مسألة العلمنة سنجد تداخلاً أوسع وأكبر بين العروبة والإسلام." وفي إطار رؤيته لمفهوم الأمة ربط بين نهضة الأمة الإسلامية وتحرير فلسطين، فبدون حسم الصراع على فلسطين فكل محاولات الأمة للنهضة والاستقلال ستُجهض، وربط بين الصراع مع التحالف الغربي الصهيوني والمسُ بجوهر وجود وهوية الأمة وقرارها المستقل، واعتبر أنَّ قوة الإسلام هي القوة الرئيسية التي ما زالت واقفة ومرشحة لمواصلة الصراع مع الغرب ومشروعه في الهيمنة والسيطرة على الأمة الإسلامية. فمن الواضح أنَّ مفهوم الأمة عند الشقاقي مرتبطاً بمواجهة التحدي الاستعماري الغربي ورأس حربته المشروع الصهيوني في فلسطين من خلال مشروع وحدة ونهضة شامل.

وأوضح الدكتور رمضان عبد الله شلح الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي رؤيته لمفهوم الأمة من خلال كتاب (الأسس والمفاهيم الإسلامية) انطلاقاً من الفكر السياسي الإسلامي الذي يعتبر الإسلام كعقيدة ومرجعية هو الناظم المشترك للأمة الإسلامية مع اختلاف لغاتها وأعراقها وطوائفها ومذاهبها، فقد جاء تحت عنوان

"وحدة الأمة": "الوحدة الإسلامية من الأهداف الكبرى في الإسلام، والمسلمون في دين الله أمة واحدة، جمعتهم إخوة الإسلام، على اختلاف أعراقهم وألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ومذاهبهم، ورفض التجزئة، ونبذ الفرقة والتنازع، وتحقيق التآلف والوحدة بينهم فريضة شرعية، وضرورة حياتية". وتحت عنوان خيرية الأمة قال: "الأمة المسلمة هي بشرط الإيمان، وفعل الخير، ومقاومة الشر، خير أمة أخرجت للناس، وشاهد عليهم بتبليغهم الإسلام بعد ختم النبوة، وبتمثلها لقيمة وأخلاقه السامية، وهذا ليس اصطفاءً عنصرياً لعرق أو لشعب مختار من دون الناس، بل لكل البشر إذا اتبعوا دين الحق ومنهج الله". ورغم وضوح مفهوم الأمة ووحدتها عند شلح على أساس الإسلام، لكنه لم يوضح شكل تحقيق هذه الوحدة إن كانت في نظام سياسي واحد كالخلافة أو مؤسسة جامعة للمسلمين أو أي شكل آخر، وذلك انسجاماً مع الواقع المتغير للأمة.

وانسجاماً مع رؤية مفهوم الأمة للأمينين العامين للحركة الأول والثاني جاءت الوثيقة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين المنشورة في فبراير 2018 لتؤكد على التلازم بين العروبة والإسلام ولتُنهي التناقض الوهمي بين دوائر الانتماء الثلاث: الوطنية الفلسطينية، والقومية العربية، والأمة الإسلامية، فقد جاء تحت عنوان (الهوية والانتماء)، أهمية إعلاء قيمة الانتماء للوطن والأمة، والارتباط الشعوري بالأمة والعضوي بالوطن، وتحت عنوان (فلسطين) أكدت على أنَّ أرض فلسطين جزء من الوطن العربي والإسلامي الكبير، وللأمة العربية والإسلامية حق طبيعي وديني وتاريخي فيها، واعتبرت أنَّ الشعب الفلسطيني جزء أصيل وحيوي من الأمة العربية والإسلامية، كما اعتبرت أنَّ المسيحيين الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وربطت بين الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني والانتماء للأمة العربية والإسلامية، والوثيقة وسّعت مفهوم الأمة الإسلامية ليشمل جميع الأنبياء بما فيهم أنبياء بني إسرائيل واتباعهم باعتبارهم مسلمين موّحدين، وبذلك تُعطي بُعداً مختلفاً للحق الديني والتاريخي في فلسطين. ومن الواضح أنَّ الوثيقة ربطت دائماً بين العرب والمسلمين من خلال تكرار عبارة (الأمة

العربية والإسلامية) اعتبار العرب جزء مهم وأساسي من المسلمين، ودون الدخول في جدل العلاقة بين مفهومي: القومية العربية والأمة الإسلامية، وانسجاماً مع التلازم بين العروبة والإسلام.

خلاصة فكر الحركة السياسي لمفهوم الأمة ينطلق من كونها حركة وطنية بمرجعية إسلامية، فالمرجعية الإسلامية بقواعدها الكلية الموّحدة للأمة هي الجامع والناظم للأمة الإسلامية بكل أعراقها ولغاتها وشعوبها ومذاهبها... وأنَّ الانتماء للأمة العربية هو جزء من الانتماء للأمة الإسلامية في إطارها الأوسع، وأن لا تناقض بين العروبة والإسلام، فالعروبة كقومية إطار جامع مضمونه الإسلام، والإسلام هو رسالة العرب وإسهامهم في الحضارة البشرية. وأنَّ الانتماء للوطن فلسطين هو جزء من الانتماء للإطارين الأوسع وهما الوطن العربي والأمة الإسلامية، وتؤمن الحركة بأنَّ القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة، باعتبار أنَّ المشروع والكيان الصهيوني هو مركز المشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة الإسلامية، وأنَّه لا يمكن تحقيق وحدة ونهضة واستقلال الأمة بدون التصدي لهذا المشروع الاستعماري في مركزه وحسم الصراع في فلسطين لصالح الأمة الإسلامية.

الخطأ والإهمال الطبي ولجان التحقيق الوهمية

• كُتب بتاريخ:

2019-7-18م

قال الإمام محمد إدريس الشافعي - ثالث الأئمة الأربعة- صاحب المذهب الشافعي عن مهنة الطب "إنما العلمُ علمان: علم الدين وعلم الدنيا، فالعلم الذي للدين هو الفقه، والعلم الذي للدنيا هو الطب... ولا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب" فرحمَ اللهُ الإمامَ الشافعي بما ألهمهُ اللهُ تعالى من حكمة عرف بها مكانة مهنة الطب وأهمية دور الطبيب؛ هذه المكانة وهذا الدور لا يتسق مع وضع الطب وحال الأطباء وكل العاملين في مجال الصحة بقطاع غزة، فأوضاعهم مُزرية، وأحوالهم بائسة، وحياتهم متعسّرة، فرواتبهم مقطوعة ومتدنية للغاية مقارنة بإخوانهم في دولة الضفة الغربية، والإمكانيات المُتاحة لهم متواضعة ومحدودة ومتآكلة، ويمارسون عملهم في بيئة صحية كئيبة أفرزها الاحتلال والحصار والانقسام والعقوبات والمناكفات.

رغم ذلك فالأطباء والطواقم المساعدة لهم يمارسون عملهم النبيل تحت الضغط بعزيمة جبارة، وجدارة استثنائية، مدفوعين بالشعور بالواجب الإنساني والوطني والمهني والأخلاقي تجاه شعبهم وأهلهم، لا سيما في أوقات الحروب والأزمات وتحت القصف والنار، وقد حققوا إنجازات طبية تتجاوز الحصار وغياب الرواتب أو تدنيها. وسط ظروف عمل شاقة، وجهود استثنائية للعناية بالمرضى، كما أثبتوا نجاحهم في إجراء عمليات دقيقة ومُعقّدة في مستشفيات القطاع، رغم محدودية الإمكانيات والميزانيات التشغيلية ونقص الدواء. وهذا كله لا يعني ولا يُبرر تجاهل الخلل الموجود في المنظومة الصحة بقطاع غزة، هذا الخلل يظهر في أحد أهم وجوهه مُمثلاً بالأخطاء الطبية المتكررة الناتجة عن الإهمال والتقصير والتهاون والتكاسل، أو عدم إتباع الإجراءات الطبية بشكل غير مسؤول بالفعل أو الترك.

الأخطاء الطبية الناتجة عن الإهمال والتقصير وغيرها سببت أضراراً خطيرة للمرضى وصل بعضها للإعاقة الدائمة وبعضها الآخر للموت، وآخرها- حتى كتابة هذا المقال- قصة الفتاة الفقيدة إسراء عمار ذات الواحد والعشرين ربيعاً، التي توفيت في أحد المستشفيات الحكومية بالقطاع بعد ثلاثة أيام من زفافها لعريسها، والتي استناداً إلى رواية أهلها تعرّضت لسلسة أخطاء طبية وإهمال طبي رافقها منذ دخولها للمستشفى صباح الجمعة وحتى وفاتها في ساعة متأخرة من الليل، وتفاصيل ذلك من تأخير في الفحص وتقديم العلاج وإدخالها العناية المُركزة وتقديم جُرعة زائدة من العلاج، ليست هي المهمة في هذا المقام... فقد يكون ذنب إسراء أنها بنت ناس عاديين (مش مهمين) لم يستطيعوا إحضار واسطة معهم إلى المستشفى، وعندما تمكنوا من إحضارها كان الوقتُ متأخراً، وقد يكون ذنبها أنها مرضت يوم الجمعة ومعظم الأطباء في إجازة، والمنابون منهم (مزوغين ومفلسعين) أو (مريحين ونايمين)، أو (بيشتغلوا على قد الراتب).

الموضوع لم يقف عن هذا الحد من الإهمال الطبي، فتعامل وزارة الصحة الفلسطينية مع مثل هذه الحالات غير المهني وغير الإنساني هو الأهم والأخطر في هذا المجال، فبعد تسرّب قصة الفقيدة الشابة العروس إسراء عمار إلى الإعلام اضطرت الوزارة إلى إصدار بيان صحفي هو في حد ذاته أسوأ من الخطأ والإهمال الطبي الذي حدث- حسب رواية الأهل- فالبيان اتخذ طابعاً تبريرياً دفاعياً، وكأنه أراد أن يقول بأن الفتاة تستحق الموت لأنها مريضة مُسبقاً، مع أن والدها أكدَ أن أعراض المرض لم تحدث لها منذ ثلاث سنوات. والبيان يُعلن بأنَ "الوزارة قامت بتشكيل لجنة للتحقق من سلامة الإجراءات الصحية التي تمت"، بعد أن وضح البيان نتيجة التحقيق مسبقاً بتبرئة المستشفى من أي مسؤولية ناتجة عن خطأ أو إهمال طبي، وأصبحت لجنة التحقيق التي أعلن البيان تشكيلها لا قيمة لها، فالنتيجة معروفة مسبقاً، واللجنة أخذت توجيهاً مسبقاً من الوزارة التي شكلتها بمسار التحقيق ونتيجته.

وإصلاح منهجية التعامل مع لجان التحقيق في المؤسسة الصحية الفلسطينية وكل المؤسسات الحكومية والأهلية مُقدمة لإصلاح المنظومة الصحية وغيرها من المنظومات

في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية. وهذا ينطبق على لجنة التحقيق المُشكّلة "للتحقق من سلامة الإجراءات التي تمت" بعد وفاة الفقيدة إسراء، فتشكيل اللجنة لم يتم بناء على رغبة حقيقية لإصلاح الخلل في المنظومة الصحية لتفادي تكرار مثل هذه الحوادث؛ بل تم تشكيلها استجابة لضغط الأهل والإعلام والرأي العام، ويتم تشكيلها بعد إصدار بيان صحفي من الوزارة يُبرر الخطأ، ويُدافع عن المهملين، ويحوّل التقصير إلى إنجاز، فتكون مهمة لجنة التحقيق هي تأكيد صحة بيان الوزارة فقط، إن لم يكن هدفها تمويت الموضوع وتبرير القضية. عملاً بالقول المعروف عند أنظمة الحكم البيروقراطية المتخلفة (إذا أردت لقضية أن تموت فشكّل لها لجنة).

وإذا تركنا اللجان في بلدان العربان إلى اللجان في بلاد الألمان والأمريكان، ومن شابهم وسار على درب التقدم والتطور من بلاد الهند والسند، نجد أنَ للجان التحقيق مهاماً ووظائف أسمى وأرقى، بعيداً عن تمويت المواضيع وتبريد القضايا، لعل أهمَها وفي مقدمتها وضع اليد على مكمن الخلل وأساس الخلل، ليس لتغطيته وتخبئته، بل لكشفه وإصلاحه، ومعرفة نقاط الضعف لعلاجها، ونقاط القوة لتعزيزها، واستخلاص العبر والدروس، ومكافئة المنجزين ومعاقبة المقصرين... وصولاً إلى إصلاح المنظومة بأكملها كي لا يتكرر الخطأ ولا يتراكم الخلل، وبدون ذلك ستظل لجان التحقيق عندنا وهمية خادعة لا تسمن ولا تغني من جوع.

المرأة في الفكر الاجتماعي للجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:
2019-7-21م

ظُلمت المرأة في المجتمعات العربية بين تيارين متناقضين: أحدهما مستورد من الثقافة الأوروبية الغربية، يذهب باتجاه تحرير المرأة وفق نموذج الحضارة الغربية المعاصرة بنزعته العلمانية المتطرفة، هذا التيار يريد تحرير المرأة العربية المسلمة من الإسلام والفطرة. وثانيهما مُستجلب من عصر الانحطاط العربي أُعيد إنتاجه في إحدى الصحراوات العربية القاحلة، يذهب باتجاه تقييد المرأة وفق النموذج الصحراوي المتطرف بعد ارتدائه الثوب الإسلامي، هذا التيار يريد تقييد المرأة العربية المسلمة بالإسلام والشرع. وبين هذين التيارين المتناقضين المتطرفين يقف النموذج الإسلامي الوسطي الحضاري الذي يهدف إلى تحرير المرأة بالإسلام وليس من الإسلام، ويسعى لعتق المرأة من الظلم وليس من الفطرة. هذا النموذج الحضاري هو ما يميز الفكر الاجتماعي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وهذا واضح من خلال وثائقها وأدبياتها الأساسية التي نستعرض جزءاً منها.

الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي نشر في مجلة المختار الإسلامي العدد العاشر إبريل عام 1980 مقالاً بعنوان (المرأة المسلمة: تيار جديد.. مهام جديدة) وضح فيه رؤيته للمرأة وفق النموذج الحضاري الإسلامي، وانتقد تيار التغريب الذي يسعى إلى تعليم المرأة بناء على قواعد الفكر الغربي العلماني بدلاً من الفكر الإسلامي. وانتقد دعوات نزع خمار المرأة تمهيداً لنزع حجابها ثم تعريتها تماماً، بينما الإسلام بمعظم فقهائه يرون في الحجاب وليس الخمار (النقاب) هو الزي الشرعي للمرأة. ورأى في الهجمة الغربية المستهدفة للمرأة أهم جوانب الهجمة الغربية على المجتمع المسلم، لتفقد المرأة أنوثتها ثم إنسانيتها ثم كرامتها ودينها، وينتهي الأمر بتدمير البيت المسلم

والنشء المسلم والمجتمع المسلم بأكمله. ودعا إلى مساواة المرأة بالرجل ولكن ليس على الأسس الغربية، ولكن المساواة المضبوطة بالشرع والفطرة. فلكل من الرجل والمرأة مجاله وتخصصه وإمكانياته، والإسلام وحده هو الذي يقدم الفرصة المناسبة المتكافئة لكل منهما في إطار قدراته الجسمية والنفسية التي فُطر عليها.

الشهيد الشقاقي في رؤيته لمكانة المرأة ودورها في المجتمع يرى أن أمامها مسؤوليات ذاتية وأخرى موضوعية، فالمسؤوليات الذاتية تتعلق ببناء الذات الإسلامية كنموذج حي يتحرك اتجاه الوصول إلى رضى الله سبحانه وتعالى لتصبح قدوة تُحتذى أمام الآخرين. وتتعلق كذلك بأهمية الوعي بالإسلام والالتزام به، ليكون الإيمان والوعي لدى المرأة أهم عوامل الصمود والمقاومة أمام الضغوط والإغراءات من حولها، ولا بد للمرأة المسلمة كما الرجل المسلم تمثل مفاهيم الأصالة والانتصار والفعالية والإيجابية في تحركهم الاجتماعي. والمسؤوليات الموضوعية تتلخص في فهم المرأة لقضية التحدي الذي تواجهه الأمة باعتباره أول خطوات تجاوز هذا التحدي الذي يريد تدمير إسلام المرأة كمقدمة لتدمير المجتمع المسلم، لذلك ركز على دور المرأة في مختلف المجالات، أهمها: مقاومة السياسات التربوية والتعليمية غير الإسلامية، واقتحام مجال العمل دون الإخلال بضوابط الشرع والفطرة، ومشاركتها في كافة مجالات العمل الاجتماعي التطوعي الخيري في مختلف ميادينه لنقترب من الجماهير وآلامها تمهيداً لترشيدها.

الدكتور رمضان شلح الأمين العام الثاني لحركة الجهاد الإسلامي في كتابه (الأسس والمفاهيم الإسلامية) المنشور في فبراير 2018 كتب تحت عنوان (المرأة) ما يُعبر عن النموذج الإسلامي الحضاري استكمالاً لفكر الشقاقي الاجتماعي حول المرأة "النساء شقائق الرجال، وقد أرسى الإسلام العدل والمساواة بينهما في الإنسانية والكرامة، وفي التكليف الشرعي، وحض على حفظ حقوق المرأة وواجباتها الفردية والاجتماعية، وضمان مشاركتها في بناء المجتمع، والجهاد للدفاع عن الوطن، وذلك في حدود الضوابط والآداب الإسلامية". هذه الفقرات تُلّخص الفكر الاجتماعي في نظرته للمرأة مرسخة مبدأ المساواة بين المرأة والرجل في الإنسانية والكرامة والتكليف

الشرعي، ومبدأ التوازن بين واجبات المرأة وحقوقها على المستويين الفردي والاجتماعي، ومبدأ المشاركة الفاعلة للمرأة الصادرة عام 2013، وفيها " يتأسس وضع المرأة في الإسلام على المساواة مع الرجل سواء في مكانتها الإنسانية، أو من حيث عضويتها في المجتمع، وتقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المسؤولية المشتركة... وللمرأة حقوق سياسية واقتصادية مساوية للرجل."

وفي (الوثيقة السياسية) لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الصادرة في فبراير عام 2018 جاء تحت عنوان (قضايا ومهام وطنية) في البند الرابع ما نصه " تعزيز الدور النضالي للمرأة، ورفع مستوى مشاركتها في المقاومة، وفي العمل الوطني والإسلامي، والتأكيد على حقوقها وواجباتها، وتحقيق كرامتها ومكانتها في المجتمع، ركيزة أساسية تمد مشروع المقاومة والتحرير بأهم أسباب القوة والاستمرار." وهذا يدل بوضوح على البُعد النضالي للمرأة ، وهو تطور مهم في الفكر السياسي والاجتماعي للحركة الإسلامية الفلسطينية، فقد ربطت الوثيقة السياسية للحركة بين تعزيز الدور النضالي للمرأة ومشاركتها الفاعلة في المقاومة والعمل الوطني والإسلامي بتقدم مشروع المقاومة والتحرير واعتبر هذا الدور النضالي والمشاركة في المقاومة والعمل الوطني من أهم أسباب القوة والاستمرار. والوثيقة لم تغفل أهمية علاقة نيل المرأة لحقوقها وتحقيق كرامتها ومكانتها الاجتماعية بانجاز مشروع التحرير والعودة والاستقلال في علاقة جدلية تربط بين التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي.

وهكذا نجد أنَ المرأة في الفكر الاجتماعي للجهاد الإسلامي مستمد من النموذج الإسلامي الوسطي الحضاري بعيداً عن التيارين المتطرفين - الغربي والصحراوي- وتوضيحاً وتلخيصاً لهذا الفكر اقتبس هذا الجزء من مقال سابق لكاتب هذا المقال نُشر قبل عامين بعنوان (المرأةُ تُوأدُ من جديد) جاء فيه "... إن قيمة المرأة في ذاتها كإنسان قبل كل شيء، فهي قيمة في حد ذاتها كإنسان له ذات مستقلة تتساوى مع الرجل في القيمة والكرامة الإنسانية، كما تتساوى معه في المسؤولية والتكاليف الشرعية (الجزاء والعقاب)، وتعارض الرجل في الجنس الذي يفرض بعض الوظائف المختلفة على كلا الجنسين. والخلاصة كي لا تُوأدُ المرأة من جديد لا خيار أمامنا سوى التصدي

لنمطي الثقافة المتقابلتين: ثقافة إنَ المرأة عورة كلها ينبغي سترها وحجبها، فتُدفن حية فوق التراب بعد أن كانت تُدفن تحت التراب في الجاهلية، وثقافة مقابلة لا ترى في المرأة أي عورة ينبغي سترها وحجبها، فتُدفن حية أيضاً فوق التراب. لكنه تراب الحضارة المتقدمة وغبار التحرر الراقي".

الفكر الإسلامي والقيود الأربعة

• كُتب بتاريخ:
2019-7-25م

كتب الفيلسوف الانجليزي (فرانسيس بيكون) في القرن السادس عشر الميلادي كتابه الشهير (الأورغانون الجديد) أو المنطق الجديد، في محاولة لإصلاح منهج البحث العلمي، ليكون مرتبطاً بالملاحظة والتجربة، ورأى أن الخطوة التي تسبق ذلك هي إزالة المعوّقات التي تباعد بين الإنسان والحقيقة، وهذه المعوّقات عبارة عن أوهام أشبه بالأصنام حبس الإنسان عقله فيها، لا يُمكن إزالتها إلاّ بتحرر العقل البشري منها، وصنفها بيكون في أربعة أنواع من الأوهام، هي: أوهام القبيلة والكهف والسوق والمسرح. وإذا كانت هذه الأوهام قد تبددت والأصنام قد تحطمت في أوروبا، فسمحت لعصر النهضة والثورة الصناعية والتقدم العلمي بالانطلاق في مختلف المجالات، فإن هذه الأوهام وتلك الأصنام لم تتبدد أو تتحطم في العالم العربي بعد، وإضافةً لها فقد صنعنا أوهاماً خاصة بنا لا زالت تُقيدنا بقضبان الجمود الفكري، وتضع أغلال التعصب المذهبي على عقولنا.

أول هذه القيود الخلط بين الإسلام والفكر الإسلامي. فالفكر الإسلامي ليس هو الإسلام، الإسلام بمفهومه الواسع هو دين الله تعالى الذي نزلت به كل الرسالات السماوية وبكل اللغات التي يتكلم بها الأنبياء في كل زمان ومكان، وبمفهومه الخاص هو الوحي الإلهي في كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة الذي نزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . أما الفكر الإسلامي هو فهم علماء المسلمين للإسلام واجتهاداتهم وآرائهم فيما لا نص فيه أو في النص الذي يقبل الاجتهاد وبهذا المعنى للإسلام والفكر الإسلامي، أو للدين والفكر الديني، فإن الدين الإسلامي ينتمي إلى مطلق الصحة، والفكر الإسلامي نسبي الصحة يؤخذ منه ويُترك، والخلط بينهما متعمد يُراد منه إضفاء قداسة على فكر أو مذهب يحتمل الصواب والخطأ. ومن أمثلة

ذلك الرأي أو المذهب الذي يعتبر ارتداء المرأة للنقاب المُغطي للوجه قطعي الثبوت والدلالة وكأنه نص ديني مُقدس لا يجوز الخروج عليه أو مخالفته إلى رأي أو اجتهاد آخر كارتداء الحجاب الذي يكشف الوجه واليدين للمرأة، وهذا النمط من التفكير هو من أهم أسباب التكفير الذي يتبعه التقتيل لا محالة.

ثاني هذه القيود هو الخلط بين التاريخ الإسلامي والإسلام، فالتاريخ الإسلامي ليس هو الإسلام، التاريخ الإسلامي هو وعاء الحياة الإسلامية العملية في تطبيقها للإسلام (القرآن والسنة)، وهذا التطبيق قد ينسجم مع الإسلام بالكامل أو يتناقض معه بالكامل، وبينهما درجات متفاوتة من الانسجام والتناقض. وهذا التاريخ فعل بشري غير معصوم من الخطأ، فالذهاب نحو تمجيد التاريخ الإسلامي لدرجة إضفاء طابع القداسة عليه خطأ، كما أن الذهاب نحو تحقير التاريخ الإسلامي لدرجة إضفاء طابع الدناسة عليه خطأ، والدفاع عن التاريخ الإسلامي وكأنه دفاع عن الإسلام ناتج عن هذا القيد الذي يخلط بين الإسلام والتاريخ الإسلامي. كما أن جعل أحداث التاريخ الإسلامي مصدراً للأحكام الشرعية خاصة في مجال الحكم كإجازة (إمارة التغلب) في الفقه الإسلامي من منطق تبريري رضوخاً للواقع الخطأ تحت مبررات الحفاظ على الدم والاستقرار وخوفاً من الفوضى والفتنة. كما أن الخوف من مناقشة ودراسة أحداث الفتنة الكبرى بين الصحابة خوفاً من تحطيم القداسة المرسومة حول جيل الصحابة رضوان الله عليهم يدخل في إطار هذا القيد الكبير.

ثالث هذه القيود هو قيد (أهل السنة والجماعة) باعتبار المصطلح بديلاً عن مصطلح (الأمة الإسلامية)، فهذا المصطلح ليس له قداسة دينية، ولم يرد في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ولم يُستخدم في صدر الإسلام، بل ظهر في عصور متأخرة، ربما في منتصف العصر العباسي، وارتبط ظهوره بالصراعات السياسية على السلطة، والصراعات الفكرية على تمثيل الإسلام. وأُطلق في معناه العام على جمهور المسلمين وغالبيتهم الذين أقروا بخلافة الخُلفاء الراشدين الأربعة، والتزموا بطاعة خلفاء الدولتين الأموية والعباسية ومن بعدهم العثمانية تمييزاً لهم عن الخوارج والشيعة في الدائرة الإسلامية، وفصلاً لهم عن الفرق الضالة المنحرفة خارج الدائرة الإسلامية. أما في المعنى الخاص فقد تنازع على المصطلح مذاهب ومدارس وتيارات شتى داخل

الدائرة السنية كالتيار السلفي المرتبط بالمذهب الحنبلي ومدرسة ابن تيمية، والتيارين الأشعري والماتريدي اللذان ارتبطا بالمذاهب الشافعية والحنفية والمالكية في الفقه. وللخروج من هذا القيد لا بد من توسيع مفهوم (أهل السنة والجماعة) ليشمل كل المذاهب الإسلامية أو يتم إستبداله بمفهوم (الأمة الإسلامية) الذي يضم كل المسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم وأعراقهم وشعوبهم.

رابع هذه القيود عبارة (لا اجتهاد مع النص) فهذه العبارة صحيحة، ولكن مع النص قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، كقوله تعالى " وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" فلا مجال للاجتهاد فيها، وقوله عليه الصلاة والسلام "البينة على المدعي، واليمين على من أنكر"، ولكن يجوز الاجتهاد مع النص ظني الثبوت وظني الدلالة أحدهما أو كلاهما، فآيات القرآن الكريم كلها قطعة الثبوت ولكن ليس كلها قطعية الدلالة، فقوله تعالى " وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" فالقرء يعني الطهر أو الحيض، أما أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد تكون قطعية أو ظنية الثبوت، وقد تكون قطعة أو ظنية الدلالة. ووفق هذا الفهم لعبارة (لا اجتهاد مع النص) يمكن القول أن هناك اجتهاد فيما لا نص فيه قياساً على ما فيه نص، وبذلك يكون الفهم الناتج عن الاجتهاد العقلي للنص ليس هو النص بل فهمنا البشري للنص، وبالتالي غير مقدس، وغير مُطلق بل نسبي يقبل الصواب والخطأ ويجوز فيه الاختلاف، وهذه المرونة هي التي تجعل الإسلام صالحاً لكلِ زمان ومكان.

خلاصة الحديث عن القيود الأربعة أنَ تدرك أن الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام؛ بل فهم العقل البشري للإسلام، وأنَ التاريخ الإسلامي ليس هو الإسلام، بل وعاء الحياة الإسلامية العملية في تطبيقها للإسلام، وأنَ ما يُعرف بأهل السنة والجماعة ليسوا هم الأمة الإسلامية؛ بل مفهوم ناتج عن الصراعات السياسية والفكرية داخل الأمة، وأنَ عبارة لا اجتهاد مع النص تنطبق على نوع محدد من النصوص، ولكن هناك نصوص شرعية تقبل الاجتهاد ويجوز فيها الاختلاف ضمن ضوابط شرعية ولغوية محددة. فإذا تخلصنا من هذه القيود الأربعة فإنَ ذلك يزيل بعض عقبات الجمود الفكري عندنا.

ماذا دار في عقل انتحاريي غزة قُبيل التفجير؟!

• كُتب بتاريخ:

2019-8-31م

أن نشاهد جرائم التفجير الانتحارية في الدول العربية المجاورة شيء، وأن تحدث عندنا في فلسطين شيءٌ آخر، في الحقيقة هي ليست شيئاً آخر، نحن الذين استبعدنا حدوث ذلك عندنا لأننا لا نريده أن يحدث عندنا ولنا، أو هكذا أوهمنا أنفسنا على الاقل، فلسنا بدعاً من الشعوب والمجتمعات، فالظاهرة التكفيرية طالت الجميع، ولا يمنع وصولها إلينا أننا شعبٌ مقهور مُحتل مقاوم، وها هو يخرج من بيننا من يُفجّر نفسه في نفسه الآخر... على كل حال هذا ما حدث بالفعل، وهذه هي الحقيقة المُرة، التي حدثت في عمليتي التفجير الأخيرة في نقطتي الشرطة الفلسطينية بمدينة غزة.

هذا ما حدث عندما أقدم انتحاريان (فلسطينيان) باقتحام حاجزين للشرطة وفجرا نفسيهما بأفراد الشرطة، بعد أن نظروا في أعينهم ورأوا ملامح وجوههم، فعرفوا أنهم يحملون نفس لون العيون، ونفس ملامح الوجوه، ويتحدثون نفس لغتهم ولهجتهم، وينتمون لنفس الدِين والوطن، وبعضهم يسكن نفس حارتهم، ولو صبروا قليلاً لأدركوا أنهم شربوا من نفس الماء المخلوط بالبؤس والتعس، وأكلوا من نفس الخبز المغموس بالقهر والفقر، واستنشقوا نفس الهواء الهارب من قيود الاحتلال والحصار والعقوبات. ولو تريثوا بعض الوقت لعرفوا أن القاتل والمقتول هما ضحية لفكر ظلامي أسود متوّحش كانا هما آخر حلقاته الدموية.

تلك الحلقات الدموية في مسلسل الدم الطويل يتم انتاجها في معملين، أحدهما معمل لانتاج الفكر التكفيري الأسود الممتد في خط انتاجه من مقولات تراث عقيم ضار كُتب بماء الفتنة ومداد الدَم على صفحات التاريخ الصفراء المليئة بفتاوي التكفير والتقتيل منذ أول التاريخ الإسلامي في عهد الفتنة الكُبرى وحتى تفجيري

غزة، والمعمل الثاني معمل أمني يُرّكب التكفير على التقتيل والتفجير بواسطة تكوين المجموعات التكفيرية المجنونة، هذا المعمل موجود في أروقة المخابرات المُعادية التي يتوّلى كبرها أجهزة الأمن الإسرائيلية في تل أبيب ومن دار في فلكهم.

وفي كل الأحوال من المفيد أن نعرف ولا بد من الاجتهاد في البحث عما دار في عقل الانتحاريين قبيل التفجير الأسود.

ربما دار في عقل انتحاريي غزة وهم امتلاك اليقين الكامل واحتكار الحقيقة المطلقة وحيازة حصرية للدين يمنحهم شعوراً مريضاً بالأفضلية والتميز، وإحساساً خادعاً بالتفوّق والاستعلاء... يتطور إلى مركب من العُجب والكبر، فينتهي بهم المطاف إلى الغرور واحتقار ما عداهم من البشر، ويتحوّل الاحتقار إلى حقدٍ وضغينة، رغبةً في الانتقام وهوس في سفك الدماء، تحت غطاء شرعي يُخرج غير المسلمين من دائرة الإنسانية، ويُخرج المسلمين المُخالفين من دائرة الإسلام.. فصدّق عليهم إبليس ظنهُ، وزيّن لهم الشيطانُ سوء أعمالهم، وجمّل لهم شر معتقداتهم، وأغراهم باتخاذ فتاوي جُهّالهم ديناً يُتبّع، وأهواء سفهائهم آلهة تُعبد.

ربما دار في عقل انتحاريي غزة أنهما يُمثلان الفرقة الناجية الوحيدة في الأمة، في استنساخ مشوّه لعقيدة شعب الله المختار عند اليهود، لينتجا معاً أصل الحقد ومنبع الكراهية وأم الجرائم، ممثلة في تقديس الذات واحتقار الآخر، فيتم نزع الصفة الانسانية عن الآخرين باعتبارهم كفاراً أو (غوييم) ووضعهم في مرتبة أدنى من البشر وأعلى من الحجر، ليسهل قتلهم وإراقة دمائهم وإزهاق أرواحهم، ولم لا؟ أليست عقيدة الفرقة الناجية هي المسؤولة عن إزهاق أرواح ملايين البشر على مدار التاريخ البشري، ثم أليست هذه العقيدة هي المسؤولة عن سفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل وانتشار الفساد في البر والبحر على مدار التاريخ ومنذ بدايته.

ربما دار في عقل انتحاريي غزة بأنهما امتداد لـ (جماعة المسلمين) ممثلة بالخوارج ومن سار على دربهم وسلك نهجهم، الذين ابتدعوا جريمة تكفير المسلم، فقادهم ذلك إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح، واستباحة الأعراض، وسرقة الأموال، فحملوا

متلازمة التكفير والتقتيل، فذهبت سنة شريرة وبدعة آثمة إلى يومنا هذا، فتوّلى كبرها الفُجّار، وحملها الأشرار، ونفذها الأغرار، فسوّلت لهم أنفسهم قتل الخليفة الراشد الرابع باعتباره من الكفار والأشرار، وتبعهم دعاة على أبواب جهنم اعتبروا فتاويهم هي الإسلام نفسه، واجتهادهم هو الدين ذاته، بدلاً من آيات القرآن وأحاديث النبي العدنان.

ربما دار في عقل انتحاريي غزة أنهما ينفذان عقيدة ترى أولوية قتال المرتدين على الكفار الأصليين من الأعداء المحتلين لفلسطين وبيت المقدس، تطبيقاً لفتوى خليفتهم البغدادي القائل "... فوالله لقتل المرتدين أحبَّ إليّ من قتل مائة رأس صليبية" والذي استند في فتواه على فتوى ابن تيمية بأن قتال المرتدين مُقدم على قتال الكفار الأصليين، وفي حالتنا الفلسطينية فإن المرتدين هم كل المجتمع بما فيهم أفراد الشرطة الفلسطينية ويدخل في معيتهم فصائل المقاومة الفلسطينية، وكل من سار على طريقهم واتبع نهجهم في النضال والجهاد أو اتبع دربهم الصمود والجهاد والمقاومة.

وربما لم يكن في عقل انتحاريي غزة أي شيء من ذلك سوى أنها عقول غُيّبت عن الوجود والشهود، وفُرّغت من المعنى والمبنى، فأصبحت أوعية فارغة وأجهزة صماء يُوضع فيها ما يريده مُرسلهم ومشغلهم وموجههم بهدف انتاج فتنة مُخطط لها لايقاع قطاع غزة بشعبه ومقاومته في أتون حرب دموية وفتنة داخلية تكون نُسخةأخرى لما يحدث في بلدان عربية مجاورة، بعد أن فشلت كل محاولات الاحتلال والحصار والإفقار في تركيع الشعب الفلسطيني في غزة وإخضاعه لإرادة الاحتلال ودفعه للتسليم بما يُريده المحتل، فأرادوا من خلال ذلك تحقيق ما عجزت الحروب المتتاليية والحصار المتواصل عن تحقيقه.

وفي الختام ومهما كان المضمون الذي حمله هؤلاء المجرمون الانتحاريون داخل عقولهم المريضة، ومهما كانت الدوافع التي تقف خلف من يُحركهم من كبار المُجرمين التكفيريين، ومهما كانت الأهداف التي يسعى إليها مشغليهم من أجهزة أمن العدو؛ فلا خيار أمامنا سوى بذل جهد كبير في مختلف المجالات الأمنية والسياسية والثقافية

والدعوية وغيرها لاجتثاث هذا الفكر وأصحابه من المجتمع، وإخراج الفكر الداعشي التكفيري الإقصائي من تراثنا الثقافي والديني والسياسي، ومن مناهجنا التعليمية والدعوية والحزبية، وتطهير المجتمع من رواسب الثقافة الأُحادية الإقصائية، وتنقية عقولنا وقلوبنا من منهج التفكير الداعشي واذا لم نفعل ذلك فلا شك أن علينا انتظار المزيد من هذه الجرائم الوحشية.

قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي

• كُتب بتاريخ:

2019-9-5م

الأزمة الفكرية التي تعاني منها الحركات الأيديولوجية هو إيمانها اليقيني بامتلاكها الحقيقة المطلقة، لأنها تأخذها من مصدر معصوم من الخطأ، هذا المصدر المعصوم قد يكون الكتاب المقدس كالقرآن الكريم أو الأنجيل أو التوراة، وقد يكون الزعيم المُلهم أو القائد العبقري أو النخبة المميزة. وخطورة ذلك بأنه يجعل الجماعة على يقين راسخ بأنها تُمثل الحق والصواب والخير، بينما غيرها يمثل الباطل والخطأ والشر، وهذا يجعلها تؤمن بأنها الفرقة الناجية الوحيدة، أو شعب الله المختار، أو خلاصة الخير البشري، وهذا ينطبق على الحركات الإسلامية المتطرفة وغيرها من الحركات العقائدية المتطرفة سواء كانت سماوية كالنصرانية واليهودية أو غير سماوية كالشيوعية والنازية. وهذا أصل تكفير الآخرين ومن ثم استباحة دمائهم، وإزهاق أرواحهم، وانتهاك أعراضهم، واغتصاب أموالهم.

ونتيجة لإدراك عمق هذه الأزمة الفكرية، فقد كُتبت الوثيقة الفكرية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الصادرة عام 2018 تحت عنوان (الأسس والمفاهيم الإسلامية) التي كتبها أمينها العام السابق الدكتور رمضان عبد الله شلح، وجاءت الوثيقة معبرة عن فهم مختلف يُعالج هذا الجانب من الفكر الديني الذي قد يقود إلى إلغاء الآخر أو تكفيره، لذلك فقد جاء في مقدمة الوثيقة الفكرية "لا تزعم الحركة أنَّ هذه الوثيقة تُعبر عن الحقيقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام، للإجابة على سؤال: أي إسلام؟ ولأي عالم؟ إنها تمثل الإطار العام الذي يحدد ملامح الهوية الإسلامية لحركة الجهاد، والمنطلقات العقدية والفكرية التي تحكم مواقفها من كثير من القضايا المطروحة في شتى المجالات". فما

ورد في الوثيقة ليس أكثر من اجتهاد بشري متواضع يقبل الصواب والخطأ، ولا يمثل الحقيقة المُطلقة.

وتأكيداً لهذا الفهم جاء في أحد بنود الوثيقة "الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام، فالإسلام هو الوحي الإلهي، في كتاب الله، والسنة النبوية الصحيحة، والفكر الإسلامي هو فهم علماء المسلمين للإسلام واجتهاداتهم وآرائهم فيما لا نص فيه، أي أنه فكر إنساني في دائرة الإسلام ، يؤخذ منه ويُترك.". وهذه التفرّقة بين الإسلام والفكر الإسلامي مهمة وضرورية لمواجهة أسس الفكر التكفيري، فما يفهمه العقل البشري من القرآن والسنة كنصوص دينية للإسلام، ليست هي الإسلام بل فهمنا للإسلام وهو فكر إسلامي يقترب أو يبتعد عن أصل النص الديني، وبالتالي لا يجوز إضفاء طابع القداسة على الفكر الإسلامي وإعطائه صفة اليقين المطلق والصواب الكامل، كما نُعطي للنص الديني الصحيح القطعي. وهذه الرؤية تفتح الباب أمام الفكر الوسطي المعتدل المتسامح، وتغلق الباب أمام الفكر الإقصائي لمن يرى بأن فكره هو الإسلام نفسه لا يجوز مخالفته وليس اجتهاداً في دائرة الإسلام.

هذا الفهم الواضح للفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي، ينسحب على رؤية الوثيقة الفكرية للتراث الواردة في أحد بنودها "التراث هو ما تركه السلف للخلف. وما عدا الوحي، فهو ليس معصوماً أو غير قابل للنقد، والموقف المتوازن منه ليس تقديسه، ولا الانسلاخ عنه ورفضه، بل هو العمل على تنقيته والانتفاع بكل صالح فيه، بما يسهم في الارتقاء بحاضر الأمة، ويحقق استمراراياتها التاريخية والحضارية". هذه الرؤية للتراث تُخلّص العقل الإسلامي من تراث ثقيل ساهم بعضه في تغذية ثقافة الفتنة وإراقة الدماء بين المسلمين، فإذا كان التراث هو تفاعل العقل مع النص، انتج اجتهادات فقهية وفكرية سياسية وغيرها، وبما أنَّها اجتهادات بشرية ففيها الصواب والخطأ، فهي ليست مُقدسة، فلماذا يُقدم البعض هذه الاجتهادات على النص، أو يجعلها مساوية للنص الديني؟!، ومنها فتاوي علماء اشتهروا بسرعة إطلاق فتاوي التكفير والتقتيل. ولذلك جاءت الوثيقة لتضع النقاط على الحروف بعدم الانسلاخ عن التراث أو تقديسه، بل الانتفاع بالصالح والمفيد منه.

وتلك الرؤية نجدها في بند الوثيقة الذي يتحدث عن دور الحركات الإسلامية " العمل لإحياء دور الإسلام في الحياة واجب شرعي، ولا يحق لأي جماعة أو حركة إسلامية تسعى لتحقيق هذا الهدف، الزعم بأنَّها جماعة المسلمين، بل هي جزء أو جماعة من المسلمين، فيها الصواب والخطأ...". فالوثيقة تتحدث عن إحياء دور الإسلام في الحياة، وليس إحياء الإسلام، فالهدف هو تفعيل وتقوية دور الإسلام في مجتمع مسلم، وليس إحياء الإسلام في مجتمع (جاهلي)، كما في رؤية المتطرفين. وهذا واضح أكثر في رفض الوثيقة زعم بعض الحركات المتطرفة بأنَّها (جماعة المسلمين)، والأصل أنَّها (جماعة من المسلمين)، فالفرق بينهما كبير فالزعم بأنها جماعة المسلمين يعني إخراج ما عداهم من المسلمين من دائرة الإسلام وتكفيرهم على اعتبار أنهم (الفرقة الناجية) الوحيدة، وهذا من أصول التكفير ومبررات العنف والتقتيل. والأصل أنَّ جميع الحركات الإسلامية هي جماعة من المسلمين في المجتمع المسلم والأمة الإسلامية.

والوثيقة تتحدث في بنود أُخرى عن رؤيتها الوسطة في إطار الفكر الديني المعتدل، واحترامها للتعددية الدينية والعرقية واللغوية والثقافية والسياسية، ورفض العنف والإرهاب والتكفير، وأهمية الاجتهاد والتجديد، وربما كان من أهم أهداف التجديد في الفكر الديني هو تنقية التراث الإسلامي من التطرف بكافة أشكاله المنتج للإرهاب الدموي الذي يضر بالأمة الإسلامية ويفرّقها ويقسمها، ويجزّء الشعب الواحد ويشتته، ويفكك الوطن الواحد ويدمره، مع أهمية رفض محاولات الخلط بين الجهاد والإرهاب، فالجهاد هي كلمة السر التي تحيي الأمة وتجدد حياتها، وتحرر الإنسان والأوطان، والجهاد والمقاومة هي خيار وقدر الشعوب الحرة لانتزاع حقوقها وتحرير أوطانها ونيل حريتها.

خُلاصة هذه القراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي أنَّها حركة مقاومة فلسطينية الإسلام مرجعها وتحرير فلسطين من الكيان الصهيوني هدفها والجهاد سبيلها فهي حركة وطنية بمرجعية إسلامية ترفض ثقافة التكفير من خلال وثيقتها الفكرية وكل أدبياتها المنشورة منذ انطلاقتها قبل عقود من الزمن.

استشراف الشقاقي لمستقبل أوسلو..!

• كُتب بتاريخ:
2019-9-11م

الاستشراف هو التنبؤ بالمستقبل والحدس به، ويدخل في إطار التوقع والتصور والتحري بما سيقع في المستقبل من أحداث، والرؤية الاستشرافية للمستقبل تعني وضع احتمالات مُمكنة الحدوث، أو رسم صور تقريبية محتملة للمستقبل، أو رسم مجموعة من السيناريوهات المتوقعة لمسار حدث ما في المستقبل، ويُشير مفهوم الاستشراف إلى منهجية علمية تحاول التنبؤ بالتطورات التي ستحدث في المستقبل في ضوء جملة من المعطيات في الوقت الحاضر.

ولاستشراف صحيح للمستقبل يجب أن يكون مبني على قراءة منهجية وصحيحة لسنن التاريخ، وعلى تشخيص واستقراء موضوعي ودقيق لمعطيات الواقع الحاضر، وعلى حدس سليم بمآلات الماضي والحاضر في المستقبل. وهذا النوع من الاستشراف أبدع فيه الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وأمينها العام الأول في رؤيته للكثير من مآلات الأحداث ولا سيما اتفاقية أوسلو التي وقعت عام 1993 والسلطة الفلسطينية التي أُقيمت عام 1994، وقد استشرف مستقبلها قبل توقيعها وبعد توقيعها منذ عام 1991 وحتى استشهاده عام 1995، وذلك قبل أن تتضح الحقائق التي كانت مجرد توقعات في الماضي قبل حوالي ربع قرن من اتضاحها للجميع، فالمستقبل الغامض آنذاك هو الحاضر الواضح اليوم.

توقع الشهيد الشقاقي فشل اتفاقية أوسلو في مقابلة صحفية مع مجلة العالم عام 1993 فور توقيعها وكان مما قاله: " من المؤكد أن هذا الاتفاق في النهاية يحمل بذور فشله في داخله، ولن يستمر بفعل هذا التناقض الداخلي فيه وبفعل رفض ومقاومة شعبنا". ليؤكد على هذه الحقيقة مرة أخرى في نفس السنة وقال: " الاتفاقية في حد ذاتها

ضعيفة هشة ولا يمكنها الصمود أمام تعقيدات عديدة مثل غياب الأمن وفشل التنمية وعدم تحسن الوضع الاقتصادي، فالاتفاقية تملك عوامل موتها في داخلها". واليوم بعد أكثر من ربع قرن لم يعُد أحد يُجادل عن فشل اتفاقية أوسلو في تحقيق أهدافها – التي كان الطرف الفلسطيني الذي وقعها قد روّج لها- وأهمها الانتقال إلى الدولة الوطنية المستقلة في الضفة والقطاع، واذكر هنا ما قاله نبيل شعث عشية التوقيع على اتفاقية أوسلو وقوله "تأكدت اليوم أن ثمانين بالمائة من فلسطين قد ضاعت، وأنني لا أستطيع أن أعد أولادي بأن تكون لهم دولة على الجزء المتبقي منها".

وقد توقع الشهيد الشقاقي بأن اتفاقية أوسلو ستُكرس الاحتلال بقوله: " اتفاق أوسلو ليس اتفاق سلام، بل تكريس للاحتلال على كل فلسطين والهيمنة على كل فلسطين". وقوله رحمه الله : " من قراءة الاتفاق أرى أن السلطة الحقيقية هي سلطة الاحتلال، الاتفاق عنوان آخر لاستمرار الاحتلال". ما قاله الشقاقي احتاج إلى ما يُقرب من ربع قرن ليُقر به صانعو أوسلو بقولهم "نحن سلطة بدون سلطة تحت احتلال بدون كلفة" ... "نحن نعيش تحت بساطير الاحتلال"، والواقع يؤكد ذلك، فسنوات أوسلو شهدت ترسيخ سلطة الاحتلال- السلطة الوحيدة الحقيقية في الضفة الغربية- وشهدت تمدد وتضاعف الاستيطان ما يُقرب من خمس مرات، وتسارع وتيرة تهويد القدس، وتضاعف الطرق الالتفافية التي يسيطر عليها جيش الاحتلال ومستوطنوه، وكل مظاهر الاحتلال، ومن أوضح مظاهره ضم الضفة الغربية أو أجزاء مهمة منها لسيادة الكيان الصهيوني القانونية وهو ما توقعه الشقاقي بقوله عن أوسلو "وهو يُمهد لإعلان ضم الأراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى دولة الكيان الصهيوني"

لقد توقع الشهيد الشقاقي أن اتفاقية أوسلو تُمهّد للتطبيع مع العدو، فقد قال في أحد اللقاءات الصحفية "اليوم وعبر غزة أريحا يتدفق اليهود الصهاينة إلى العواصم العربية والإسلامية لنظام شرق أوسطي جديد حيث هم مركزه وسيده، هذا يعني أن تبقى الأمة تحت نعالهم، إنَ خطر التطبيع القادم مذهل لو تخيلناه، ولذا على الشعوب الصابرة المؤمنة أن تستعد لهذا الغزو الصهيوني الجديد"، وما تخيله الشقاقي أصبح

واقعاً اليوم في ظل ما يُسمى بصفقة القرن التي أهم ركائزها شرعنة وجود الكيان الصهيوني، وكان الشقاقي قد نبه إلى خطورة أوسلو ومن قبلها كامب ديفيد في إحداث اختراق صهيوني للأمة من خلال التطبيع موضحاً أن التطبيع يعني للصهيونية الرضوخ العربي والإسلامي لحقيقة وجود الكيان كأمر واقع لا مجال لإزالته وبالتالي إنهاء الصراع معه، وهذا تُمهّيد للتوسع الإسرائيلي وإقامة (إسرائيل الكبرى) لتصبح دولة طبيعية رائدة ومهيمنة في المنطقة العربية والإسلامية.

توّقع الشهيد الشقاقي أنَ اتفاقية أوسلو تُمهّد لصفقة القرن- موضحاً مضمونها قبل أن تأخذ هذا الإسم بالتحديد- وقد قال: " الاتفاق الإسرائيلي الفلسطيني الذي وقع مؤخراً في واشنطن... ضد الأمة العربية والإسلامية وضد المنطقة لإعادة صياغتها من جديد على أساس أن يكون هذا الكيان الصهيوني الغريب جزءاً مركزياً مهيمناً منها... إنَ هذا الاتفاق يفتح الباب أمام الكيان الصهيوني ويُمكّنهُ من العبور إلى كل الوطن العربي الإسلامي.... سنرى كيف تتهاوى دول عربية وإسلامية من طنجة إلى جاكرتا لتعترف بالكيان الصهيوني وتفتح أبوابها لليهود، وتقيم علاقات دبلوماسية معهم". وهذا هو جوهر صفقة القرن بعد تصفية القضية الفلسطينية وهو دمج (إسرائيل) في المنطقة العربية والإسلامية وشرعنة وجودها بعد أن كان وجودها أمراً واقعاً مفروضاً بالقوة، مطلوب أن يأخذ الطابع الشرعي يتعايش بشكل طبيعي وتقبله الأنظمة الحاكمة وشعوب الأمة العربية والإسلامية، وفي هذا السياق كانت أوسلو محطة على الطريق بين وعد بلفور وصفقة القرن لدمج وشرعنة وجود الكيان الصهيوني.

توقع الشهيد الشقاقي أنَ اتفاقية أوسلو تمهد للانقسام الفلسطيني الذي حدث عام 2007، وانتاج سلطة قمعية في قوله: " هذا الاتفاق يجعل الشعب الفلسطيني عُرضة للاقتتال الداخلي، والقمع على يد السلطة الجديدة، التي ستضيف إلى وسائل العدو الصهيوني وسائل جديدة للقمع والتعذيب، ومنع المجاهدين من الاستمرار في جهادهم ونضالهم لتحرير وطنهم". وهذا ما حدث بالفعل بعد إقامة السلطة الفلسطينية عندما اقتتل الإخوة بسبب الصراع على سلطة تحت الاحتلال، فإضافة إلى مأزقي الاحتلال وأوسلو جاء مأزق الانقسام ليكون سبباً لمآزق أُخرى زادت معاناة

الشعب الفلسطيني وعمّقت مأساته، وأضعفت موقف القضية الفلسطينية أمام العالم، وحرفت بوصلة الصراع مع العدو نحو صراعات داخلية عنيفة. وقد صدق تنبؤ الشقاقي في أنَ أوسلو ستنتج سلطة قمعية تقف حاجزاً بين الاحتلال والشعب، وتمنع المجاهدين من مواصلة مقاومتهم للاحتلال وتخرج جزءاً مهماً من الشعب الفلسطيني من دائرة النضال الوطني نحو نضال وهمي في بناء سلطة وهمية.

توقع الشهيد الشقاقي أنَ اتفاقية أوسلو ستزيد معاناة الشعب الفلسطيني وذلك في الوقت الذي تم فيه ترويج أن اتفاقية أوسلو ستحوّل الضفة والقطاع إلى سنغافورة جديدة، فقال في هذا المعنى : "ما هو سبب معاناة الناس؟ الاحتلال بالطبع، فهل سيزول الاحتلال حسب اتفاقية أوسلو؟ العكس هو الصحيح... إن حديث رفع المعاناة عن شعبنا في ظل الاتفاق هو أكبر الأوهام التي يجري تسويقها، الأخطر أننا نشتري الوهم بأغلى وأكبر ثمن يمكن أن يقدمه شعب في التاريخ، أن نسلم للعدو بالبقاء على كامل الوطن المقدس". وإذا كان ما توقعه الشقاقي قبل ربع قرن مشكوك في صحته في ذلك الوقت، فلا مجال للشك فيه بعد أن أصبح المستقبل حاضراً واقعاً بالفعل. فالاحتلال والازدهار نقيضان لا يلتقيان، فأول خطوات البحث عن حياة كريمة تتوّفر فيها مقومات الحياة المادية والمعنوية الكريمة هي التخلّص من الاحتلال أو على الأقل إعادة وضع عجلات قطار المشروع الوطني الفلسطيني على قضبان سكة التحرير والعودة والاستقلال، وما دون ذلك مجرد وهم كبير يُسهم في إطالة عُمر الاحتلال.

هذه بعض النقاط التي كانت نوعاً من استشراف المستقبل الذي أصبح حاضراً توقعها وتنبأ بها الدكتور الشهيد فتحي الشقاق قبل ما يزيد عن ربع قرن من الزمن عاشها الشعب الفلسطيني ينتظر الخلاص الذي لم يأتِ بعد، وإذا أردنا أن نبدأ الخلاص لا بد أن نعترف بأن أوسلو ومخرجاتها مأزق كبير وكمين نصبه العدو للشعب الفلسطيني، وأن نعترف كذلك بأنَ الخروج من هذا المأزق والكمين يحتاج إلى جهد كل الشعب الفلسطيني وأُطره الوطنية الشعبية والمقاومة، وأن نعترف بأنَ الفكر السياسي الذي قادنا إلى أوسلو بحاجة إلى مراجعة لتصحيح مسارنا نحو التحرير والعودة

والاستقلال، وهذا بحاجة إلى قيادة وطنية تشكل مرجعية واحدة للشعب الفلسطيني، وتتمسك بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني، وتتبنى نهج المقاومة الشاملة في صراعها مع العدو، وتُعيد بناء المشروع الوطني الفلسطيني على أساس متطلبات مرحلة التحرر الوطني القائمة على التحرير والعودة والاستقلال.

إسراء غريب

• كُتب بتاريخ:
19-9-2019م

إسراء غريب، اسم فتاة فلسطينية أصبحت رمزاً للظلم المجتمعي الواقع على النساء، كما أصبحت قصتها مثالاً لعشرات القصص المدفونة في غياهب النسيان؛ ذلك بأنَها قصة فتاة ذهبت ضحية لمفاهيم اجتماعية مشوّهة تنظر للمرأة نظرة دونية أقل من الرجل، ولثقافة دينية مزوّرة ترى في المرأة كائناً ناقصاً وشيئاً تابعاً للرجل، قصة إسراء كان من الممكن أن تذهب أدراج الرياح كعشرات القصص المأساوية لنساء توفينَ في ظروفٍ غامضة وملابسات مبهمة، دُفنت فيها النساءُ في الترابِ، ودُفنت معهن الحقيقة تحت التراب، تلك الحقيقة ستظل نسياً منسياً حتى تقومَ الساعة، ليُقدّم يومئذٍ الجنُاة الذين أفلتوا من عقابِ الدنيا إلى المحكمة الإلهية العادلةِ، لتقتص المجني عليهن النساء من الجناة الرجال ليأخذن حقوقهن كاملةً غير منقوصة وتامةً غير مبتورة.

إسراء غريب ، قصة تاهت فيها التفاصيل الكثيرة، ولكن الأهمَ في تلك التفاصيل وجوهرها ما كشفت عنه النيابة العامة بعدما أعتقد الجناة أنَ الحقيقة دُفنت مع دفن جثتها، وما كشفته النيابة أنها توفيت نتيجة الضرب والتعنيف الأُسري، إلى جانب تعريضها لعنف نفسي وأعمال شعوذة، مما أدى إلى تفاقم حالتها النفسية والصحية، ونتيجة لتقرير الطب الشرعي تأكد وفاتها نتيجة للإصابات المتعددة الناتجة عن الضرب والتعذيب، وهذا- حسب بيان النيابة- يُشكل عناصر جريمة القتل. وكان من الممكن أن تتكرر قصة إسراء غريب في قطاع غزة مع معلمة فلسطينية أعتدى عليها أهلها بالضرب والخطف وكل ذنبها أنها قررت أن تتحرر من عبودية زوجها الذي يسومها سوء العذاب الجسدي والنفسي على مدى عشر سنوات عجاف من الضرب والإهانة والابتزاز.

جريمتا قتل إسراء غريب في الضفة والاعتداء على المعلمة في غزة، تجعلنا نسلط الضوء على ظاهرة العنف ضد المرأة باعتبارها ظاهرة عالمية، ولكنها تزداد بروزاً في المجتمعات الشرقية، وبالتحديد الإسلامية والعربية، وما يهمنا في هذا المجال، العنف ضد النساء في المجتمع الفلسطيني، فقد أظهرت الإحصاءات الرسمية الفلسطينية الصادرة عن السلطة الفلسطينية بين عامي 2012 – 2017 تزايد حالات قتل النساء على خلفية (شرف العائلة) أو في ظروف غامضة يُعتقد أنها على نفس الخلفية، إلاّ أنها شهدت انخفاضاً في عامي 2018 2019–، وهذه الحالات التي يتم تسجيلها فقط من تلك الجرائم.

والقتل هو أقصى حالات العنف ضد النساء، فالعنف له عدة أشكال وأنواع موزّعة ما بين العنف الجسدي الذي يتراوح بين الضرب والقتل، والعنف اللفظي كالشتم والسخرية، والعنف الجنسي كالاغتصاب والتحرش، والعنف الاقتصادي، كمصادرة دخلها وحرمانها من الميراث، والعنف الاجتماعي كحرمانها من أخذ مكانتها الاجتماعية ومنعها من أداء دورها الاجتماعي، والعنف النفسي كالاحتقار والإذلال. وكل هذه الأشكال موجودة في المجتمع الفلسطيني، ولكن معظمها يُفلّت الجناة من عقاب القانون، بسبب خوف المجني عليهن من الشكوى، أو تهاون السلطتين التنفيذية والقضائية في مثل هذه القضايا.

وعن أسباب العنف ضد النساء أظهر تقرير صادر عن الأمم المتحدة في ديسمبر 2017 حول العنف ضد المرأة في قطاع غزة، أنَ الفقر وغياب الفرص الاقتصادية المتاحة تشكل عوامل مركزية تقف وراء استشراء العنف ضد النساء، ويرتبط الفقر بسكن النساء المتزوجات مع أُسر أزواجهن، وهذا يوّفر بيئة مساعدة على العنف ضدهن، ومن العوامل التي تيسر استمرار الأوضاع التي يتعرّض فيها النساء لسوء المعاملة أنَ الجناة نادراً ما يخضعون للعقوبات القانونية أو الجنائية أو الاجتماعية المترتبة على سلوكهم، وأنَ العنف الواقع على المرأة في سياق الزواج لا يصل معظمه للمحاكم. وهذا التقرير يؤكد أنَ العنف ضد المرأة يرتبط بشبكة من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية تتشابك فيما بينها لتؤدي إلى بيئة حاضنة لثقافة العنف ضد النساء، وقد يزيد عليه ما يُعلّمهُ المجتمع للمرأة لتظل خاضعة راضية بنصيبها

وتتقبل أخطاء الآخرين، وأن تحافظ على علاقتها الزوجية وأسرتها مهما كلفها ذلك من ثمن حتى لو كانت حياتها مع زوجها جحيماً لا يُطاق.

وقد يكون من أهم أسباب العنف ضد النساء في المجتمع الفلسطيني كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية هو ثقافة التحريم والتكفير القادمة من الصحراء العربية القاحلة بعد أن أُلبست الثوب الديني بالإرهاب الفكري المدعوم بالبترودولار، تلك الثقافة التي تنظر للمرأة كعورة كلها: شكلها وصورتها ووجهها واسمها، ومارست الوأد الجديد للمرأة، فبعد أن كانت تُدفن حية تحت التراب زمن الجاهلية، أصبحت تُدفن حية فوق التراب من خلال وأد شخصيتها كإنسانة أولاً وكامرأة ثانياً، وحتى اسمها حاولت ثقافة الصحراء أن تنزعه منها ووضعت بدلاً منه حرفاً أورمزاً في بطاقات الدعوة للأفراح يُترك للمدعويين تخمينه. ونسيّ منظرو هذه الثقافة البائسة الأصل في الإسلام الذي يُنظر للمرأة كإنسان له ذات مستقلة تتساوى مع الرجل في القيمة والكرامة الإنسانية كما تتساوى معه في المسؤولية والتكاليف الشرعية والجزاء والعقاب. وتختلف عن الرجل في نوع الجنس الذي يفرض وظائف وتكاليف مختلفة على كلا الجنسين.

في الختام لتغيير واقع العنف ضد المرأة الفلسطينية، يجب إزالة مصدر العنف الواقع على الشعب الفلسطيني بأسره وهو الاحتلال، وحتى حدوث ذلك فإنَ مسؤلياتنا عديدة في مقدمتها توفير بيئة سياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية مُريحة تُجفف منابع العنف في المجتمع عامة وضد المرأة خاصة، ومن المهم في هذا السياق التصدي لثقافة العنف المتسترة بعباءة الدين، ونُشر ثقافة التسامح والرحمة والمودة في المجتمع. لاسيما في الحياة الأُسرية لتكون كما أراد الله تعالى " فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ". وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً " وقد يكون أهم من ذلك كله تُغيّر المرأة ما بنفسها لكي تتغيّر مكانتها في المجتمع نحو الأفضل، وتغيير ما في النفس يبدأ باكتساب المرأة لمفهوم إيجابي لذاتها وإيمان راسخ بقدراتها وثقة كبيرة بإمكانياتها، وتصميم صلب على تحقيق أهدافها، وأخذ زمام مصيرها بيدها، وإذا فعلت ذلك فلن يستطيع أحدٌ أن يُعنفها أو يُسقط عُقدة النفسية عليها.

المشروع الوطنـي.. خرجَ ولم يَعُدْ

• كُتب بتاريخ:

2019-9-26م

جـاءَ مديـرُ السـجنِ إلى غرفـةِ التحقيـقِ ليتفقـدَ الرعيـةَ، فدخـلَ بطريقـةٍ فيهـا نـوع مـن العنجهيـة، وكان بداخلهـا سـجينٌ ومحققـان، وطاولـة وكرسـيان، وكانَ الليـلُ في آخـرهِ، وكـذا التحقيـقُ أوشـكَ أنْ يصـلَ إلى آخـرهِ، فـأرادَ مديـرُ السـجنِ أنْ يضـعَ بصمتَـهُ الأخيـرةَ علـى جولـةِ التحقيـق قبـلَ الأخيـرةِ، بـما أوحـىَ إليـه شـيطانُهُ مـن زخـرفِ القـولِ غـروراً، فألقـىَ نظـرةً مـن علـِ علـى السـجينِ، وقـالَ باسـتعلاء، وبشـيءٍ مـن الخُيـلاء موجهـاً كلامَـهُ إلى السـجين "أنتـمْ كمـنْ يهـدمُ قـصراً كبـيراً ليبنـيَ بـدلاً منـهُ كوخـاً حقـيراً، أو كمـنْ يزيـلُ حائطـاً عاليـاً ليضـعَ مكانَـهُ طوبـةً صغـيرةً". فسـألهُ السـجينُ عـما يقصـدُ بكلامـهِ ومـاذا يريـدُ مـن وراءِ أضـداد كلماتـهِ. فأجابـهُ المديـرُ بعنجهيتـهِ الأولى وزادَ عليهـا تيهـاً وصلفـاً "يعنـي أنتـم في الحركـةِ الإسـلامية تريـدون هـدم المشروع الوطنـي الفلسـطيني مـن أجـل بنـاء مشروعكـم الإسـلامي"، وعندئـذٍ أدركَ السـجينُ في الحـالِ مـا اسـتبهمَ عليـه مـنْ فصـلِ المقـال، وفهـمَ المسـكينُ الغلبـان مـا خِفَـى عليـهِ مـنْ حكمـةٍ لا يُدركهـا إلاّ صفـوةُ الخاصـةِ، وعليّـةَ القـوم، ونخبـةُ أولي الأمـر، ففضّـلَ السـكوتَ عـلى فضـلِ الـكلام، وآثـرَ مـا تبقـى مـن السـلامة عـلى مـا لا يُحمـدُ عُقبـاهُ مـن جـدلِ الخصـام.

المشـهدُ السـابقُ غـير مقتبـسٍ مـن مسرحيـةٍ أو فيلـم، فالسـجينُ هـو كاتـبُ هـذهِ السـطور، ومديـرُ السـجن لا زالَ حيـاً يُـرزق في إحـدى الـدول العربيـة، ولكـن بـدون ممارسـة هوايـة التحقيـق في وطـنٍ أصبـحَ فيـه بفضـل أوسـلو السـجينُ سـجاناً، والمشـهدُ حـدثَ في منتصـفِ التسـعينات مـن القـرن العشريـن المـاضي، ومكانـهُ أحـدَ سـجونِ أجهـزة أمـن السـلطة المُخصص للتحقيـق في قطـاع غـزة. وسـبب اسـتدعاء المشـهد المحفـور في عمـقِ الذاكـرة أنـه تكـرر بطريقـةٍ مُختلفـة، فـما قيـل حينهـا بقنـاعٍ أمنـي أُعيـد مؤخـراً إخراجـه بقنـاعٍ

أكاديمي بعد ما يُقرب من ربع قرنٍ، فأتُهِمَ (المشروع الإسلامي) بتخريب (المشروع الوطني)، واتُهمت الحركة الإسلامية الفلسطينية بأنها "تعيثُ خراباً في فلسطين وأهلها"- نعم الحركة الإسلامية وليس الاحتلال الصهيوني- من خلال "دورها التخريبي للمشروع الوطني الفلسطيني"، وأنها- أي الحركة الإسلامية - "أخرجت القضية الفلسطينية من سياقها كقضية تحرر وطني ضد الاحتلال لتدخلها في متاهات الصراع الديني مع اليهود". هذه الاتهامات غير العلمية، والبعيدة عن الموضوعية، تحتاج لمناقشتها بطريقة عقلانية وبعيداً عن الانفعالية، لنعرف ماهية المشروع الوطني، وهل يتناقض مع مشروع الحركة الإسلامية، وصولاً إلى تحديد من المسؤول عن تخريب المشروع الوطني الفلسطيني.

المشروع مفهوم مقتبس من عالم التجارة والأعمال، ويُقصد به من الناحية الاقتصادية وضع استثمارات مادية وبشرية في عملٍ مُعّين بمدى زمني مُحدد لتحقيق عائد أو ربح، هذا المفهوم انتقل إلى السياسة ليُشيرَ إلى نفس المضمون، فالمشروع السياسي هو استثمارات مادية وبشرية توضع في عملٍ مُعيّن بمدى زمني مُحدد لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها. وقد أُضيف إلى مفهوم المشروع مفاهيم أُخرى ليُعبَّر عن مضامين مختلفة، فالمشروع القومي العربي في عهد الزعيم جمال عبد الناصر جوهره تحقيق الوحدة العربية، والمشروع الإسلامي، أو المشاريع الإسلامية على وجه الدقة بعد سقوط الخلافة جوهرها تحقيق الوحدة الإسلامية في دولة إسلامية واحدة، وبرز مصطلح المشروع الوطني الفلسطيني بوضوح بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وجوهره: تحرير فلسطين، وعودة اللاجئين، وتحقيق الاستقلال الوطني.

وهذا لا يعني أنه لم يكنْ للفلسطينيين قبل إنشاء المنظمة مشروع وطني، فالحقيقة أنَ المشروع الوطني الفلسطيني بدأ يتبلور بعد وعد بلفور، وقد تمحوّر النشاط السياسي والوطني الفلسطيني ما بين وعد بلفور 1917 والنكبة عام 1948 حول مطالب محددة تشكل مرتكزات المشروع الوطني في تلك الفترة وهي: إلغاء وعد بلفور، ورفض إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وإيقاف الهجرة اليهودية، ووقف بيع الأراضي لليهود، وإقامة حكومة وطنية منتخبة، وتحقيق الاستقلال الوطني الفلسطيني في

الإطار القومي العربي. وتبنت هذه المرتكزات أُطر وطنية مركزية أهمها: المؤتمر العربي الفلسطيني بين عامي 1919 – 1928، واللجنة العربية العليا بين عامي 1936 – 1946، والهيئة العربية العليا بين عامي 1946 – 1948، واستخدم الشعب الفلسطيني أدوات عديدة لتحقيق هذه المطالب تراوحت ما بين المقاومة السلمية والمقاومة الشعبية والمقاومة المسلحة، ولكن لم تتحقق أهداف المشروع الوطني في ذلك الوقت لأسباب ذاتية وموضوعية عديدة.

لم ينجحْ الشعب الفلسطيني في إقامة إطار وطني جامع له بعد النكبة عام 1948، وعاش الشعب الفلسطيني مرحلة الضياع والشتات؛ حتى بادرت جامعة الدول العربية باقتراح من الزعيم جمال عبد الناصر بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، وسرعان ما أصبحت المنظمة هي الإطار الوطني الجامع للشعب الفلسطيني، المُعبّر عن هويته الوطنية، والحاضن لمشروعه الوطني، هذا المشروع الذي حُددت ملامحه في الميثاق القومي الفلسطيني، الذي تغير إلى الميثاق الوطني الفلسطيني، وأهم ملامحه من خلال قراءة الميثاق تحديد الهدف الوطني المركزي بتحرير فلسطين الكاملة، وعودة اللاجئين، والاستقلال الوطني، وتحديد وسيلة التحرير الرئيسية بالكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية، وتحديد طبيعة المرحلة بأنها مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين، وتعريف طبيعة العدو الصهيوني العنصرية العدوانية الاستيطانية الاحلالية، وغيرها من مفردات المشروع الوطني المتعلقة بالأرض والشعب والعلاقة مع العمق العربي ودور المنظمة في قيادة المشروع الوطني الفلسطيني.

هذه الملامح والمرتكزات تآكلت مع الزمن بفعل عوامل التعرية الثورية والنحت في مفهوم الواقعية السياسية حتى انتجتا ما يُعرف بمشروع الحد الأدنى، أو المشروع الوطني المُعدّل وهذا التآكل والتعرية والنحت بدأ منذ تبني البرنامج المرحلي المعروف بالنقاط العشر عام 1974، وتسارعت خُطاه بعد الخروج من لبنان عام 1982، لتتحول بالتدريج مرحلية التحرير إلى مرحلية التسوية، وتوّلي كبر هذا التراجع المجلس الوطني مع كل جلسة جديدة حتى حطت رحالها في مشروع أوسلو عام 1993، ليتوّقف قطار التسوية، ومعه قطار المشروع الوطني مع نهاية المرحلة الانتقالية لاتفاقية أوسلو عام

1999، ليصبحَ مشروع أوسلو مقبرة للمشروع الوطني الفلسطيني الأصلي في حده الأقصى (التحرير الكامل)، والمُعدّل في حده الأدنى (دولة مستقلة في الضفة والقطاع)، وجاء الانقسام كنتيجة للصراع على سلطة أوسلو ليجهز على ما تبقى منه، ومنذ ذلك الوقت خرج المشروع الوطني من التداول ولم يُعد حتى الآن.

المشروع الوطني الفلسطيني قبل عملية البتر الجراحية الفاشلة التي أُجريت في غزة عام 1996 بطريقة (الشلفقة) وأسلوب (الهنبكة)، على طاولة الدورة الحادية والعشرين للمجلس الوطني لا يختلف في جوهره والكثير من تفاصيله عن المشروع الوطني لحركتي حماس والجهاد المتهمتان مؤخراً في مقال صحفي بتخريب المشروع الوطني" وتعيثُ فساداً في فلسطين وأهلها" ووثائقهما السياسية تؤكد ذلك، فالميثاق الوطني للمنظمة عام 1968، والوثيقة السياسية لحماس عام 2017، والوثيقة السياسية للجهاد عام 2018 تتفق جميعها على أهم ملامح المشروع الوطني، ومنها: تعريف أرض فلسطين الكاملة كوحدة اقليمية لا تتجزأ، ووحدة الشعب الفلسطيني بكل مكوناته الدينية والثقافية والسياسية والنضالية، وهدف التحرير والعودة والاستقلال، ووسيلة الكفاح المسلح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، والبعد القومي للقضية الفلسطينية، وطبيعة المشروع والكيان الصهيوني العنصرية والعدوانية والتوّسعية والاستيطانية والإحلالية وارتباطه بالمشروع الاستعماري الغربي، وتحديد طبيعة المرحلة كمرحلة كفاح وطني لتحرير فلسطين، ورفض الاعتراف بشرعية الكيان ونهج التسوية والتنازل عن الحقوق الوطنية، وحتى منظمة التحرير الفلسطينية هناك اتفاق مبدأي على تمثيلها للشعب الفلسطيني لكن بعد التعديل وإعادة بنائها لتكون بيتاً للكل الفلسطيني وقائدة للمشروع الوطني، وبالتالي لا خلاف ولا اختلاف وفق ما سبق بين الرؤيتين الوطنية والإسلامية للمشروع الوطني الفلسطيني الأصلي، وان كان هناك اختلاف في المرجعية الفكرية للمشروعين؟

هذا هو المشروع الوطني الفلسطيني الحقيقي، ومن خرّبه هو من تخلّى عنه جرياً وراء أوهامٍ باطلة، ولهاثاً خلف سرابٍ خادع، ومن وصم المقاومة بالإرهاب وأخرج حركات المقاومة من المشروع الوطني، ومن أخرج القضية الفلسطينية من سياقها

كقضية تحرر وطني ضد الاحتلال ليدخلها في متاهات إقامة سلطة تحت الاحتلال، وليس "متاهات الصراع الديني مع اليهود" البعيد عن الحقيقة وأصول البحث العلمي، فقد أكدت الوثيقتان السياسيتان لحركتي الجهاد وحماس على أنَ الصراع مع المشروع والكيان الصهيوني ليس صراعاً مع اليهود بسبب ديانتهم، بل مع الصهاينة المحتلين المعتدين، ولم تقتل الحركتان أي يهودي خارج فلسطين لا علاقة له بالكيان الصهيوني.

المشروع الوطني الفلسطيني خرجَ ولم يُعدْ، خرجَ من قبضة منظمة التحرير الفلسطينية، واحتضنته المقاومة الوطنية الفلسطينية خاصة ذات المرجعية الإسلامية، ولم يُعدْ للمنظمة حتى الآن ولن يعود إلاّ بتغيير نهجها وإعادة بنائها وعودة ميثاقها لتكون بيتاً لكل الشعب الفلسطيني وقائدة لمشروعه الوطني.

انتفاضة الأقصى بين مرحلية التحرير ومرحلية التسوية

• **كُتب بتاريخ:**
2019-10-3م

منذُ قرنٍ من الزمان يعيش الشعب الفلسطيني صراعاً مريراً مع المشروع الصهيوني والكيان الصهيوني، وكلُ شهرٍ مليء بالذكريات الزاخرة بالبطولة أو الأسى، والمفعمة برائحة التضحية والفداء، ومن ذكريات شهر سبتمبر الماضي انتفاضة الأقصى التي اندلعت شرارتها في الثامن والعشرين من سبتمبر عام ألفين مطلع القرن الحادي والعشرين، عندما اقتحم الارهابي أرئيل شارون المسجد الأقصى مستفزاً مشاعر الفلسطينيين ومثيراً لحماستهم الوطنية، فتصدى له من كان منهم في المسجد الأقصى بكل ما تقع عليه أيديهم من حجارة وأحذية، فتدخلت قوى أمن الاحتلال لحمايته، فأطلقوا رصاصهم الحاقد على المدافعين عن الأقصى وجرحوا العشرات منهم، وامتدت المظاهرات إلى كل أرجاء فلسطين المحتلة في الضفة والقطاع والأرض المُحتلة عام 1948، وامتدت أعمال المقاومة بكافة أشكالها لسنوات فيما عُرف باسم (انتفاضة الاقصى).

اقتحام الارهابي شارون للمسجد الأقصى كان (القشة التي قصمت ظهر البعير) التي أطلقت شرارة الانتفاضة، ولكن السبب الحقيقي هو استمرار الاحتلال بكل صوره البشعة وأشكاله القبيحة من استيطان الأرض، وتهويد القدس، واعتقال المواطنين، وقتل المناضلين.. رغم وجود السلطة الفلسطينية المنبثقة عن اتفاقية أوسلو، فلم يزل الاحتلال بل تكرّس، ولم يتوقف الاستيطان بل تمدّد، ولم ينتهِ تهويد القدس بل تعمّق... والسبب الأهم هو انتهاء المرحلة الانتقالية المُحددة بخمس سنوات عام 1999 دون الانتقال إلى الدولة الفلسطينية المستقلة الموعودة، واكتشف الشعب وهم حل

الدولتين، وسراب التسوية، عندما وصل إلى نهاية المرحلة الانتقالية وجاء إلى منتهاها فلم يجدها شيئاً ووجد الاحتلال والقمع والسجن والقتل عندها، فأدرك الشعب بما أُوتيَ من حكمة أوهام السلطة وأضاليل السياسة.

انتفاضة الأقصى انتهت كموجة من موجات الثورة الفلسطينية الممتدة على مدى قرنٍ من الزمان سبقتها موجات ولحقتها أخرى، في سلسلة طويلة راكمت النضال الوطني الفلسطيني المتواصل، وقد انتهت هذه الموجة أو الحلقة بفعل ثلاثة أسباب أهمها عملية (الدرع الواقي) العسكرية في الضفة الغربية عام 2002 التي اقتحم فيها جيش الاحتلال المدن الفلسطينية وقضى فيها على النواة الصلبة للمقاومة. وبفعل اتفاقية الهدنة في شرم الشيخ بين السلطة وحكومة الكيان الصهيوني برعاية مصرية وأردنية في فبراير عام 2005، التي نصت على "وقف كافة أعمال العنف ضد الفلسطينيين والإسرائيليين أينما كانوا". والسبب الثالث هو الانسحاب الإسرائيلي – الجيش والمستوطنين– من قطاع غزة في سبتمبر عام 2005 بتأثير عمليات المقاومة المتصاعدة ضد الجيش الإسرائيلي والمستوطنين الصهاينة.

الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة المُسمى رسمياً " خطة فك الارتباط الأُحادية الإسرائيلية" أو إعادة الانتشار، لم ينهِ السيطرة الإسرائيلية على قطاع غزة، كما كل فلسطين، فلا زال الاحتلال يسيطر استراتيجياً وفعلياً على الجو والبحر بغزة، كما أنَ قطاع غزة لا زال مُحتلاً وفق القانون الدولي، وما الذي تغّير إذن بعد الانسحاب الإسرائيلي على قطاع غزة؟!. رغم كل الحقائق السابقة الانسحاب الإسرائيلي من غزة لم يتم في إطار اتفاقية أوسلو سواء المرحلة الانتقالية أو النهائية، ولم يتم في إطار بوادر حسن النية الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، ولم يتم في سياق خطة إسرائيلية لإحداث الانقسام الفلسطيني كما يزعم بعض المهزومين اليوم، وكيف ذلك وقد قال شارون في بداية الانتفاضة أن (نتساريم) أكبر مستوطنة في قطاع غزة "أن نتساريم بمكانة تل أبيب ولن نتنازل عنها أبداً"[1] وما هي إلاّ بضع سنوات وتنازل عنها مع ستة عشر مستوطنة أخرى في القطاع.

تفكيك المشروع الاستيطاني في قطاع غزة وانسحاب جيش الاحتلال من القطاع كان له سببٌ واحد هو أنَ المشروع الاستيطاني أصبحت تكلفته المادية والبشرية كبيرة لم يحتملها الكيان الصهيوني، وأنَ هذه التكلفة سببها عمليات المقاومة الفلسطينية المتصاعدة، وأن اختلاق أي سبب آخر يصب في إطار لا يؤمن بنهج المقاومة كطريق للتحرير، ولو كان هناك حدود برية مفتوحة على قطاع غزة لكان بالإمكان أن يكون قطاع غزة نقطة انطلاق لتحرير كل فلسطين، وهذا هو المعنى الحقيقي لمفهوم مرحلية التحرير الوارد في البرنامج المرحلي المعروف بالنقاط العشر الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني عام 1974، فقد جاء في البند الثاني من البرنامج المرحلي " تناضل منظمة التحرير الفلسطينية بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها".

نص البند ومضمونه يختلف تماماً عما جاء في اتفاقية أوسلو، فقد تدحرجت المرحلية من مرحلية التحرير التي يتم فيها تحرير الأرض بالمقاومة ثم يتم إقامة " سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة" كما جاء في البرنامج المرحلي، إلى مرحلية التسوية التي يتم فيها " نقل السلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى الفلسطينيين المخوّلين بهذه المهمة" كما جاء في اتفاقية أوسلو. ومرحلية التحرير يفاوض الثوار عدوهم تحت النار وهم يقاومون، أما مرحلة التسوية فتتم المفاوضات بعد وقف إطلاق النار وإلقاء السلاح وتجريم المقاومة، ومرحلية التحرير اتبعتها الكثير من الثورات الوطنية الناجحة في العالم كالثورة الفيتنامية التي أقامت سلطة وطنية ثورية في شمال فيتنام انطلقت منها لتحرير كل فيتنام.

مرحلية التحرير قد تكون المخرج من المأزق الفلسطيني الحالي، فيمكن تحديد هدف تحرير الضفة الغربية كهدف وطني مرحلي أو كمشروع الحد الأدنى في إطار المشروع الوطني الفلسطيني الكبير (تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر ومن رأس الناقورة إلى أم الرشراش)، بعيداً عن مفهوم (مرحلية التسوية) الذي يعني ضياع ربع قرن آخر من تاريخ الشعب الفلسطيني جرياً وراء سراب خادع. وهذا يحتاج إلى استراتيجية وطنية موّحدة تعتمد على ركيزتين نضاليتين هما الصمود والمقاومة، بدعم

صمود الشعب الفلسطيني فوق أرضه وفي وطنه، ولتكن هذه مهمة السلطة الفلسطينية، والمقاومة بكافة أشكالها وأنواعها من السلمية حتى المسلحة مروراً بالمقاومة الشعبية، وهدفها هو تحويل الاحتلال إلى احتلال مكلّف بالانسحاب من الضفة الغربية تحت وطأة الشعور بالمأزق الأمني والوجودي في الضفة الغربية (الانسحاب من الضفة لحماية وجود إسرائيل) وبذلك يتراجع المشروع الصهيوني في حدود ما قبل النكسة 1967 انتظاراً لمرحلة التحرير الأخيرة. وحتى ذلك الوقت لا مناص من إعادة ترتيب البيت الداخلي الفلسطيني على أساس استحقاقات مرحلة التحرر الوطني.

جُحا والسجن وأوسلو والتهدئة

• كُتب بتاريخ:

9-10-2019م

يُحكى أنَّ رجلاً ذهبَ إلى جُحا مهموماً يشكو إليهِ ضيقَ بيتهِ مع كثرةِ عيالهِ وقلةِ رزقهِ، طالباً منهُ النصيحةَ لتوسيعَ بيتهِ وتحسينَ حالهِ، فقال لهُ جُحا: اشتري حماراً واسكنهُ معكمْ فِيْ البيتِ وتعالْ بعدَ ثلاثةِ أيام، فغابَ الرجلُ بعد انقضاء الأجلَ المضروب، وعاد إلى جُحا، وقالَ لهُ: الحالُ يسوءُ يا جُحا، فما كانَ من جُحا إلاّ أنْ قالَ لهُ: اشتريْ خروفاً واجعلهُ يعيشُ معكمْ فِيْ البيتِ، وعُدْ بعدَ ثلاثةِ أيام، فخرجَ الرجلُ مُتعجباً، ولكنهُ فعلَ ما طلبَ منهُ جُحا ورجعَ بعدَ الميقاتِ المحدود، وقالَ لجُحا: الحالُ أسوأُ يا جُحا، فقالَ له جُحا: اشتريْ دجاجاً وضعهُ معكمْ فِيْ البيتِ، وارجعْ بعدَ ثلاثةِ أيام، فابتعدَ الرجلُ أشدُ عجباً وأكثر استغراباً، ولكنهُ أخذَ بنصيحةِ جُحا، ثمَّ آبَ بعدَ العهدِ الموعودِ، وقال لجُحا: الحالُ يزدادُ سوءاً يا جُحا. فأمرهُ جُحا أنْ يُخرجَ الحمارَ منْ البيت ويبيعهُ ويرجع إليه بعدَ ثلاثةِ أيام، ففعلَ وعاد إليه وقال لجُحا أنَّ الحالَ تحسّنَ قليلاً، وهكذا طلبَ منهُ بيعْ الخروفِ ثمَّ الدجاجِ فأخبرَ الرجلُ جُحا بعدَ أنْ أخرجَ منْ بيتهِ الخروفَ والدجاجَ أنهُ قدْ أصبحَ في أفضلِ حالٍ بعدَ أنْ عادَ إلىْ وضعهِ الأول.

سياسة جُحا معْ الرجلِ هي نفس السياسة التي اتبعتها معنا إدارة سجن النقب الصحراوي الإسرائيلية، في عهد الانتفاضة الأولى فعندما كنا نقوم بالإضراب عن الطعام كخطوة نضالية للمطالبة ببعض الحقوق لتحسين ظروف حياتنا داخل السجن، أو بعبارةٍ أخرى تحملُ نفس المعنى وفق تعبير الكاتب المناضل حيدر عيد "تحسين شروط الاضطهاد"، فقد كانت إدارة السجن الإسرائيلية عندما نبدأ أي خطوة نضالية مطلبية تقوم بسحب بعض (الانجازات) السابقة التي انتُزعت من بين فكي السجان، مثل: إلغاء الزيارات المتبادلة بين أقسام السجن، وعدم إدخال بعض أنواع

الأطعمة، وإلغاء زيارات الأهل، وسحب طاولات التنس... وغيرها. وذلك لإجبار الأسرى والمعتقلين على الدخول في مفاوضات طويلة ومملة لعودة ما تم سحبه من إنجازات ومكاسب، وتستخدم كافة فنون المماطلة وضروب المماحكة، إلى أن ننسى طوعاً أو كرهاً ما كنا نطالب بهِ تحت تأثير الملل والسأم والضجر في انتظار عودة (الانجازات) المسحوبة، حتى إذا عادت كلها ومعها قليل من المطالب الجديدة أحياناً، فنحس بالارتياح ونشعر بالانشراح، والحقيقة أن حالنا كحال صاحب جُحا بعد أن عاد إلى وضعهِ الأول.

سياسة إدارة سجن النقب هي نفس سياسة إدارة السجن الكبير في الكيان الصهيوني مع الشعب الفلسطيني، فقد كنّا قبل هزيمة حزيران 1967 المُسماه تخفيفاً وتلطيفاً (النكسة)، نُطالب بتحرير كل فلسطين، وعودة كل اللاجئين، وأنشأنا منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 لتحقيق هذا الهدف الوطني الكبير، وإنجاز المشروع الوطني الفلسطيني، قبل أن تضيع بقية فلسطين، وبعد حزيران تحوّلت فلسطين كلها إلى (إسرائيل الكبرى)، وسحبت إدارة السجن الكبير ما تبقى لدينا من أرض فلسطينية أو انجازات بمفهوم السجن، ولم يمرْ زمن طويل حتى تآكلت الثوابت الوطنية بالتقادم، ونُحتت المبادئ الثورية بالتعرية، وحُرّفت الواقعية السياسية بالتأويل، واستُبدلت مرحلية التحرير بمرحلية التسوية، وأقنعنا أنفسنا أن ما لا يُدرك كلَّهُ لا يُترك جُلَّهُ، وأخذنا بمبدأ الحبيب بورقيبة (خذ وطالب)، فسبقنا البورقيبية في أصول الانبطاحية، فأخذنا سلطة بدون سلطة، وطالبنا بدولة دون دولة، وانتهى بنا الأمر في محاولة تحسين ظروف حياتنا تحت الاحتلال أو بمفهوم حيدر عيد " تحسين شروط الاضطهاد".

وقد يكون هذا ما حدث لنا فيما يُعرف بتفاهمات التهدئة أو تفاهمات إنهاء الحصار، في إطار إدارة الصراع بين المقاومة بغزة، وإدارة السجن الكبير في الكيان الصهيوني، منذ نهاية الانتفاضة الثانية وحتى مسيرات العودة، مروراً بالحروب العدوانية الإسرائيلية المتكررة على غزة، فقد طالبنا بإنهاء الحصار المفروض على غزة في كل مرة، وحددنا هدف إنهاء الحصار عن غزة تركزت آخرها في المنحة القطرية المرتبطة بمسيرات العودة كمساعدات مالية لأسر غزة الفقيرة والمنكوبة بالاحتلال والحروب

والحصار والانقسام والعقوبات، وكل مآسي الأرض، وبلايا الكون، ونكبات الزمن، وصروف الدهر، فتحوّل الهدف من إنهاء الحصار إلى تخفيف الحصار، وعمل العدو تدريجياً على حصر مطالبنا في هذا الإطار الضيق فلم ننس فقط إحياء حق العودة، بل نسينا حق الحياة بدون حصار، أو بالأحرى تم إجبارنا على ذلك بفعل سياسة إدارة السجن الكبير للصراع بعقلية إدارة السجن الصغير، لنكرر نفس الأخطاء فنقبل بهدف تخفيف الحصار، أو تحسين الحياة تحت الحصار، أو "تحسين شروط الاضطهاد"، أملاً في الوصول إلى إنهاء الحصار ثم إنهاء الاحتلال من كل فلسطين.

المشكلة ليست فيما نريده من تحرير للأرض وعودة اللاجئين والاستقلال الوطني، فلا شكَّ أنَّ كل فلسطيني حتى من أيّد اتفاقية أوسلو يريد ذلك، وحتى تحرير كل فلسطين وعودة كل اللاجئين والاستقلال الوطني التام، ولكن المشكلة في كيف نحقق ما نريده كشعب فلسطيني، والمشكلة في إدارة الصراع مع العدو للوصول إلى أهدافنا الوطنية، وكيفية الاستفادة من نقاط القوة الموجودة في أيدينا ومراكمتها في إطار ركيزتي الصمود والمقاومة فوق أرضنا وداخل وطننا، وأهم شيء التركيز على إنهاء الاحتلال والحصار وليس تحسين ظروف الحياة تحت الاحتلال والحصار، كما قال الدكتور محمد اشتيه مؤخراً "إنَّ الفلسطينيين لا يبحثون عن تحسين ظروفهم المعيشية تحت الاحتلال، وإنّما يريدون إنهاءه والعيش بكرامة في ظل دولتهم".

عملية نبع السلام أم نبع الحرب؟!

• كُتب بتاريخ:
2019-10-16م

مرّ علينا أُناسٌ يُمارسونَ الكذبَ والخداعَ والنفاقَ ويسمّونَهُ مُجاملةً، وسمعنا لسياسيين يُسمّونَ الجمودَ والركودَ والكسادَ في بلادهم استقراراً، وقرأنا لمثقفين يتفاخرونَ بالإباحيةِ والانحلالِ والفجورِ في مجتمعاتهم ويعتبرونها تقدماً، وعشنا أنظمةً حاكمة أطلقت على هزيمةٍ وانكسار جيشها انتصاراً، ووصفت خيبة وعجز قادتها إنجازاً، ونعتت إخفاق وفشل مشاريعها نجاحاً، ومضى في تاريخنا دولٌ مارست الغزو والاحتلالَ بعيداً عن أراضيها آلاف الأميال واعتبرته دفاعاً عن النفس.

وها نحن نجد شيئاً قريباً من ذلك في عملية (نبع السلام)، ومن قبلها (غصن الزيتون)، ومن قبلهما (درع الفرات) للجيش التركي (المحمدي) الغازي لشمال سوريا، فنعيش نفس المنطق الأعوج والفلسفة العقيمة، ونشاهد نفس الفيلم النحس والمشهد الهزلي، ونجلس أمام ذات المسلسل النكد والمسرحية المشؤومة، ونقرأ ذات الرواية البائسة والقصة اليائسة. وكان من الأولى تسمية عملية (نبع السلام) نبع الحرب، و (غصن الزيتون) غصن الزقوم، وإذا كانت عملية نبع السلام أو الحرب قد حُددت أهدافها بالقضاء على الإرهاب الكردي والداعشي لتحقيق السلام والأمن لتركيا وسكان المنطقة، وإنشاء منطقة آمنة شمال سوريا لتوطين اللاجئين السوريين في تركيا، فإنَ هذا ليس كل شيء فهناك حقائق ينبغي تأكيدها.

غزوة نبع السلام للجيش التركي (المحمدي) والقوات الرديفة غير الشريفة كانت الفصل الأخير لمسلسل طويل ممتد من عمق التاريخ، لم تكن كل فصوله مأساوية، فقد بدأ منذ خمسة قرون بمعركة مرج دابق عام 1516 التي فتحت الطريق أمام جيش الخلافة العثمانية لدخول بلاد العرب من الشام وحتى حدود مراكش ومن العراق حتى بلاد السودان، ومعركة مرج دابق ومن بعدها الريدانية هي التي مهدّت

الطريق ليصبح الوطن العربي كله تقريباً ضمن دولة الخلافة العثمانية بعد هزيمة جيوش المماليك وانهيار دولتهم وباقي الممالك العربية الوارثة لممتلكات الخلافتين العباسية والفاطمية، وهذا حدث في إطار قواعد التدافع الداخلي للأمة الإسلامية، وفي سياق سُنن التغيير التاريخية، وفي انسجام تام مع سُنّة الاستبدال القرآنية بعد أن تولّى العرب عن الأخذ بأسباب النصر والتقدم، فاستبدلهم اللهُ بغيرهم فلم يكونوا أمثالهم.

وبما أنَ الثابت الوحيد في الحياة هو التغيير، وبعد أن مضت أربعة قرون ثقيلة، ودار الزمن ودورته الطويلة، وطالت بني عثمان سنة الاستبدال وقانون الإحلال، انكمشت دولتهم في حدودها الطبيعية في بلاد الأناضول المعروفة بآسيا الصُغرى المحصورة بين البحرين الأبيض والأسود، وبدّلت جلدها الإسلامي بآخر علماني، واستبدلت علمها العثماني الأخضر بآخر قومي أحمر، وحوّلت حروفها الهجائية من العربية إلى اللاتينية، واستعاضت عن انتمائها للأمة الإسلامية بالانتماء إلى قارة تلفظها وتحالف ينبذها، فلم تخرج من انتمائها السابق، ولم تفلح في الدخول لانتمائها اللاحق، وواصلت محاولاتها للاندماج في هويتها الجديدة من خلال أداء دورها الوظيفي في إطار الحرب الباردة بين القطبين الكبيرين- الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة- فسارعت إلى خدمة مصالح الغرب بقيادة أمريكا ومعها خدمة المشروع الصهيوأمريكي في المنطقة.

واستغلت تركيا الجديدة الحرب العالمية الثانية ورجحان الكفة للحلفاء فغزت لواء الاسكندرونة السوري عام 1938 وضمته إليها عام 1939 بعد أن تنازلت عنه فرنسا دولة الاحتلال في سوريا. واستمر تحرش تركيا بسوريا في إطار دورها الوظيفي بحلف الناتو، ثم في إطار علاقاتها الاستراتيجية مع الكيان الصهيوني، في مختلف المجالات لا سيما العسكرية والاقتصادية، ومع هذا التحالف مع الغرب والتعاون مع الكيان الصهيوني قد تراجع في ظل حكم حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان إلا أنه استمر في العمق والوظيفة لا سيما بعد بدء الأزمة السورية عام 2011، فقد كان لتركيا أردوغان دورٌ مهم ينسجم مع المشروع الصهيوأمريكي الرامي إلى تدمير الدولة السورية، وينسجم مع أهداف عربان الصحراء ووحوش البيداء، وبدون علاقة حقيقية مع حق السوريين في الحرية واختيار حُكامهم.

تدمير الدولة السورية لصالح المشروع الصهيوأمريكي في المنطقة أسفر عن وجود مناطق خارج سيطرة الدولة السورية تقلّصت بعد الهجوم المُضاد للجيش السوري وحلفائه إلى الواقع الحالي الذي تسيطر فيه

(قوات سوريا الديمقراطية) المعروفة اختصاراً (قسد) على ما يقرب من ربع الأرض السورية، وقوات سوريا الديمقراطية عمادها المسلحون الأكراد في وحدات حماية الشعب ووحدات حماية المرأة، وهي منظمة تكونت عام 2015 بمبادرة وتمويل وتدريب أمريكي لمقاتلة داعش وأخواتها ولإبقاء منطقة شرق الفرات خارج سيطرة الدولة السورية، في إطار مشروع تدمير وتفكيك سوريا كدولة وليس إسقاط النظام فقط، وفي عملية نبع السلام سرعان ما اكتشف الأكراد أن "المتغطي بأمريكا عريان" على حد تعبير الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، وأنَ بناء تحالفات مع أعداء العرب الأمريكان والاسرائيليين لن تؤدي إلى تحقيق طموحاتهم القومية ولا حقوقهم المدنية، وأنَ الأصل العودة إلى التصالح والاندماج مع محيطهم العربي والإسلامي لنيل حقوقهم المدنية والقومية في إطار النسيج الوطني والشعبي لدولهم.

صحيح أنَ المنطقة المستهدفة في عملية (نبع السلام) خارج سيطرة الدولة السورية والجيش السوري، وتحت سيطرة المسلحين الأكراد من الإدارة الذاتية الكردية المدعومة من أمريكا و (إسرائيل)، إلا أنها جزء لا يتجزأ من الأرض السورية، وسكانها جزء لا يتجزأ من الشعب السوري، وأنَ معظمهم بمختلف مكوناتهم الكردية والعربية وغيرهم ليسوا جزءاً من تحالف (قسد) مع أعداء سوريا، كما أنَ ما يُسمى بالجيش الوطني السوري المُرافق للجيش التركي، دربهم الجيش التركي وأمدهم بالسلاح، وتدفع الحكومة التركية أجورهم وتصرف لهم وجبات غذائهم، ويقاتلون لتحقيق أهداف ومصالح تركيا، فتقوم بفك رسنهم وقتما تُريد ليفترسوا من تريد من أعداء تركيا سواء المسلحين الأكراد، أو الدواعش وأشباههم، أو الجيش السوري، أو فصائل المعارضة غير الموالية لتركيا، وهذه صفات المرتزقة وقُطاع الطرق وليست صفات الجيوش الوطنية أو المقاتلين الوطنيين.

الخُلاصة أنَ عملية نبع السلام هي غزو عسكري لأراضي دولة عربية هي سوريا، وأي تسمية أُخرى مُخالفة للحقيقة، فهي ليست فتحاً ولا جهاداً، كما أنها ليست دفاعاً عن النفس، ولا يوجد أي غطاء قانوني لها، فلم تتم بناءً على طلب الحكومة السورية، أو الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولا أي مبرر قانوني أو أخلاقي أو إنساني... فهي عملية هجوم عسكري منظم لجيش دولة أجنبية لأراضي دولة أخرى دون إرادة حكومتها أو شعبها، والعملية ستجر المزيد من المآسي والحروب على سوريا ولذلك فالتسمية المناسبة لها هي نبع الحرب، والطريق الوحيد للقضاء على الإرهاب وتحقيق الأمن لتركيا وسوريا والشعب السوري بمختلف مكوناته العرقية والقومية والدينية والمذهبية هو عودة المنطقة إلى سيادة الدولة السورية وإعطاء الشعب السوري بكافة مكوناته حقوقهم المدنية والسياسية والقومية.

عودة الروح والوعي للثورة التونسية

• كُتب بتاريخ:
2019-10-20م

عودة الروح، رواية للأديب والمفكر المصري توفيق الحكيم، نُشرت عام 1933، محور أحداثها أسرة مصرية كان لكل فرد منها عالمه الخاص وهمومه الخاصة، وعندما اندلعت ثورة 1919 شاركت في أحداثها، فأُصيبت في المظاهرات وجمعتهم زنزانة واحدة، وصهرتهم المحنة، وتغلغلت فيهم روح الجماعة، فأصبحوا كالجسد الواحد الذي عادت إليه الروح، الرواية مهدّت لثورة 23 يوليو 1952 وظهور الزعيم (المُخلص) جمال عبدالناصر، لذلك اعتبر الضباط الأحرار توفيق الحكيم الأب الروحي للثورة، وهو بادلهم نفس الشعور بتأييده للثورة وحبه لزعيمها.

بعد وفاة جمال عبد الناصر بعامين نشر توفيق الحكيم كتاب (عودة الوعي) عام 1972، ومضمونه مراجعة نقدية قاسية للثورة والناصرية بسبب الاستبداد والفساد والتسبب بهزيمة الجيش في حزيران 1967، وغياب وعي الشعب المصري، ومما كتبه في هذا المعنى "كانت الثقة فيما يبدو قد شلّت التفكير، سحرونا ببريق أماني كنا نتطلع إليها من زمن بعيد، واسكرونا بخمرة مكاسب وأمجاد، فسكرنا حتى غياب الوعي... إنَّ سنوات الثورة كانت مرحلة عاش فيها الشعب المصري فاقداً الوعي، مرحلة لم تسمح بظهور رأي في العلن مخالف لرأي الزعيم المعبود.".

الروح والوعي ضروريان لنجاح أي ثورة، فالروح هي التي تُعطي جماهير الثورة القوة والشجاعة على تفجير صاعق الثورة، وتمدهم بالطاقة والغضب على إشعال نار التمرد، وتزودهم بالإيمان واليقين الذي يمنحهم الاستعداد للتضحية والفداء. والوعي هو الذي يُحدد للثوار بوصلتهم واتجاههم ليسيروا نحو هدفهم المرسوم ويمدهم بالفهم والإدراك لتشخيص حاضرهم وواقعهم وتحديد أعدائهم

وأصدقائهم، ويزودهم بالحكمة والحنكة لاستبصار معالم طريقهم وملامح مستقبلهم. وإذا كانت الثورة التونسية- درة تاج الثورات العربية- فقد فقدت الروح أحياناً والوعي حيناً آخر، أو على الأقل تراجعا، فقد استعادتهما بانتخاب قيس سعيد رئيساً لتونس، وكان بمثابة عودة الروح والوعي للثورة التونسية، فجمعت بين مضمون رواية (عودة الروح)، ومحتوى كتاب (عودة الوعي) لتوفيق الحكيم.

قيس سعيد أعاد روح ووعي الثورة التونسية إلى الشعب التونسي، بدون غوغائية في خطابه السياسي للجماهير؛ بل بطريقة عقلانية وواقعية وعلمية، وبحس وطني وقومي وإنساني، فهو لم يعدْ التونسيين بأن تصبح بلادهم سنغافورة جديدة، ولم يغرِ الشباب بتحقيق أحلامهم وإنجاز طموحاتهم بضربة حظ، ولم يبعْ شعبه الأوهام وغيهّم بالآمال، ولم يخدعْ التونسيين بسرعة حل مشكلاتهم والخروج من أزماتهم. وما فعله فقط أنه أيقظ إرادة الحياة فيهم، فأعاد الأمل بمستقبل أفضل من صنع أيديهم، وأعطاهم الثقة بقدرتهم على تغيير واقعهم نحو الأحسن" مستلهماً قصيدة (إرادة الحياة) لشاعر تونس العظيم أبو القاسم الشابي مطلعها "إذا الشعب يوماً أراد الحياة.... فلا بد أن يستجيب القدر" ولذلك جعل شعار حملته الانتخابية (الشعب يُريد)، إدراكاً منه أن إرادة الحياة للشعوب تصنع المعجزات، وأثبت قيس سعيد أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، لذلك فقد أعطى الناس شيئاً آخر غير الخبز هو الكرامة والأمل وإرادة الحياة.

قيس سعيد رئيس من خارج منظومة الرؤساء العرب، فقد اثبت أنه ينتمي للشعب ولعقيدة الشعب التونسي، ففي نهجه السياسي يرى أنَّ السلطة مصدرها الشعب وستكون بيد الشعب الذي يقرر مصيره ويسطر خياراته وعارض مشروع المساواة في الارث بين الذكر والأنثى قائلاً "إن المسألة محسومة بالنص القرآني، وهو واضح صريح لا يحتاج للتأويل معلناً انتمائه لعقيدة الشعب (الإسلام)، واثبت أنَّه ينتمي لأمته العربية بإعلانه المطلق الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وتأييد حقوقه، واعتبر التطبيع مع الكيان الصهيوني خيانة عُظمى تستوجب التجريم والمحاكمة معتبراً بلاده في حالة حرب مع الكيان الصهيوني، وحدد طبيعة العلاقة مع محيط تونس المغاربي

والعربي كامتداد طبيعي لتونس، والعلاقة مع الدول الاوروبية على أساس المصالح المتبادلة والتعايش بين الشعوب، ورفض الاستعمار الذي لا يتسلل إلى الدول العربية عبر الحدود ولكن عبر عملائه بالداخل، واعتبر أنَّ قضايا الدين والهوية التي زرعت داخل الدولة الواحدة هي لتشتيت أبناء الشعب الواحد.

ربما لم يُقدم الرئيس التونسي المُنتخب برنامجاً إصلاحياً تفصيلياً يوجد فرص عمل سريعة للشباب، وحل مشكلة الفقر والبطالة، والقضاء على الفساد... ولكنه تعهد بتطبيق القانون، وتحقيق المساواة، وإطلاق الحريات، وإصلاح منظومتي الصحة والتعليم، وضبط المال العام، وتفعيل المحاسبة الحكومية، وفتح المجال للشباب لأخذ دورهم في السلطة والانتاج والابداع وهذا من شأنه عودة الروح والوعي للثورة التونسية.

مأزق النصر وصيحة الفجر

• كُتب بتاريخ:
2019-11-24م

بعد تعيين "أفيف كوخافي" رئيساً لهيئة أركان الجيش الإسرائيلي في منتصف يناير الماضي كان أول ما قام به هو عقد ورشة عمل استمرت ثلاثة أيام في بداية شهر مارس حضرها ضباط كبار من كافة فرق وأذرع الجيش الإسرائيلي وخبراء عسكريون، وقد سُميت هذه الورشة بـ (ورشة النصر) وهدفها الرئيسي هو وضع ما يُعرف بوصفة النصر، لتُجيب على السؤال المركزي الأساسي وهو: كيف يُمكن لإسرائيل أن تحظى بنصرٍ نظيف حاسم غير قابل للشك في حروبها المقبلة؟.

ورشة النصر التي عقدها كوخافي في بداية استلامه لمهامه كقائد للجيش الإسرائيلي في الحقيقة تُعبر عن مأزق النصر الذي تعيشه دولة " إسرائيل" منذ عشرات السنين، فقد انتهى الزمن الذي كانت تحقق فيه انتصارات واضحة وحاسمة وسريعة بنهاية حرب حزيران 1967، وقبلها حرب العدوان الثلاثي عام 1956، وقبلها حرب النكبة عام 1948، وخاضت بعدها حربي أكتوبر 1973،ولبنان 1982، ولم تستطع فيهما أن تنسب لنفسها النصر، بل كانت في حرب أكتوبر إلى الهزيمة الكُبرى أقرب لولا ألاعيب السياسة، وفي حرب لبنان كان النصر العسكري بطعم الهزيمة الإستراتيجية بعد سنوات طويلة من مقاومة حزب الله العنيدة للاحتلال وتحرير جنوب لبنان عام 2000م.

مأزق النصر كان واضحا داخل الكيان الصهيوني بنهاية الحروب التقليدية النظامية مع الجيوش العربية وبداية حروب الكيان مع المقاومتين اللبنانية والفلسطينية، وبالتحديد منذ انسحاب جيش الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان عام 2000م تحت ضربات المقاومة الإسلامية اللبنانية بدون قيود أو شروط، ثم انسحاب جيش

الاحتلال ومستوطنيه من قطاع غزة عام 2005 تحت ضغط عمليات المقاومة الفلسطينية بدون قيود أو شروط ، رغم إبقائه حالة الحصار المفروضة على قطاع غزة، ومأزق النصر تجلَى واضحاً في حرب تموز 2006 المعروفة إسرائيليا بحرب لبنان الثانية، فالجيش الإسرائيلي لم يستطع إخفاء هزيمته فضلاً عن أن يزعم لنفسه النصر، لتبدأ مرحلة الحروب العدوانية والمعارك بين الحروب وجولات التصعيد المتكررة على قطاع غزة وآخرها معركة صيحة الفجر التي أُطُلق عليها إسرائيلياً اسم الحزام الأسود ليبرز فيها مأزق النصر الإسرائيلي بوضوح.

عجز الجيش الإسرائيلي من انتزاع صورة النصر في حروبه ومعاركه العدوانية المتكررة على الشعب والمقاومة في قطاع غزة جعل جنرالات الجيش يبحثون عن مفاهيم وصور أخرى للنصر تختلف عن المفاهيم والصور التقليدية الواضحة، ولذا قال أحدهم محاولاً الخروج من مأزق النصر " هدف الجيش من جولات القتال المتتالية في ضوء غياب الهدف السياسي وغياب إمكانية تحقيق النصر الواضح والحاسم هو زيادة المدة الزمنية بين جولات المواجهة وتقليص أمد كل جولة مواجهة وضررها"، بل وتراجع رئيس هيئة أركان جيش الاحتلال السابق "غادي ايزنكوت" أكثر من ذلك في تعريف النصر بقوله :" تحقيق الأهداف السياسية المقررة للمعركة بشكل يقود إلى تحسين الوضع الأمني بعد الحرب".

فلم يُعد النصر هو احتلال الأرض، أو استسلام العرب، أو ردع العدو، أو تحقيق الأهداف السياسية للحرب.... وأصبح فقط تحسين الوضع الأمني بعد الحرب، أو تقليص أمد كل جولة مواجهة وضررها.

وظهر مأزق النصر واضحا في معركة (صيحة الفجر) التي أعقبت العدوان الإسرائيلي المزدوج على سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين من خلال اغتيال القائد الشهيد بهاء الدين أبو العطا وزوجته في غزة، ومحاولة اغتيال عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي القائد المجاهد أكرم العجوري، فإن كان العدو قد نجح في اغتيال احد قادة سرايا القدس المهمين والكبار، فإنَه لم ينجح في انتزاع صورة النصر بشهادة الجنرال الإسرائيلي "مائير ألران" رئيس قسم

حماية الجبهة الداخلية بمعهد الأمن القومي بجامعة تل ابيب، الذي قال عقب انتهاء المعركة مع الجهاد الإسلامي " بسبب منظمة صغيرة مثل الجهاد الإسلامي اضطرت إسرائيل ان تُصاب بالشلل، فماذا سنعمل في مواجهة مستقبلية في حال انضمام حماس وحزب الله... هذه التعليمات التي حولت شوارع تل أبيب مناطق فارغة من السكان تمنح العدو في غزة صورة انتصار يبحث عنها".

وغير حالة الشلل التي أصابت نصف الكيان الصهيوني تقريبا، فقد دفع الكيان ثمن عملية الاغتيال من أمنه جيشاً ومستوطنين، ليس فقط خلال يومي المعركة، بل أعمق من ذلك بتكريس مأزقه الأمني المرتبط بوجوده كما عَبر عن ذلك أحد مؤسسي الكيان "ديفيد بن غوريون" الذي قال " إنَ جوهر مشكلتنا الأمنية هو وجودنا بالذات"، فحالة القلق الوجودي تتعمق في كل حرب أو معركة يخوضها الكيان ولا ينتصر فيها، كما أنَ الكيان فشل في تغيير قواعد الاشتباك مع المقاومة الفلسطينية عندما فرضت حركة الجهاد الإسلامي شروطها وفي مقدمتها وقف الاغتيالات، ولم يتحدث احد من قادة العدو عن تحسين حالة الردع التي تآكلت مع كل صاروخ يدكُ مستوطنات العدو.

مأزق النصر وصورته المفقودة منذ زمن لدى الكيان الصهيوني عبر عنه طاقم تحرير جريدة (هآرتس) الإسرائيلية في مقال افتتاحي رئيسي بقولهم :" عندما تخوض إسرائيل مواجهة انطلاقا من هدف مُعلن فإنَ أعداءنا سينتصرون طالما أنهم لا يستسلمون".

وهذا جوهر الأمر عدم الاستسلام يعني امتلاك إرادة النصر النابعة من عدالة القضية الفلسطينية، وإرادة النصر تعني إرادة الصمود للشعب وإرادة القتال للمقاومة، فالعدو يستطيع بما يملكه من قوة عسكرية أن يعيث تقتيلاً وتدميراً، ويستطيع أن ينتزع عشرات ومئات الأرواح الطيبة من أجسادها الطاهرة، ولكنه بالتأكيد لم يستطع ولن يستطيع أن ينتزع روح الصمود والتحدي والمقاومة من شعب عنيد صابر صامد مقاوم كالشعب الفلسطيني.

أزمة نتنياهو ومأزق (إسرائيل)

• كُتب بتاريخ:
2019-11-27م

قرار النائب العام للكيان الصهيوني تقديم لائحة اتهام ضد رئيس حكومة الكيانَ وهو على رأس عملهْ تشمل تُهماً خطيرة بالرشوة والاحتيال وخيانة الأمانة تستوجب المحاكمة ثم السجن إذا تحوّل من متهم إلى مُدان. قرار مهم يُشير في أحد جوانبه على قيمة ديمقراطية تعني عدم وجود أحد فوق القانون وأنَ لا حصانة لأحد مهما علا منصبه في الدولة، وقد سبق أن حُوكِم وسُجن رئيس وزراء سابق، ورئيس دولة، ووزراء حكومة، وجنرالات جيش. وهذه القيمة الديمقراطية غير موجودة في معظم الدول العربية ومن شابهها من دول العالم ما بعد الأول والثاني والثالث، هذا الجانب الايجابي من الموضوع، وربما الشيء الجيد الوحيد في كيان كل ما فيه سيء من رأسه حتى أخمص قدميه، وحتى تلك القيم الديمقراطية في نظام سياسي عنصري كنظام جنوب افريقيا السابق تفقد قيمتها الحقيقية، ولكن هذا ليس كل شيء، فتقديم نتنياهو للمحاكمة لا يُشير فقد إلى أزمة نتنياهو، بل إلى مأزق أعمق وأكبر من مجرد أزمة شخص هو رئيس حكومة الكيان الصهيوني.

توجيه لائحة اتهام ضد رئيس حكومة على رأس عمله، لا يدل على أزمة نتنياهو الخاصة فقط، بل يدل على مأزق (إسرائيل) المتعدد المسارات والوجوه، ومنها مأزق النظام السياسي الإسرائيلي، فاتهام نتنياهو بالرشوة والتحايل وخيانة الأمانة زاد طين المأزق السياسي بلة، وعمّق حالة العجز والشلل الضاربة أطنابها في النخبة السياسية والأحزاب الإسرائيلية، فالاتهام جاء بعد فشل عمليتين انتخابيتين في ولادة حكومة إسرائيلية، وأصبحت الحاجة ماسة لإجراء عملية ولادة قيصرية عبر انتخابات ثالثة-

على الأرجح-، والاتهام قد يقضي على فرص نتنياهو بتشكيل حكومة برئاسته بعد أن أصبح موقفه القانوني والسياسي والحزبي على كف عفريت السياسة الحزبية القاسية، التي قد تؤدي إلى أفول نجم آخر (ملوك إسرائيل). وانتهاء عصر القادة الكبار، بعد أن أسدل الستار منذ زمنٍ طويل على جيل الآباء المؤسسين الكبار للكيان الصهيوني ابتداءً من بن جوريون إلى شارون، فمأزق النظام السياسي يتفاقم بمرور الزمن وعوامل التعرية لقيم الصهيونية المزيفة، فالنظام البرلماني الإسرائيلي بوضعه الحالي لم يعدُ قادراً على ولادة حكومة قوية، وإذا قدر لا يستطيع المحافظة على بقائها إلاّ بالتنفس الصناعي، لعجزه عن إفراز أحزاب كبيرة تحصل على أغلبية مقاعد الكنيست، فقد انتهى عصر الأحزاب الكبيرة، ومن يلقى على عاتقه تشكيل الحكومة من الأحزاب المتوسطة يخضع لابتزازات الأحزاب الصغيرة المتشاكسة والمتناقضة والمختلفة في كل شيء تقريباً إلاّ معاداة العرب وتكريس الاحتلال والاستيطان والتهويد. فشكل نظام الحكم وقانون الانتخابات أدى إلى كثرة الأحزاب الصغيرة، وسهولة تشكيلها واندثارها، وصعوبة تشكيل الحكومة وسهولة تفككها.

أزمة نتنياهو ومأزق (إسرائيل) السياسي مجرد الظاهر السيء الذي يُخفي تحته الباطن الأكثر سوءاً، والمأزق الأكثر عُمقاً، فالكيان الصهيوني يواجه مأزقاً أمنياً يحمل في جوهره طابعاً وجودياً، فدولة (إسرائيل) هي آخر كيان استيطاني إحلالي عنصري في العالم، يعيش في وسط مُعادي له يرفضه ولا يعترف بشرعيته- رغم اعتراف بعض الانظمة الحاكمة به- الكيان الوحيد في العالم الذي تعتبر هزيمته العسكرية الواضحة والحاسمة تهديداً لوجوده الفعلي كدولة، كيان لم يستطع تحقيق النصر الواضح الحاسم منذ نصف قرن تقريباً، ورغم قوته العسكرية الهائلة إلا أنه مُهدد بالزوال، وهذا ما أكده (ابراهام بورغ) رئيس الكنيست السابق ورئيس الوكالة اليهودية بقوله: "اذا بقيت إسرائيل دولة كولونيالية بطابعها فإنها لن تصمد، ففي نهاية المطاف ستكون المنطقة أقوى منها، والمظالم القائمة بالأساس ستكون أقوى منها، وكل من يأمل العيش على حد السيف، سيجد نهايته بالسيف". بل إن نتنياهو نفسه في الاحتفال السبعين

بإقامة دولته كان أعلى طموح له أن تتخطى (إسرائيل) عمرها الثمانين وعلى الأكثر أن تصل لعمر مائة عام، بقوله: " المملكة الحشمونئية دامت ثمانين عاماً، وأنَ علينا بدولة إسرائيل أن نتخطى ونمر هذه الفترة... وأن نحتفل بمئوية دولة إسرائيل".

مأزق (إسرائيل) ليس مجرد خطر أمني خارجي على وجودها وإن كان هذا مؤكد وزوالها يقيني، ولكن من مأزقها الداخلي المتعدد الأوجه، وأحد أشكاله هو الأمن نفسه، فالحروب التي يخوضها الكيان دون أن ينتصر فيها، والمعارك التي يفجرها دون أن يحسمها، واستمرار صمود الشعب الفلسطيني فوق أرضه، ومواصلة المقاومة بكافة أشكالها، وسقوط الصواريخ فوق مُدن الكيان... يؤدي بدوره إلى فقدان الأمن الشخصي والقومي داخل الكيان، وهذا يفقد المستوطنين الاحساس بالأمن الشخصي والجماعي، وهذا يضرب جوهر المشروع الصهيوني القائم على الأمن والهجرة والاستيطان، فالإحساس بالأمن يجلب الهجرة والاستيطان، والعكس يؤدي إلى إضعاف الهجرة والاستيطان، وربما الهجرة العكسية من الكيان التي بدأت بالتزايد في السنوات الأخيرة، فأحد ركائز الدعاية الصهيونية قامت على أساس أنَ (إسرائيل) هي أكثر الأماكن أمناً لليهود في العالم؛ فماذا لو أصبح أكثر الأماكن خطراً لليهود في العالم؟!.

ومن أشكال مأزق الكيان الداخلي هو تآكل الأسس التي قام عليها المشروع والكيان الصهيوني، ومن مظاهر ذلك ظهور تيار إسرائيلي من النخبة الاكاديمية (المؤرخون الجدد) نزعت القداسة عن المسلمات الصهيونية وشككت في مصداقيتها كأحقية اليهود في (العودة) إلى فلسطين، وما يُسمى بـ (أخلاقية) الجيش الإسرائيلي، ونقد الرواية الصهيونية (لـ (المحرقة النازية) والنكبة (حرب الاستقلال). هذا على المستوى الأكاديمي، وعلى المستوى الفعلي ظهرت التناقضات داخل المجتمع الإسرائيلي وسقطت كل المراهنات على تذويبها، فلا زال التناقض بين اليهود الغربيين (الأشكناز) واليهود الشرقيين (السفارديم) قائماً وما انفك التناقض بين المتدينين والعلمانيين موجوداً على أشده، وما برح الخلاف بين هوية الدولة وطبيعتها كدولة

دينية يهودية أو دولة مدنية ديمقراطية منذ نشأة الدولة، وظلت مشكلة الدستور المفقود لذلك قائمة، وليس أدل على فقدان ما يُسمى بالروح الطلائعية للروّاد والصهاينة من انهيار حركة (الكيبوتس) وتراجع (القيم الصهيونية) التقليدية لصالح القيم الفردية الانتهازية الاستهلاكية، وضعف الاقبال على الوحدات القتالية في جيش الاحتلال، بل إنَ (إسرائيل) نفسها كدولة لم تستطع الانتقال من دولة جيتو مغلقة داخل ثكنة عسكرية إلى دولة طبيعية لأسباب كامنة فيها قبل أن تكون بسبب محيطها العربي والإسلامي الرافض لوجودها، حتى قال أحد شعرائهم المشهورين (ناتان زاخ) "إنَ الصهيونية فشلت في تحقيق مُرادها وإنَ دولة الحليب والعسل التي وعدت بها تحوّلت إلى كومة شر وفساد". وكذلك العالم والسياسي (آمنون روبنشتاين) أكدَ كذلك بقوله : "إنَ الكيان الإسرائيلي لا يمكنه البقاء مطلقاً بسبب نوعين من التهديد: خارجي... وداخلي يتمثل في الفساد وتآكل منظومة القيم الصهيونية".

خُلاصة الأمر الحديث عن أزمة نتنياهو ومأزق (إسرائيل) لا يعني أنَ دولة الكيان الصهيوني على وشك السقوط، فعوامل بقائها الذاتية والموضوعية لا زالت أقوى من عوامل زوالها، واكتمال دائرة هزيمتها بحاجة إلى بناء عناصر القوة الذاتية لنا كفلسطينيين وعرب ومسلمين، وهذا بدوره يحتاج إلى إعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني المرتكز على التحرير والعودة والاستقلال، والمرتكز على عمقه العربي والإسلامي ليكون مشروعاً للأمة يضمن حريتها ونهضتها ووحدتها واستقلالها.

المقاومة والسلطة وبينهما أمور مشتبهات

• كُتب بتاريخ:
2019-12-4م

كتب الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم قصيدة بعنوان (جيفارا مات) رثى فيها المناضل الأُممي (ارنستو جيفارا) المُلّقب بـ (تشي) بمعنى الرفيق ومما جاء فيها : "جيفارا مات.. جيفارا مات.. مات المناضل المثال.. يا ميت خسارة على الرجال.. مات البطل فوق مدفعه جوّة الغابات.. جسّد نضاله بمصرعه ومن سكات.. يمكن لفظْ آخر نفس" كلمة وداع.. لجل الجياع.. صور كتير ملو الخيال.. وألف مليون احتمال.. لكن أكيد ولا جدال.. جيفارا مات موتة رجال". القصيدة أجملت القيم الثورية التي عاش عليها جيفارا ومات من أجلها، تماماً كما قال :" لن يكون لدينا ما نحيا من أجله، إن لم نكن على استعداد أن نموت من أجله". فدفع جيفارا حياته ثمناً لما يؤمن به، ومات ثائراً مقاوماً في غابات بوليفيا بعد أن ترك السلطة وامتيازاتها في كوبا. وان كان جيفارا قد ترك السلطة من أجل الثورة، فهناك من ترك الثورة من أجل السلطة، وما التجربة الفلسطينية عنا ببعيد، بل هي أقرب لهذا المثال من حبل الوريد.

من المألوف أن تتحوّل ثورات الشعوب المُظفّرة، وحركات المقاومة المنتصرة، إلى سلطة حاكمة تُحدث من خلالها التغيير الثوري المنشود، بعد صراع مع أعدائها، سواء كان عدوها المُحتل الأجنبي كما حدث مع ثورات وحركات التحرر الوطني، كالثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية وغيرهما، أو كان عدوها نظام حكم داخلي يمارس الاستبداد والفساد، كما حدث مع ثورات الشعوب الحرة، كالثورة الفرنسية والثورة الإيرانية وغيرهما.

واذا كان من المألوف إقامة سلطة بعد المقاومة عندما تنتصر الثورات وحركات المقاومة على اعدائها، فإنه من غير المألوف أن تُقام سلطة لمقاومة وثورة لم تنتصر بعد،

ولم تنجز مشروعها الوطني بعد، ولم تحقق أهدافها الوطنية بعد. وإذا كان من المحتمل أن يتحوّل الثوار والمقاومون في تلك البلدان المنتصرة ثوراتها إلى نخبة حاكمة وطبقة مسيطرة تحتكر السلطة والثروة من دون شعبها، وتمنع تداولهما إلاّ في أبنائهم ومن نافقهم من الاتباع المقربين؛ فإنه لا ينبغي أن يحدث ذلك في ثورة ومقاومة لم تنتصر بعد، وفي سلطة فوق الشعب وتحت الاحتلال.

حدَث ذلك في التجربة الفلسطينية ولا زال يحدث، عندما أُنشئت السلطة الفلسطينية عام 1994، بعد سنوات طوال من ترويض الفكر السياسي الفلسطيني، بفعل عوامل التعرية الثورية، والتآكل في مفهوم الواقعية الثورية ثم السياسية، حتى وصلنا إلى محطة البرنامج المرحلي المعروف بالنقاط العشر عام 1974 الذي أسس لإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية بعد أن تبنى "إقامة السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية يتم تحريرها "على ان تقوم السلطة الوطنية بـ "استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني". وقد استغرق الأمر عشرين عاماً لتكتمل دائرة الترويض، فأُقيمت السلطة - بخلاف البرنامج المرحلي - على أرض غير مُحررة، وتحت الاحتلال، وبدون مشروع لاستكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني؛ بل لم تستطع الحفاظ على ما لديها من تراب دون مُصادرة واستيطان. وهذا هو أصل المأزق الفلسطيني بعد مأزق الاحتلال، مأزق وجود سلطة تحت الاحتلال، ليست بالاحتلال، وليست بالمقاومة، بل إن أهم وظائف السلطة الوطنية هي قمع المقاومة الوطنية، وأصبحت السلطة المُراد لها أن تكون وطنية مُعيقة لإنجاز مشروع التحرير الوطني، وهي التي يُفترض أن تكون مرتكزاً للتحرير كما جاء في برنامج النقاط العشر.

اشكالية التناقض بين وظيفتي السلطة والمقاومة عندما يكون كلاهما تحت الاحتلال أو الحصار ليست الاشكالية الوحيدة في الحالة الفلسطينية، فهناك أمور مشتبهات في العلاقة بينهما. ومنها غياب اللون الأبيض والأسود في الحكم عليهما أحياناً ، لصالح اللون الرمادي الذي خلط الأوراق ببعضهما. فمن تبنى نهج التسوية وأقام السلطة عاد في مرحلة انتفاضة الأقصى عام 2000 وانخرط بالمقاومة الشعبية والمسلحة ضد الاحتلال، وكان على مستوى الخطاب السياسي، والفعل الثوري كفرسي رهان مع

من تبنى نهج المقاومة كخيار للتحرير. ومن أهل السلطة من يرى أن وجود السلطة الوطنية في الأرض المُحتلة هو أكبر داعم لصمود الشعب الفلسطيني فوق أرضه، وصمود الشعب داخل وطنه أهم ركائز المقاومة. ومن تبنى نهج المقاومة أو جزء منهم عاد ودخل السلطة عبر بوابة الانتخابات المحكومة بسقف أوسلو، ثم تقاسم السلطة مع أصحابها عبر بوابة الحسم المحكوم بفوهة البنادق، فتحمل عبء ادارة الحياة في جزء من الوطن يفتقر إلى كل مقومات الحياة، فأضُطر لتبني جزء من خطاب السلطة تحت ضغط توفير متطلبات الشعب الحياتية، وهذا يحتاج إلى ضبط ايقاع المقاومة وفق استحقاقات السلطة.

خُلاصة الكلام فيما وقع بين المقاومة والسلطة من أمور مشتبهات جعلتهما أقرب الى التناقض من التكامل هو عدة خيارات، أولهما العودة إلى الأصل في مرحلة التحرر الوطني وفق قوانين الثورات ومسارات التاريخ، والأصل هو المقاومة، فالاحتلال يتطلب المقاومة، بدون سلطة حاجزة بينهما، وبما أن السلطة أُقيمت بالفعل كأمرٍ واقع، التراجع عنه- عند البعض- نوع من المغامرة وضرب من القفز في المجهول، فلا مناص سوى الخيار الثاني، وهو أن تكون السلطة حاضنة للمقاومة، وحامية لظهرها، وداعمة لصمود الشعب، والصمود أساس المقاومة، فتصبح بذلك سلطة المقاومة. وإن لم يكن هذا ولا ذاك، فالخيار الثالث بتقاسم الشرعية والوظائف بين السلطة والمقاومة، فتُقاس شرعية السلطة بمدى أدائها لوظيفتها في خدمة شعبها وضبط أمن المجتمع، وتُقاس شرعية المقاومة بمدى أدائها لوظيفتها في استخدام سلاحها ضد المحتلين من جيش ومستوطنين، على أن تخضعا لمرجعية وطنية واحدة شرعيتها في تمسكها بالثوابت الوطنية ونهج المقاومة، ومشروع وطني موّحد ركائزه التحرير والعودة والاستقلال. وان لم تكن الخيارات الثلاثة في دائرة الإمكان فليس أقل من أن لا تعيق السلطة عمل المقاومة، وان لا تنسّق مع الاحتلال ضد المقاومة وذلك أضعف الوطنية.

الثورة والفساد

• كُتب بتاريخ:
2019-12-11م

جـاء في الصحيحـين أن رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم– اسـتعمل عامـلاً، فجـاءَه العامـلُ حـين فـرغ مـن عملـهِ، فقـال: يـا رسـول الله، هـذا لكـم وهـذا أُهـديَ لي، فقـال لـه: أفـلا قعـدت في بيـت أبيـكَ وأمـكَ، فنظـرتَ أيُهـدي لـك أم لا؟... ثـم قـال: " مـا بـال العامـل نسـتعملهُ، فيأتينـا فيقـول: هـذا مـن عملكـم ، وهـذا أهـديَ لي، أفـلا قعـدَ في بيـت أبيـه وأمـه فنظـر: هـل يُهـدي لـه أم لا؟... . أليـس هـذا الـذي اسـتنكره وحرّمـه الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم– عـلى عاملـه أي موظـف الدولـة بمفهومهـا الحديـث هـو عـين الفسـاد وجوهـره كـما عرفتـه المنظـمات الدوليـة بأنـه إسـاءة اسـتخدام السـلطة العامـة (الحكوميـة) لأهـداف غـير مشروعـة ولتحقيـق مكاسـب شـخصية، وهـذا مـا أصـاب أنظمـة الحكـم العربيـة المعـاصرة، ومـا مارسـته النخـب الحاكمـة في الـدول العربيـة في مرحلـة مـا بعـد الاسـتعمار المبـاشر، وهـو نفـس السـبب الـذي ثـارت ضـده شـعوب الأمـة العربيـة في ثـورات الربيـع العـربي المعـاصرة، فكانـت ثـورات ضـد الفسـاد بامتيـاز.

ثـورات الشـعوب العربيـة ضـد حكامهـا المعروفـة بثـورات الربيـع العـربي في موجتهـا الأولى التـي بدأتهـا تونـس عـام 2011، وموجتهـا الثانيـة التـي طالـت الجزائـر والسـودان والعـراق ولبنـان كان مـن أهـم أسـبابها فسـاد واسـتبداد أنظمـة الحكـم، وأهـم أهدافهـا القضـاء عـلى الفسـاد والاسـتبداد الـذي ميّـز نخبهـا الحاكمـة، والفسـاد في تلـك الأنظمـة أصبـح هـو الأصـل وليـس الاسـتثناء، وتقاريـر منظمـة الشـفافية العالميـة تؤكـد هـذه الحقيقـة عـلى مـدار السـنوات السـابقة ومنـذ انشـاء المنظمـة، واخرهـا تقريـر عـام 2018 الـذي يضـع أكثـر مـن نصـف الـدول العربيـة في مقدمـة دول العـالم الأكثـر فسـاداً، وهـي نفـس الـدول العربيـة التـي طالتهـا ثـورات الربيـع العـربي في موجتهـا الأولى والثانيـة، والقضـاء عـلى

الفساد في الدول العربية في غاية الصعوبة قد لا يتحقق إلاّ بإزالة أنظمتها الحاكمة؛ ذلك بأن الفساد جزء من بُنيتها المرتبطة بالاستعمار والاستبداد والطائفية.

الفساد في الدول العربية مرتبط بالاستعمار ، فقد ساهم الاستعمار في ايجاد وتقديم نخب حاكمة مرتبطة به فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وبعضها مرتبط عاطفياً بالاستعمار، مما جعلها منتمية فعلياً للاستعمار، وبالتالي منفصلة عن مجتمعها وشعبها وأمتها، وأفضل طريقة لإجبار هذه النخبة الحاكمة واستمرار بقائها هو الفساد، فالفاسد لا يُمكن أن يكون وطنياً؟ بعد "أن ارتبطت مصالحه بالاستعمار، وهذا جزء من منظومة السيطرة على النخب الحاكمة ومن خلالها على البلاد المُحتلة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، سواء كانت الجيوش الأجنبية موجودة على الأرض، أم كانت جيوش الطابور الخامس من أعوان الاستعمار هي الموجودة.

وهذا ما يُفسّر فساد النخب الحاكمة التي تركها الاستعمار خلفه بعد رحيله، كالعراق بعد انسحاب الجيش الأمريكي منها تاركاً طبقة حاكمة نهبت ثروات العراق وتكونت معادلة شاذة هي وجود دولة غنية بثرواتها الطبيعية يعيش فيها شعب فقير يفتقر الى الخدمات الأساسية كالكهرباء والماء. وربما المثال الأكثر غرابة هو نموذج فساد النخبة الحاكمة في السلطة الفلسطينية، كجزء من منظومة السيطرة الإسرائيلية على الضفة والقطاع، ووجود هذه النخبة وارتباط مصالحها بالاحتلال هو ما يُفسر عدم قدرتها على تحدي الاحتلال خوفاً من فقدان الامتيازات وهذا جوهر الفساد.

الفساد في الدول العربية مرتبط بالاستبداد في متلازمة واحدة، هي جزء من آلية الحكم، وممارسة السلطة، ومراكمة الثروة، وتوريث السلطة والثروة للأبناء، وتداولهما في نفس النخبة المسيطرة والطبقة الحاكمة. بل أن هذه الأنظمة الحاكمة انتقلت من مفهوم فساد الحكم إلى الحكم بالفساد، بمعنى أن فساد الحكم يُشير إلى خلل في الأداء الوظيفي وإساءة استخدام السلطة لنظام الحكم، يشمل مظاهر الرشوة، واستغلال النفوذ، والمحسوبية... وقد يكون هذا الاستثناء وليس الأصل بدرجات متفاوتة وحسب درجة فساد الحكم. بينما الحكم بالفساد هو الأصل في ممارسة السلطة كجزء

من منظومة السيطرة على الحكم، وإدامة السيطرة، وتوريث السلطة والثروة للأبناء.

وهذا ما يحدث في الأنظمة العربية المستبدة الحاكمة، فيكون الفساد هو توأم الاستبداد الملتصق، بل ويكون (الاستبداد هو أصل كل فساد)، كما قال عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)؛ وفسر ذلك بأن الاستبداد لا يستمر إلا في بيئة سياسية فاسدة، والفساد يكبر في ظل حكم الاستبداد. وبذلك تصبح العلاقة بين الفساد والاستبداد طردية كلما زاد أحدهما زاد الآخر والعكس صحيح.

الفساد في الدول العربية أو بعضها مرتبط بالطائفية، سواء الطائفية المذهبية، أو الطائفية الحزبية، أو الطائفية الطبقية، وغيرها من أنواع الطائفية التي تُقيم نظامها السياسي على أساس التفرقة العنصرية - المذهبية والحزبية والطبقية وغيرها- وأهم سماتها عدم المساواة والعدالة بين المواطنين في الدولة الواحدة، وإقامة نظام سياسي على أساس طائفي أو حزبي أو طبقي أو نخبوي، فتُحتكر الوظائف أو بعضها لأبناء المذهب الواحد والحزب الواحد والطبقة الواحدة والنخبة الحاكمة، وفي أحسن الأحوال تُقسم المناصب والوظائف والموارد في الدولة على أساس المحاصصة السياسية والاقتصادية، فُتوزع المناصب في السلطة السياسية، وتُقسم الموارد الاقتصادية على فئات معينة على أساس مذهبي وحزبي وطبقي بعيدا عن الأسس السليمة القائمة على المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص والخبرة، والاجتهاد والإنجاز والاتقان... وهذا النظام الطائفي بمختلف أنواعه المذهبية والحزبية والنخبوية هو أكبر رافد للفساد، وأكبر مُعيق للإصلاح، وذلك بأنَ الفاسدين فيه محميون من مراكز القوة المذهبية أو الحزبية أو الطبقية المتنفذة في النظام الحاكم، وتُحول كل عمل ضد هؤلاء الفاسدين إلى تهمة استهداف الطائفة المذهبية والحزبية .

خُلاصة الأمر أنَ الثورة على الفساد لن تنجح إلا إذا عملت ضد منظومة الفساد بأكملها التي تغذيها أنظمة حكم مرتبطة بالاستعمار والاستبداد والطائفية. وهذا يعني التخلص من الاستعمار بكافة درجاته المباشرة وغير المباشرة ابتداء من الاحتلال العسكري المباشر وانتهاء برهن قرار نظام الحكم بأجندة خارجية. والتخُلص

من الاستبداد أصل كل فساد، وأساس كل بلاء ومصدر كل خراب. والتَخلصُ من الطائفية بلونها المذهبي، أو الحزبي، أو الطبقي، أو النخبوي، وبدون ذلك العمل الثوري المتكامل لن تنجح الثورة في تحقيق طموحات الشعوب المقهورة، ولن تنجح معها كل مشاريع النهضة والتنمية والحياة الحُرة الكريمة، فالفساد سيأكل الأخضر واليابس من ثروات الشعوب المقهورة.

أوبريت "ملاك السلام" إبداع من الزمن الجميل

• كُتب بتاريخ:
2019-12-14م

انتج تلفزيون فلسطين عملاً فنياً إبداعياً أطلق عليه اسم (ملاك السلام)، تجلّت فيه العبقرية الفنية الفلسطينية الجبّارة، وانجلت فيه الألمعية الشعرية الوطنية المدرارة، فأسفرت عن أوبريت (ملاك السلام)، يُشمُّ في كلماتِهِ عبقُ الزمن العربي الجميل، ويُسمعُ في ألحانهِ ترانيمُ أيام الفن الأصيل، ويُحسُ من طريقةِ أدائهِ عودةُ عصر الاستبداد الجليل. ذلك الزمن الجميل الذي كانت فيه الشعوب العربية وفّيةً لزعمائها، ومخلصةً لقادتها، ومُحبةً لملوكها، حتى لو جلدوا ظهورها، وقهروا إرادتها، ونهبوا ثرواتها. وتلك الأيام السعيدة التي كان شعراء ومطربو العرب يصدحون ليل نهار بما لذ وطاب من أناشيد التمجيد لصناع النصر المجيد، وأغاني التحميد لأنعمُ أصحاب الجلالة والفخامة العبيد. وذلك كله يُعبرُّ عن قيمّ الولاء والفداء، ومعاني الاحتفاء والفناء، وقد يكون أحد أنواع البلية والبلاء.

هذا النجاح في العمل الفني الرائع المبدع (ملاك السلام) أخرج أضغان أعداء النجاح والصلاح أصدقاء الفشل والطلاح، فطفقوا يرمونه بطوب الحقد وحجارة الحسد، وشرعوا يرشقونه بسهام الشحناء ورماح البغضاء، لا لشيء إلاّ لأنهم فاشلون لا يعرفون من أين تؤكل الكتف، وفضلاً عن ذلك عاجزون عن التملّق والتشقلب. وهذا أكبر دليل على عظمة الأوبريت الكبير، وهذا ما أكده الكاتب الكبير مصطفى أمين بقوله "إذا قمت بعملٍ ناجح، وبدأ الناس يرمونك بالطوب، فاعلم أنَّك وصلت بلاط المجد، وأنَّ المدفعية لا تُطلق في وجهك بل احتفاء بقدومك". ولذلك بدأت الانتقادات السخيفة تنهال من كلِ صوبٍ وحدبٍ على الاوبريت، كجلمودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من علٍ.

من هذه السهام المسمومة والانتقادات المذمومة لأوبريت (ملاك السلام) الدخول من باب التكلفة المالية الكبيرة لإنتاج الأوبريت رغم الأزمة المالية - رغم أنَّ الوزير دبّر حاله - زاعمين أن ذوي الشهداء والأسرى والجرحى المقطوعة رواتبهم أولى بهذا المال، في محاولة لإثارة الشبهات وتأجيج النعرات في زعم باطل من جذوره، فقد اختار الشهداء والأسرى والجرحى طريق النضال الوطني بمحض إرادتهم الحُرة، ولم يجبرهم الوزير على هذا العمل الوطني المشبوه، واختار غيرهم من أولي الأمر وعلية القوم ونخبة المجتمع - وهم الأكثر ذكاء وفطنة - طريق جني ثمار نضالهم، وفق نظرية "البندقية تزرع والسياسة تحصد"، فهاهم المناضلون زرعوا فأكلوا على رؤوسهم، والسياسيون حصدوا فأكلوا في بطونهم، فأرجو سحب هذا النقد من التداول، فالزعم أن منتجي الأوبريت استغلوا المال العام للتقرّب من الرئيس كذب بواح وتوزيع للاتهامات سداح مداح.

ومن هذه الانتقادات المذؤومة، ذات الرائحة المشؤومة، أن الأوبريت تُمجّد بطل (ملاك السلام) بشيء مفقود، إضافة إلى ذلك غير موجود، فأين السلام في أرض السلام؟!، ثم أين السلام الذي لا يشعر به المعارضون في السجون، الذين يتعرّضون لسوء المعاملة والتعذيب حسب تقارير منظمة (هيومن رايتس ووتش) المشبوهة. والحقيقة أنَّ اعتقال معارضي السلام هو أكبر خدمة للسلام، وأنَّ أعداء السلام الأشرار ليس لهم إلاّ النار والشنار.

ومنها أنَّ الأوبريت يمدح البطل بصفاتٍ ليست فيه، وسماتٍ لم يُسمع أنها خرجت من فيه، وهي حمل الرصاص وبعثرة أرتال العدو العسكرية، فمبالغة الشاعر تكون بصفات موجودة وسمات معهودة بالممدوح، ولا يكن المدح بشيء مفقود وغير موجود، والحقيقة أن المنتقدين لعبوا لعبةً أمنية مكشوفة مارسها (العصافير) في أقبية التحقيق، مضمونها استفزاز المعتقلين بنفي الوطنية عنهم ثم اتهامهم بالعمالة، ليقوموا بكشف المستور مما عملوه ولم يكشفوه للمحققين الصهاينة، فيقعوا في الفخ، ثم لا ينفعهم قول (أخ).

أوبريت (ملاك السلام) رغم كل هذه الانتقادات المغرضة يشتمل على كل مقوّمات الأوبريت الفنية وغير الفنية، ويزيد عليها الروح الوطنية ، بعيداً عن الابتذال والانتهازية، أو الامتهان والوصولية. فمعنى اوبريت في معجم المعاني الجامع هو: " مسرحية غنائية قصيرة تشتمل عادة على حبكة عاطفية نهايتها سعيدة "، وهو فن يدمج بين المسرح والغناء والموسيقى، ورغم غياب عنصر الحوار الغنائي الواضح في الاوبريت إلا أن ذلك لا يمنع إضافته إلى أشهر الاوبريتات العربية المصرية مثل أوبريت (الليلة الكبيرة)، وأوبريت (الوطن الأكبر) وأوبريت (الحلم العربي). فالحبكة العاطفية الوطنية والفياضة موجودة في كل ثنايا كلمات الأوبريت وأداء المنشدين وجمود الكورال خلف الموسيقيين، والحبكة خلطت بين المأساة والملهاة، في بوتقةٍ واحدة، أخرجت صورة جمالية رائعة من صورها رؤية مأساة الأعداء وهم يسقطون مع وعدهم السراب، وملهاة الشعب وهويرى البطل يبطح الأعداء أرضاً، ويُجندّلُ الخصوم فتكاً. والنهاية السعيدة في المشهد الأخير فمنظر البطل وهو يُبعثّر أرتال (العدى)، ويُجرّدُ أنياب ومخالب الطغاة، ليس بالرصاص أو الصواريخ العبثية (الهبلة)، بل بالحنكة المتوّقدة، والحكمةِ المتوّهجة، والمُسكةِ (العقل الراجح) المتأججة، فكانت إبداع على إبداع.

أوبريت (ملاك السلام) عنوان الفن الأصيل الراقي، والطرب الأثيل السامي، وابداع انطلق من زمن العمالقة الكبار؛ بل تجاوزهم في فن التفخيم، وأصول التعظيم، وقواعد التضخيم، فالشاعر العراقي الكبير محمد الجواهري مدح سيده جلالة الملك الحسين الهاشمي المفُدى في قصيدة (الملك الأجل) التي مطلعها " يا سيدي أسعف فمي..."، ولم يزد فيها استخدام كلمة (يا سيدي) عن ثلاث مرات، بينما شاعرنا الكبير كررها أربعة عشر مرة، والتكرار هنا هدفه إظهار الاحترام والتقدير، وأُريد به (التسحيج والتدهين). بل أن الشاعر المصري الكبير صلاح جاهين عندما أراد أن يمدح الرئيس جمال عبدالناصر في أُغنية (ناصر يا حرية) التي مطلعها "ناصر يا حرية يا وطنية ياروح الأمة العربية" ناداه باسمه المُجرد بل جزء منه (ناصر)، بدون استخدام كلمة (يا سيدي)، وهذا نوع من عدم الاحترام للقادة والزعماء فطن إليه شاعرنا فكررها أربعة عشر مرة منعاً للشبهة ودرءاً للريبة.

مسك الكلام في الختام، أنَّ سهام الناقدين كثيرة وفوق ذلك غزيرة، لا تتسع مساحة المقال بالرد عليها في هذا المقام، وأخذنا أمثلة منها لتقوية إيمان ضعاف النفوس بوطنهم وقادتهم وفنهم، وتركنا معظمها بعد أن تأكدنا بأنها ليست أكثر من تُرهات وتفاهات انتجتها عقولٍ مريضة، ونفوسٍ عليلة، وشخوصٍ سقيمة... ليس لها عمل إلاّ إحباط الناجحين، وتثبيط المجتهدين، والطعن في إنجازات المبدعين. ولا يعجبها العجب ولا الصيام في رجب، خاصة إذا كانت تلك الانجازات لوجه الشعب والوطن، وليست لوجه السلطان والوثن. ونابعة من الإخلاص والوفاء وليس النفاق والرياء.

المقاومة الفلسطينية بين مُراكمة القوة ومُشاغلة العدو

• كُتب بتاريخ:
2019-12-23م

الساحة الفلسطينية ولاّدة بالمصطلحات الجديدة، في إطار الصراع المتواصل مع الكيان الصهيوني، وفي سياق النقاش المستمر بين الحركات السياسية، ومن هذه المصطلحات الجديدة أو المتجددة مصطلحان: مُراكمة القوة، ومُشاغلة العدو، وهما مصطلحان تكررا في الأسابيع الأخيرة على لسان بعض قادة المقاومة الفلسطينية، خاصة بعد العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة، ومعركة صيحة الفجر بين المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها سرايا القدس، وبين جيش العدوان والإرهاب الاسرائيلي . وفي ظلال هذين المصطلحين مُراكمة القوة ومُشاغلة العدو- من المفيد إلقاء الضوء على دلالتهما ومضمونهما، ثم معرفة مدى تناقضهما أو تكاملهما في إطار فهم استراتيجيات حركات التحرر الوطنية، ودراسة إمكانية توظيفهما لخدمة هدف الثورة الفلسطينية والمشروع الوطني الفلسطيني، وهذا كله يتم دون نسيان تعقيد الوضع الفلسطيني المختلف في ساحات قطاع غزة والضفة الغربية والداخل المحتل والخارج.

مفهوم (مُراكمة القوة) كاستراتيجية عسكرية لحركة مقاومة وتحرر وطني تردد على لسان بعض قادة المقاومة الفلسطينية بعبارات متشابهة منها: نبني القوة ونراكمها، المقاومة تعمل على مراكمة القوة، سنواصل درب إعداد القوة ومراكمتها، المقاومة ستواصل استراتيجية مراكمة القوة، المقاومة ستعمل على أربع جبهات تبدأ بمراكمة القوة... وجميعها تعني كلغة ومصطلح: حشد وتجميع وتكديس القوة العسكرية، سواء كانت عتاداً عسكرياً وأنظمة تسلح من ناحيتي الكم والكيف، أو كانت تجنيد المقاتلين وتدريبهم وتجهيزهم للقتال في المعركة الحاسمة، أو غيرهما من عناصر القوة

العسكرية. والهدف من مراكمة القوة كما جاء على لسان نفس القادة هو: الدفاع عن غزة والضفة والقدس وتحريرهما، لاستكمال عدة التحرير، إعداد العدة لمشروع التحرير والعودة، استعداداً لمعركة التحرير، في سبيل تحرير القدس... وجميعها تعني أن الهدف من مراكمة القوة هو الاعداد لمعركة حاسمة يتم فيها تحرير فلسطين والعودة إليها وإنجاز الاستقلال الوطني.

مفهوم (مُشاغلة العدو) كاستراتيجية عسكرية لحركة مقاومة وتحرر وطني تردد على لسان بعض قادة المقاومة الفلسطينية بعبارات مشابهة منها: عدم التخلّي عن مشاغلة العدو، المقاومة تريد تثبيت معادلة مشاغلة العدو، من الضروري الاستمرار في مشاغلة العدو إلى حين المنازلة الكبرى، إن دور المجاهدين في فلسطين هو إحياء فريضة الجهاد ضد العدو ومشاغلته واستنزاف طاقاته... وجميعها تعني استمرار إشغال العدو بالمقاومة، ومواصلة مقاومة الاحتلال بدون فترات هدوء طويلة الأمد تسمح للعدو بالاستقرار والاحساس بالأمن، وعدم دفع ثمن جرائمه وعدوانه واحتلاله. والهدف من مُشاغلة العدو كما جاء على لسان نفس القادة هو: إحياء فريضة الجهاد، وإبقاء جذوة الجهاد مشتعلة، ومواصلة عمليات المقاومة، والحفاظ على القضية الفلسطينية حية، واستنزاف طاقات العدو البشرية والمادية، وزعزعة أمن الكيان واستقراره، وتعميق مأزق الكيان الأمني والوجودي، وضرب المشروع الصهيوني في جوهره (الأمن والاستيطان) وجميعها تعني أنَ الهدف من مشاغلة العدو هو استمرار المقاومة حتى التحرير الشامل.

مراكمة القوة ومشاغلة العدو في ضوء القراءة السابقة، مفهومان غير متناقضين واستراتيجيتان غير متضاربتين، بل هما إلى التكامل أقرب، وإلى التآزر أدنى، إلاّ إذا اعتبرنا مشاغلة العدو بالمقاومة المستمرة مُعيقة لمراكمة القوة بالمقاومة الكامنة، أو اعتبرنا عمليات المقاومة ضد الاحتلال ستُعطي العدو ذريعة لتدمير ما تراكم من قوة عسكرية بيد المقاومة، أو اعتبرنا مشاغلة العدو استنزاف للشعب والمقاومة وليس للكيان بجيشه ومستوطنيه، أو اعتبرنا مشاغلة العدو مُخربة لمشروع سياسي يخدم المشروع الوطني أو أي مشروع آخر... واذا ابتعدنا عن وجهات النظر السابقة

واقتربنا من وجهات النظر التكاملية بين المفهومين والاستراتيجيتين نجد العكس هو الصحيح، فمشاغلة العدو أهم وسائل مراكمة القوة، فاستمرار المقاومة الشاملة، ليس فقط في قطاع غزة، بل في كل فلسطين المُحتلة عام 1948 والضفة الغربية، هي أهم أدوات ووسائل بناء القوة وبمفهومها الشامل: قوة الشعب الفلسطيني وصموده فوق أرضه، وقوة المقاومة بمراكمة خبرات المقاتلين، وقوة الأمة بزيادة دعمها للشعب والمقاومة، وبناء القوة ومراكمتها من خلال المقاومة تتم بمنع استقرار الكيان وزعزعة أمنه واستنزاف قوته، كما من المفيد التذكير أن ما تراكم من قوة للمقاومة في قطاع غزة قد تم باستمرار مشاغلة العدو ومقاومته، والسؤال المطروح هو ما الذي يضمن عدم قيام العدو بتدمير إمكانيات المقاومة إذا ما خلدنا إلى السكون؟! والسؤال الأهم هل سيقبل العدو بهدنة طويلة الأجل دون المطالبة بنزع سلاح المقاومة؟!

مراكمة القوة بمفهوم التناقض مع مشاغلة العدو، وبالتوازي والتزامن مع تأجيل المقاومة، لا تبعد كثيراً عن مفهوم (الإعداد والتربية)، وهو المنهجية التي كانت تتعامل بها الحركة الإسلامية ما بين النكبة الفلسطينية والانتفاضة الأولى، على مدار أربعة عقود من تاريخ الصراع، برز خلالها دور حركات المقاومة الوطنية الفلسطينية في الكفاح المسلح، لا سيما بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، هذا الغياب الطويل عن فلسطين والمقاومة تم تبريره بنظرية مرحلة الاستضعاف التي تتطلب إعداد وتربية للفرد والجماعة، وتقتضي تنقية وتطهير الجماعة والمجتمع، والبعض كان ولا زال ينتظر الخليفة المُخلّص... حتى خرج من بين أظهرهم، وليس بمثلهم، رجلٌ يسعى، يُقال له أبو إبراهيم، فنادى بمفهوم التربية من خلال المواجهة، مستمداً رؤيته من الآية الكريمة " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" فالجهاد والهداية متلازمان ومقترنان، متجاوزاً مفهوم الإعداد والتربية السكوني، ومؤكداً أن الإعداد والتربية تأتيان من خلال المواجهة مع الباطل، وفي سياق العمل الجهادي ضد الاحتلال، فالجهاد تربية بحد ذاته، والتربية شرط أساسي لنجاح الجهاد، وبذلك يتحوّل الجهاد والمقاومة (مشاغلة العدو) إلى قوة يتم مراكمتها لإنجاز النصر.

مراكمة القوة قريب من مفهوم (التوازن الاستراتيجي) الذي اتخذته أحد الدول العربية سياسة واستراتيجية لنوع آخر من مراكمة القوة، مع الفارق أنَ مراكمة القوة قد تعني الوصول للتوازن الاستراتيجي، وربما لا تصل إليه أو تتجاوزه، والمقصود بالتوازن الاستراتيجي العسكري- وليس الشامل- هو التعادل والتكافؤ في القدرات العسكرية بين تلك الدولة والكيان الصهيوني، ويشمل المساواة الكمية والنوعية للجيشين من كافة الجوانب. وكان مبرر عدم الوصول للتوازن الاستراتيجي على مدار عشرات السنين هو المبرر لعدم تحرير الأرض ورد العدوان المتكرر، وهذه الدولة لم تستطع الوصول إلى التوازن الاستراتيجي بعد ردحٍ طويل من الدهر، فكيف يُمكن لحركة مقاومة أن تصل إليه على أرض صغيرة مُحاصرة، ومعاقبة، وبإمكانيات عسكرية محددة مقارنة بإمكانيات العدو، وخلل هائل في ميزان القوة العسكرية. وأقصى ما يُمكن الوصول إليه- وقد وصلنا إليه فعلاً- هو ايجاد حالة من توازن الردع النسبي المحدود، وإيجاد قواعد اشتباك فرضتها المقاومة تستطيع من خلالها الرد على العدوان، ومعاقبة العدو على جرائمه، ورفع كلفة الاحتلال والحصار، وتهديد جبهة الكيان الداخلية. وهذا الإنجاز المحدود أُنتزع من العدو بالمشاغلة التي راكمت القوة بأسلوب حرب العصابات غير التقليدية، أو خليط من الحرب النظامية وغير النظامية.

مراكمة القوة في سياق استراتيجيات حركات التحرر الوطنية، بحاجة إلى توسيع دائرة الرؤية، ونظرة أكثر شمولية. تتجاوز جغرافية وخصوصية المقاومة في قطاع غزة لتمتد إلى كل فلسطين التاريخية لا سيما الضفة الغربية، فإذا كانت سياسة مُراكمة القوة تصلح فرضاً على قطاع غزة، فبالتأكيد لا تصلح بنفس الآليات على الضفة الغربية، إلاّ إذا عدنا إلى اعتبار مشاغلة العدو بالمقاومة المستمرة هي أهم طريقة لمراكمة القوة. وتتجاوز القوة العسكرية لتشمل كل أنواع القوة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والوطنية وغيرها لتصب جميعها في دعم صمود الشعب الفلسطيني داخل وطنه باعتبار الصمود ركيزة أساسية للمقاومة، وبالتالي تصب في دعم المقاومة الشاملة وفي مقدمتها المقاومة المسلحة. وتتجاوز القوة الفلسطينية إلى مراكمة القوة العربية والإسلامية الداعمة للشعب الفلسطيني وقضيته ومقاومته، خاصة الدول والقوى

التي تتبنى فلسطين القضية والمقاومة، فهي جزء أساسي من مراكمة القوة استعداداً لحرب التحرير وهي نفس الرؤية التي تبنتها منظمة التحرير الفلسطينية في ميثاقها الوطني باعتبار مسؤولية تحرير فلسطين واجب قومي عربي إلى جانب اعتباره واجب وطني فلسطيني" وهي رؤية حركتي حماس والجهاد لتحرير فلسطين كواجب وطني فلسطيني وقومي عربي وديني وإسلامي.

مُراكمة القوة تُناسب دول مستقلة أو مجموعة دول مُتحالفة في مواجهة دول أخرى أو مجموعة دول متحالفة أخرى، ولكنها لا تناسب حركات مقاومة وتحرر وطني تحت الاحتلال والحصار، والذي يناسبها أكثر هو مشاغلة العدو بأساليب حرب العصابات، وفي الحالة الفلسطينية الخاصة في قطاع غزة بإطلاق الصواريخ كسلاح ردع للعدوان، وضرب للكيان الصهيوني ومشروعه الاستيطاني في أمنه واستقراره ، وإحداث التكامل بين المُراكمة والمُشاغلة كنهج ثابت يعني استمرار المواجهة مع العدو الصهيوني، واستنزاف طاقاته وقدراته، وزعزعة أمنه واستقراره لإجباره على الرحيل عن أرضنا، وصولاً إلى التحرير الكامل لفلسطين، بمجهود كل الأمة العربية والاسلامية وطليعتها الشعب الفلسطيني.

وتأكيداً لذلك كتب الشهيد فتحي الشقاقي "الجهاد يجب أن يستمر بلا توقف لإضعاف العدو... نحن نرى في جهادنا دعوة لاستنهاض الأمة كي تنهض وتتوحد وتتوجه إلى بيت المقدس... ليس أمامنا من خيار سوى خيار وحيد ألا وهو حشد طاقات الشعب الفلسطيني، ورصُ الصفوف واستمرار الجهاد والمقاومة واستنهاض الامة العربية والاسلامية من حول قضيتها المركزية والمقدسة. عندما نقول أنَ الحل هو استمرار الجهاد ندرك أنَ تحرير فلسطين مسألة صعبة ولن تتم غداً أو بعد غد، هذه رحلة طويلة، لكننا من خلال قناعتنا بأنَ الأمة العربية والاسلامية قادرة على مواجهة الهجمة وتحقيق الانتصار فيما لو انتظمت مفردات القوة الموجودة بالفعل في سياق فعل جاد، في هذه الحالة ستكون الامة قادرة على تحقيق النصر.

تراجّيديا 2020

الصورة أثناء توقيع اتفاق التطبيع بين دولة الإمارات والاحتلال الاسرائيلي

هل سيصبح للعرب رؤساء سابقون؟!

• كُتب بتاريخ:

2020-1-1م

كان عبدا لله السلال- الرئيس اليمني الأول بعد الإطاحة بالإمامة الزيدية- يُعالج بمستشفى المواساة بالإسكندرية، وكان إسماعيل ياسين- الممثل الكوميدي المشهور- يُسافر إليه يومياً في الليل من القاهرة بعد أن يفرغ من العمل المسرحي بسيارة وأمر المخابرات المصرية بعلم الرئيس جمال عبدالناصر؛ ليحكي له بعض النكت من أجل الترفيه عليه ومساعدته في الشفاء، وفي آخر هذه التجربة القاسية جداً- كما وصفها اسماعيل ياسين- وآخر جلسة ترفيه مع المُشير السلال بحضور جمع من كبار أعوانه روى له هذه النكتة "واحد اعتاد أن يجلس على المقهى، وينشر الصحيفة أمامه ثم يبصق عليها ويُلقي بها على الأرض، فجاءه أحد روّاد المقهى وقال له: لا مؤاخذة يا أستاذ أنا لم أعرف قارئاً أغرب منك، أنت بالضبط ماذا تقرأ في الصحيفة وبسرعة تُلقي بها على الأرض وتدوسها بالجزمة، لقد راقبتك أسبوعين!، فقال الرجل: إنني أقرأ صفحة الوفيات.. ولكن صفحة الوفيات في الداخل.. أعرف ولكن اللي في بالي لن يموت إلاّ في الصفحة الأولى!."

هذه القصة سجلها عن إسماعيل ياسين الكاتب المصري الكبير أنيس منصور في كتابه (الكبار يضحكون أيضاً)، والنكتة في داخل القصة تنتمي إلى النكتة السياسية المعروفة بالكوميديا السوداء، وفيها سخرية من تمسك الرؤساء العرب بالرئاسة والسلطة مدى الحياة، بحيث لا يبعدهم عنها إلاّ الموت الطبيعي أو القتل غير الطبيعي، وإلاّ الخلع بالثورة الشعبية أو الانقلاب العسكري، فلا يُغادرون قصور الرئاسة والمُلك إلاّ إلى القبر أو السجن أو المنفى، فعبد الله السلال الذي رويت له النكتة ذهب إلى المنفى بعد انقلاب عسكري عليه، وجمال عبدالناصر الذي رويت بأمره النكتة ذهب إلى القبر

بعد وفاة طبيعية، وهكذا كل الرؤساء والملوك العرب - إلاّ من رحم الله - فلم يكتب أحدٌ منهم لقب الرئيس السابق وفضلوا عليه الرئيس المخلوع أو الرئيس المرحوم - وربما المجحوم - بعد أن عمّروا بالسلطة عشرات السنين، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلّوا نهجهم في التمسك بالسلطة تبديلا، ومقابل هذا المشهد الكئيب اجتمع قبل عامين في الولايات المتحدة الأمريكية خمسة رؤساء سابقين أحياء في حفل خيري قضوا مع رئيس سادس متوفي اثنين وثلاثين عاماً في الحكم هي نفس المدة الزمنية تقريباً التي قضاها سبعة رؤساء عرب ومثلهم من الملوك، لم يكتب أحد منهم لقب رئيس سابق.

واذا أردنا معرفة سبب تمسك الرؤساء العرب بالسلطة، فنذهب إلى النفس البشرية والطبيعة الانسانية المغروس في أعماقها حب الرئاسة والسلطة، والمزروع في أغوارها حب الخلود والمُلك، وقد عرف الشيطان ذلك عن الانسان، فدخل للإنسان الأول- آدم عليه السلام- من هذا الباب ليغريه بالمعصية ويُرديه في التهلكة "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" فحب البقاء والخلود تساوي عند الانسان حب التملك والسيطرة. هذا في النفس البشرية عامة، وهو في العرب خاصة حسب رأي عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته لكتاب العبر " فهم متنافسون في الرئاسة وقلَّ من يُسلّم أحدٌ منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلاّ الأقل وعلى كره من أجل الحياء"، وربما كلام ابن خلدون يجد مصداقاً له في عصرنا" وقلَّ من يُسلّم أحدٌ منهم الأمر لغيره" فلا يوجد تداول للسلطة إلاّ بالعنف عن طريق القتل أو الثورة أو الانقلاب،" ولو كان أباه أو أخاه" وربما انقلاب قابوس بن سعيد على أبيه وحمد بن خليفة على أبيه يؤكد ذلك، أما عن إزاحة الإخوة والأشقاء عن ولاية العهد لتولية الأبناء في الأنظمة الملكية، وتصفية الزملاء والرفاق للاستئثار بالحكم في الأنظمة الجمهورية فحّدث ولا حرج.

واذا كان حب الرئاسة والمُلك مغروس في النفس البشرية، ومن صفات العرب خاصة- حسب رأي ابن خلدون- فالبقاء في الحكم مدى الحياة موجود أيضاً في جذور التاريخ العربي الإسلامي- وكذلك التاريخ الإنساني- فمنذ عهد الخلفاء الراشدين

والأمويين والعباسيين وحتى العثمانيين، كان الخليفة يُبايع في الحكم مدى الحياة، ولم يكن العالم يعرف تقليداً آخر يُجدد مدة الحكم، فهو واقع تاريخي وعُرف سياسي تسير عليه البشرية جمعاء فيما مضى من الدهر قبل العصر الحالي باستثناء حالات شاذة من تجارب الشعوب، ثم جاء دور العلماء والفقهاء لإعطاء غطاء شرعي وتبرير ديني لهذا الواقع التاريخي، ومنهم الفقيه الشافعي أبو الحسن الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) بقوله "إنَّ بيعة الإمام دائمة لا تنقطع إلاّ إذا مات أو طرأ عليه سبب يوحى بالعزل من نقص في الدِين أو نقص في البدن"، وسار على نفس المنوال، وأعاد ذات الّموال، الكثير من علماء وفقهاء وأحزاب عصرنا، ومنهم حزب التحرير الاسلامي القائل في إحدى نظرياته: "يجب أن يوّفى عقد البيعة للخليفة ما دام قائماً بالحكم في الإسلام دون أي شرط متعلق بالمدة". والحقيقة كما ذكر بعض العلماء المعاصرين أنَّ الشريعة الإسلامية لم يرد فيها نص ديني قطعي بتحديد أو عدم تحديد مدة الرئاسة والحكم، فادرجوها في باب المصالح المُرسلة التي يُباح العمل بها خاصة إذا ثبت أنَّها تصون الحكم من الاستبداد والفساد وتحقق العدل ومقاصد الحكم الصالح. لا سيما وأنَّ الإسلام قد وضع مبادئ عامة وقواعد كلية للحكم كالشورى والعدل والعقد وترك آليات تطبيقها مفتوحاً لكل عصر.

خلاصة الرأي أنَّ البقاء في الرئاسة والحكم مدى الحياة فيه مفسدة كبيرة، جوهرها الاستبداد والفساد، وتحديد مدة الرئاسة والحكم لفترة من الحياة فيه مصلحة عظيمة، جوهرها الحرية والصلاح، وفي التقييد والتحديد صيانة للحكم من الطغيان والانحراف، وحماية النظام من الجمود والركود، ووقاية الدولة من الهبوط والسقوط، وضمانة للمجتمع من التجمّد والتبلّد. والتحديد جزء من آليات تقييد سلطة الحاكم وتحقق مقصد الدين ومصالح الشعب، فالتداول السلمي للسلطة يُسهم في استقرار النظام السياسي والدولة والمجتمع، ويسمح بالحراك السياسي الصاعد وضخ دماء جديدة من القادة، فتدفق الأفكار الجديدة والتغييرات المفيدة، وتُقلّص قدرة الحاكم وأعوانه على استغلال نفوذهم في مؤسسات الدولة لصالحهم، وتشجيعهم على الإنجاز لكسب ثقة الشعب لإعادة انتخابهم... وهذا ما أدركته الشعوب العربية الثائرة على

حكامها لا سيما في كل من تونس والجزائر، بانتخابهم رئيسين جديدين هما: قيس بن سعيد، وعبد المجيد تبون، وفق دستور جديد يحدد فترة الرئاسة بفترتين رئاسيتين غير قابلتين للتجديد لمرة ثالثة، فهل سيصبح للعرب رؤساء سابقون؟!، وإن لم يحدث ذلك فسيظل لكل واحدٍ منا في باله شخص ينتظر موته في الصفحة الأولى من الصحيفة.

سليماني وفلسطين.. حضور رغم الغياب

• كُتب بتاريخ:
2020-1-20م

أشادت فصائل المقاومة الفلسطينية في بياناتها وتصريحات قادتها بالفريق الشهيد قاسم سليماني بعد اغتياله على يد الأمريكان، لما قدمه من دعم بالمال والسلاح والخبرات للمقاومة الفلسطينية من خلال موقعه كقائد لفيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني المُكلّف من الدولة الإيرانية بدعم المقاومة ضد الكيان الصهيوني، وأُطلق عليه وصف شهيد القدس اعترافاً بهذا الدور وتجسيداً لقيمة الوفاء للفريق سليماني، وتطبيقاً لمبدأ الاقتراب من الآخرين بقدر اقترابهم من فلسطين. ولكن هذا الموقف الصادق لم يُعجب آخرون من الذين فرحوا بمقعدهم خلف أمريكا و(إسرائيل)، وكرهوا أن يكتموا فرحهم ويكتبوا سرورهم في صدورهم، فأظهروا فرحهم وسرورهم باغتياله، وأفتى آخرون بوجوب الفرح وإظهار المرح باغتياله، وتجاوز بعضهم مرحلة الفرح إلى الشكر، فشكروا أمريكا على وقفتها الرجولية لله والحق والخير كما شكروها أول مرة في سوريا ومن قبلها ليبيا. وبين هذين الموقفين تبقى حقيقة واضحة رغم غياب سليماني بعد جريمة الاغتيال فقد بقيت فلسطين حاضرة في قلب إيران.

فلسطين حاضرة في قلب إيران الثورة، ولكن قبل الثورة كانت (إسرائيل) هي الحاضرة في إيران، فقد كانت إيران الملكية في عهد الشاه محمد رضا بهلوي ثاني دولة إسلامية تعترف بـ(اسرائيل) عام 1950 بعد تركيا الاتاتوركية، وشكلت الدول الثلاث تحالفاً يدور في فلك أمريكا ضد نفوذ الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، وضد المد القومي الثوري في عهد الزعيم جمال عبدالناصر. ونشأت علاقات استراتيجية بين إيران الملكية و(إسرائيل) الصهيونية في مختلف المجالات أهم ملامحه تزويد إيران للكيان الصهيوني بالنفط، وتزويد إيران بخبرات وأدوات القمع الإسرائيلية ضد المعارضة الثورية الإيرانية، والتبادل التجاري لصالح الاقتصاد الإسرائيلي، وسمحت أمريكا

لإيران الشاه بلعب دور الشرطي في الخليج العربي لإبقاء حكام الخليج في بيت الطاعة الأمريكي، ولم يستدعِ أحدٌ آنذاك الصراع القومي بين الفرس والعرب، ولم يُخرج أحدٌ من القمقم مارد الفتنة المذهبية بين السنة والشيعة.

حضور (إسرائيل) في قلب إيران الملكية قبل الثورة الإسلامية، قابله حضور فلسطين في قلب قائد الثورة ومفكرها الأول السيد الخميني - رحمه الله - الذي ظهر وكأنه رصاصة انطلقت من القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) إلى صدر القرن العشرين- حسب وصف محمد حسنين هيكل- ليقود الثورة ضد النظام الحاكم مُتخذاً من دعم نظام الشاه محمد رضا بهلوي للكيان الصهيوني وتوفيره النفط له وتصريف بضائعه في إيران وتحالفه الاستراتيجي معه مدخلاً لنزع شرعية النظام الحاكم، ومعتبراً أنَ أحد أهم أسباب الثورة ضد النظام الحاكم هو علاقته الوطيدة بالكيان الصهيوني، وعدم تأييده للحق الفلسطيني. وحضور فلسطين في فكر الثورة قبل انتصارها تجسّد من خلال مواقف مفكرها وقائدها الذي أفتى بوجوب دعم المجاهدين الفلسطينيين بالمال المخصص للزكاة والصدقات، ووجوب مقاطعة (إسرائيل) وتحريم التعامل معها والاعتراف بها، واعتبر محاربتها وإزالتها من الوجود واجب ديني وأخلاقي وإنساني.

هذا الحضور لفلسطين في فكر الثورة الإسلامية قبل انتصارها، تحوّل إلى واقع فعلي ونهج ثابت وسياسة دائمة لإيران بعد انتصار الثورة عام 1979 وإنشاء الجمهورية الإسلامية، ودخلت فلسطين في صلب مشروعية الثورة الإسلامية، ومن مرتكزات شرعية النظام الثوري، وأحد مكونات هوية الجمهورية الإسلامية في إيران، وأصبحت محوراً ثابتاً ومُحدِداً أساسياً في سياسة إيران الخارجية ومشاركتها في المحافل الدولية. ودعمت المقاومة الفلسطينية. وعملياً بعد اسبوع واحد من النصر أغلقت السفارة الإسرائيلية في طهران وسلمت مفاتيحها لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكان أول ضيف أجنبي زار ايران الراحل ياسر عرفات ليلتقي بقائدها وبجماهير الثورة التي استقبلته بشعار (اليوم إيران وغداً فلسطين)، وأُعلن عن يوم القدس العالمي كيوم للتضامن مع القدس وفلسطين وتأكيد الالتزام بتحريرها، وأُعلن عن تشكيل فيلق القدس لتكون أهم مهماته دعم المقاومة... وظلت إيران تسير على نفس النهج والسياسة في عهد المرشد الأعلى الثاني لإيران السيد علي الخامنئي.

حضور فلسطين في قلب ايران الثورة والدولة تخلله الكثير من المتشابهات التي طغت على سطح العلاقات الإيرانية الفلسطينية على مدار أربعة عقود من عمر الثورة والجمهورية، كان أولها الحرب العراقية الإيرانية، فبعد فشل الشهيد ياسر عرفات في التوسط لوقف الحرب اصطف إلى جانب العراق، فكان ذلك سبباً للتوتر بين إيران والمنظمة وأدى ذلك إلى تشكيك المنظمة بموقف إيران من القضية الفلسطينية، كما أن توّجه المنظمة لمسار (الحل السلمي) ساهم في استمرار التشويه والتشكيك المتبادل بين الطرفين، وزاد طين التوتر بلة وتعقيداً اتهام المنظمة لإيران بدعم الانقسام الفلسطيني من خلال دعمها لحركات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة. وفي الجانب العربي من الأمور المتشابهة التي اُستغلت لتشويه موقف ايران من القضية الفلسطينية ما حدث في ثورات الربيع العربي من صراع اقليمي اتخذ في بعض جوانبه الطابع المذهبي ووجود إيران في قلب هذا الصراع فاتهمت بتوظيف القضية الفلسطينية لخدمة أهدافها الاقليمية.

خلاصة المقال يُمكن القول أنَ حضور فلسطين في قلب إيران الثورة والدولة هو سبب غياب الفريق قاسم سليماني بجريمة الاغتيال الصهيوأمريكية، باعتباره رمزاً لحضور فلسطين في قلب إيران. ورغم كل ما قيل عن دوره في الصراع الاقليمي والمذهبي في المنطقة تبقى حقيقة واحدة لا يمكن إغفالها وهي أن اغتياله جاء بسبب مكانته كقائد لفيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني المُكلف من قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدعم المقاومة ضد (إسرائيل) بالمال والسلاح والخبرات، وبسبب دوره في ترجمة هذا التكليف على أرض الواقع فعلاً جهادياً يؤذي (إسرائيل) ويُهدد أمنها ووجودها، فيغيظ أمريكا التي تعتبر حفظ أمن ووجود (إسرائيل) أهم ركائز أهدافها وسياستها في المنطقة، فمن أسخطها فله السخط الأمريكي ومن بعده العقوبات والموت، ومن أرضاها فله الرضا الأمريكي، ولا يعفيه ذلك من دفع الجزية ومن ثم (الخاوة) لأمريكا. أما الراقصون طرباً وفرحاً على أنغام موسيقى الموت الأمريكية فنصيبهم الصغار والعار في الحياة الدنيا، ولعذاب الخنوع والخضوع أكبر لو كانوا يدركون.

مؤتمر الهولوكوست..
توظيف المحرقة وتقديس الضحية

• كُتب بتاريخ:
2020-1-23م

يُعقد هذه الأيام في القدس المُحتلة مؤتمر المنتدى العالمي الخامس للهولوكوست بزعامة نتنياهو وحضور أكثر من أربعين زعيماً من شتى بقاع الأرض، تحت عنوان (تذكر المحرقة.. محاربة معاداة السامية)، في أكبر عملية تزييف للتاريخ وتشويه للحاضر وتخريب للمستقبل، من خلال توظيف المحرقة النازية لتقديس الضحية اليهودية لخدمة أهداف الدولة العبرية ابتداء من تثبيت شرعية وجودها، وانتهاء بتبرير محرقتها المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني، مروراً بابتزاز حلفائها لزيادة دعمها والدفاع عن عدوانيتها، كما خدمت في الماضي أهداف الحركة الصهيونية وإخراج مشروعها الصهيوني إلى الوجود في دولة قومية لليهود. ولإلقاء الضوء على مؤتمر الهولوكوست ودوره في توظيف المحرقة وتقديس الضحية لخدمة أهداف الصهيونية ودولتها من المفيد العودة إلى مفهوم (الهولوكوست) بمعنى المحرقة، ومناقشة حجمها الحقيقي، وكيفية استغلال الحركة الصهيونية لها في إقامة دولتها (إسرائيل)، وشرعنة وجودها، وتبرير إرهابها ومحرقتها المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني.

الهولوكوست كلمة يونانية الأصل تعني حرق القربان بالكامل، وتشير إلى عمليات إبادة اليهود على يد ألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، والحقيقة أنَ ألمانيا بعد صعود أدولف هتلر وحزبه المُسمى حزب العمال القومي الاشتراكي المعروف اختصاراً بالحزب النازي عام 1933، قد تبنى أفكاراً عنصرية ضد كل الأعراق غير الآرية الجرمانية، واعتبر اليهود عرقاً وخصهم بالعداوة والبغضاء، وتم توثيق ذلك في برنامج الحزب النازي "اليهود عرقية موهنة للمجتمع ومعيقة لنقائه العرقي وبالتالي

لا يمكن أن يكونوا أعضاء في الدولة الألمانية"، واتهم اليهود بالتسبب في هزيمة ألمانيا بالحرب العالمية الأولى، والوقوف وراء الدمار الذي لحق بها اقتصادياً وسياسياً، فأخذ باتباع ما عُرف بالحل النهائي للمسألة اليهودية، فجمعهم في معسكرات اعتقال في ألمانيا والدول التي سيطر عليها وأهمها بولندا، وقام بحملات إبادة منظمة ضدهم، وضد فئات بشرية أخرى كالغجر والمعاقين انطلاقاً من أيديولوجيتة العنصرية، وعدد الضحايا في هذه المعسكرات قليل مقارنة بملايين الضحايا الذين سقطوا في الحرب العالمية الثانية بسبب الوحش النازي والصراع الدموي داخل البيت الأوروبي فسقط ما بين خمسين إلى ستين مليوناً من العسكريين والمدنيين كان نصفهم من الاتحاد السوفيتي وربعهم من بولندا وألمانيا نفسها.

استغلت الحركة الصهيونية كبر حجم الضحايا والفوضى في تحديد أرقامهم وجنسياتهم فزعمت أن عدد اليهود الذين أُبيدوا في الحرب العالمية الثانية على يد ألمانيا النازية قد بلغ ستة ملايين يهودي. وهذا الرقم الكبير مشكوك في صحته من الكثير من المفكرين والباحثين والمؤرخين الأوروبيين، واثبت بعضهم أنَ عدد اليهود الذي قُتلوا لأنهم يهود يتراوح بين مائة ألف إلى ستمائة ألف كحد أقصى، وأنَ مئات الآلآف غيرهم قُتلوا في المعارك والمذابح التي نفذها الألمان في الجبهات وبعد المعارك خاصة في الاتحاد السوفيتي وبولندا، وأنَ العدد في كل الأحوال لا يمكن أن يصل إلى الملايين الستة لأنه يتناقض مع عدد اليهود الحقيقي في أوروبا آنذاك. حتى أنَ المؤرخ البريطاني (ديفيد ايرفينغ) المتخصص في تاريخ الحرب العالمية الثانية يقول أنَ معظم اليهود قد ماتوا بسبب الأمراض المنتشرة في معسكرات الاعتقال النازية وسوء التغذية والرعاية الصحية، وأنَ معظم الضحايا اليهود قُتلوا كما قُتل غيرهم من الروس والبولنديين في المعارك أو المذابح. وهذا رأى المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) في عدد الضحايا وأسباب الموت، ولذلك فقد أُتهم الاثنان بإنكار المحرقة وتم تقديمها للمحاكمة وهي تهمة موجودة في بعض القوانين الأوروبية، بينما لا يوجد تُهمة مشابهة تجرمُ من ينكر وجود الله تعالى أو تنكر نبوة المسيح عليه السلام.

لم يكن تضخيم الهولوكوست أو المحرقة النازية ضد اليهود عبثاً فقد كان التضخيم مقصوداً، والتزييف مطلوباً من الحركة الصهيونية في ذلك الوقت من أجل صناعة صورة الضحية اليهودية لاستغلالها باتجاه إخراج المشروع الصهيوني الرامي إلى اقامة دولة قومية لليهود في فلسطين إلى حيز التنفيذ، من خلال توظيف المعاناة والعذاب، وتقديس المأساة، والكارثة، واحتكار الحزن والألم، لإثبات أنَ المحرقة قد حدثت بسبب كراهية الأغيار (غير اليهود) لليهود واضطهادهم، وعداوة شعوب العالم لليهود وعدم قبولهم التعايش السلمي معهم، وحقد حكومات الدول على (الشعب اليهودي) وتنفيذ مذابح بحقهم... وبالتالي لا يوجد طريق لحماية يهود العالم من هذا الاضطهاد والعداوة والمذابح إلاّ بإقامة وطن قومي خاص بهم، ودولة للشعب اليهودي، كحل وملجأ وحيد أمام عدائية العالم لليهود المعروفة بـ(اللاسامية) وهذا المنطق الأعوج أكده نتنياهو بقوله: "إنَ المحرقة وقعت عندما كانت دولة إسرائيل غير موجودة، وبسبب عدم وجود دولة إسرائيل، لو كانت دولة إسرائيل قد نشأت قبل المحرقة لكان الأمر سيحول دون وقوعها، إنَ اليهود يعجزون عن حماية أنفسهم دون أن تكون لديهم دولة خاصة بهم... وعليه فقد أنشأنا دولة".

توظيف واستغلال الحركة الصهيونية للمحرقة النازية لم يتوقف عند إقامة دولتهم؛ بل استمر بعد قيام الدولة، في دعم شرعيتها، وتبرير جرائمها، واستغلت عُقدة الذنب الأوروبية للحصول على الدعم بالموقف والمال والسلاح والرجال، فأصبح هذا الدافع لا يقل أهمية عن الدافع الايديولوجي لدى المسيحيين الصهاينة، والدافع السياسي لحكومات الغرب، فالتكفير الغربي عن المحرقة من منطلق الشعور بعقدة الذنب تجاه صورة الضحية اليهودية خاصة في ألمانيا كان هو الدافع وراء دعمها غير المحدود لدولة (إسرائيل)، وقد أحسنت الحركة الصهيونية والدولة العبرية استغلال هذا الشعور الألماني والأوروبي لصالحها، فعملت على حصر عقدة الذنب الألمانية في جريمة الألمان النازيين ضد اليهود، وتجاهلت جرائم ألمانيا النازية ضد عشرات الملايين من الشعوب الأوروبية والسوفيتية، وبالغت في أعداد الضحايا اليهود لأكثر من عشرة أضعاف العدد الحقيقي بغرض ابتزاز ألمانيا سياسياً بالمواقف المؤيدة لها،

واقتصادياً بعشرات المليارات من الدولارات على صورة تعويضات مباشرة للضحايا أو للحكومات الإسرائيلية باعتبارها ولية الدم اليهودي، وكذلك على صورة أسلحة متطورة مجانية لا سيما الغواصات النووية الحديثة، وقد عبرت الناطقة باسم السفارة الإسرائيلية في برلين عن استغلال عقد الذنب الألمانية من المحرقة بقولها:" إنَ مصلحة إسرائيل تقتضي صيانة شعور الألمان بالذنب تجاه اليهود".

لم يقتصر استغلال المحرقة على مرحلتي إقامة دولة (إسرائيل)، وتثبيت وجودها؛ بل امتدت إلى تبرير سياستها العدوانية ومذابحها الوحشية تجاه الشعب الفلسطيني وكل الشعوب العربية بمنطق أعوج يقوم على أُسس عنصرية لا تحتكر فقط أفضلية الجنس اليهودي باعتباره شعب الله المختار وأبناء الله وأحبائه، بل بعنصرية الحزن التي ترفض أن تساوي بين حزن وألم اليهود، وحزن وألم الشعوب الأخرى خاصة الشعب الفلسطيني، نافية عنه امتلاك نفس المشاعر والانفعالات التي يتساوى فيها كل البشر، ولذلك فقد تعرض الصحفي في إذاعة الجيش الإسرائيلي (رازي بركاي) لهجوم عنيف من الإعلام والمجتمع الإسرائيلي لمجرد أنَه ساوى بين عائلات الشهداء الفلسطينيين وحزن عائلات قتلى الجيش الإسرائيلي، ولذلك فإنَ المحرقة النازية ضد اليهود لا تساويها أي محرقة أو مذبحة أخرى قام بها الوحش النازي ضد الشعوب الأخرى ليس بسبب حجم الجريمة والمذبحة، بل بسبب خصوصية الضحية وهم اليهود شعب الله المختار، وهو ما علّق عليه عالم الاجتماع الفرنسي (ادغار موران) عندما أطلق اسم (عُصاب المحرقة) على إبراز فرادة وتميز موت اليهود في المحرقة، وخصوصية آلام اليهود كون المحرقة وقعت ضد اليهود وليس بسبب حجمها الكبير، وهذا المنطق هو الذي يُبرر لليهود الضحايا محرقتهم المستمرة ضد الشعب الفلسطيني باعتباره دفاع عن الضحايا اليهود.

والمحرقة لم توظف ضد العرب والفلسطينيين فقط، بل امتد استغلالها ضد كل الأحرار في العالم الذين ينتقدون سياسة (إسرائيل) العدوانية تجاه العرب والفلسطينيين باتهامهم بمعاداة السامية وإنكار المحرقة، ونجح اللوبي الصهيوني في أمريكا بتجريم من يقارن بين جرائم النازيين وبين السياسة الإسرائيلية العدوانية ضد الفلسطينيين.

بل أنَها استُخدمت ضد اليهود أنفسهم خارج الكيان الصهيوني من خلال ابتزازهم وممارسة الارهاب الفكري عليهم بإقناعهم طوعاً أو جبراً بأنَ سبب وجودهم بدون محرقة جديدة في بلدانهم هو وجود دولة (إسرائيل)، لذا عليهم دعمها بالمال والموقف بدون شروط أو قيود، وإذا كان العدو قد نجح في تضخيم وتوظيف المحرقة لإقامة دولته، وشرعنة وجودها، وتبرير إرهابها، وابتزاز حلفائها... فما أحوجنا - نحن الفلسطينيين - إلى توظيف المحرقة الإسرائيلية المستمرة ضدنا لتثبيت الرواية الفلسطينية الصادقة للصراع، وخدمة أهداف المشروع الوطني الفلسطيني القائم على التحرير والعودة والاستقلال.

صفقة القرن.. متى ينتهي الضجيج ويبدأ العمل؟

• **كُتب بتاريخ:**
30-1-2020م

كثيراً ما تُعبّر الفنون الدرامية عن الواقع لا سيما الدراما الساخرة في المسرح والسينما، ومن هذه الدراما السينمائية الكوميدية فيلم (الحدود) للأديب المبدع محمد الماغوط، إخراج وبطولة الفنان الكبير دريد لحام، قصة الفيلم تدور حول سائق مسافر بين بلدين عربيين اسمه (عبد الودود)، ضاعت أوراقه الثبوتية وجواز سفره في منطقة مُحايدة على حدود البلدين، فلم يستطع العودة لبلده أو دخول البلد المُسافر إليه، فاتخذ بيتاً مؤقتاً على الحدود بين البلدين حتى تنتهي مشكلته، فطال عليه المقام على الحدود، وتحوّلت مشكلته إلى قضية رأي عام حرّكت الإعلام، فبادرت إحدى الصحفيات الوطنيات لتنظيم مهرجان خطابي للتضامن مع قضيته العادلة أملاً في حل مشكلته على يد المسؤولين السياسيين، فدعتهم إلى المشاركة في المهرجان. والمشهد الأخير من الفيلم يصوّر المهرجان الخطابي الذي ألقى فيه المسؤولون السياسيون خُطباً رنانة تضامناً مع قضيته العادلة، وانهالوا شتماً على الحدود وصانعيها من الاستعمار وأعوانه، ورفعوا شعارات برّاقة مؤيدة لحق عبد الودود في عبور الحدود، منها شعار (لن نعبر الحدود حتى يعبرها عبد الودود)، ولكن المهرجان انتهى والمولد انفض وعاد الخطباء والمؤتمرون من حيث أتوا، وعبروا الحدود وتركوا عبد الودود، وذهب ضجيج المهرجان أدراج الرياح، وبقيت قضية عبد الودود لم تزحزحها عن مكانها كل رياح الخطب العصماء.

المشهد الأخير من فيلم الحدود يسخر من طريقة تعامل السياسيين العرب في الدول العربية من قضايا أمتهم وشعوبهم بطريقة الفهلوة الكلامية والإثارة الخطابية

والمعالجة الصوتية، دون محاولة لتخطي الضجيج وتجاوز العجيج لمواجهة المشكلة الحقيقية ومجابهة المُعضلة الفعلية، أو دون جهد للبدء بالخطوة الأولى الفعلية في مشوار الألف ميل. وربما هذه الظاهرة هي التي ذكرها المفكر السعودي عبدالله القصيمي في كتابه (العرب ظاهرة صوتية) عندما انتقد ميل العرب لاستخدام براعتهم اللغوية في حل مشاكلهم- أو إيهام أنفسهم بحلها- بدل العمل الحقيقي لحلها، وعندما سخر من اعتقادهم - متوهمين- بأنهم قد فعلوا الشيء لأنهم فقط قد تحدثوا عنه، وأن يظلوا يفعلون بالقول ما يجب أن يفعلوه بالعمل. وهذا الوصف لا ينسحب على العرب في أزمنة الانتصار والازدهار، وإن كان ينطبق عليهم في أزمنة الانكسار والانحدار واستحكام العار، بعدما تولّى العرب عن رسالتهم الحضارية للبشرية، فاستبدلهم الله تعالى- وفق سُنّة الاستبدال- بغيرهم وليسوا بأمثالهم. وبعدما هُزم جُمعهم نفسياً أمام عدوهم فولّوْا الأدبار، ولم يعودوا من الأبرار، فلجأوا لا شعورياً إلى آلية التعويض النفسي لتغطية نقصهم وضعفهم في ميادين النصر والعمل والإنجاز، بما فتح اللهُ عليهم من براعة اللسان وقوة البيان؛ لإبعاد الذات الفردية والجمعية عن الإحساس بالنقص والشعور بالضعف.

مشهد فيلم الحدود الأخير للمهرجان الخطابي، ووصف العرب بالظاهرة الصوتية لعبدالله القصيمي، اختصره العرب في تراثهم الشعبي بالمثل المعروف (أوسعتهم شتماً وساروا بالإبل) الذي يُلّخص قصة الأعرابي الذي ترك اللصوص يسرقون الإبل واكتفى بشتمهم وسبهم فضحك عليه قومه وذهب مثلاً يُضرب لمن ليس عنده إلاّ الكلام دون القيام بالفعل المطلوب. ولكن هذا التصرف ليس قدراً محتوماً وقضاءً مفروضاً، فهناك فرصة أمامنا كي لا نكرر المشهد الأخير من فيلم الحدود في مواجهتنا لصفقة القرن، وكي لا ينطبق علينا وصف الظاهرة الصوتية للقصيمي، وكي لا نحذو حذو الأعرابي صاحب قصة مَثل الشتم، وكي لا يتحول كلامنا في الصفقة مجرد كلام ما بين الخطابة والكتابة، فلا يتبعه عمل، أو يلازمه فعل، ولا يسبقه تخطيط أو يلحقه خارطة طريق؛ فإن كنا كذلك فإنَ كلامنا في السياسة سيكون مُملاً ومُضجراً؛ بل قد يكون مُدمراً ومُهلكاً إذا صاحبه نوعٌ من خداع الذات وتضليل النفس، وهذا

يحدث إذا ما اعتقدنا أنَّ الصراخ يُغني عن العمل، وأنَ الصياح يسدُ مقام الفعل، وإذا ما استبدلنا التخطيط بالخطابة، واستغنينا عن وضع خارطة طريق بالكتابة، فتكون كالذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فهبطنا إلى دائرة مفرغة وحلقة لا نهاية لها من ردات الفعل وليس الفعل نفسه فيها شيء من الأوهام والأحلام ونقص من الأفعال والأعمال والانجازات.

في الختام من أجل أن لا ينتهي هذا الضجيج دون عمل وطني فعلي لمواجهة صفقة القرن، وحتى لا يتوقف ذلك العجيج عند ردات الفعل الكلامية، وكي لا ينضم هذا المقال إلى رُكام الضجيج وأكوام العجيج، من المُفيد أن نترجّل عن صهوة حصان الخطابة، وننزل من فوق بُرج الكتابة، إلى ميدان التخطيط والعمل وساحة التصميم والفعل، فنحوّل الخطابة إلى برنامج عمل وطني، ونتبع الكتابة بخارطة طريق وطنية، ونلحق المهرجانات والمسيرات وكل الفعاليات السياسية والإعلامية والشعبية بمشروع وطني يبدأ بالوحدة الوطنية وينتهي بالتحرير والعودة والاستقلال. ولنبدأ بما يُمكن عمله وقد خطونا الخطوة الأولى بالإجماع الوطني على رفض صفقة القرن فتظل بدون شرعية وغطاء من أي طرف فلسطيني، وهذا وحده لا يكفي فلا بد من تحويل الرفض الوطني إلى برنامج عمل يوّحد الشعب نحو هدف إسقاط الصفقة، ثم تجاوز ذلك والتقدم نحو الهدف الوطني الأكبر المتمثل في التحرير والعودة والاستقلال، وهذا يتطلب إجراء حوار وطني جاد وعاجل لإعادة الاعتبار للمشروع الوطني الفلسطيني على أساس التمسك بالحقوق الوطنية الثانية، وتحديد طبيعة المرحلة الحالية كمرحلة تحرر وطني تقتضي اتباع نهج المقاومة الشاملة، وإعادة بناء المنظمة كمرجعية وطنية تضم الكل الفلسطيني وتقود المشروع الوطني، وتغيير وظيفة السلطة الفلسطينية لتكون ركيزة لصمود الشعب في وطنه ورافداً للمشروع الوطني، وإطلاق مشروع مقاومة شاملة لسحب مكاسب الاحتلال بعد أوسلو ولرفع كلفته وتعميق مأزقه.

الاستحمار يتجلّى في عصر التطبيع

• كُتب بتاريخ:
2020-2-13م

يوم الثاني من فبراير شباط الحالي هو الزمان، ومدينة عنتيبي عاصمة أوغندا هو المكان، ولقاء العُشّاق بعدَ الفِراق هو العنوان، والأبطال هم بنيامين نتنياهو وعبد الفتاح البُرهان، وفاعل الخير الذي وفق بين الرأسين، وجمع بين النقيضين، طرفٌ عربيٌ ما، إنْ يريدُ إلاّ الإصلاحَ بينهما، ويدورُ في فلكِ الأمريكان، ومنْ استنَّ بسنتهم من العُربان، زُلفى وتُقرباً لوجه الشيطان، وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما، يظُنانِ كلَّ الظن ألا تلاقيا. اللواء عبد الفتاح البرهان كشفَ النقاب، وأزالَ الحجاب، عن الأسرارِ الخفيةِ لكواليس اللقاء المخفية، فقد سبقَ اللقاءِ صلاةُ الاستخارة المُفترى عليها، فأوحىَ إليه شيطانُهُ زُخرفَ القولِ غروراً، وزينَّ لَهُ سوءَ عملهِ فرأهُ حسناً، فزعم أن اللقاءَ يحملُ الخيرَ للسودان، وفيه المصلحة العُليا للشعب السوداني، وأدعى أنَ التطبيع مع الكيان يخدم الأمن الوطني للسودان، وبوابةً لرفع العقوبات الأمريكية عنه. ومن أسرارِ اللقاء أنَ البرهان، ملك السودان، لم يُصب بالرهبة- كما قال - أمام هيبة نتنياهو، "وكل واحد (شال) أكلَهُ مع صحن (بس) جلسوا معاً أثناء الطعام"، لتبادل سفاسف الكلام. ولم يذكر سيادة اللواء إن كان قد اختار نفس نوع الطعام من البوفيه المفتوح الذي أكله نتنياهو مجاملةً له، أم اختار نوعاً مختلفاً من الطعام تجنباً للاتهام بالتشبه بالكفار، والاقتداء بالفُجّار، فتلحقهُ لعناتُ الأبرار، فيُحشرُ في الدركِ الأسفلِ من النار.

اللقاء بين رئيس وزراء الكيان الصهيوني ورئيس مجلس السيادة الانتقالي في السودان، كان الحلقةُ الأخيرةُ من المُسلسل المشهور (التطبيع الذي هو حق أمريكا على القطيع) الذي يُبثُ على الهواءِ مباشرةً، برعاية أمريكية، وبطولة إسرائيلية، لعبَ نتنياهو فيه دور البطل المُطلق، ولعب البرهان فيه دور صاحب البطل، وجُمِعَ الكومبارس من

الحكام العرب ليقوموا بالأدوار الهامشية في المسلسل. وإن كان هذا آخر مشهد في مُسلسلِ التطبيع، الذي هو حق أمريكا على القطيع، فهو بالتأكيد ليس الفصل الأخير، من كتاب العبد الفقير، (الاستحمار يتجلّى في عصر التطبيع)، لكاتب هذه السطور، الذي يُعبّرُ عنْ سيكولوجية الإنسان المقهور، ويُفصحُ عن شعور المواطن المدحور. ولذلك كان من الكلام المفيد، والرأي الرشيد، أن يعرفَ البؤساءُ، ويدركَ التُعساءُ، فصل المقال، فيما بين الاستحمار والتطبيع من اتصال..

فالاستحمار كمفهوم مقتبس من كتاب (النباهة والاستحمار) لفيلسوف الثورة الإيرانية (علي شريعتي) بتصرف ينسجم مع عصر التطبيع الانبطاحي، ويتسق مع مضمون النظرية الانبطاحية، شديدة الانهزامية، والنظرية ماركة مُسجلة باسم عربان التطبيع وأنظمة الترقيع، وبراءة اختراع سُجلّت باسم كل من لبسَ ثوب الإذعانِ، ورضيَ بالهوان، أمام الأمريكان، ثم خلعَ في حضرتهم ما تبقّى من رداء، فيه مسحةٌ من كبرياء، وقبسٌ من الإِباء، كان يوماً ما يلبسه الآباء. ثم اعتقد متوهماً وظنَّ مُتخيلاً أنَ للثعلبِ ديناً، ولأمريكا عهداً، ولـ (إسرائيل) وعداً، فصدّقَ عليهم الشيطانُ الأكبرُ ظنّهُ، فاتبعوه إلاّ فريقاً من المجاهدين، ومحوراً من المقاومين. ومنهم من آمن أن بيد أمريكا مفاتيح المُلك من دون الله، فلديها القدرة على حمايتهم من البعبع الذي صنعه في نفوسهم، والوهم الذي خلقته في عقولهم، فأعقبتهم خوفاً ورعباً في قلوبهم بما صدّقوا أمريكا ما وعدتهم فأوردتهم الذل والعار، وأردتهم من على شفا جُرفٍ هار، يذوقون طعم الخزي والشنار، وهم على هذه الحال ليل نهار.

ومقابل هذا الاستحمار الأمريكي المُمارس على الأنظمة العربية الحاكمة، تحاول تلك الأنظمة اسقاط الاستحمار عبئاً على شعوبها، بعد أن أُشربتْ نخبها الحاكمة الاستحمار في نفوسهم، وتجرّعوا الاستعمار في قلوبهم وعقولهم، فمارسته بدورها على شعوبهم لتدجينها وترويضها بالتضليل والإلهاء تارةً، وبالترهيب والترغيب تارةً أُخرى، ولكن هيهات أن تقبل شعوب الأمة العربية الحرة بفطرتها السليمة ووعيها الثوري المذلة والمهانة فترضى بالتطبيع، وقد أدرك عدو الأمة نتنياهو ذلك عنها ولم يدركه حكامها، فقال: "إن العائق أمام توسيع السلام في المنطقة الشعوب العربية وليس

في قيادة دولهم". وإذا أردنا الرجوع إلى معنى الاستحمار سنجد أنّه درجة متقدمة على درجتي الاستعمار والقابلية للاستعمار، فالاستعمار غزو خارجي واحتلال أجنبي لأرض شعب ما، والقابلية للاستعمار استعداد كامن في الشعب يجعله يقبل الاستعمار عقلياً ونفسياً فلا يقاومه، أما الاستحمار أن يستدعي الشعب أو حكامه الاستعمار، ويرضى بالعبودية الطوعية، فيتنازل عن إرادته وحريته لقوة عُظمى تُسخّر ثرواته لخدمتها، تماماً كما يُسخّرُ الإنسانُ الحمارَ لخدمته، وهذا ما ينطبقُ على العلاقة بين أمريكا وبعض الدول العربية، حيث تمارس أمريكا الاستحمار عليها بطريقتين هما النهب والتطبيع.

الاستحمار عن طريق النهب اتخذ شكلاً آخر في عهد الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، فلم يُعد لدى سيد البيت الأسود الجديد صبراً ووقتاً لطريقة النهب التقليدية المعتمدة على المواد الخام، فإذا كان ترامب يرى العرب في صورة أكياسٍ من المال، ويعتقد أن أقصى مواهبهم القيل والقال، ومغروسٌ في جبلتهم التهيؤ للاستغفال، وإذا كان حكامهم لديهم القابلية للاستعمار، وعندهم شيءٌ من الاستعداد للاستحمار، فلماذا إذن الانتظار؟، ولماذا الحاجة للباب الدوار؟، فليأخذ منهم المالُ نقداً وعداً، وطالما يأخذ الحكام بالنظرية الانبطاحية، بحذافيرها الانهزامية، فلن يشبع سيدهم من أموالهم، حتى تشربَ الأرضُ الدم، وتشبع نار جهنم من بني آدم، وتصبح خزائنهم خاوية على عروشها، بعد أن كان مفاتحها لتنوء بالشعب أولي الحق بها، وتُمنع عن الأمة صاحبة الحق فيها، فجاء من ينتزعها من أيديهم ليسخرها في استكمال علو وإفساد بني اسرائيل حتى يجيء اللهُ تعالى ببني إسرائيل إلى وعد الآخرة في فلسطين لفيفا، ويقضي اللهُ تعالى أمراً كان مفعولاً.

الاستحمار عن طريق التطبيع أوضح تطبيق للأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية التي تريد الحفاظ على وجود واستقرار وازدهار وأمن دولة الكيان الصهيوني، وأهم أركان (صفقة القرن)، ذلك بأن التطبيع يعني إقامة علاقات طبيعية بين (إسرائيل) والدول العربية، لتصبح دولة طبيعية مندمجة في المنطقة ومهيمنة عليها، كركيزة أساسية للمشروع الاستعماري الغربي ضد الأمة العربية والإسلامية انطلاقاً من أبعاد ايديولوجية ترتبط بالعقيدة (المسيحية الصهيونية) المسؤولة عن المشروع

الصهيوني كفكرة ودولة. إضافة للأبعاد السياسية والمصلحية الأخرى. ودلالة التطبيع في هذا السياق هو الطريق لإنهاء الصراع بين العرب و(إسرائيل) لصالحها بدون حتى تطبيق الحد الأدنى الذي رضي به العرب وبعض الفلسطينيين وهو الانسحاب من الأرض المحتلة عام 1967، فتخلوا عن مبادرتهم الهزيلة، وذهبوا هرولة نحو التطبيع وآخرهم البرهان، بمعناه القريب من الترويض الخاص بالحيوان، الذي يحمل دلالات الإخضاع والتطويع والتسخير، وبما أنَ التطبيع مطلب صهيوأمريكي فهذا يعني جعل سلوك العرب مضبوطاً وفق معايير شهادة حسن السير والسلوك الأمريكية، وضبط حركات رقص حكامهم على ايقاع موسيقى نشيد (الهاتكفا) الإسرائيلي.

خُلاصة الكلام وفصل المقال، فيما بين الاستحمار والتطبيع من اتصال، أنَ التطبيع بمعنى التطويع، هو الاخضاع والترويض، ويُشيرُ إلى ضبط السلوك كما يُريد الذي يقوم بمهمة التطبيع والتطويع، ويبتغى من وراء ذلك الإخضاع والترويض، فعندما نقول: طبّعَ وطوّعَ أو أخضعَ وروّضَ... الفرس يعني جعلَ سلوكهُ مضبوطاً كما يريدُ صاحبه، وكذلك الحمار وكل أنواع الحيوان، وهذا ينطبق على الانسان، ولذلك كانت مسرحية (ترويض النمرة) للأديب الانجليزي (وليم شكسبير)، التي تتضمن نفس المعنى، ولكن بدل تطبيع وترويض الحيوان، يتم فيها ترويض أُنثى الإنسان، ويُمثلّها في المسرحية شخصية (كاثرين)، لتتحوّل من الطبيعة العنيدة المتمردة، إلى الطبيعة الخاضعة المُطعية، ومن السلوك العدواني الشرس إلى السلوك المسالم الوديع. وهذا ما تريدُهُ أمريكا و(إسرائيل) من العرب، أن يُطبعَ ويُروضَ سلوكهم مع (إسرائيل) لتُقبل في البداية كدولة طبيعية شرعية مندمجة في المنطقة، لتصل في النهاية إلى دولة مهيمنة ومسيطرة على المنطقة لتحقيق حلم (إسرائيل الكبرى)، فتُسخر مواردها المادية والبشرية لتحقيق حُلم (إسرائيل الكُبرى)، كما يُسخرُ الانسانُ الحمار، وهذا هو جوهر الاستحمار.

خَيْبتنا وحُلْمنا

• كُتب بتاريخ:

2020-2-20م

الخيبة في اللغة العربية هي الخُسران، والإخفاق، وعدم تحقق الأمل والرجاء. ومن مرادفاتها: الفشل، والهزيمة، والاستسلام، والعجز، والانكسار، والإحباط، واليأس. وقد وردت في القرآن الكريم بمعنى خسر وهلك بقوله تعالى: "وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ"، وفي الحديث الشريف جاءت بنفس المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام: " خاب وخسر من أدرك رمضان ولم يُغفر له". واستخدمها الشاعر المتبني بقوله: " والأمرُ لله رُبَّ مجتهد... ما خابَ إلاّ لأنَهُ جاهد". وفي علم النفس تُعبّر عن حالة عاطفية سلبَية ناتجة عن انهيار الآمال والأحلام والتوقعات والأهداف وعدم تحققها، وهي تجربة قاسية بمزيج من عواطف الحزن والألم والغضب والاستياء واليأس، تؤدي إلى خيبة الأمل على المستوى الشخصي، أما على المستوى القومي فتصيبُ الأمم والشعوب التي فقدتْ حُلُمها، وضاعتْ آمالُها، وخسرتْ رسالتها، وضلت طريقها، وانحرفتْ بوصلتُها. وكل المعاني السابقة تنطبق على العرب الذين أصابتهم الخيبة الكُبرى عندما فشلوا في تحقيق وحدتهم ونهضتهم وتقدمهم، ونجحوا في مواصلة طريق الاستبداد والفساد والتبعية والتخلف. كما تنطبق خيبة الأمل علينا – نحن الفلسطينيين – عندما فشلنا في مغادرة محطتي أوسلو والانقسام، ونجحنا في مواصلة طريق التيه والصراخ والعويل والمناكفات والمناطحات. وهذه الحقيقة– عربياً وفلسطينياً– المُعبّرة عن خيبتنا مدعاة للبحث عن أسبابها للخروج من هوائها العفن الفاسد؛ لنتنفس هواءً نقياً صالحاً، ولنتنسّم عبيراً برائحة العزةِ والكرامة، ولنستنشق شذا النصر والظفر. ولقد ناقش كل ذلك الفنان المصري محمد صبحي في مسرحية (خيبتنا).

خيبتنا، مسرحية كوميدية للفنان الأديب محمد صبحي، مؤلف ومُخرج ومُنتج وبطل المسرحية، يُقدم من خلالها رسالة ثقافية، وفكرة فلسفية، ومُتعة فنية، تدور أحداثها حول عالِم اسمه الدكتور (يائس)، تتعرّض مسرحية (خيبتنا) لتجربة الهندسة الوراثية، بسعي الدول المتقدمة علمياً للسيطرة على باقي الشعوب، بالوصول إلى جينات تؤثر في طريقة تفكيرها، ويتم إطلاق مواد كيميائية بالخطأ تحمل جينات العرب في أمريكا، فيتحوّل حكامها إلى قادة على الطريقة العربية، ويتم ذلك في قالب كوميدي يتبع لمدرسة محمد صبحي المعتمدة على كوميديا الموقف البعيدة عن الابتذال والاسفاف. وقد تحدث محمد صبحي عن جوهر رسالة المسرحية، فقال: "إن الكوميديا في الخيال أو الواقع واحدة، وهي تطرح سؤال مهم، هل عندما تنظر إلى المرآة وترى نفسك مشوّهاً، هل ترى العيب في المرآه فتكسرها؟، أم ترى الأصوب أن تُبادر بإصلاح نفسك؟". والمسرحية لا تُنكر نظرية المؤامرة الخارجية على الأمة ولكنها تُظهر حقيقة المشكلة النابعة من داخلنا وأنفسنا، وهذه هي الخيبة الكبرى، فخيبتنا من صنع أيدينا، ونتاج أفكارنا، وأخطاء عقولنا، وأمراض قلوبنا، والخيبة الكبرى أننا حطمنا أوطاننا بأيدينا وقدمنا لعدونا أكثر مما يتمناه لسحقنا في إشارة إلى ما فعلناه بأنفسنا، وفي إشارة إلى الجمود الفكري والاستبداد السياسي كأهم أسباب خيبة العرب يقول في المشهد الأخير من المسرحية "إنَّ الأمة سقطت لمّا عقولها شاخت وبهتت ولمّا قهرت شعوبها". والمسرحية لا تُشخّص المشكلة فقط؛ بل تضع الحلول لها، فالخروج من واقع الخيبة والعجز والهزيمة إلى واقع الفلاح والاستطاعة والنصر، يحتاج إلى العودة إلى الخلل في نفوسنا، والبدء من الذات، واستعادة ثقتنا بأنفسنا وتاريخنا وتراثنا وقيمنا، والاستفادة من تجارب الآخرين دون التخلّي عن هويتنا، فتغيير ما في النفس هو البداية لتغيير ما في الواقع ومغادرة خيبتنا.

رسالة المسرحية هي نفس فكرة كتاب صدر في سبعينات القرن العشرين للمفكر السوري جودت سعيد الذي ينتمي لمدرسة الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي الفكرية، والكتاب بحث في سُنن تغيير ما في النفس والمجتمع، ويدور حول تفسير آية التغيير في سورة الرعد " إِنَّ اللهَّ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ " وكذلك

الآية في سورة الأنفال " ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"، فيستخلص منهما أهم قانون لتغيير الانسان وواقعه، ومختصره أن تغيير واقع البشر كأمم وشعوب ومجتمعات وجماعات وأفراد لا يتم ولا يحدث إلاّ بتغيير ما في أنفسهم من أفكار ومعتقدات وأوهام ومشاعر، لتغيير سلوكهم فيتغير واقعهم، فتغيير الناس ما بأنفسهم أولاً يجب أن يحدث، ثم يتبعه تغيير الله تعالى لما في القوم ثانياً. فالمشكلة داخل العرب والمسلمين من أنفسهم وما صنعته أيديهم. وهذا يتفق مع ما كتبه صاحب الظلال الشهيد سيد قطب في شرحه لمعنى آية التغيير وهو "إنَّ اللهَ لا يغيرُ نعمةً أو بؤساً، ولا يغيرُ عزاً ولا ذلةً، ولا يغيرُ مكانة أو مهانةً... إلا أن يغيرُ الناس مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغيرُ اللهُ ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم... إنَّ مشيئة الله بالبشر تترتب على تصرف هؤلاء البشر". انتهى كلام صاحب الظلال، ولذلك عندما تساءل المسلمون متعجبين عن سبب هزيمتهم في معركة أُحد وفيهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ردهم الله تعالى إلى أنفسهم ليبحثوا عن الخلل داخلهم "... قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ"، ولتصحيح منهج التفكير عند المسلمين على تعاقب أجيالهم ثبتها كقانون لا يُحابي أحداً من العالمين بقوله تعالى "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ".

المنطق القرآني يطرح مبدأ التغيير الذاتي في مساره الايجابي نحو الصعود والتقدم والانتصار، وفي مساره السلبي نحو الهبوط والتأخر والهزيمة، فيمنح الإرادة الانسانية القادرة على استعادة توجيه مسار حياته الشخصية والجماعية. هذا المنطق القرآني الذي استنبط منه جودت سعيد سُنّة التغيير التي تبدأ بتغيير ما في النفس، واستخلص منه محمد صبحي قانون الخروج من الخيبة الذي يبدأ بإصلاح الذات الفردية والجمعية، وهذا المنطق هو ما نحتاجه اليوم لمغادرة خيبتنا العربية وخيبتنا الفلسطينية، نحتاج إلى رسالة المسرحية، وفكرة الكتاب، ومن قبلهما قانون التغيير في القرآن الكريم، للخروج من واقع الخيبة كي لا نغرق في حلها ونغوص في طينها، ولإصلاح ذاتنا كي لا نواصل جلدها والإمعان في تدميرها، ولاستعادة ثقتنا بأنفسنا كي لا نستمر في فقدانها وصولاً إلى تحطيمها، ولذلك نحتاج إلى قراءة واعية لتاريخنا، وليس للبكاء على إطلاله أو الغناء

على أمجاده، ونحتاج إلى تشخيص دقيق لحاضرنا وليس لرثاء حالنا أو التغني بانتصاراته الوهمية، ونحتاج إلى استشراف علمي للمستقبل وليس لنسج خيوط أوهام الأماني الحالمة أو تقويض ما تبقى من أحلام تحتضن آمال الأمة بغدٍ أفضل. نحتاج إلى الخروج من خيبتنا العربية بمغادرة واقع الاستبداد والفساد، والتبعية والاتكالية، والتفرقة والتشرذم، والضعف والعجز، والتطرف والتعصب، والفقر والحرمان... ونحتاج إلى الخروج من خيبتنا الفلسطينية بالرحيل عن محطة أُوسلو والانقسام والعشوائية والضجيج وردات الفعل، لنصل إلى محطة الوحدة الوطنية والتخطيط الوطني لنستطيع مواجهة واقع الاحتلال والحصار، والتشرد واللجوء، والاستيطان والتهويد، ليصل قطار الشعب الفلسطيني إلى محطته الأخيرة، محطة التحرير والعودة والاستقلال.

خيبتنا ليست قدراً محتوماً، وليست أمراً مقضياً، وهي بالتأكيد ليست مصيراً قهرياً، وليست مستقبلاً جبرياً؛ بل الخروج من خيبتنا هو القدر المحتوم، والأمر المقضي للأمة العربية والشعب الفلسطيني، وهو مصيرها الجميل ومستقبلها المشرق إذا ما أخذت بسُنن التغيير والتقدم والنصر القرآنية، وإذا ما استفدنا من تجارب الأمم والشعوب التي عرفت تلك السُنن، واكتشفت قوانين النهضة والتقدم، فعملت بها وصنعت أمجادها بأيدي أبنائها وبناتها، وحررت أراضي أوطانها بسواعد ثوارها وثائراتها، وانطلقت من أساس عقيدتها وثقافتها وهويتها، ولم تركن إلى الذين ظلموا من أعدائها، ولم تلهث وراء وهم السلام مع جلادها، ولم تهرول للارتماء بين مخالب مفترسيها... وقبل كل ذلك وبعده حافظت على حلمها من خيبتها، ولم تسمح لوحش الخيبة أن يبتلع أمل الحلم، ولذلك قال شاعرنا الفلسطيني الكبير محمود درويش "ولنا في أحلامنا الصُغرى.. كأن نصحو من النوم مُعافين من الخيبة.. لم نحلمْ بأشياءٍ عصية.. نحن أحياءُ وباقون.. وللحُلمِ بقية".

أصبح عندي الآن بندقية

• كُتب بتاريخ:

27-2-2020م

في مطلع سبعينيات القرن العشرين، وفي مدينة العريش عاصمة شمال سيناء المصرية، عندما كانت تحت الاحتلال الإسرائيلي عقب النكسة مع كل فلسطين، وأثناء دراستي الابتدائية، سألني المُعلم وهو يكتب سجل أحوال الطلاب سؤالاً لم أُدرك معناهُ آنذاك وهو "أنت مواطن أم لاجئ؟"، فسكتُ هُنيهه من الزمن، فأعاد عليَّ السؤال بصيغةٍ أُخرى "أنت مصري أم فلسطيني؟" فأجبته "أنا فلسطيني"، فقال "يعني لاجئ". ولم يوضح لي معنى كلمة لاجئ، فظلت عالقة في ذهني حتى عدتُ إلى البيت، فسألت أُمي - حفظها الله- "إيش يعني لاجئ". وكان هذا الموقف المحفور في عمق الذاكرة بداية قصتي مع المأساة الفلسطينية بعدما أدركت هويتي كفلسطيني لاجئ في عمر مبكر، وهكذا بدأت قصتي مع السياسة مُبكراً، والسياسة هنا ليست ترفاً تُمارسه الشعوب الحرة المستقرة في أوطانها؛ فهي بالنسبة للفلسطيني خبزه اليومي الذي يأكله كل صباح، وقد تكون الهواء الذي يتنفسه في كل ثواني حياته. وقد ساعدني في ذلك أبي - رحمه الله - الذي كان من عشّاق البي بي سي (هيئة الاذاعة البريطانية)، وهي نافذته الوحيدة على العالم لسماع نشرات الأخبار اليومية، كما كان إلى جانب ذلك من المداومين على سماع إذاعة منظمة التحرير الفلسطينية، وكان اسمها في تلك الفترة (صوت فلسطين صوت الثورة الفلسطينية)، فكانت هاتان الإذاعتان طريقي إلى المعرفة السياسية والعاطفة الوطنية.

أهمُ ما كان يميز صوت الثورة الفلسطينية هو الأغاني الوطنية التي كانت تُعبّر عن روح الشعب الفلسطيني المقاومة، وتتبنى أهداف الثورة الوطنية، وتُرسّخ نهج الكفاح طريقاً وحيداً للتحرير والعودة وجوهرها يُعبّر عن معاني الثورة والمقاومة،

وقيم التضحية والفداء، وتزرع في النفوس الأمل والتفاؤل والثقة بالنصر، وعناوين ومطالع الأغاني الوطنية تُشجع على مواصلة درب الثورة وطريق الثوار منها، "يا فدائي خلّي رصاصك صايب، يا فدائي خذني معاك، يا شعبنا هز البارود، ثوري ثوري يا جماهير الأرض المحتلة، وعهد الله ما نرحل، هذا هو دربي لنقاتل يا شعبي، أنا صامد صامد، قادمون أجل قادمون، طول ما سلاح الثورة في إيدي يبقى وجودي مفروض فرض، إن لم أضحِ أنا وأنت فمن يُضحي..." هذه الأغاني نفتقدها اليوم في الإعلام الفلسطيني رغم قيمتها الوطنية العالية، ومضمونها الثوري الراقي، ربما لأنَ بعض إعلامنا الفلسطيني ذهب بعيداً عن تلك القيم والمضامين، وبعضه الآخر وجده لا يناسب أمزجة الأجيال الجديدة واستبدلها بغيرها أقل قيمة وأضعف أداءً. وفي كل الأحوال لم تقتصر كتابة الأغاني الوطنية على الشعراء الفلسطينيين؛ فقد شاركهم الشعراءُ العرب المؤمنون بالقضية الفلسطينية كقضية مركزية للأمة العربية، إدراكاً منهم أنَ الخطر الصهيوني يُغطي الجغرافيا والتاريخ في الوطن العربي. ومنهم الشاعر السوري نزار قباني صاحب قصيدة (أصبح عندي الآن بندقية)، التي كتبها بعد النكسة عام 1967، لتنضم إلى أدب الثورة الفلسطينية، القصيدة لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب، وغنتها أم كلثوم عام 1969، في محاولةٍ لمسحِ بؤسَ الهزيمة عن وجوه العرب والفلسطينيين.

كلمات القصيدة تُعبّر عن مأساة الشعب الفلسطيني بعد النكبتين "عشرين عاماً وأنا أبحث عن أرض وعن هوية.. أبحث عن بيتي الذي هناك.. عن وطني المُحاط بالأسلاك.. أبحث عن طفولتي.. وعن رفاق حارتي". والقصيدة إلى جانب تصوير رواية التراجيديا الفلسطينية والمأساة الوطنية، ترسم ملامح النجاة وطريق الخلاص بالكلمات المُعبرة عن عاطفة حب الوطن والحنين إليه " إلى فلسطين خذوني معكم أيها الرجال.. أُريد أن أعيش أو أموت كالرجال.. أصبح عندي الآن بندقية.. قولوا لمن يسأل عن قضيتي.. بارودتي صارت هي القضية". والقصيدة ترد على فلاسفة الهزيمة اللابسين لثوب الواقعية والعقلانية، في محاولة لم تُفلح في وقف عوامل التعرية الثورية، وإيقاف النحت في صخرة الوطنية، فأكدت أنَ قدر الإنسان من صنع يديه، ومصيره

مُعلّق بإرادته، وأن الشعب إذا أراد الحياة فلا بُد أن يستجيب القدر بمشيئة الله تعالى واضع قوانين التغيير وسُنن التبديل، فربط تغيير واقع الناس بتغيير أنفسهم وأفكارهم وأفعالهم "مشيئة الأقدار لا تردّني.. أنا الذي أُغير الأقدار". وما قالته القصيدة قبل نصف قرن من الزمان ترجيحاً تأكد اليوم يقيناً "فقصة السلام مسرحية.. والعدل مسرحية.. إلى فلسطين طريقٌ واحدٌ.. يمر من فوهة بندقية". ولو أدركنا ما أدركه الشاعر آنذاك، لما احتجنا إلى المشاركة في مسرحية السلام العبثية بحبكة غير منطقية، في إطار المسرح السياسي اللامعقول.

ما قاله نزار قباني في قصيدته الوطنية قبل نصف قرن من الزمان الفلسطيني الحزين، والتاريخ الوطني الممزوج بالدماء والكبرياء، وما قاله كل أدباء وشعراء الثورة والمقاومة بتأكيدهم على طريق الثورة لاستعادة الأرض المسلوبة، وتشديدهم على نهج المقاومة لتحرير فلسطين المغصوبة، تأكد اليوم باليقين القاطع، وثبت الآن بالبرهان الساطع، بعد ما تركناه وراء ظهورنا، وانصرفنا عنه بمحض إرادتنا، فاصطدمنا بحائط صفقة القرن ليسقط حل الدولتين، بعد أن سقط حل الدولة الواحدة الديمقراطية، وبعد أن فشل مشروع الحد الأدنى بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على جزء من أرض فلسطين، وكل ذلك بعد أكثر من ربع قرن على السير فوق حبل الأوهام، والركض وراء سراب السلام، والتحليق في فضاء الأحلام، ونسينا- أو نسي البعض منا – قانون الأحرار ونهج الثوار، لانتزاع الحقوق من فك الأشرار، ولم ندرك مصير الذل والعار، الذي طال كل من ترك الجهاد والمقاومة من الأمم الغابرة... فدخلنا في طريقٍ مظلم ونفق معتم بدأ بالبرنامج المرحلي وانتهى بصفقة القرن ومرَ بمرحلة أوسلو، التي أقمنا فيها كياناً مسخاً غير محدد المعالم وبدون ملامح، سلطة ليست بالاحتلال ولا بالمقاومة، سلطة بين الاحتلال والمقاومة، وطنية وليست وطنية، مُقاتلة بدون قتال، ومستقلة من غير استقلال... وما بين البداية والنهاية تاريخ من السقوط في قاع الانهزامية والوقوع في الدرك الأسفل من الواقعية.

والآن بعد عصر التيه الفلسطيني في صحراء الفكر السياسي العقيم الذي قادنا إلى مأزقي أوسلو والانقسام ومن بعدهما صفقة القرن، أما آن لنا- أو من بقي منّا تائهاً

في دهاليز السياسة الصهيو أمريكية- أن يتمرد عليها ويلحق بسفينة الجهاد والمقاومة بعد إبحارها، أما آن لنا أن نستلهم معاني أدب الثورة وقيم الأغاني الوطنية القديمة في نقائها الأول، قبل أن تتلوّث عقولنا بنظريات الفكر السياسي الانبطاحية، وتغزوها أفكار منظري الهزيمة، وكُتّاب الخيبة، ودعاة الحزبية، وأنصار المذهبية... وهذا مهم لنشر ثقافة المقاومة، وفكر الانتصار، لاستعادة الثقة بأنفسنا كشعب وأمة، وامتلاك إرادة الصمود والمقاومة والنصر، ولنكن جزءاً أساسياً من وعد الآخرة القادم بمشيئة الله لا محالة، وها نحن نتقدم مع كل جولة مقاومة في فلسطين صعوداً نحو إساءة وجوه بني إسرائيل وتحقيق النصر المبين بمعية كل الأمة، وآخرها جولة (بأس الصادقين) التي هدمت رُكناً من نظرية الردع الاسرائيلية المتهاوية، ودكت مسماراً إضافياً في نعش (إسرائيل)، وأوصلت رسالة المقاومة للعدو بأنَ استباحة الدَم الفلسطيني والتمثيل بجثامين الشهداء الطاهرة لن يمر دون عقاب، وأنَ قواعد الاشتباك لن تتغير من طرفٍ واحد، وأنَ المقاومة قادرة على المُبادرة بالفعل المقاوم وليس مجرد ردة فعل. ولتؤكد أننا نستطيع بالمقاومة أن نجعل الاحتلال مُكلّفاً والاستيطان مشروعاً خاسراً، على الأقل يُمكن أن نتفق- نحن الفلسطينيين- على هدفٍ واحد هو جعل المستوطنين اليهود غير قادرين على الحياة بيننا، وأن لا يطيقوا البقاء في فلسطين. وهذا لا يحدث إلاّ بالمقاومة التي تمرُ من فوهة بندقية.

كورونا بين العقاب الإلهي وسيكولوجية الشماتة

• كُتب بتاريخ:
2020-3-12م

ما إنْ يُبتَلى العالم بكارثة طبيعية أو مرض وبائي؛ حتى تنتشر في البلاد العربية أسطوانة العقاب الإلهي المُكررة والمشروخة، التي يتولّى كبِر ترويجها بعض خطباء المساجد ووعّاظ المقاعد، ومن سار على دربهم من نشطاء التواصل الإلكتروني، واتبع سنتهم من عامة الناس. ولم يكن وباء (كورونا) بدعاً من الكوارث والأوبئة، فلم يكد ينتشر الوباء الفتّاك، حتى أُعيد طبع ملايين النسخ من أسطوانة العقاب الالهي المُكررة المشروخة، وسرعان ما انتشرت الأسطوانة المُملة انتشار النار في الهشيم، وسرعان ما انطلقت انطلاق الصاروخ في الفضاء. وفي الوقت الذي ينشغل فيه علماء الطب بمحاولات حثيثة تسابق الزمن لاكتشاف دواء يشفي المصابين، وفي الوقت الذي ينهمك فيه علماء الصيدلة بجهود دؤوبة تُباري الوباء لابتكار لُقاح يقي المعافين؛ ننشغل – نحن العرب- أو البعض منّا، بإظهار الشماتة بالدول التي أُصيب مواطنيها بالوباء من (الكُفّار والفُجّار)، وننهمك بإبداء التشفي بالبلاد التي كابد أهلها معاناة المرض من (الروافض والفواسق)، حتى إذا ما طرق الوباء باب (الفرقة الناجية)، تحوّل البلاء إلى ابتلاء، وانقلبت البلّية هدية، فأصبحت للصالحين منحة، وللطالحين محنة. وما بين العقاب الإلهي وسيكولوجية الشماتة لا بد من كلمة تضع النقاط على الحروف في الزمن العربي غير المعروف.

العقاب الإلهي عذاب أو هلاك ينزله الله تعالى على البشر بسبب عمل سيئ قاموا به استوجب غضب الله تعالى عليهم، وهو موجود في معتقدات الشعوب مُنذ القِدم، وذُكرتْ أمثلة منه في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أمثلته في القرآن الكريم: إخراج

آدم وحواء عليهما السلام من الجنة، وإغراق الكفار في عهد نوح عليه السلام بالطوفان، وإهلاك قارون بالخسف، وعقاب بعض عصاة بني إسرائيل بالمسخ، والقضاء على قوم عاد عليه السلام بالريح، وإبادة قوم صالح عليه السلام بالصيحة، وإفناء قوم لوط عليه السلام بالحاصب، وإذاقة أهل سبأ لباس الجوع والخوف، وضرب الذِلة والمسكنة على بني إسرائيل. وكان العقابُ دائماً مرتبطاً بالذنوب " فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ "، والأعمال السيئة " وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ "، والخلل الداخلي " قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ "، والمجاهرة بالفاحشة " كما جاء في الحديث الشريف" لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطَّاعونُ والأوجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضَتْ في أسلافِهم الَّذين مَضَوا "، فالهلاك والمصائب والهزائم والأوبئة نتيجة للذنوب والأعمال السيئة والخلل الداخلي والمجاهرة بالفواحش... وأكد ذلك رسولنا الكريم- صلى الله عليه وسلم – عندما سؤل "أنهلكَ وفينا الصالحون؟" قال: "نعمْ إذا كثُرَ الخبثُ".

وفي الصورة المقابلة للعقاب الإلهي تظهر صورة الثواب الإلهي في الحياة الدنيا كحقيقة يقينية في دين الله من خلال نصوص القرآن والسنة، فجعل الله تعالى الإيمان والعمل الصالح ثوابه الحياة الطيبة في الدنيا "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً"، وربط الإيمان والتقوى من جهة والفوز بالبركة والرزق والخير من جهة أخرى "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"، وجعل جزاء شكر النعمة زيادتها "لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالنصر والتمكين والأمن والاستقرار "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا"، وذكر ثواب الدنيا جزاء للمؤمنين إضافة لثواب الآخرة "فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ". ولا يوجد ثواب في الحياة الدنيا أعظم من ثواب إطمئنان القلوب بالإيمان وذكر الله "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" والأمن النفسي بالإيمان والهداية "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ". في عصر القلق والخوف والتوتر والاضطراب الذي يسود العالم بسبب الانحراف عن الفطرة السليمة والبعد عن النهج القويم.

العقاب والثواب الإلهي في الحياة الدنيا ليس هو الأصل في جزاء الله تعالى للبشر؛ فالأصل هو الجزاء عقاباً بالنار وثواباً بالجنة في الحياة الآخرة، ولو جعل الله تعالى ذلك هو الأصل لهلك الناس جميعاً لقوله تعالى "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى". أما العقاب الحقيقي للبشر في الحياة الدنيا فهو من صنع أنفسهم وبما كسبت أيديهم، فكثير من الكوارث والأوبئة هي غضب من صنع الإنسان، نتيجة لسوء استخدام الطبيعة، والإفراط في استنزاف البيئة، والإسراف في استهلاك الموارد، والشطط في إنهاك التربة، والزراعة المُفرطة، والرعي الجائر، والصيد المتعسف، والاحتطاب الزائد، والتلوث البيئي، والحروب المُدّمرة، وأسلحة الدمار الشامل، والتوزيع الظالم للثروات، وارتكاب الفواحش والموبقات، وممارسة الشذوذ الجنسي، ومُخالفة الفطرة... فدفع الإنسان ثمن ذلك الظلم للطبيعة ولبني جنسه ولنفسه من رزقه وحياته، وصحته الجسدية والنفسية، وأمنه النفسي والاجتماعي، واستقراره الفردي والمجتمعي. وفي ذلك عقابه في الحياة الدنيا، أمّا الثواب فمن صنع الإنسان يهديه الله تعالى له في الحياة الدنيا حياةً طيبة، واطمئنان للقلوب وإحساساً بالأمن جزاء الإيمان والاستقامة.

واذا كان الأصل في الجزاء الحياة الآخرة، أما في الحياة الدنيا فالجزاء الأعظم هو الحياة الطيبة للمحسنين، والحياة السيئة للمسيئين، والكوارث والأوبئة قد تكون في هذا الإطار، وقد لا تكون في هذا السياق، وعلمها عند الله، وانقطع علمها بعد عصر النبوة، فأي بشر يزعم أن لديه علمها هو تأله على الله سبحانه وتعالى، وأي إنسان يدعي معرفة مُراد الله تعالى من حدوثها هو انحراف عن مهمته المُكلّف بها من الله تعالى كإنسان وظيفته معرفة أسبابها المادية العلمية ومواجهتها وعلاجها، وفي إطار واجبه بعمارة وتسخير الأرض، فإدعاء معرفة مُراد الله من كل كارثة ووباء خطأ في فهم مقاصد الدين، وتفسير آيات القرآن الكريم، وإدراك الظواهر والحوادث الكونية، وانشغال عن مهمة الإنسان الحقيقية، فلا يُعقل تفسير كل كارثة ووباء بالعقاب الإلهي، وما طاعون عمواس وعام الرمادة عند ذلك الفهم ببعيد، فقد أصاب الطاعون بلاد الشام، وضربت المجاعة بلاد العرب، في عهد الخلافة الراشدة زمن سيدنا عمر بن

الخطاب- رضي الله عنه- ومات في الطاعون آلاف المسلمين منهم كبار الصحابة، وزلزلت المجاعة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فلم ينشغل المسلمون آنذاك بلوم الضحايا وتوزيع الاتهامات وإصدار الأحكام، ولكن فرض أميرهم الحجر الصحي لمواجهة الطاعون، والعدالة الاجتماعية لمواجهة المجاعة.

والحقيقة المُرة الغائبة في أسطوانة العقاب الالهي التي تُبرر كل (الزيطة والزنبليطة) على مواقع التواصل الالكتروني، أنها نوعٌ من التشفّي بالآخرين، وجزءٌ من سيكولوجية الشماتة كأحد المكوّنات النفسية للشعوب المأزومة، وأحد ممارسات الأُمم المقهورة، التي تُعاني الظلم والاضطهاد، وطال عهدها بالفساد والاستبداد، وضُربت عليها حالة العجز والاحباط، وأُصيبت بقلة الحيلة وانعدام الفاعلية، ونُزعت منها رسالتها، وانحرفت بوصلتها، فلا زالت تمارس رياضة المشي في نفس المكان، وما انفكت تعشق هواية الهرولة في ذات الزمان؛ فانشغلت بالشماتة والتشفي في بعضها البعض: جماعات دينية، وفرق مذهبية، وأحزاب سياسية، وطوائف عرقية... وحتى نوادي رياضية. وانهمكت بالشماتة والتشفي بغيرها من الآخرين والمنافسين والخصوم والأعداء، بدلاً من إصلاح حالها، والتهت بتفسير مصائب الآخرين عوضاً عن تفسير مصائبها، فما أغنى ذلك عنها شيئاً، وهل تُغني الشماتة من تقدم؟!، أم يُسمن التشفي من تطور؟!، أم يُساعد (عته الفيسبوك) على حل أي مشكلة أو معضلة؟!.

الشماتة والتشّفي شعورٌ وجداني بالسعادة بمصائب الآخرين، يصحبهُ تبرير عقلي لا شعوري، ظاهره فيه العدل بأنَ الجزاء من جنس العمل، وباطنه فيه الظلم للآخرين، بنزع الصفة الإنسانية عنهم، أو على الأقل في مرتبة أدنى من البشر، فهم يستحقون العقاب، وبمجرد أن نقنع أنفسنا بذلك، نظلم أنفسنا لأننا نزعنا الصفة الانسانية عنها، بعدم تعاطفنا مع الضحايا من جنس الانسان وهذه الرسالة التي أراد الأديب الإنسان مصطفى المنفلوطي في النظرات والعبرات مُخاطباً الإنسان "ليتك تبكي كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود (مُصاب)، فنبتسم سرورًا ببكائك، واغتباطًا بدموعك؛ لأنَ الدموع التي تنحدر على خديك في مثل هذا الموقف إنما هي سطور من نور تُسجل لك في تلك الصحيفة البيضاء أنَك إنسان".

حريق النصيرات.. لكل ضحية اسم

• كُتب بتاريخ:
2020-3-18م

رأيتُ فيما يرى النائمُ أنَّ عمارةً كبيرة قد انهارت على ساكنيها، فإذا هي أنقاض بنيان مهدوم، أو كومة أحجار مركومة، دفنت في جوفها سكانها أمواتاً، بعد أن كانت عمارة تحملهم في طبقاتها أحياءً، ورأيتُ أني قد هرعتُ مع الناس لمكان العمارة الهاوية، لإنقاذ الأحياء وانتشال الأموات. وبينما نحن نقوم برفع حُطام العمارة، إذا بعيني تقع على جثة صديق عزيز لي مدفونة تحت الرُكام، فصرختُ بأعلى صوتي مذعوراً على من حولي طلباً للمساعدة في رفع الجثة، وقبل أن تمتد أيدينا إلى الجثة لترفعها، شعرتُ بيد أُمي تمتد إليَّ وتهزني من كتفي بقوة لإيقاظي من نومي بعد سماعها لصراخي، فقُمت من سريري فزعاً، ولم تتركني أمي حتى ذهب الروع عني فذهبت لحالها، وعدت إلى نومي تاركاً خلفي ما رأيته في المنام على أساس أنه أضغاث أحلام، أو أخلاط كوابيس، وقلت في نفسي لعلها رؤية إلهام يكون تأويلها بعكسها، فيُكتبُ لصديقي عمرٌ مديد وعيشٌ رغيد، ثم نمتُ مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم، ومستبشراً رحمة الله الرحمن الرحيم.

استيقظتُ صباحاً على خبر حادثة اصطدام سيارة شحن إسرائيلية كبيرة بحافلة عمال فلسطينيين من قطاع غزة، ومقتل وجرح جميع ركابها، وكلهم من مخيم دير البلح، ومعظمهم من عائلة البحيصي، فخشيتُ حينها أنَ في الحادثة تأويل الرؤيا ومصداق المنام، فانطلقت مُسرعاً إلى دير البلح لأقطع الشك باليقين، وعندما قادتني رجلي لأول جمهرة من الناس في المخيم سألتهم وأنا كاره لإجابتهم، وقلبي مُعلّقٌ بين الخوف والرجاء، إن كان صديقي الذي رأيته في المنام يوسف البحيصي بين الأحياء أو الأموات، فوقع القول عليّ أنه من الأموات. هذه الحادثة الفاجعة التي راح ضحيتها

أكثر من عشرين شاباً ورجلاً من مخيم دير البلح وقعت في مطلع الثمانينات من القرن العشرين، والشاهد فيها أسماء الضحايا، فقد عرفتُ آنذاك كل أسماء الضحايا، غير أني لم احتفظ بذاكرتي إلا اسم صديقي العزيز، وظَّل الضحايا الآخرون مجرد أرقام بعثرتها رياح الزمن في صحراء الذاكرة المكتظة بالأحداث، تذكرتُ هذه الفاجعة الأليمة وأنا اتابع أخبار فاجعة حريق النصيرات في نشرات أخبار الإذاعات المحلية، وصفحات المواقع الالكترونية الإخبارية، رغم الهوة الزمنية السحيقة بين الفاجعتين، ورغم اختلاف ظروف وملابسات كل منهما، إلا أنَ الحزن وغياب أسماء الضحايا يوحدهما.

أسماء الضحايا في فاجعة حريق النصيرات لم تكن حاضرة بقوة، وكان التركيز على البُعد العددي في التغطية الإخبارية للحادثة، فقد كان آخر خبر- حتى الآن – هو "الضحية رقم (20) في حريق النصيرات" وأول خبر للحريق نُشر في الخامس من مارس آذار كان "وفاة تسعة مواطنين في حريق النصيرات"، وبينهما سلسلة من عناوين الأخبار كانت تزيد فيها أعداد الضحايا يومياً على اختلاف فيما بينها في توصيف الضحايا، ما بين وفيات وقتلى وشهداء وضحايا، دون الالتفات إلى مدلول كل مفهوم في اللغة والاصطلاح وعلاقته بنوع الحدث وأسباب الموت. وهكذا أصبح ضحايا حريق النصيرات مجرد أرقام في عدّاد الإعلام، يزيد بإطراد مع زيادة عدد الأيام، ويقل الاهتمام بأسماء الضحايا مع تتابع الأحداث، لا سيما ونحن في ذروة الهلع من وباء كورونا، فتتوه أسماء الضحايا في زحمة الأخبار المتتالية عن الوباء، ويبقى ذوو الضحايا وحيدين يحضنون حزنهم وألمهم وحسرتهم، ربما نتعاطف معهم، ونحزن لحزنهم، ونتألم لألمهم، ونشعر بحسرتهم، ونشاركهم دفن جثامين أعزائهم... لكننا حتماً سنتركهم ونمضي إلى سبيلنا وهمومنا وحياتنا تحت وطأة الاحتلال وثقل الحصار، وإلى جانب مأزق الانقسام وبؤس الانفصال، ولا بأس بالتعايش مع قليلٍ من العشوائية والاستهتار، وشيء من اللامبالاة والإهمال.

وقبل أن تغيب أسماء الضحايا عن ذاكرتنا وعقولنا، وتختفي صورهم من عيوننا وقلوبنا، وقبل أن تبرد نار حريق النصيرات، فيبرد معها تعاطفنا مع الضحايا وأُسرهم، وتبرد معها حماستنا للبحث عن الحقيقة واستخلاص العبر وإصلاح الخلل،، وقبل أن

يتحوّل الضحايا إلى مجرد أرقام جافة في تاريخ الوقائع والأحداث، وأعداد جامدة في أرشيف الجرائد والذكريات، ينبغي التأكيد دائماً على إنسانية الضحايا بذكر أسمائهم وقصصهم وحكاياتهم، ومعاناة أسرهم ومحبيهم، من أول الضحايا الأم إيمان أبو محروق وطفلتيها ليان ومنال حسين، وحتى آخر الضحايا الشاب يوسف الأشقر، والضحية قبل الأخيرة السيدة حياة صبح، مروراً بالأختين الطفلتين سالي وريتال عيد، والأب وابنه ماجد وعدي أبو يوسف، والأم وابنتها سلوى ولينا حمدان، وأبناء العم الشابين حسن وعبدالله الزريعي، والشاب زياد حسين، والطفل فراس عوض الله، والحاج سعيد خواص، وأسامة البنا، وحنفي أبو الليل، ومحمد الشاعر، وأحمد أبو رحمة. فلكل ضحية اسم، وكل اسم ذات انسان، وكل إنسان قصة حياة التهمتها نيران حريق النصيرات، وكُتب فصلها الأخير المأساوي بلظى النار على صفحات كتاب القضاء والقدر، الذي شاركنا بإهمالنا في طباعته، فكتبنا نهاية حزينة لحياة بسيطة، حمل أحلامها العادية معهم إلى القبر فقراء المخيم؛ لعلها تشفع لهم عند بارئهم فيكتبوا مع الصديقين والشهداء.

لكل ضحية اسم إنسان مات بعد أن انتهى أجله المكتوب في اللوح المحفوظ، ولم يبقَ له في الحياة الدنيا لحظة واحدة من عمر، فلكل أجل كتاب، هذه حقيقة إيمانية يقينية لا شك فيها، ولكن هناك حقيقة أُخرى متعلقة بحادثة حريق النصيرات، وهي أنَ الضحايا الأبرياء قد ماتوا ظلماً بسبب الإهمال الجنائي المترتب على عدم قيام المسئولين المختصين بواجبهم الوظيفي المطلوب منهم بحكم عملهم، والذي يقتضى أخذ الإجراءات اللازمة لحفظ أمن وسلامة الناس، وهو ما يترتب عليه مسؤولية جزائية على المقصرين بعملهم، وهناك مسؤولية عامة لأولي الأمر في البلد عما يحدث فيها. ومن جانب آخر فمن الضروري التحقيق في أسباب الحادثة الفاجعة لاستخلاص العبر والدروس منعاً لتكرره في أماكن أُخرى. ومن المفيد التأكيد أنَ احترام كرامة الضحايا بعد موتهم واحترام مشاعر أسرهم بعد مأساتهم يقتضى أن لا يتم استغلال الفاجعة الأليمة من قبل أي طرف لتكون فرصة لتصفية حسابات الثأر التاريخية، وتعزيز المواقع على خارطة القبلية الحزبية، وتجميع المزيد من النقاط في حلبة

المناكفات السياسية، خاصة وأننا في أوج حملة وطنية للوقاية من وباء كورونا نحتاج للوحدة الوطنية وجهد الجميع. وفي المقابل أن لا يتم الدفاع عن أخطاء المسؤولين المقصرين، وإهمال المختصين المتسببين، فيتحوّل الكُتاب بذلك إلى مخبرين، والإعلاميين إلى مندوبين، فيفقدوا رسالتهم ويتخلوا عن واجبهم.

السخرية من كورونا..
الوجه الآخر للهلع

• كُتب بتاريخ:
2020-3-25م

قرأتُ في كتابٍ عن الجاسوسية بين مصر و(إسرائيل)- لا يحضرني عنوانه- يتناول قصص تجسس متبادلة بين الطرفين، ومن تلك القصص قصة جاسوس جنده الموساد في مصر ليقوم بمهمة غريبة غير اعتيادية، وهي جمع النُكات المصرية وإرسالها إلى مشغلهِ في الموساد الإسرائيلي، وهذه المهمة تتطلب منه الجلوس على المقاهي الشعبية والاستماع للنكات وتسجيلها ومن ثم إرسالها للعدو. هذا الجاسوس لم يُدرك أهمية وخطورة المهمة المُكلّف بها، ولكن الموساد وأصحاب القرار في (إسرائيل) كانوا بالطبع يدركون أهميتها وخطورتها في الإسهام بمعرفة المزاج الشعبي المصري واتجاهات الرأي العام في مصر لا سيما بعد النكسة عام 1967 . ففي تلك الفترة الزمنية بعد هزيمة يونيو حزيران اجتاحت مصر موجة من النُكات السياسية الساخرة موضوعها الجيش المصري وبالتحديد الضباط، تُعبّر عن فقدان ثقة الشعب بجيشه وقواته المسلحة وضباطه المُقاتلين؛ مما أثرَ سلبياً على معنويات الجيش المصري أثناء حرب الاستنزاف، وفي خضم إعادة بناء الجيش استعداداً لحرب تتجاوز الهزيمة، وقد أدرك ذلك الرئيس جمال عبدالناصر، فخرج إلى الشعب بخطاب طالب فيه وقف موجة النُكات الساخرة من الجيش المصري، مُعلّلاً مطالبته بتأثيرها السيء على الروح المعنوية للجيش، ومساسها بكرامة الشعب، وترسيخها لليأس والاستسلام في مصر.

النكتة السياسية الساخرة تُعتبر مقياساً للمزاج الشعبي والرأي العام في أي بلد، وتؤدي وظائف عديدة أهمها: أنها وسيلة الشعوب المقهورة في أنظمة الحكم الشمولية المستبدة للتعبير عن رفضها لواقعها السيء، واحتجاجها على حالها البائس، وهي

بمثابة الترمومتر لمنسوب القهر والاستبداد والفساد، فكلما ارتفع منسوبه زاد انتشارها والعكس صحيح. والنكتة الساخرة وسيلة للتخفيف من مرارة الواقع السيء المليء بالفقر والعجز والظلم بإضفاء طابع هزلي عليه هروباً من مأساة الواقع إلى هزلية الضحك، كما عبّر عن ذلك المتنبي " لا تحسبنّ رقصي بينكم طرباً .. فالطير يرقص مذبوحاً من شدة الألمِ". وقد تكون بمثابة حيلة دفاعية للتنفيس عن مخزون الغضب والسخط الشعبي، وتفريغ تراكم الرفض والاحتجاج الجماهيري، وهذا رأي رائد مدرسة التحليل النفسي فرويد في كتابه (النكتة وعلاقتها باللاوعي) حيث اعتبر النكتة السياسية نافذة تنفيس ووسيلة تفريغ للشحنات الانفعالية المخزونة وضغوطات الحياة المكبوتة.

وفي الحالة الفلسطينية برزت النكتة السياسية الساخرة بعد تشكيل السلطة الفلسطينية وازدادت بعد الانقسام، ووجدت متنفساً لها مؤخراً في منصات التواصل الالكتروني، وكانت تعلو موجاتها عقب كل جولة مفاوضات للمصالحة الفلسطينية مُعبّرةً عن المزاج الشعبي الغاضب والرأي العام الساخط، بسبب تكرار الفشل في تحقيق المصالحة، واستمرار حالة العجز السياسي في إدارة الصراع مع العدو، وإدارة الخلاف بين أنفسنا، واستمرار الفقر والبطالة وارتفاع الضرائب والفساد. وهناك جانب آخر ايجابي لتفريغ الشحنات الانفعالية، فليس دائماً تكون غاضبة وساخطة، فقد تكون مُعبّرة عن الفرح والرضا، ومن أمثلتها موجة النُكات التي تناولت عملية أسر المقاومة للجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، ومن بعده شاؤول آرون وتطرقت لحياتهما في الأسر الفلسطيني، فسواء كانت النُكات الساخرة تُعبّر عن السخط أو الفرح فقد ولدت من رحم المعاناة الفلسطينية ومن عمق المأساة الوطنية.

وموجة النُكات الساخرة الحالية على وباء كورونا التي انتشرت في فلسطين والبلدان العربية والعالمية من على منصات التواصل الالكتروني تأتي في هذا السياق، وهي في ظاهرة وباء كورونا أقرب لأن تكون وسيلة دفاعية لمواجهة مواقف الخوف والهلع، أو للتنفيس عن حالة الخوف والهلع، والتخفيف من القلق والتوتر وعدم الاطمئنان بالسخرية، ولتحقيق ذلك يلجأ الانسان إلى استخدام آلية (الإنكار) كأحد

آليات الدفاع النفسية اللاشعورية، التي يُنكر فيها الانسان الواقع الذي يُشكل خطراً عليه، ليتجنب الحقيقة غير المريحة، ويستبدلها بوهم مُريح له، فيُقلل من خطر الوباء الفعلي بنكات ساخرة تُضفي طابعاً هزلياً على خطرٍ جدي تُخفف من حالة الخوف والهلع. وقد تكون قريبة من حيلة لا شعورية أُخرى هي (التكوين العكسي)، وفيها يلجأ الانسان إلى عكس الواقع المُطلق المُخيف المُسبب للخوف والهلع، فيقمع ما يُسبب الدافع المُثير للقلق والخوف، ويُسرف في اللامبالاة والسخرية لمواجهة واقع مقلق ومخيف ومُسبب للتوتر والهلع ليستريح مؤقتاً. وفي إطار هذه الرؤية للسخرية من كورونا، فُيمكن القول أنها الوجه الآخر للخوف والهلع.

في الختام إذا كانت السخرية من كورونا هي الوجه الآخر المُزيّف للخوف والهلع منها، فإن الجدّية في التعامل مع وباء كورونا هي الوجه الأول الحقيقي الذي يواجه الخوف والهلع من الوباء الفتّاك، والجدّية في التعامل مع الوباء تقتضي المواجهة العلمية والمعالجة العملية للوباء، والأخذ بالعزيمة والأسباب، ثم التوكل على الله تعالى والتضرع إليه بالدعاء، وتركيز الجهود الوطنية الرسمية والشعبية لتجاوز خطر الوباء، وهذا يتطلّب منّا جميعاً شحذ الهمم، وتقوية العزائم، وتعزيز نقاط القوة، وعلاج نقاط الضعف، والبحث عن الجوانب المضيئة في أنفسنا ومجتمعنا لتوسيعها، واكتشاف الجوانب المعتمة لإضاءتها، والبحث عن كل شيء جميل في حياتنا حتى في السخرية لتكون وسيلة تنفيس وتفريغ وتطهير وترفيه وتوعية وتصويب للمسار.

الأرض

• كُتب بتاريخ:

2020-3-30م

كتبَ الشاعرُ الثائرُ فؤاد حداد بعد النكسة قصيدة (الأرض بتتكلم عربي)، اختار الموسيقار سيد مكاوي بعض أبياتها فلحنها وغناها، ليؤكدا سوياً على عروبة فلسطين، والتحريض على تحرير أرضها، وضرورة النهوض من ظُلمة الهزيمة نحو نور النصر. فؤاد حداد واصل دعوته لتحرير الأرض بالمقاومة صادحاً "ازرع كل الأرض مقاومه.. ترمي في كل الأرض جذور.. ان كان ظلمه تمد النور.. وإن كان سجن تهد السور.. كون البادئ كون البادئ.. كل فروع الحق بنادق..غير الدم محدش صادق". هذه المعاني أكد عليها الشاعر الوطني محمود درويش في قصيدته (الأرض) مُبشّراً بهزيمة المشروع العابر "أنا الأرض، أيها العابرون على الأرض في صحوها .. لن تمروا .. لن تمروا.. لن تمروا". وهو الذي كتب في وثيقة الاستقلال عن ديمومة التصاق الشعب بالأرض، وعن التوّحد الكلي بين الأرض والإنسان، ونتيجة لهذه الديمومة والتوّحد مُنحت للأرض هويتها، ونُفخت في الشعب روح الوطن، وتطورت ذات الشعب، وتشكلت ملامح الهوية الوطنية، وكتب عن الالتحام بين الانسان والمكان والزمان، فأصبحتْ الأرضُ وطناً تسكنه روحُ الشعب، فتسري في عروق أبنائه لتمدهم بأسباب الوجود والحياة وتلهمهم قيم الصمود والثورة.

الأرضُ التي كتب عنها الشاعران حداد ودرويش ليست بالطبع الأرض بمفهومها العلمي الجغرافي المُجرّد من العاطفة والخالي من الإحساس؛ بل هي الأرض بمفهومها الوجداني الوطني المُترع بالعاطفة والمُفعم بالإحساس، الأرض بعاطفة الوطنيين وإحساس الشعراء هي ما يسكن وجدان الإنسان من عواطف وأحاسيس تربطه بالأرض التي وُلد فيها وترعرع على ترابها حقيقة واقعية؛ فأصبحت وطنه الذي

يسكن فيه، أو الأرض التي نشأ بعيداً عنها، وحلمَ بالعودة إليها، وتكوّنت في ذهنه صورة مُتخيلة، فأصبحت وطنه الذي يسكن داخله، وهذه الأرض كما يقول الشاعر أمل دنقل " هي أشياء لا تُشترى.. ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك .. حسُّكما فجأةً بالرجولةِ .. " . وكذلك هي ضحكاتكما البريئة بين اختك وبينك.. رائحة خبز أمك وحنينك لأن تحضنك.. صوت أبيك يرن في أذنيك وتوقك للشعور بالأمان إلى جانبه.. حكايات جدتك قبل نومك.. نكهة قهوة جدك في أنفك.. ألعاب الطفولة الساذجة مع أولاد وبنات الجيران.. الأرض كل ذلك وأكثر.

الأرض التي يعشقها الفقراء والشعراء ليست مجرد تراب من طمي ورمل وصخر وماء وهواء، الأرض دم الشهداء، وأنين الجرحى، ووجع الأسرى، وعرق الكادحين، ودمع المعذبين، وحنين اللاجئين، ورائحة الآباء، وروح الأجداد، وشموخ الثوار، الأرض التي رُويت بماء العزة والكرامة، فأنبتتْ شجرَ الشموخ والكبرياء، أكل من ثماره أسلافنا فأورثت في نفوسهم الشرف والإباء، فكانت من ثمارها الطيبة قيمة التمسك والتشبث بالأرض كأعلى فضيلة، وهذا ما استقر في وجدان كل فلسطيني وتوارثه كابراً عن كابر. وبقدر تمسك الفلسطيني بفضيلة التمسك بالأرض كعنوان لوجوده وهويته وكرامته، كان تمسك الحركة الصهيونية برذيلة انتزاع الأرض من أيدي أصحابها، فكانت الأرضُ جوهرَ الصراع وأساس القضية، ليكتمل المشروع الصهيوني بالثالوث المقدس- الاله والشعب والأرض- فيحلُ إله بني إسرائيل بزعمهم في الأرض لتصبح أرضاً فريدة مقدسة، ويحلُ في الشعب ليصبح شعباً مختاراً مفضلاً، ولا تكتمل القدسية والأفضلية إلا بعودة اليهود إلى أرض الميعاد المقدسة في فلسطين، فتلتقي رؤيتا المشروع الصهيوني والمشروع الغربي في احتلال أرض فلسطين كرأس حربة للمشروع الغربي الاستعماري ضد الأمة.

على أساس الفكرتين الدينية والاستعمارية قام المشروع الصهيوني وهدفه المركزي هو (الأرض)، فاخترع كذبته التاريخية الكُبرى بأنَ " فلسطين أرض بلا شعب يجب أن تُعطى لشعب بلا أرض وهم اليهود"، وبناء على هذه الكذبة سعت الحركة الصهيونية إلى تفريغ أرض فلسطين من سكانها الأصليين، وتمليكها للمستوطنين اليهود المجتلبين من شتى بقاع الأرض إلى فلسطين لفيفا حيث وعد الآخرة، وكان

الاستيلاء على الأرض قبل النكبة بالخداع والشراء ومساعدة المحتلين الانجليز، وبالقوة والارهاب والمذابح أثناء النكبة باستراتيجية الاستيلاء على أكبر مساحة من الأرض وأقل عدد من الفلسطينيين، وبقوة الدولة والقوانين بعد قيام (إسرائيل) فأصدرت قانون أملاك الغائبين، وقانون الأراضي البور، والقوانين العسكرية، وطبقت قانون الأراضي الأميرية... وصولاً إلى إصدار قانون (تطوير الجليل والنقب) الذي تم بموجبه مصادرة (21) ألف دونم من أراضي قُرى عرابة وسخنين ودير حنا وعرب السواعدة.. فاندلعت بسببه انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من مارس آذار عام 1976، وسقط عشرات الشهداء والجرحى.

الاستيلاء على الأرض الفلسطينية ليست حدثاً عابراً في يوم الأرض قبل أكثر من أربعة عقود من زمن الصراع على الأرض، بل هي استراتيجية ثابتة، ونهجاً مستمراً، ومنظومة متواصلة، منذ زراعة أول بذرة خبيثة للمشروع الصهيوني في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وطوال عقود القرن العشرين، وحتى القرن الحادي والعشرين، ولا زالت الأرض هي جوهر الصراع وأساس القضية، ولا زالت الأرض محور وموضوع وهدف الكيان الصهيوني بالمصادرة والتهويد والاستيطان والضم، ولا غرابة في ذلك، ولكن الغرابة في عدم وجود مشروع وطني فلسطيني مناقض للمشروع الصهيوني يسعى إلى المحافظة على الأرض وتحريرها والعودة إليها، وهذا يعني أن نجعل كل يوم هو يوم الأرض، وهذا يقتضي أن يكون وجودنا على الأرض الفلسطينية وعدم الهجرة منها محور استراتيجيتنا الوطنية، فبمجرد المحافظة على الوجود الإنساني الفلسطيني في كل فلسطين المحتلة من البحر إلى النهر هو هدف أساسي يُبطل الأساس الذي قام عليه المشروع الصهيوني الذي يزعم أنَ فلسطين أرض بلا شعب، وتعزيز الوجود يتطلب بدوره دعم صمود الناس وخاصة الشباب ليبقوا في وطنهم وبالمقابل جعل فلسطين مكاناً غير آمن وغير قابل للحياة للمستوطنين اليهود، فيتم ضرب وإضعاف ركيزتي الهجرة والاستيطان أهم محاور المشروع الصهيوني. فيكون ذلك أول الطريق لتحرير الأرض والعودة إلى الوطن، واستعادة الالتحام بين الانسان والزمان والمكان، واسترجاع الامتزاج بين الشعب والتاريخ والأرض، فتعود للوطن روحه وللشعب قلبه.

النظام الدولي وفلسطين بعد زمن كورونا

• كُتب بتاريخ:
2-4-2020م

لعبة تجميع أجزاء الصورة المُبعثرة من الألعاب العقلية الممتعة، وسر متعتها في الجهد الفكري المبذول في تركيب الصورة ووضع كل جزء منها في مكانه الصحيح لتتكون الصورة الكلية للمشهد. وهذه اللعبة نوع من محاكاة الواقع الذي نعيشه ابتداء من حياتنا الخاصة وانتهاء بالواقع العالمي، وما زمن كورونا الذي يعيشه العالم اليوم عن هذا المثال ببعيد، فإذا جمعنا آلاف الصور العالمية ووضعناها في مكانها الصحيح من المشهد الكلي لاتضحت لنا الصورة الكلية التي قد تُشكل ملامح النظام العالمي الجديد الآخذ بالتبلور بعد عصر كورونا، ومن هذه الصور الجزئية صورة الرئيس الصربي وهو يُقبل العلم الصيني، وصورة نائب البرلمان الايطالي وهو يُنزل علم الاتحاد الاوروبي، وصورة وزير خارجية ايطاليا وهو يستقبل جسر الطائرات الروسية قادمة بالمساعدات والخبراء الروس لمواجهة وباء كورونا، وصورة القطار الصيني وهو يُستقبل بحفاوة في إسبانيا التي تخلّى عنها الاتحاد الاوروبي، وصور كبريات المدن الأمريكية خاوية على عروشها... وجميعها تُشير إلى أنَ شيئاً ما قد حدث في العالم، أو أن العالم مقبل على تغير ما وشيك، وأنَ العالم على أبواب نظام عالمي جديد يُفرز شرعيته الدولية الخاصة.

النظام العالمي بعد زمن كورونا لن يكون بالتأكيد نفس النظام العالمي قبل زمن كورونا، وهذا النظام بشرعيته الدولية الخاصة سيرسم ملامحه المنتصرون على وباء كورونا طبياً وإنسانياً وأخلاقياً، كما شكل المنتصرون في الحرب العالمية الأولى النظام العالمي متعدد الأقطاب فأنشأوا عصبة الأمم عنواناً للشرعية الدولية، وكما شكل المنتصرون في الحرب العالمية الثانية النظام العالمي ثنائي القطبية فأنشأوا الأمم المتحدة لتكون عصا الشرعية الدولية الخاصة بهم، حتى إذا ما انهار الاتحاد السوفيتي وكتلته

الشرقية في مطلع التسعينات من القرن العشرين وتربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش نظام عالمي أُحادي القطبية وحاولت أن تصمم شرعية دولية خاصة بها مستفيدة من فائض القوة العسكرية والاقتصادية الهائلة لديها، التي وصلت إلى ذروة العلو والاستكبار العالمي في عهد رئيسها الحالي دونالد ترامب، فكانت (صفقة القرن) أبرز تجليات القوة الأمريكية ولسان حالها يقول للعالم مقولة فرعون لقومه "مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي" و "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى"، وفي غمرة نشوة وهم امتلاك مفاتيح القوة في الأرض التي أخذت زخرفها وأزيّنت لأمريكا وظنَّ ترامب أنه قادرٌ عليها أتاها فيروس كورونا فجعلها الله تعالى حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس، فكان فيروس كورونا هو السوس الذي نخر عصا القوة الأمريكية ومعها كل أكاذيب الإنسانية والأخلاقية في الحضارة الغربية المادية القائمة على نظام عالمي ظالم وشرعية دولية مأزومة ومنحازة.

الشرعية الدولية المأزومة، يكمن سر أزمتها في أنها ليست تجسيداً لفلسفتها الإنسانية، ومبادئها الأخلاقية، وعدالتها النظرية، القائمة على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة القائمة واحترام حقوق الإنسان والحريات العامة والمساواة بين بني البشر... بل كانت ولا زالت تجسيداً لموازين القوى الدولية المنتصرة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة، ويتجلى ظلم النظام الدولي والشرعية الدولية في القضية الفلسطينية، وقد كانت الشرعية الدولية التي كتبها المنتصرون بأيديهم هي الغطاء القانوني لإنشاء دولة (إسرائيل) فبعد الحرب العالمية الأولى فرض المنتصرون إرادتهم على المهزومين وأنشأوا (عصبة الأمم) كإطار عالمي للشرعية الدولية ، وكانت بريطانيا في مقدمة المنتصرين فأدخلت (وعد بلفور) في بنود (صك الانتداب)، فتحوّل من وعد بريطاني للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إلى وعد دولي اكتسب صفة الشرعية الدولية، وبعد الحرب العالمية الثانية فرض المنتصرون شرعيتهم الدولية من خلال إنشاء (الأمم المتحدة) فأصدروا (قرار التقسيم) لتقسيم فلسطين بين سكانها الأصليين والغزاة المغتصبين لأرضها، وبعد إقامة (إسرائيل) جاء قرار الأمم المتحدة بقبولها دولة عضواً في الأمم المتحدة.

أما قرارات الأمم المتحدة التي جاءت نصوصها لصالح القضية الفلسطينية فكانت لاحقة للقرارات التي حوّلت المشروع الصهيوني من حلم يقظة في أذهان قادة الصهاينة إلى دولة من جيش وشعب على أرض فلسطين، وجاءت معظمها في إطار الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، وظلت جميعها حبراً على ورق ومنزوعة الإرادة الدولية لتطبيقها على أرض الواقع، وأهم هذه القرارات، قرار الجمعية العمومية رقم (194) القاضي بحق عودة اللاجئين إلى ديارهم، وقرار مجلس الأمن رقم (242) القاضي بانسحاب (إسرائيل) من الأراضي التي احتلتها عام 1967، وسلسلة القرارات الأخرى أهمها حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وعدم شرعية الاحتلال والاستيطان، ورفض ضم القدس المحتلة... وهذه القرارات التي لم تُطبق استدرجت الثورة الفلسطينية إلى كمين القبول بما يُسمى (الشرعية الدولية) القائمة على قرارات الأمم المتحدة ومحورها تقسيم فلسطين إلى دولتين لشعبين، وهذه الفكرة التي تقبل بتقاسم فلسطين بين صاحب الأرض وسارقها في الفكر السياسي الفلسطيني تسللت إلى منظمة التحرير الفلسطينية تحت غطاء ضباب كثيف من فلسفة الواقعية الثورية والبراجماتية السياسية، وانتجت أولى ثماره في البرنامج المرحلي المعروف بالنقاط العشر عام 1974م.

بعد القبول الفلسطيني بفكرة تقسيم فلسطين على أساس الشرعية الدولية التي أفرزها النظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت مرحلة طويلة من ترويض العرب وتدجين الثوار انتهت باتفاقيات كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو. وبعد أن تبين للجميع ظلم النظام الدولي وزيف الشرعية الدولية، وبعد ما استنفذت أهدافها بترويض وتدجين الأنظمة العربية والثوار الفلسطينيين، جاء وقت الانقلاب على الشرعية الدولية الخادعة فأخرجت أمريكا من جعبتها (صفقة القرن) لتصفية القضية الفلسطينية على أساس شرعيتها الخاصة القائمة على قوة الأمر الواقع الإسرائيلي، وفي خضم العلو والاستكبار الصهيوأمريكي الذي تجلّى في صفقة القرن فوجئ العالم بوباء كورونا ليتوقف التاريخ عند هذه اللحظة بانتظار ولادة نظام عالمي جديد يرسم

صورته الكلية الأمم التي ستنتصر على وباء كورونا إنسانياً وأخلاقياً، ومن سيقدم حلولاً تُخرج البشرية من أزمتها الصحية والإنسانية والأخلاقية.

كما كان المنتصرون على الدوام هم بناة النظام العالمي، وهم محتكرو الشرعية الدولية، سيكون المنتصرون على وباء كورونا طبياً وإنسانياً وأخلاقياً، هم بناة النظام العالمي الجديد بعد أفول زمن الاستكبار الأمريكي بنهاية زمن كورونا، وهم من سيرسم ملامح الشرعية الدولية الجديدة، وإذا كان المنتصرون على الوباء غير معروفين يقيناً حتى الآن، فإن المهزومين قد عُرفوا يقيناً، وهم قادة الحضارة الغربية بزعامة الشيطان الأكبر الأمريكي، التي قامت على دم (الهنود الحمر)، وعرق (العبيد الزنوج)، وثروات (العالم الثالث) وعلى نظام اقتصادي رأسمالي جشع غير إنساني، وعلى عولمة استخدمت كحصان طروادة للهيمنة على العالم. وكذلك عُرف المنتظرون العالة الذين لم يمتلكوا مقومات النصر والنهضة بعد، وبالتأكيد لن يملأوا الفراغ الحضاري حتى يتوقفوا عن لعبة الرقص على أنغام المشروع الغربي. وحتى ذلك الحين فقد نكون على أبواب "نظام مشاركة عالمية قوامه حل المشاكل الإنسانية العالمية والقضايا الدولية كالبيئة والأمراض الفتاكة العابرة للقوميات والايكولوجي واللجوء عن طريق واحد هو التكامل والمشاركة في الحل نظراً لتعذر الحل العسكري في هذه الأمور" كما تنبأ بذلك قبل أكثر من ربع قرن المفكر السياسي اللبناني ناصيف حتي.

الشرعية الدولية.. رؤية مختلفة

• كُتب بتاريخ:
2020-4-5م

قالت وزارة الخارجية الفلسطينية في بيان لها مؤخراً في غمرة انشغال العالم بوباء كورونا قالت "يستغل الاحتلال الانشغال الفلسطيني والاقليمي والدولي في هموم ومخاطر تفشي وباء كورونا... فتصّعد قوات الاحتلال ومليشيات المستوطنين وعصاباتهم المسلحة اعتداءاتها على الفلسطينيين وأرضهم وممتلكاتهم... وهو إمعان في التمرد على الشرعية الدولية وقراراتها وعلى القانون الدولي ومبادئ حقوق الانسان". وهل كانت الخارجية الفلسطينية تتوقع تغير الاحتلال بسبب وباء كورونا؟!، والحقيقة أنَ الاحتلال سيظل هو نفس الاحتلال بإرهابه وبطشه، كما أنَ السلطة ستظل هي نفس السلطة بفكرها السياسي وتنسيقها الأمني، وستُظل تُراهن على (الشرعية الدولية) منطلقة من فكر سياسي مبني على أسس خاطئة، ولتوضيح ذلك من المفيد أن نستعرض مفهوم الشرعية الدولية برؤية مختلفة عن رؤية السلطة، وهذا يتطلب العودة إلى البداية.

مفهوم الشرعية في العلوم الاجتماعية والسياسية أنها صفة أي نظام مؤسس على مرتكزات قانونية وأخلاقية وقيمية، فينعقد حولها إجماع مجموعة معينة أو غالبية أفرادها، وهي صفة لكل التصرفات التي تكون مطابقة للقانون على مستوى الدولة الواحدة. أما مفهوم الشرعية الدولية فهي الالتزام بمجموعة المبادئ والقوانين والقرارات التي تحكم وتوّجه العلاقات الدولية من خلال هيئة الأمم المتحدة، ربما تُصدرها هيئاتها المختلفة الرامية إلى حفظ الأمن والسلام الدوليين، وإنماء العلاقات الودية بين الأمم، وتحقيق التعاون الدولي، واحترام حقوق الإنسان والحريات العامة، والمساواة بين بني البشر، والعدالة الدولية... وفي هذه الفلسفة تكمن أزمة الشرعية الدولية، فهي ليست تجسيداً لفلسفتها الإنسانية وميثاقها الأخلاقي وعدالتها الدولية؛ بل كانت ولا زالت

تجسيداً لموازين القوى الدولية المنتصرة في الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومن ثم الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية، وتتجلّى هذه الأزمة بوضوح في تعامل الشرعية الدولية مع القضية الفلسطينية.

بعد الحرب العالمية الأولى فرض المنتصرون إرادتهم على المهزومين وأنشأوا (عصبة الأمم) كإطار عالمي للشرعية الدولية، وكانت (بريطانيا العُظمى) في مقدمة المنتصرين فأدخلت (وعد بلفور) في بنود (صك الانتداب) فتحوّل من وعد بريطاني للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إلى وعد دولي اكتسب صفة الشرعية الدولية المفروضة بأيدي المنتصرين الظالمة. وبعد الحرب العالمية الثانية فرض المنتصرون الشرعية الدولية الخاصة بهم من خلال (الأمم المتحدة) وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا؛ فأصدروا (قرار التقسيم)، الذي ينص على تقسيم فلسطين بين سكانها الأصليين والغزاة المغتصبين لأرضها، وجاء بعد صك الانتداب وقرار التقسيم قرار الأمم المتحدة بقبول (إسرائيل) دولة كاملة العضوية في الأمم المتحدة كتجسيد للشرعية الدولية التي سُخِرّت لخدمة المشروع الصهيوني منذ ولادته وحتى إقامة دولته، فرعت المشروع الصهيوني منذ أن كان حُلماً بعيد المنال في أذهان قادة الحركة الصهيونية، حتى أصبح حقيقة واقعية تتمتع بـ (الشرعية الدولية).

أما قرارات (الشرعية الدولية) التي جاءت نصوصها لصالح القضية الفلسطينية، فقد كانت لإصلاح جزء من الخلل الذي أحدثته قراراتها التي ساهمت في إلحاق الظلم التاريخي بالشعب الفلسطيني، وكانت في إطار الحرب الباردة وحفظ التوازن بين المعسكرين الغربي والشرقي، وظلت حبراً على ورق لم تستعد الحق الفلسطيني أو أي جزء منه، وأهم هذه القرارات: قرار حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هُجّروا منها في النكبة، وقرار انسحاب (إسرائيل) من الأراضي التي احتلتها في النكسة، وسلسلة القرارات الأخرى منها حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وعدم شرعية الاحتلال والاستيطان، ورفض حلم القدس الشرقية للكيان... وجميعها قرارات لم تُطبق بخلاف القرارات التي خدمت المشروع الصهوني فجميعها طُبقت. وقد لعبت هذه القرارات دوراً مهماً في استدراج منظمة التحرير الفلسطينية إلى الوقوع في كمين

(الشرعية الدولية) والتخلّي عن الخطاب الثوري المستند إلى الشرعية الطبيعية والتاريخية والدينية في المطالبة بالحقوق الوطنية الفلسطينية، والارتكاز على الشرعية الثورية في مقاومة الاحتلال والنضال الوطني للعودة إلى الوطن السليب.

استدراج الثورة الفلسطينية للقبول بـ (الشرعية الدولية)، أدى إلى القبول بفكرة تقاسم فلسطين بين أصحاب الأرض ومغتصبيها، ومحورها تقسيم فلسطين إلى دولتين لشعبين، وقد استمر الانحراف في الفكر السياسي الفلسطيني للمنظمة يسير في زاوية منفرجة حتى وصل إلى نقطة التحوّل في تبني البرنامج المرحلي المعروف بالنقاط العشر عام 1974، الذي حط رحاله بعد عشرين عاماً تقريباً في اتفاقية أوسلو، وإقامة سلطة فلسطينية تحت الاحتلال، وليست دولة إلى جانب الاحتلال، حتى إذا ما مر ربع قرن آخر من تاريخ الشعب الفلسطيني الذي هُدر عبثاً بحثاً عن شرعية دولية ظالمة وعاجزة، جاءت (صفقة القرن) كخطة أمريكية – إسرائيلية لتصفية القضية الفلسطينية، والتخلّص من ما تبقى من (الشرعية الدولية) والانقلاب عليها بعد ما انتهى دورها وأدت وظيفتها في ترويض العرب وتدجين الثوار فكان الاعتراف بقرارات (الشرعية الدولية) مجرد فخ نُصب للفلسطينيين لاستدراجهم لتتخلي عن معظم حقوقهم الوطنية.

بناء على هذه الرؤية لمفهوم الشرعية الدولية، يمكن القول أنها جاءت ترجمة لموازين قوى دولية ظالمة ومنحازة للمشروع الصهيوني، ومساهمة في إنشاء دولته (إسرائيل)، ومانحة الشرعية لها بحماية القوى الكبرى وغطاء القانون الدولي، وبعد ذلك جاءت قراراتها المؤيدة جزئياً للحقوق الفلسطينية، بدون قيمة عملية أو تطبيق فعلي؛ لانعدام الارادة الدولية لإنصاف الشعب الفلسطيني وإعادة حقوقه المسلوبة، حتى إذا ما انتهت إدارة الصراع وفق الاستراتيجية الأمريكية- الإسرائيلية، بدأت مرحلة إنهاء الصراع بضربة صفقة القرن التي انقلبت علي الشرعية الدولية من أساسها بعد ان استنفذت أغراضها في خدمة المشروع الصهيوني والكيان الصهيوني، واستُبدلت باستراتيجية شرعية الأمر الواقع المفروض إسرائيلياً بدعم القوة الأمريكية.

أخيراً إذا كان المشروع الوطني بالحد الأدنى الهادف إلى إقامة دولة في الضفة والقطاع قد فشل، وإذا كانت (الشرعية الدولية) التي استند إليها هذا المشروع قد انتهى بها المطاف إلى صفقة القرن بدون شرعية دولية فإنَ العودة إلى المشروع الوطني بحده الأقصى الهادف إلى تحرير كل فلسطين من البحر إلى النهر هو الأكثر واقعية، وبالتالي العودة من مفهوم الشرعية الدولية القائمة على فكرة تقسيم فلسطين إلى مفهوم الشرعية الثورية المستندة إلى الحقوق الطبيعية والتاريخية والدينية والقومية والوطنية في تحرير كامل الأرض الفلسطينية، وإن كان لا بد من (الشرعية الدولية) فلتكن شرعية حقيقية قائمة على العدل، ومستندة على القانون الدولي، المؤيد لحقوق الشعوب في مقاومة الاحتلال، وحق سكان الأراضي المحتلة في الثورة على المُحتل، وحق الدفاع عن النفس، وحق تقرير المصير، ورفض احتلال أراضي الغير بالقوة.

من وحي الأذان في زمن الوباء

• كُتب بتاريخ:
2020-4-10م

كانتْ نبرةُ صوتِ المؤذنِ طوالَ الوقتِ لا تُثيرُ انتباهي، حتى أغلقتْ المساجدُ أبوابَها أمامَ المُصلين في زمنِ الوباءِ، ومنذُ ذلكَ الوقتِ بدأتُ انتبهُ إلى ما تحملهُ نبرةُ صوتِ المؤذنِ من مضمونٍ عاطفي، لا سيما في أذانِ الفجرِ، فلاحظتُ أنَّ صوتَ الأذانِ تكسوهُ نبرةُ حُزنٍ، يُضفي الليلُ عليهِ من هدوئهِ شجاً، ومن ظُلمتهِ شجناً، ومن وحشتهِ لوعةً. ولم أدرِ إنْ كانتْ نبرةُ الحُزنِ في صوتِ الأذانِ حقيقةً موضوعية في صوت المؤذن الحزين، أمْ كانتْ شعوراً ذاتياً نابعاً من إسقاط حُزنِ كاتبِ هذهِ السطورِ على صوتِ المؤذنِ. وسواءً أكانَ الحُزنُ في صوتِ الأذانِ حقيقةً موضوعية أمْ عاطفةً ذاتية، فلا شكَّ أنَّ مشاعرَ الحُزنِ على إغلاقِ المساجدِ قد أصابتْ كلَ مسلمٍ في شتى بقاعِ الأرضِ، وهكذا لا تُدرك قيمةَ الأشياءِ إلاّ بعدَ فقدانِها، ولا قيمةَ الأشخاصِ إلاّ بعدَ خسارتِهم.

وللتأكدِ منْ هذهِ الحقيقة ليرجعَ كلُ واحدٍ منّا بشريط ذاكرته وذكرياته إلى الوراء، ثمَّ ليثبتَ الصورةَ على مشهدِ خسارة عزيز حبيب كأمه وأبيه، أو أخته وأخيه، أو صديقه وصاحبه... فلمْ يعرفْ قيمتهُ إلاّ بعدَ أن خسرهُ وافتقدهُ، إنْ كانَ فقدناه طوعاً عندما نتركهُ ونرحل، أو كُرهاً عندما يتركُنا ويرحل، أو لا مبالاةً عندما نتركهُ يرحل. وفيْ كلِ الأحوالِ ربما لم ندركْ قيمتهُ قبلَ الرحيلِ بسبب قُربنا الشديد منهُ، وتعوّدنا المديد عليه، فصارَ القربُ والبُعد مثلين في خلقِ جفاء المشاعرِ وجفاف العواطفِ، وفي إطفاءِ نار الشوقِ وشعلة الحبِ، وفي إماتةِ روح الودِ وحياة الوجدِ. وهكذا العلاقةُ بينَ الإنسانِ والأشياءِ لا يُعرفُ قيمتها إلاّ بعدَ فقدانها، كالوطنِ عندما نُهاجرُ منهُ، وكالبيتِ عندما نرحلُ عنهُ؛ ذلك بأن الأشياءَ عندما ترتبطُ بذواتنا لم تعدْ مجردَ أشياء، بل تُمسي

جزءاً من الذات والهوية، وتمتزج بنفوسنا وأرواحنا... ألا يكونُ ذلكَ هو ما حدثَ بيننا كأشخاص وبينَ مساجدنا كأشياء، فأسقطنا على صوتِ الأذانِ حزننا وحنيننا.

وإذا كانَ الحزنُ والحنينُ قد طبعَ نبرةَ صوتِ الفجر وكلَ أذان، فإنّ للأذان وظائف عديدة لا زالَ يؤديها للأمةِ الإسلامية جمعاء، كالتأكيد على وحدتها وهويتها وتميزها، ويؤديها لأفراد الأمة، وما انفكَ صوتُ الأذانِ يصدحُ في السماءِ مُذّكراً كلَ ضال، ومُبصّراً كلَ حائر، ومُفرحاً كلَ محزون، ومُبشّراً كلَ يائس، ومؤمّناً كلَ خائف، ومستنهضاً كلَ متخاذل، ومُخوِّفاً كلَ طاغٍ... فكم من ضالٍ نفثَ الشيطانُ في قلبهِ حبَ الرذيلةِ وكُرهَ الفضيلةِ، فسوّلتْ لهُ نفسهُ عملَ السوءِ والفحشاءِ، فهمَّ بالخطيئةِ ليجترحها، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذانِ مُذكّراً ومُنبّهاً، فقذفَ في قلبهِ حُبَّ الفضيلةِ وكُرهَ الرذيلةِ، فأمسكَ عن الخطيئة، فصرفَ اللهُ عنهُ السوءَ والفحشاءَ، فأصبحَ بعدَ الأذانِ من الذينَ آمنوا وزادَهمْ اللهُ هدى.

وكم من حائرٍ مسّهُ طائفٌ من الشيطانِ، فألقى في عقلهِ الشكَ والريبَ، فيسّرتْ لهُ نفسهُ الجهالةَ والضلالةَ، فوقف على شفا جُرفٍ هارٍ من نارِ جهنم، فهمَّ بالسقوطِ في هاويةِ الإلحادِ والكفرِ، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذانِ مُبصّراً وهادياً، فآمنَ بالله ورسوله، فبصرَ النورَ في آياتِ الأفاق، واستبصرَ الحقَ في آياتِ الأنفس، فأزالَ اللهُ عنهُ غطاءَ الجهالةِ والضلالةِ، وكشفَ لهُ أسرارَ الحكمةِ والهدايةِ، فأصبح بصُرهُ وبصيرتهُ بعدَ الأذانِ حديد. وكم من محزونٍ طرحَ الشيطانُ في قلبهِ الحَزَنَ والحُزْنَ، وأُشربتْ نفسهُ البؤسَ والتعسَ، فهمَّ بالسأمِ الضجرِ، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في ضوتِ الأذانِ مُفرّحاً ومبهجاً، فعِلمَ أنَّ مع الحُزنِ فرحاً، ومع العُسرِ يُسراً، ومع الضيقِ سعةً، ومع الكربِ فرجاً... ففقهَ أنَّ المؤمنَ يفرحُ بفضلِ اللهِ ورحمته، فانقلبَ بعدَ الأذانِ بنعمةٍ من اللهِ وفرحٍ لم يمسسهُ حُزن.

وكم من مكروبٍ زرعَ الشيطانُ في نفسهِ اليأسَ والقنوط، فطوّعتْ لهُ نفسُهُ قتلَ نفسِهِ، فهمَّ بإلقاءِ نفسهِ في تهلُكةِ الانتحار، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذانِ مُبشّراً ومؤمّلاً، فأيقنَ أنهُ لا ييأسُ من روحِ اللهِ إلاّ الكافرون، ولا يقنطُ من رحمةِ ربهِ إلاّ

الضالون، فسرتْ في نفسهِ بُشرى الأملِ وروحُ الرجاء، فأحجمَ عن الانتحار، فأصبحَ بعدَ الأذانِ من المستبشرين. وكم من خائفٍ أصابَهُ الشيطانُ بنُصبٍ وعذاب، فألبسهُ لباسَ الذعرِ والفزعِ، وأسلمتهُ نفسهُ لأوهامِ الخوف والرُهاب، فهمَّ بالولوجِ في متاهةِ الشرودِ والذهول، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذانِ مؤمّناً ومطمئناً، وتبينَّ لهُ أنَّ اللهَ قدْ وهبَ أمنهُ للذينَ آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، ومن طمأنينتهُ للذين آمنوا وذكروا الله، وأنزلَ سكينتهُ على الذينَ آمنوا وجاهدوا فيه، فأصبحَ بعدَ الأذانِ من الآمنين المطمئنين.

وكم من مُتخاذلٍ زيّنَ لهُ الشيطانُ سوءَ تخاذلهِ فرآهُ بطولةً، وهوّنتْ لهُ نفسهُ تركَ الجهادِ وهجَر الثورةِ، فهمَّ بالإخلاد إلى الأرض، والركون إلى الذين ظلموا، فكادتْ أنْ تمسَهُ نارُ المذلةِ والمهانةِ، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذان مستنهِضاً وموقِظاً، فأدركَ أنهُ ما أطالَ الجبنُ عُمراً، ولا قصّرتْ بالأعمارِ شجاعةُ الثوارِ الأحرار، ووعىَ أنهُ ما تركَ قومٌ الجهادَ وهجروا الثورةَ إلاّ أذلهمْ أعدائهمْ، وما تمسّك قومٌ بالجهادِ وتشبثوا بالثورةِ إلاّ أعزهمْ اللهُ، فأصبحَ بعدَ الأذانِ من المقاومين الثائرين. وكم من طاغٍ وسوسَ لهُ الشيطانُ ليبديَ له ما ووري عنهُ من سوءة نفسهِ الأمّارةُ بالاستعلاءِ والخُيلاءِ، فخيلت لهُ نفسهُ أنهُ قادرٌ على من يملكُ زمامَ أمرهم من الناس، فهمَّ بالبطشِ بهم، لولا أن رأى برهانَ ربهِ في صوتِ الأذانِ مُخوّفاً ومُنذراً، ففطنَ أنَّ اللهَ أكبرُ بقدرتهِ عليه من قدرتهِ على الناسِ، فارعوى وتراجع عن البطشِ بهم، فأصبحَ بعدَ الأذانِ من القاسطين.

ونختم بما انشدَهُ أميرُ الشعراءِ أحمد شوقي حُزناً على حالِ المسجدِ الأموي بعدَ سقوطِ دمشق وسوريا في قبضةِ الاحتلال الفرنسي مطلعَ القرنِ العشرين، فصوّرَ بشعرهِ المسجدَ الأموي الحزين، في صورةٍ مُشابهة لحُزنِ المسجدِ الأقصى الأسير تحت حراب الصهاينة، وبعدَ الوباءِ كحزنِ مساجدنا وهيَ تبكي حالها بعدَ إغلاقها وخلوها من عُمّارها المصلين.

مــررتُ بالمسجـدِ المحــزونِ أسألــهُ   ***   هـلْ فـي المُصلّى أو المحـراب مــروانُ

تغيــرَّ المسجــدُ المحــزونُ واختلفتْ   ***   علــى المنـابــرِ أحــرارٌ وعــبــدانُ

فــلا الأذانُ أذانٌ فـــي منــارتــهِ   ***   إذا تــعـــالـــى ولا الأذانُ أذانُ

وحتماً سيزولُ الوباءُ، فتفتحُ المساجدُ أبوابها، فيعودُ للمساجدِ عمّارها، ولأصواتِ الأذانِ أفراحها، يومئذٍ يفرحُ المؤمنون، بانتظارِ الفرح الكبير بتحرير المسجد الأقصى والقدس وفلسطين، "وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".

قبسات من وحي السجن

• كُتب بتاريخ:
2020-4-16م

يومُ الأسيرِ الفلسطيني مناسبةٌ جيدةٌ للكتابةِ عن الأسرى ومعاناتهم ومآثرهم، والكتابة عن الأسرى شيء، ومن الأسرى شيءٌ آخر، والفرقُ بين الحالتين كالفرق بين الشعورِ بالبرد في ليلةِ شتاءٍ باردة، واستشعار البردِ في نهارِ صيفٍ حار، فشتانَ بين الشعورِ بالشيء واستشعارهُ، أو بين الإحساسِ بالشيء وتخيُّلهُ، فالكتابةُ التي يقوم بها الأسرى ومنهم وُلدت من رحمِ المعاناة داخل السجن، ونابعة من عمق إحساسهم بوجع الأسر، وناتجة عن صدق شعورهم بقسوة السجن، ولكاتب هذه السطور نصيبٌ من ذلك، فتجربته في الكتابة من داخل السجن مرَّ عليها ما يقرب من ثلاثة عقود، في مطلع تسعينيات القرن العشرين، بعد عامين من بداية الانتفاضة الأولى أو انتفاضة الحجارة، ومن معتقل النقب الصحراوي (كتسيعوت) المعروف بأنصار ثلاثة، وكنت أدون يومياتي ومشاعري وأفكاري على نمط أدب الرسائل الموّجهة لزوجتي يتخللها المذكرات والذكريات والخواطر... تمتزج فيها حرارة نهار الصحراء بحرارة الإحساس بالوطنية في عنفوان الشباب والثورة، وتختلط فيها برودة ليل الصحراء ببرودة حركة الزمن الثقيلة المُعبّرة عن رتابة الأيام المتشابهة.

ومن وحي السجن كانت هذه القبسات لكاتب هذه السطور، نقلتها كما هي بدون تعديل؛ لاطلاع القُرّاء على نموذج لِما يدور في عقول وقلوب الأسرى من أفكار ومشاعر أثناء مرورهم بتجربة الأسر والاعتقال، وهذه أولى القبسات كتبتها آنذاك عن أثر السجن في النفس "... السجن محطة في حياة الإنسان، خاصة للإنسان الثائر، فالسجن هو المكان الذي ندفع فيه الثمن، وهو المكان الذي يُطّهر النفس أو يُدنّسها، ويُصلّب العقيدة أو يوهِنها، وهو اختبار لمصداقية الثائر، وفي السجن يضطر الإنسان

أن يعيش الحياة الجماعية، التي يكون فيها مُضطراً للتنازل عن جزء كبير من ذاتيته وأنانيته، ومن لا يفهم هذه الحقيقة سيتعب كثيراً... والسجن تجربة صعبة في الحياة، تُقسّي القلب وقد ترققه أيضاً، فمثلاً قد يختلف الإنسان مع صاحبه وصديقه الذي يتقاسم معه رغيف الخبز، والذي عاش معه سنوات رائعة بسبب شيء تافه، فتتحوّل المحبة إلى عداوة والود إلى جفاء، وفي نفس الوقت قد يربط بين شخصين برباط قوي مُقدّس، صهره الألم المشترك والأمل المشترك، وكل سجين يعيش على أمل أنه سيتحرر من السجن قبل ميعاده، وإذا لم يكن هناك أمل فإنه سيخلقه من فراغ... قرأتُ رواية (الجريمة والعقاب)، الحقيقة أنَّ مثل هذه الروايات تُطهر النفس وتسمو بالروح وتُهذّب الأخلاق.. لأنها تُعبّر عن المشاعر الإنسانية الحقيقية".

وثاني القبسات من وحي السجن عبارة عن خواطر من أفكار ومشاعر مختلفة تبدأ بالأسلاك الشائكة التي تميز معتقل النقب الصحراوي، وتنتهي بلدغات الذباب والبعوض نهاراً وليلاً وكتبت حينها "... إليك اكتب هذه الكلمات، وإليك أرنو ببصري عبر هذه الأسلاك الشائكة عبر هذا الأُفق الممتد إلى ما لا نهاية... في هذه الساعة من ليل الأحد الرابع من يوليو بعد صلاة العشاء، أجلس على (البرش) استحضر ذكريات الماضي البعيد بما فيها من ألم وبهجة، وحزن وفرح، وأرنو ببصري لاستشراف المستقبل القريب والبعيد، فينقلني خيالي إلى عالم آخر، عالم من الأحلام والآمال، ولكن سرعان ما تدهمني اللحظة ويصدمني الواقع، فلا يبقى في نفسي من ذكريات الماضي إلا وخز الألم وطيف الفرحة، ولا يبقى من آمال الغد وأحلام المستقبل إلا أشواق بهجة يأبى الواقع الأليم إلا أن يبددها وينثرها في عالم الواقع... هنا الإنسان عارٍ ومكشوف من كل شيء، فهنا لا يمكن إخفاء العيوب، ولا يمكن التغطية على سلبيات الإنسان، فالسجن كالمرآة يكشف وجه الإنسان... هنا تمر الأيام متشابهة لا فرق بين اليوم والأمس والغد، إلاّ بتقلّبات الطقس وتبادل نوبات الذباب في النهار والبعوض في الليل، وتقلّب المزاج ما بين ضيق وضيق أكثر، يتخلل ذلك لحظات من السعادة المعنوية كلما أنهيت قراءة أحد الكتب، أو قطعت شوطاً في تعلم اللغة العبرية أو اللغة الانجليزية، أو كتبت رسالة لك، أو عشت لحظات رائعة مع صديق، أو عشت في عالم الخيال والأحلام التي تأخذني بعيداً عن هذا الجو الكئيب...".

أما ثالث القبسات التي كنت قد دونتها من وحي السجن تُقدم نموذجاً لتضارب الأفكار وتناقض المشاعر يتخللها شيء من قراءات وكتابات الأسير "... أحاول أن انقل لك الصورة التي أعيش فيها في هذا السجن الذي يختلط فيه الألم بالأمل، والفرح والحزن، والحب بالكره، وتختلط فيه المشاعر والأحاسيس في مزيج غريب ومعقد يدل على مدى تعقيد وغرابة النفس الإنسانية، والسجن فرصة للارتداد نحو الذات، والعودة للماضي، والتأمل في المستقبل، والتمعّن في القضايا والأحداث. السجن فرصة لمراجعة النفس والاستفادة من التجارب... أنا الآن أقرأ في كتاب (الذين ظلموا) تأليف محمد محفوظ كتب فيه عن محنة سجن المعلم الشهيد سيد قطب "العقدة أنك لا تستطيع أن تسجن مُفكّراً، فأنت تحدد إقامته الجسدية فقط، أما عقله فيندفع أشد عُنفاً وانعتاقاً، وأيضاً لا تستطيع أن تقتل مُفكّراً، فدمه يروي ويُخصّب بذور أفكاره فتنمو وتتسع وترتفع". وأثناء قراءتي لرواية (المسيح يُصلب من جديد) وجدت فقرة تتحدث عن العدل الذي يجب أن يتسلّح ليدافع عن نفسه، فالظلم مُسلّح بالقوة، ولكي ينتصر العدل لا بد أن يتسلّح أيضاً، فالعدالة المُسلّحة هي التي ستنتصر على الظلم الغاشم المسلح" ... كتب مقالاً للمجلة عن الثورة والأدب أنقل لك فقرة منه. "... الأدب لكي يكون نافعاً للمجتمع لا بد أن يكون أدباً ثورياً، لا سيما في مرحلة التحرر الوطني والاجتماعي، ولكي يكون ثورياً لا بد أن يكون ملتزماً وهادفاً... يُعالج قضايا المجتمع... وكذلك الآفات الأخلاقية والسلوكية... والأديب الأكثر قدرة على ذلك هو الذي يعيش وسط الجماهير، ويحس بآلامهم، ويُعاني معاناتهم، ويستشعر عذاباتهم، لأنه واحد منهم ويشاركهم نضالهم...".

ورابع هذه القبسات من وحي السجن كانت في الأيام الأخيرة للأسر كخاطرة عن مفهوم السجن"... هذه الأيام الأخيرة من هذا السجن، فقد وصلت المحنة إلى نهايتها، وأوشكت على الوصول إلى منتهاها... أيام قليلة واتحرر من هذا السجن، الذي يسجن الجسد ولم يسجن الروح... سأخرج بإذن الله من السجن الصغير إلى السجن الكبير، ألا وهو الدنيا، فالدنيا التي يحكمها الطغاة بالترهيب والترغيب لن تكون إلا سجناً كبيراً للإنسان، تُقتل فيه الرغبة في التحرر والشوق إلى الملأ الأعلى، والسمو في

آفاق الروح، ولا ينجو منها إلاّ من نجح في أن يتزود منها لآخرته... والسجن الأكبر بعد هذا السجن الصغير هو سجن الذات، نعم الذات التي تحكمها شهواتها وغرائزها ومصالحها، هو سجن الإنسان ولا يتحرر من هذا السجن إلاّ إذا تفرُغ نفسهُ من حظِ نفسهِ، ويدوس شهواته وغرائزه ومصالحه التي تتعارض مع واجبه، هذا هو السجن الذي يستحق أن يعمل الإنسان على التخلّص منه... في مقال كتبته للمجلة عن الثورة والنقد اقتبس منه فقرة "... فالنقد فقط يصنع الإنسان الساخط، ومجرد السخط لا يكفي للثورة، فكثير من الناس غير راضين عن الأوضاع السيئة التي يحيونها، ولكن لا يُحركون ساكناً لتغيير هذه الأوضاع، فلا يمكن وصفهم إلا أنهم ساخطون، وهذا لا يكفي لخوض الثورة... والثورة بحاجة بعد ذلك لعملية نقد ذاتي مستمر لتقييم مسيرتها الثورية وتقويم وتصحيح منهجها في التفكير والممارسة وعلاج أخطائها وانحرافاتها...".

وخامس وآخر هذه القبسات من وحي السجن فيها شيء من الأمل بمستقبل أفضل إن لم يكن لجيلنا فلأبنائنا من بعدنا "... المناضل كالطاحونة التي تعصر الزيت ليضيء للناس، ونحن نعصر زيت وجودنا ليضيء مصباح الحياة في بيوت المحرومين... كان يجب علينا أن ندفع الثمن ونؤدي ضريبة إيماننا ووعينا عن رضى وطيب نفس ونحمد الله على ذلك، ولنتذكر قول الشاعر الثائر الشابي (ومن لا يحب صعود الجبال *** يعش أبد الدهر تحت الحفر *** ومن لم يعانقه شوق الحياة *** تبخّر في جوها وأندثر)، فلا يجب أن نعيش تافهين بين الحفر والمستنقعات، بل يجب أن ننظر إلى العُلا دائماً ونسمو بأرواحنا نحو السماء، ونصارع هذه الحياة، ونقوم بواجبنا ونحقق فيها ذواتنا... يجب أن نعيش الحياة بحلوها ومرها، ونرمي أنفسنا في خضمها الهائل، ونمشي بين الأشواك، ونصعد الجبال، ونستنشق الغبار، فلا طريق بلا غبار، نستنشق الغبار في بداية الطريق، لكي نستنشق الهواء النقي في نهايتها، وإن لم نستنشق نحن الهواء النقي، فيستنشق أبناؤنا هذا الهواء، فإن لم نرَ لحظة الانتصار بعيوننا، فسنراها بعيون أبنائنا، المهم أن نؤدي واجبنا ونسير على الدرب...".

الإسلام والإسلام الآخر

• كُتب بتاريخ:
2020-4-22م

قدّم المخرج السوري العالمي مصطفى العقاد صورة الإسلام المُشرقة من خلال فيليمه الرسالة وأسد الصحراء، بنسختيهما العربية والانجليزية، وتُرجما لأثني عشر لغة أجنبية، وقد أظهر فيلم الرسالة الطبيعة الإنسانية والحضارية لدين الإسلام ونبي الإسلام محمد – صلى الله عليه وسلم –، بينما فيلم أسد الصحراء أو عمر المختار أظهر جوهر الجهاد الإسلامي الثوري والتحرري والأخلاقي. ولكن الإسلام الآخر ممثلاً في الدولة السعودية الوهابية حاول منع انتاج وعرض هذه الصورة المُشرقة للإسلام دون جدوى، فباء بالخذلان رغم ما يملكه من سطوة دينية ومالية، وفائض كراهية وعنف وأموال البترودولار.

وإذا كانت دولة آل سعود وآل الشيخ التي تُمثّل الإسلام الآخر عجزت عن إسكات صوت الإسلام في الربع الأخير من القرن العشرين، فإنَّ تنظيم القاعدة، الابن الضال للوهابية، وأحد إفرازات الإسلام الآخر، قد استطاع قتل مصطفى العقاد في مطلع القرن الواحد والعشرين في تفجير انتحاري بالعاصمة الأردنية عمان، فرحل عن الدنيا تاركاً خلفه أفلاماً لم تُنجز هي فتح الأندلس وصلاح الدين الأيوبي، تحمل أحلاماً لم تكتمل في إظهار صورة الإسلام المُشرقة في محاولة لمسح الصورة المشوّهة للإسلام التي قدمها للعالم تنظيم القاعدة وأصوله الوهابية وفروعه الداعشية.

الإسلام الآخر لا يقتصر على من قتل مصطفى العقاد فقط، فصوره السياسية كثيرة، منها الإسلام الأمريكاني، وهو ما ذكره المفكر الإسلامي سيد قطب في كتابه (دراسات إسلامية) في مطلع خمسينيات القرن العشرين، تحت عنوان (إسلام أمريكاني)، ومما كتبه آنذاك: "الإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط ليس

هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان.... لكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية...الأمريكان وحلفاؤهم يريدون للشرق الأوسط إسلاماً أمريكياً، أما الإسلام الذي يكافح الاستعمار كما يكافح الشيوعية فلا أحد يتحدّث عنه...". وبهذه الرؤية استشرف سيد قطب ما سيحدث بعد ثلاثة عقود من نشر كتابه، عندما جيء بـ (المجاهدين العرب) وهم ينسلون من كل حدبٍ وصوب إلى أفغانستان، بدعوة من الإسلام الآخر، الذي يقف على رأسه تياران إسلاميان كبيران، وزعيمان إسلاميان مهمان هما أسامة بن لادن السعودي الوهابي والآخر عبد الله عزام الفلسطيني الإخواني، ليقيما معاً (مكتب خدمات المجاهدين) في مدينة بيشاور الباكستانية قرب الحدود الأفغانية، لتجميع الرجال العرب والأموال العربية وإلقائها في أتون الحرب الباردة المشتعلة بين الكتلتين الشرقية والغربية لتأكلهما معاً ثم انقلبت عليهم حسرة بعد انكشاف وهم الجهاد المُصنّع أمريكياً وسعودياً.

إذا كان الإسلام الآخر قد جعل أحد الفلسطينيين يترك الجهاد في فلسطين ويخرج منها ويذهب إلى أفغانستان للجهاد فيها مطلع الثمانينات، ليكون هو وكل من تبعه وقوداً لحرب الأمريكان وحلفائهم، فقد كان الإسلام يُحرّك فلسطينياً آخراً هو فتحي الشقاقي ليعود إلى فلسطين في نفس الوقت للجهاد فيها، ومعه كلمة السر - الإسلام وفلسطين والجهاد - التي تُفجرّ الثورة الإسلامية وتُنشئ حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، مؤكداً على مركزية القضية الفلسطينية للأمة، ومُحذراً من انحراف البوصلة من فلسطين والقدس إلى حيث يريد الإسلام الأمريكاني أو الإسلام الآخر في أفغانستان ومما كتبه آنذاك مُحذراً "... نحن لا نسأل الحكومات التي فتحت مكاتب للمجاهدين الأفغان على أرضها بلا حصر ولا عدد، فيما اعتقلت المجاهدين من فلسطين حاولوا أن يجمعوا تبرعات لمجاهدي فلسطين وشهدائها، ولكن نسأل الذين تحججوا بأنَ راية الإسلام لم تكن تُظلل المقاتلين في فلسطين، وهم يسمعون اليوم صيحات الله أكبر تتردد في كل جنبات فلسطين". انتهت الحرب الأفغانية بخروج الجيش الأحمر من أفغانستان وسقوط النظام الحاكم الشيوعي، وبدأت حرب المجاهدين الأهلية، لينتقل الإسلام الآخر إلى ممارسة دوره في أماكن أخرى.

الإسلام الآخر كان حاضراً على الدوام في كل زمان ومكان تريده أمريكا وحلفاؤها تماماً كما استشرف ذلك سيد قطب، وغالباً ما كان يشترك في التنفيذ نفس التيارين المشاركين في حرب أفغانستان، وهذا الحضور بدأ واضحاً في سوريا بعد ثلاثة عقود من بدء الحرب الأفغانية، بعد اندلاع النسخة السورية في ثورات (الربيع العربي)، ولكن هذه المرة كان بنكهة تركية مُعبّقة برائحة حلف الناتو، ولباس سعودي قطري بالمقاس الأمريكي، وبما أنَ الفلسطيني كان حاضراً في أفغانستان، فلمَ لا يكون حاضراً في سوريا، وإن لم يكن بالرجال بارزاً بوضوح، فبالفتاوي الدينية والسياسية أكثر بروزاً، فها هو زعيم كبير يخرج علينا بفتوى أنَ الجهاد في سوريا مُقدمٌ على الجهاد في فلسطين. أما عن فتاوي أولوية قتال (المرتدين والرافضة) على قتال (الكفار الأصليين) وهم اليهود المحتلين لفلسطين، فلا حصر لها... وكما سقطت أوهام الإسلام الآخر في أفغانستان، فقد سقطت في سوريا، بعدما اتَضح للمجاهدين تحت الطلب الأمريكي أنهم كانوا مجرد حطب نار لحرب ما أُريد بها وجه الله، ولا خدمة الشعب السوري، ولا حتى إسقاط النظام.

الإسلام الآخر بصورته السياسية الجهادية، سبقه انحراف في الفكر السياسي الإسلامي، أدى إلى نشأة إسلام آخر صنعه الفقهاء على مدار مئات السنين التي بدأت بنهاية دولة الخلافة الراشدة، وبداية نشأة الدولة الأموية، وتحوّل الحكم إلى ملك عضود، فقام الفقهاء أو غالبيتهم بتوظيف النصوص الدينية لتبرير الواقع السيء وليس لتغييره نحو الأفضل، فأصدروا الفتاوي لدعم الحكام المستبدين، ودعم نظام الحكم الظالم، وتقوية السلطة السياسية الفاسدة، وقاموا بالتنظير الديني لشرعنة الاستبداد السياسي، وإجازة إمارة التغلّب والاستيلاء على الحكم بالقوة، والتأصيل الشرعي لحصر الحكم في (أهل الحل والعقد)، وإسقاط حق الأمة في اختيار حكامها ونقدهم وعزلهم إذا أخلوا بشروط البيعة، وتحويل الشورى من شورى مُلزمة للحاكم إلى شورى اختيارية للحاكم، وقصر نظام الحكم الإسلامي على قوالب نمطية جامدة مستنسخة من أزمنة عابرة لاستحضار شكل الحكم دون جوهرة، حتى ظهر فقهاء آخر الزمان، الذين أفتوا بذبح مخالفيهم من الرجال وسبي نسائهم واسترقاق ذراريهم.

وفي الختام لم يكن الإسلام الآخر نتيجة لانحراف في الفكر السياسي الإسلامي فقط، بل كان نتيجة لانحراف في المنظومة الفكرية والفقهية التي تراكمت عبر مئات السنين وانتجت مفاهيم خاطئة أهمها إضفاء القداسة والعصمة على التراث الثقافي والموروث الديني، ولم تتعامل معه كجهد عقلي بشري يُصيب ويُخطئ، ومن ذلك إضفاء القداسة والعصمة على إنتاج زعماء المذاهب الفقهية الأربعة، وكتب الحديث المشهورة، والمدارس العقيدية الكبرى، ومفهوم (أهل السنة والجماعة) كمفهوم بديل للأمة الإسلامية... وصنعنا نموذجاً آخر للمرأة المسلمة يؤصل لدونية المرأة ويعتبرها عورة كلها حتى اسمها وصوتها، وربط وجودها بالرجل متاعاً وتبعية... وغرقنا في تفاصيل التفاصيل للعبادات التي لم يعرفها الجيل الإسلامي الأول حتى فُرّغت من مضمونها الروحي والأخلاقي والتربوي...وانشغلنا بإخراج الناس من الإسلام بتكفيرهم تمهيداً لتقتيلهم... وكل جماعة رأت في نفسها الفرقة الناجية الوحيدة من النار، وغيرها فرق هالكة في جهنم وبئس القرار... وغير ذلك كثير، ولا خيار لنا كأمة سوى ترك صحراء الإسلام الآخر إلى واحة الإسلام حيث النبع الصافي ننهل من القرآن والسنة باجتهاد عقولنا وروح عصرنا، والنافع المفيد من تراثنا.

في عيد العمال..
يُكافأ أصحاب القرار والأموال

• كُتب بتاريخ:
1-5-2020م

كان الوقتُ يقتربُ منْ مطلعِ الفجر، عندما رنَّ جرسُ ساعةِ المُنبّه، مُخترقاً برنينهِ طبلةَ أُذنيَّ، وقاطعاً لذةَ النومِ في الهزيعِ الأخيرِ منْ الليل، مُعلناً بدءَ رحلةِ الشقاءِ اليومية، وباكورتها بإلقاءِ اللحافِ على عجل، فتركُ السريرِ على كراهة، فاستبدالُ لباسِ النومِ بزي العمل، ثم سرقة بضع دقائق لارتشاف ما تيسّر من الشاي الساخن أثناء آذان الفجر، إلى أنْ ينتهي الأذانُ فأُصلي الفجر، وبعد ذلك أحمل مخلاة الطعام وأخرج من البيت وسط مخيم رفح باتجاه شارع البحر، لأنتظرَ مجيء سيارة العمال الـ (بيجو تندر)، فأقفز داخل صندوقها الخلفي مُنضماً إلى العمالِ السابقين لي واللاحقين بي في محطات أُخرى، حتى تصلَ حمولتها ضعف سعتها، فنصبح داخلها كعلبةِ السردين المكبوسة، فتنطلقُ السيارةُ في رحلة الخمسين كيلو متراً نحو غايتها إلى مستوطنة (نتيفوت) في فلسطين المحتلة عام النكبة، مارةً بمعبر (ناحل عوز) جنوب غزة، لنقف في طابور الانتظار والتفتيش والإذلال ككل معابر وحواجز الاحتلال اللعينة.

وبعد تجاوز المعبر ووصولنا إلى مزارع المستوطنة، يتم توزيعنا عليها حسب طلب المستوطنين المغتصبين للأرض، فننزل تباعاً من السيارة كما يوزعنا الـ (كبلان) وهو مقاول العمال الفلسطيني، فنستريح بضع دقائق ليذهب تأثير دوار السيارة الناتج عن خضخضة الطريق واستنشاق رائحتي بنزين السيارة ودخان السجائر المختلطة بزفرات أنفاس العمال المحبوسة، ثم نبدأ بعدها العمل في مزارع المستوطنة الواسعة، وهي أراضينا المُحتلة منذ النكبة – الأراضي التي هُجّر وطُرد منها آباؤنا وأجدادنا قسراً وعدواناً– وعادة ما نبدأ العمل مع شروق الشمس، ويستمر يوم العمل معظم

النهار، يتخلله استراحة قصيرة لتناول وجبة الطعام، وكثيراً ما ينتهي يوم العمل مع غروب الشمس... ليُعاد تجميعنا في نفس السيارة، وبنفس طريقة الركوب الأولى، ونفس طريق العودة، وفي مخلاة كل عامل ما تيسّر من خضروات المزارع التي عملنا بها، فنعود بعد يوم عمل شاق وطويل امتص طاقتنا واستنزف قوانا، زاد من تعبه شدة جشع الـ (كبلان) مصاص عرق العمال، الذي لم يكتفِ بعمولته الطبيعية، فكان يزيد من ساعات عملنا الإضافية ليبتلع المزيد من الأموال دون العمال، ويقتطع جزءاً كبيراً من أجورنا عنوة في ثوب عمولة.. وهكذا كل يوم على مدار العام في سيناريو لا يتغير شتاءً تحت المطر والقر، وصيفاً تحت الشمس والحر، إلاّ بتغير مواسم المحاصيل مثل الخس شتاءً والبصل صيفاً.

هذهِ صورةٌ كُتبتْ بالكلماتِ والعباراتِ، لمشهدٍ كُتبَ بالجهد والعرق، استحضرها كاتب هذه السطور من عمق ذاكرته المُتعبة، فاستخرجها من تحتِ طبقاتِ الزمنِ الفلسطيني الحزين، الواقع بعد سنوات التيه والضياع بعد صدمة النكسة، وقبل سنوات استعادة الوعي بالذات الوطنية في انتفاضة الحجارة الأولى، وهي راوية فلسطينية لم تأخذ حقها في الكتابة، أبطالها العمال الفلسطينيون داخل ما يُسمى بالخط الأخضر في فلسطين المحتلة عام النكبة (1948)، عندما اضطرَ الفلسطيني أن يعمل في أرضهِ أجيراً عند سارقها، في تراجيديا وطنية ومأساة إنسانية بالغة الوجع، ومأساة العمال في بعدها الاجتماعي لا تقل أهمية عن بُعدها الوطني، فمعظم العمال كانوا – ولا زالو – منزوعي الحقوق العمالية، ومسلوبي الحقوق الإنسانية، وهم اليوم أشد بؤساً وأكثر تعساً، فإذا كانت مأساة العمال الفلسطينيين في ذلك الوقت البعيد في ظروف عملهم السيئة وحرمانهم من حقوقهم القانونية إضافة لبعد المأساة الوطني، فإنَ مأساتهم اليوم بعد توالي الأزمات والنكبات على الشعب الفلسطيني وعماله، في عدم إيجاد عمل من الأساس، خاصة بعد إعلان الطوارئ بسبب وباء كورونا، فأصبح مجرد إيجاد فرصة عمل مهما كان أجره زهيداً مطلب العمال والخريجين وغيرهم، وإذا كان عمال العالم في عيدهم العالمي أشد الفئات تضرراً من وباء كورونا، فإنَ عمال فلسطين هم أكثر عمال العالم تضرراً من الوباء لا سيما في قطاع غزة الفقير.

بؤس العمال الفلسطينيين عامة وعمال غزة خاصة له طابع خاص أكثر بؤساً وقتامة، وربما وصلنا إلى مرحلة ما بعد البؤس وأشد ظلمة من القتامة، بعدما انهار ما تبقى من اقتصاد غزة المنهك بسبب تراكم الأزمات، وتوالي النكبات، وحصاد المُلمِات... منذ النكبة (أصل المأساة ومنبت المعاناة)، ثم النكسة التي عمقّت المأساة ورسخّت المعاناة، ثم الوكسة باختراع سلطة تحت الاحتلال وداخل بطن الكيان، وصولاً إلى الانقسام وتبعاته من خصومات سياسية، ومناكفات حزبية، وعقوبات سلطوية... وأخيراً وباء كورونا فكانت كالقشة التي قصمت ظهر الاقتصاد الفلسطيني وأردته أرضاً لا سيما في قطاع غزة، فزادته بؤساً على بؤس وتعساً فوق تعس. فتحوّل معظم العمال إلى عاطلين عن العمل، وأوصلت جُل العاطلين عن العمل إلى حافة الجوع، وكادت أن تُلقي بغالبية الجوعى إلى شفا التسوّل... وجميع هؤلاء البؤساء أمام خيارات جبرية كلها سيئة أو أكثر سوءاً: فإما الانضمام إلى طوابير البؤساء على أبواب بنوك البريد انتظاراً لمنحة المائة دولار القطرية، أو اللحاق بصفوف التُعساء على أبواب الجمعيات الخيرية انتظاراً لسلة غذائية، أو التسجيل في جيوش الفقراء المنتظرين على أرصفة مكاتب الشئون الاجتماعية لوكالة الغوث الدولية، أو التنمية الاجتماعية للسلطة الفلسطينية.

وإدراكاً لمأساة العمال الفلسطينيين، وفي يوم عيد العمال العالمي، أو بالأحرى عيد العاطلين عن العمل، وصولاً (بتقديري) إلى عيد الجوعى والمتسوّلين بدل عيد الشغيلة والعُمال، المسحوقين منهم والبؤساء، أن يُتخذ قراراً راقياً، ويُصدر قانوناً سامياً، بزيادة مكافآت ورواتب وتقاعد أصحاب القرار والأموال، الساهرين على راحة الشعب والعمال، من عليّة القوم والنخبة المختارة وكبار السادة، أعضاء المجلس التشريعي وأضرابهم، ووزراء الحكومة ونظرائهم، ومحافظي المدن وأشباههم. وهذا القرار باطنه فيه الرحمة للشغيلة والمصلحة للعمال، وإن كان في ظاهره المفسدة؛ ذلك بأنَّ في راحة أولي الأمر من أصحاب القرار والأموال راحة لرعيتهم وفي مقدمتهم الشغيلة والعمال، فعندما يرتاح أصحاب القرار والمال في معيشتهم، سينعكس ذلك حتماً على قراراتهم فيريحوا شعبهم وفي مقدمتهم الشغيلة والعمال، فتعم الفائدة عليهم، فإن لم يكن بالمال،

فيكفيهم فخراً أنَ المسؤولين عنهم مُرتاحو البال... وأيُ كلامٍ غير هذا محض افتراء، وخلط بين التفاح والقثاء.

وهو قرار حكيم، ورأي قويم، يتماشى مع حالة الطوارئ، وسياسة التقشف، وجفاف مصادر الأموال، وينسجم مع سياسة حكومة الحمد الله الغابرة بزيادة رواتب الفئات الأكثر فقراً من الوزراء والمحافظين وأعضاء التشريعي ومن في مستواهم المعيشي المُتدني، إضافة إلى كل ذلك ومما يدل على أنَه قرار حليم وفوق ذلك مستقيم أنَه اتُخذَ بالتزامن مع خصم يومين من الموظفين عامة واستمرار الخصومات على موظفي غزة خاصة... وكلمة أخيرة لمنتقدي القرار الملغي بعد الضجة المفتعلة والمؤسفة والمحزنة على مواقع التواصل الاجتماعي، والمؤسسات القانونية والحقوقية، خاصة لمن يزعم أنَ العمال أولى بهذا المال، أو أنَ المناضلين من الجرحى والأسرى والشهداء خاصة المقطوعة رواتبهم أولى بهذا المال من المسؤولين وصُنّاع القرار... لقد اختار المناضلون من الشهداء والأسرى والجرحى طريق النضال بمحض إرادتهم الحرة، ولم يجبرهم أحد على العمل الوطني المشبوه، واختار غيرهم من أولي الأمر وعلية القوم طريق السياسة والسلامة، وهم الأكثر فطنة وكياسة، وفق نظرية (البندقية تزرع والسياسة تحصد)، فاختاروا الشق الثاني من النظرية فحصدوا ثمار ما زرعه المناضلون فأكلوا في بطونهم، بينما أكل المناضلون على رؤوسهم.

دراما التطبيع وإعادة تعريف العدو

• كُتب بتاريخ:
6-5-2020م

محمود قابيل ممثل مصري لمع نجمه السينمائي في سبعينيات القرن العشرين، ثم خبا بريقه وتلاشى خلف سحاب النسيان، فتوارى عن الأنظار طوال عقد الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات، عندما عاد من الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصر، ليعود نجمه إلى البزوغ مرة أخرى، والسر في اختفائه وهجرته كان في قصته مع التطبيع. والفصل الأول من القصة موضوعه زيارة الرئيس المصري الأسبق أنور السادات لـ (إسرائيل). وعقد اتفاقية سلام معها، فاعتقد قابيل أن الباب قد فُتح للتطبيع، ليبدأ الفصل الثاني من القصة بزيارة قابيل لـ (إسرائيل)، والظهور على شاشة التلفزيون الإسرائيلي، وعقد علاقة صداقة وعمل مع طيار إسرائيلي، دون أن ينتبه إلى أنَّ البون لا زال شاسعاً بين عقد اتفاق سلام حكومي رسمي باهت وتطبيع علاقات شعب عربي- مسلم ومسيحي- أصيل مع دولة تحتل المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، ومُقامة على أرض عربية مسلوبة وبقايا شعب مُهجّر، فكانت المفاجأة تنتظره في الفصل الثالث للقصة عندما عاد إلى مصر فوجد نقابة المهن التمثيلية قد اتخذت قراراً بحرمانه من التمثيل، وهذا الموقف الوطني والقومي الشريف تُجمع عليه كل النقابات المهنية في مصر وخلفها الشعب المصري، وهو قرار لا يزال ساري المفعول، لم يتآكل مع الزمن العربي الرديء، ولم تنحته عوامل التعرية القومية، ولكن غير ساري المفعول عند قلة من الفنانين العرب، الذين أخرجوا لشعوبهم أسوأ ما في الدراما من مضمون، وهي دراما التطبيع وإعادة تعريف العدو.

مسلسل (أم هارون) من هذه الدراما الخليجية التي تُرّوجُ للتطبيع، من خلال تبني الرواية الصهيونية- الإسرائيلية الخاصة بمظلومية اليهود في الدول العربية قبل

وبعد قيام دولة (إسرائيل)، وهي نفس الرواية التي تبنتها أمريكا في نص (صفقة القرن)، التي تُحمّل العرب مسؤولية (اللاجئين اليهود) من الدول العربية، وتزعم أنَّ هجرتهم من الدول العربية كانت بسبب الاضطهاد العربي لهم لكونهم يهودا، متجاهلة الدور الرئيسي للدعاية الصهيونية الرامية إلى تهجيرهم إلى (إسرائيل)، وهي نفس الرواية بوجهها الآخر التي تُحمّل العرب مسؤولية معاناة اللاجئين الفلسطينيين واستمرار حالة اللجوء بعدم استيعابهم وتوطينهم في الدول العربية المُضيفة، متجاوزة دور الحركة الصهيونية بتشكيلاتها العسكرية الإرهابية التي تسببت في نكبة فلسطين،، وهي نفس الرواية الخبيثة التي تتهم الفلسطينيين ببيع أرضهم لتبرئة المجرم من دم الضحية. وخطورة هذه الدراما التطبيعية أنها تتسلل لعقول المشاهدين عبر تمرير رسائل مباشرة واضحة تدعو إلى التطبيع، ورسائل غير مباشرة خفية تستقر في العقل الباطن للمشاهد، من خلال تكرار استحضار صورة (اليهودي الطيب المظلوم) في الدول العربية، أو صورة (اليهودي الإنسان العادي) في (إسرائيل)، لتحل تدريجياً مكان الصورة النمطية لليهودي الصهيوني الإسرائيلي المرتبطة بالشر والعدوان والاحتلال والقمع والإرهاب التي كانت حاضرة على الدوام في الدراما العربية يوماً ما. واذا كان مسلسل (أم هارون) يروّج للتطبيع من زاوية تبني الرواية الإسرائيلية فإن مسلسل (مخرج 7) يروّج للتطبيع من زاوية الدعوة للعلاقات مع اليهود الإسرائيليين وإعادة تعريف العدو.

مسلسل (مخرج 7) في حلقته الثالثة طرح قضية التطبيع من جانبين، الأول موضوع إقامة علاقات صداقة وعمل بين العرب واليهود الإسرائيليين، من خلال نموذجين أحدهما صبي يقيم علاقة صداقة عبر اللعب على الإنترنت مع صبي يهودي إسرائيلي، فينزعج الأب رافضاً هذه العلاقة ويطلب من الابن قطعها، ولكن زوجته كان لها وجهة نظر مُخالفة، فاعتبرت هذه العلاقة طبيعية وعادية مقبولة. والنموذج الآخر علاقة عمل عبر سعي رجل أعمال لإقامة علاقات تجارية مع رجال أعمال يهود إسرائيليين ودفاعه عن موقفه أمام رأي محاوره المُخالف لرأيه ضد التطبيع. وظهر هذان الموقفان من خلال حوار درامي فيه نوع من التوازن بين الرفض للتطبيع والمؤيد له بدون ترجيح لأي رأي منهما، وبدون حسم النقاش لصالح أي موقف منهما، لتحرير

رسالة المسلسل بأن التطبيع مع (إسرائيل) أصبح قضية جدلية تقبل الاختلاف في وجهات النظر دون حسم للصواب والخطأ، ولم تعدْ قضية مُطلقة الرفض، أو بديهية لا يجب مناقشتها، من أجل إيجاد أرضية نفسية وعقلية لتمرير سياسة التطبيع الحكومية في المستقبل، وهو الهدف الأساسي لدراما التطبيع، فلم تُعد الدراما مرآة للواقع- ولم تكن يوماً كذلك - بل هي صانعة للواقع كما يريدهُ صُنّاع الدراما ومن ورائهم أولي الأمر عليهم، فصنّاع الدراما وظيفتهم نقل التاريخ والواقع بطريقة انتقائية ومُعدّلة وأحياناً مشوّهة لإيصال ما يريدونه للجمهور المستهدف، وأمثلة الدراما بمختلف أنواعها في تحويل كراهية الجمهور للمجرم القاتل أو مُروّج المخدرات إلى تعاطف معه، وأكبر مثال هو أفلام الكابوي الأمريكية التي قلبت الموازين فحوّلت الضحايا الأبرياء من السكان الأصليين (الهنود الحمر) إلى مجرمين متوحشين، وبرأت مع الغزاة الأوروبيين المتوحشين.

كما أن مسلسل (مخرج 7) يتعدّى موضوع التطبيع وصولاً إلى تبريره بطريقة لم تخطر على عقل أحد من الإنس والجان، فناقش قضية إعادة تعريف العدو، وطرح سؤالاً بطريقة جدلية (من هو العدو؟!)، فقد مررنا في سنوات سابقة بمحاولة استبدال العدو الإسرائيلي بعدو آخر من داخل الأمة الإسلامية منذ (قادسية صدام) عندما كان الإيرانيون فُرساً، وحتى ثورات (الربيع العربي) عندما أصبح الإيرانيون شيعة، وفي كلا الحالتين هم مجوس لم يصلهم الإسلام بعد. والجديد الغريب في دراما التطبيع استبدال (إسرائيل) كعدو بالشعب الفلسطيني كعدو جديد، وظهر ذلك من خلال الحوار الدرامي بين بطلي المسلسل وبنفس الطريقة التي تعرض لوجهتي النظر المتوازنة بدون حسم أو ترجيح لأحدهما على الأخرى لتمرير رسالة المسلسل الواضحة والخفية. فوجهة النظر القديمة المعروفة بأن (إسرائيل) هي العدو، ووجهة النظر الجديدة بأن الشعب الفلسطيني هو العدو، تحت مبرر يعتمد على نظرية جديدة في تعريف العدو تستحق براءة اختراع للمؤلف ما سبقه بها أحد من العالمين، وهي بالنص غير المُقدس "ما ضيّع العرب طوال هذه السنين إلاّ القضية الفلسطينية" دون أن يتكرمّ علينا بتوضيح كيفية حدوث ذلك السر المكنون. والمبرر الآخر بالنص غير

المُقدس" العدو هو اللي ما يقدّر وقفتك معاه ويسبك ليل نهار..." باختصار العدو هو من ينكر الجميل، وليس من يحتل المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم والحقيقة أن هذا استغلال مقصود لما يحدث على صفحات التواصل الالكتروني في تراشق كلامي بين (السُفهاء)، وهو باطل أُريد به باطل.

خُلاصة الكلام أنَّ دراما التطبيع الخليجية هدفها تطبيع التطبيع، بمعنى تطبيع الحديث عن التطبيع، بغرض جعل قضية التطبيع قضية عادية للمواطن العربي، كالحديث عن الأهلي والزمالك، أو تقلبات أسعار البورصة، أو هضم حقوق المرأة، أو زيادة نسبة البطالة... وتكرار الحديث فيها مقصود، بهدف كسر الحاجز النفسي (بتاع السادات)، الذي يحول بين الشعوب العربية والتطبيع مع عدوها- حسب نظرية نتنياهو - فإذا ما كُسِر الحاجز النفسي، ضُعفت المناعة الذاتية للأمة، فتتسلل جراثيم التطبيع إلى عقلها وجسدها، وتسري في روحها ودمها، فتطرحها مريضة على فراش الوهم والوهن، وتتركها سقيمة على سرير العوز والعجز. وإذا كان ذلك مصير الأمة عندما تُسلّم رقبتها لمطبعيها، فإنَ واجب مقاوميها تكثيف دراما المقاومة المناهضة للتطبيع النابعة من عمق ديننا وثقافتنا وتاريخنا وقوميتنا وكرامتنا. ومن الواجب أيضاً تغيير الرؤية السلبية لفن الدراما، تلك الرؤية السوداوية التي سمحت لآخرين التفرد بفن الدراما، واكتفينا بإقامة منابر أعلنا فيها ليل نهار، أنَها رجسٌ من عمل الأشرار، ودنسُ لا يقوم به إلاّ أهل النار.

ضم الضفة.. زوبعة في عقل مأزوم

• كُتب بتاريخ:
2020-5-13م

" طلب الرئيس محمود عباس تشكيل لجنة مشتركة من أعضاء اللجنتين التنفيذية لمنظمة التحرير والمركزية لحركة فتح لوضع آليات الرد على القرار الإسرائيلي المحتمل بضم أجزاء من الضفة الغربية للسيادة الإسرائيلية فيما أسماه البعض لجنة إلغاء الاتفاقيات مع إسرائيل". هذا الخبر جاء في معظم وسائل الإعلام الفلسطينية، تشكيل اللجنة رافقه كثافة في ردات الفعل الفلسطينية الكلامية من تصريحات إعلامية، ومؤتمرات صحفية، وتحليلات سياسية، ومقالات رأي... وقد يلحقه مسيرات ومظاهرات وإضرابات... تصبُ جميعها في حالة الصراخ والضجيج التي تسود الحياة السياسية والحزبية الفلسطينية كبديل عن التخطيط والعمل عندما يستعد العدو للقيام بأي خطوة عملية ضدنا، وهذا ما حدث عند إعلان صفقة القرن، وهذا ما يحدث الآن مع اقتراب ساعة الصفر لإعلان العدو ضم أجزاء من الضفة الغربية، وكأنَّ الضم شيءٌ آخر غير الاحتلال اقتضى أن تُثار حوله زوبعة، ليست أكثر من زوبعة في عقل مأزوم، ومصدر أزمته في فكره السياسي المهزوم، ولتوضيح ذلك لا مناص من العودة إلى أصل الحكاية وأول القصة.

اعتبر العرب والفلسطينيون أنَ (إسرائيل) دولة غير شرعية مُقامة على أرض محتلة هي فلسطين، وأنشأت الحركة الوطنية الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 من أجل تحرير فلسطين المحتلة عام 1948، حتى عام النكسة 1967 عندما احتلت ما تبقى من فلسطين – الضفة والقطاع – وسيناء المصرية والجولان السورية، وطوال هذه المرحلة الزمنية ما بين النكبتين وبعدهما لم يعترف العرب والفلسطينيون بشرعيتها ولم يُغيّر الأمر الواقع المفروض بالقوة العسكرية والقرارات الدولية حقيقة

أنها أُقيمت على أرض مُحتلة هي أرض الشعب الفلسطيني بغض النظر عن القانون المُطبق على أرضها ومن بقي من أهلها سواء كان عسكرياً أو مدنياً طالما أنَ مصدره دولة غير شرعية. وحدث أول اختراق للموقف العربي الموّحد ضد هذا الكيان المغتصب من مصر عندما زاره رئيسها آنذاك أنور السادات عام 1977 وعقد معها اتفاقية كامب ديفيد واستعاد سيناء على ثلاث مراحل بين عامي 1979 و 1982 فخرجت مصر من الصراع.

ولكنَّ الدولة العبرية تصرفت بطريقة مختلفة مع مرتفعات الجولان السورية، فقد أصدر الكنيست الإسرائيلي عام 1981 ما يُعرف بقانون مرتفعات الجولان ونص على فرض القانون والولاية القضائية وإدارة الدولة على الأرض والسكان في الجولان، وهذا يعني عملياً ضم الجولان إليها ، والضم تم لأرض مُحتلة إلى أرض مُحتلة أطلق المحتلون عليها اسم (إسرائيل) فلا فرق بين المنطقتين إلاّ بالاسم، وقبلها بعام أصدر الكنيست الإسرائيلي (قانون القدس) الذي اعتبر أنَ أورشليم الموّحدة- الشرقية والغربية – هي عاصمتها ، ومضمونه ضم القدس الشرقية إلى دولة الكيان مع إعطاء سكانها وضعاً خاصاً يفصلهم عن سكان الضفة ولا يربطهم بسكان الكيان، فمنحهم صفة مقيمين دائمين، وهذا لم يُغيّر من جوهر احتلال القدس شيئاً بغربها المُحتل عام النكبة، وشرقها المُحتل عام النكسة، حتى بدأت عوامل التعرية الوطنية تنحت في الفكر السياسي الفلسطيني والمشروع الوطني الفلسطيني ابتداءً من البرنامج المرحلي عام 1974 وانتهاءً بمحطته الأخيرة في اتفاقية أوسلو عام 1993.

في اتفاقية أوسلو اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بدولة الكيان المُقام على أكثر من ثلاثة أرباع فلسطين الانتدابية، بمعنى أنها لم تُعد أرضاً مُحتلة، وبالمقابل لم يعترف العدو بأنَ ما تبقى من فلسطين – الضفة والقطاع – هي أرض مُحتلة، بل اعتبرتها أرضاً مُتنازعاً عليها سيتم تقرير مصيرها بالمفاوضات بين الطرفين، وتم تقسيمها في اتفاقية أوسلو إلى ثلاث فئات بمعايير السيطرة الأمنية والإدارة المدنية، وجميعها عملياً تحت السيادة والسيطرة الإسرائيلية الاحتلالية، خاصة المنطقة المُصنّفة (ج) التي تشمل أكثر من نصف الضفة ومُقام عليها كل المستوطنات الإسرائيلية، وحتى بعد الانسحاب

الإسرائيلي من قطاع غزة عام 2005 لم يتغّير هذا الواقع إلاّ في التفاصيل الميدانية، وهذا يتطلب تثبيت حقيقة أنَ فلسطين كلها من البحر إلى النهر، ومن رأس الناقورة إلى أم الرشراش تحت الاحتلال بأشكال مختلفة في التفاصيل ما بين فلسطين المُحتلة عام النكبة، وفلسطين المُحتلة عام النكسة، وما بين الضفة والقطاع، وما بعد أوسلو، وهذه حقيقة لن يغيرها تقادم الزمن أو تزوير التاريخ، ولن يبدلها الأمر الواقع أو الاعتراف الدولي، ولن يمحوها التطبيع العربي أو التراجع الفلسطيني، كما لن يدفنها اختلاف أسماء الاحتلال كالضم وغيرها.

فالضم كما حدث في الجولان والقدس الشرقية، وما يتوقع حدوثه في الأغوار والكتل الاستيطانية بالضفة هو اسم آخر للاحتلال، يعني في القانون الدولي دمج أرض مُحتلة ضمن نطاق الدولة المُحتلة وتطبيق قانونها وإدارتها عليها، والضم وفق الرؤيتين الأمريكية والإسرائيلية لا يختلف عن هذا المفهوم، فقد جاء في نص صفقة القرن الأمريكية. "ستصبح الجيوب الإسرائيلية الموجودة داخل الأراضي الفلسطينية المتجاورة جزءاً من دولة إسرائيل ... وسيكون غور الأردن... تحت السيادة الإسرائيلية" وبذلك الضم الذي يعني إلحاق مناطق مُحتلة قانونياً وإدارياً بالدولة المُحتلة من طرف واحد يكون الذي تغيّر هو اسم الاحتلال وشكله دون معناه ومضمونه، وفضلاً عن ذلك فلا يوجد فرق كبير بين الأرض المحتلة قديماً (إسرائيل) والأرض المحتلة المضمومة إليها (الضفة)، والفرق موجود فقط في عقل من أقام بُنيان فكره السياسي على فرضية حل الدولتين الذي أُقيم على أساسه مشروع التسوية واتفاقية أوسلو، لأنَ الضم في دلالته المباشرة تعني نهاية حل الدولتين، وسقوط مشروع التسوية، وتحويل السلطة إلى مجرد إدارة مدنية تحت الاحتلال بدون أُفق سياسي.

وبناءً على ذلك نستخلص أنَ الضجة المُثارة حول نية دولة الاحتلال ضم الضفة أو أجزاء منها، هي زوبعة في عقل مأزوم في فكره السياسي ومشروعه الوطني، لأنَّ الضم لا يغير من طبيعة الاحتلال إلاّ في شكله القانوني وتفاصيله الإدارية، لا في مضمونه العسكري القمعي، وجوهره الاستيطاني الإحلالي، ومحتواه العنصري الاستعلائي، فهو واحد سواء أكانت الأرض مُحتلة أو مضمومة، فقد تبخّرت أحلامه

الوهمية، التي بناها على أنقاض المشروع الوطني الحقيقي، فأقنع نفسه وحاول إقناع شعبه بإمكانية إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على جزء من أرض فلسطين بموافقة دولة الاحتلال وتحت عينها، فأقام سلطة تحت الاحتلال وقبل التحرير، فرسّخت الاحتلال وأعاقت التحرير.

خلاصة الكلام هو دعوة للتركيز على أصل البلاء ومصدر الشقاء وهو الاحتلال بدولته وجيشه ومستوطنيه في كل مكان من فلسطين، لا فرق بين يافا ورام الله، أو حيفا وغزة، أو القدس الشرقية والغربية، بدون تضييع الوقت والجهد في تفاصيل الاحتلال من حكم عسكري، أو ضم وإلحاق، أو استيطان وتهويد، وهذا بدوره يتطلب إعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية على أسس تتجاوز مأزق أوسلو، ومن مقتضياتها تعريف نفسها كحركة تحرر وطني، وتحديد ملامح مشروعها الوطني وأهدافه في التحرير والعودة والاستقلال وتسمية مرحلتها كمرحلة تحرر وطني، وتحديد وسائلها بالمقاومة بكافة أشكالها، كما يجب إعادة تعريف أرضها فلسطين من البحر إلى النهر، وتُعيد بناء منظمة التحرير الفلسطينية لتكون بيتاً للكل الفلسطيني وقائدة للمشروع الوطني، وتُعيد بناء السلطة لتكون رافداً لصمود الشعب فوق أرضه.

وبدون ذلك فسيظل ضم الضفة زوبعة في عقل مأزوم، وسنعيش جميعاً زوابع متلاحقة من ردود الأفعال الخاوية، التي توسِع الاحتلال شتماً، بينما يوجِعنا الاحتلال ضرباً.

يوم القدس العالمي وأيام المُطبعين

• كُتب بتاريخ:

2020-5-21م

بلحيته الطويلة وجلبابه القصير أمَر الشيخُ من المُريدِ أنْ يُجهّزَ نفسَهُ ومجموعتَهُ للسفرِ إلى أفغانستانِ منْ أجلِ الجهادَ في سبيلِ الله، فسألَهُ المُريدُ مستغرباً: لماذا نذهبُ إلى أفغانستان رغم بعدها عنّا ونتركُ فلسطين رغم قَربها منّا؟!، وأضاف متعجباً: وكيف تطلب منّا ذلك وليس بيننا وبين القدس إلاّ هذه الأسلاك الشائكة؟! ، فكيف لا تأمرنا أن نتخطاها ونجاهد فيها؟! . فأجابه الشيخ مُفسّراً: الأمة في سُبات، ولا يوجد راية للإسلام في فلسطين نجاهد تحتها، وأفغانستان هي الطريق إلى فلسطين وإن اختلف الاتجاه. فسأله: وكيف ذلك؟ ، فأجابه الشيخ: في أفغانستان سنستعد لتحرير فلسطين، ففيها سنتدرب على القتال، وسنعد كوادراً مجاهدة، حتى إذا ما تحقق النصر بإذن الله عُدنا إلى فلسطين مجاهدين. اقتنع المُريد وإخوانه بما ساقه الشيخ من مبررات، ولحقهم إلى أفغانستان شباب بالمئات، ثم أصبحوا بالآلاف بعد سنوات. فمرت السنون، وانتصر المجاهدون، فإذا هم شراذم يقتتلون، فعاد الأفغان العرب مجاهدين إلى كل بلاد الأرض– ما عدا فلسطين – ولم تُصوّب أي بندقية لهم باتجاه القدس وفلسطين.

وفي مشهدٍ آخر، كان مُفكرٌ ببدلته الرسمية، يُجري حواراً فكرياً وسياسياً مع إخوانه ومُريديه، موضوعه حل الإشكالية التي أخرجت هؤلاء الشباب للقتال في أفغانستان دون فلسطين، وأخرجت غيرهم للقتال في فلسطين بدون الإسلام، فأثمر الحوار معرفة كلمة السر التي حلت الإشكالية، وهي: الإسلام والجهاد وفلسطين، الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف. سألوه عن تلك البندقية البعيدة عن القدس والإسلام، فكان رده أنَّ البندقية التي لا توّجه بوصلتها نحو القدس مشبوهة، وأنَّ البندقية التي لا يوّجه الإسلام بوصلتها ضالة. وعند السؤال عن

القدس وموضعها في الصراع، أجابهم: هي قلب فلسطين ومركزها، وفلسطين مركز الصراع الكوني بين الحق والباطل، فالقدس تختصر فلسطين والعالم... وفي الحوار عن يوم القدس العالمي، ذلك اليوم الذي أبدعه قائد الثورة الإسلامية في إيران ومؤسس جمهوريتها الإسلامية، جاء رده الواعي المُفعم بالإيمان والثورة: إنَّ يوم القدس يختصر الحاضر تاريخاً وجغرافيا ومعنى، إذ يعني أن يدوم الصراع حتى حل مشكلة الموازين المُختلّة، وأن يدوم الصراع حتى يكبر الخير ويشتد عوده، حتى يكتمل تمام الحق في مواجهة تمام الباطل، إذ يعني ألاّ تكون أورشليم، بل بيت المقدس.

ما بين المشهدين يبقى يومُ القدس العالمي فاصلاً بين نهجين، أحدهما يوّجه بوصلته نحو القدس وفلسطين، وآخر يوّجه بوصلته في كل الاتجاهات ما عدا القدس وفلسطين. وما بين الحوارين يبقى يوم القدس العالمي شاهِداً على طريقين: الأول يريد أن تكون كل الأيام للقدس، وكل الأرض فلسطين، والثاني يريد أن لا يكون يوم القدس، وأن تُحذف فلسطين من الأرض. وما بين هذين النهجين والطريقين تصوّب بوصلة الأمة نحو القدس وفلسطين، أو تنحرف عن القدس وفلسطين، وهكذا تسير عجلة الأحداث منذ أيام حرب أفغانستان الأولى، وحتى أيام عربان التطبيع الأخيرة، مروراً بتصويب بوصلة المقاومة على يد حماس والجهاد الإسلامي نحو القدس وفلسطين، وانحراف بوصلة الجهاد تحت راية (الإسلام الأمريكي) بمنظومة عقيدية وفقهية أسست لانحراف بوصلة الجهاد ضد الكيان الصهيوني في القدس وفلسطين، فأصدرت طوفان الفتاوى الداعية إلى أولوية قتال (المرتدين والرافضة) على المحتلين المُعتدين وخاصة الكيان الصهيوني، فعاثوا في الأرض فساداً وقتلاً وتدميراً، حتى يخلوا لهم الأمر على بحر من الدماء والأشلاء، فلا يبقى على ظهر الأرض إلاّ فرقتهم الناجية وشعب الله المختار، وكأنهما فرعان لشجرةٍ خبيثة واحدة، ارتوت من ماءٍ آسن مخلوط بخلاصة الشر والسوء والضلال. والغريب العجيب أنَّ امتدادهم في فلسطين لم يرَ في الكيان الصهيوني عدواً قريباً يجب قتاله، فخرج منها ليُقاتل (عدواً بعيداً) وبقي المُعذّرون من الجهّال في فلسطين ليوجهوا بوصلة بندقيتهم إلى مجاهديها دون محتليها.

وأيام المُطبعين المناقضة ليوم القدس العالمي لا تختلف كثيراً عن أيام اتباع قرن الشيطان من أنصار القاعدة وأصحاب الدولة، فكلاهما في انحراف البوصلة عن القدس وفلسطين سواء، وكلاهما مأموران غير مختارين، ومسيران غير مخيرين" وصاحب الأمر هو صاحب صفقة القرن، التي جوهرها تصفية قضية فلسطين، وبدايتها إعلان القدس عاصمة للمحتلين، وهدفها تطبيع العلاقات مع (إسرائيل) بدون القدس وفلسطين. وأصل الحكاية بدأت من (المبادرة العربية للسلام)، وشعارها الأرض مقابل السلام والتطبيع، ومع مرور الزمن كبرت مساحة العجز والضعف والهوان، وصغرت مساحة القدس وفلسطين في حسابات الأنظمة العربية، فسقطت الأرض من المقايضة، فقُدِم السلام للعدو دون الأرض، مُضافاً له التطبيع لتأكيد تبعية العُربان لأسيادهم الأمريكان، فبرزت على سطح أيام المطبعين نماذجٌ من أقبحها شعار (فلسطين ليست قضيتي)، ومقال (نساء في ذاكرة التاريخ: جولدا مائير)، ومسلسل (أم هارون)، ومسلسل (مخرج سبعة)، والبرامج التلفزيونية التي تستضيف الصهاينة لعرض الرواية الإسرائيلية للعرب، وكل الجهود الإعلامية والدرامية لشيطنة الفلسطينيين، وأنسنة الإسرائيليين... وكل ذلك ضربٌ من انحراف بوصلة الأمة عن القدس وفلسطين لا يقل خطورة عن اتباع قرن الشيطان، فكلاهما يقودهما سيد واحد، فبئس القائد والمقود.

خُلاصة القول أنَّ القدس وفلسطين ستظل هي البوصلة التي يُميَّز من خلالها بين الحق والباطل، ويُفصَل فيها بين الصواب والخطأ، فمن يقترب منها ويوّجه بوصلته نحوها يقترب من الحق والصواب ويبتعد عن الخطأ والضلال، ومن يبتعد عنها يوّجه بوصلته لغيرها يقترب من الباطل والخطأ ويبتعد عن الحق والصواب. ومهما كثُرت أيام المُطبعين في الزمن الأمريكي الزائل لا محالة، فإنَّها ستظل أياماً عابرة في تاريخ الأمة، وسيظل يوم القدس هو كل أيام الأمة، ذلك بأنَّ أيام المطبعين كشجرةٍ خبيثة لن تنبت في وجدان شعوب الأمة وستُجتث جذورها يوما ما ليُلقى بها في غياهب النسيان، وسيظل يوم القدس العالمي كشجرةٍ طيبة جذورها ضاربة في عقيدة

الأمة ووجدانها، فكم كان مُبدعاً مؤسس يوم القدس وهو يربط بين قداسة الزمان في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وقداسة المكان في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، وقداسة القرآن في سورة الإسراء حيث وعد الآخرة بتحرير القدس، لتُثمر الثلاثية المُقدسة يوم القدس العالمي، الذي سيخرج فيه يوماً ما عباد الله أولي البأس الشديد ليُدمروا علو وإفساد دولة الباطل ويتبروا ما علو تتبيرا، ونراه قريبا.

حسن البنا..
كيف استحضره الشقاقي في ذكرى استشهاده؟

• كُتب بتاريخ:
2-6-2020م

في مطلع الثمانينات من القرن العشرين، وفي إحدى اللقاءات الاسبوعية مع الدكتور فتحي الشقاقي بمنزله، أعطاني كتاباً صغيراً بعنوان (حسن البنا.. الرجل القرآني) وكلفني بقراءته وعرض مُلخصه أمام المجموعة الاسبوع التالي، والكتاب من تأليف الصحفي والكاتب الأمريكي (روبير جاكسون)، وترجمة الأديب والمفكر المصري أنور الجندي، ومن إصدار دار المختار الإسلامي للنشر عام 1977. مؤخراً أعدت قراءة الكتاب وأقتبس منه النص التالي: "في فبراير سنة 1946 كنت في زيارة للقاهرة، وقد رأيت أن أقابل الرجل الذي يتبعه نصف مليون شخص، وكتبت في النيويورك كرونيكل بالنص: زرت هذا الاسبوع رجلاً قد يُصبح من أبرز الرجال في التاريخ المعاصر، وقد يختفي اسمه اذا كانت الحوادث أكبر منه، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان. هذا ما كتبته منذ خمس سنوات، وقد صدقتني الأحداث فيما ذهبت إليه، فقد ذهب الرجلُ مُبكّراً.. وكان أمل الشرق في صراعه مع المستعمر". ما تنبأ به جاكسون من ذهاب البنا مبكراً تحقق كما قال، ولكن التنبؤ الآخر بأن يصبح البنا من أبرز رجال التاريخ قد تحقق أيضاً، وهذا ما أكده رجلٌ بارز آخر في التاريخ كان مصيره الشهادة كمصير الإمام حسن البنا، وهو المفكر الشهيد فتحي الشقاقي، والتأكيد جاء بعد ثلاثين عاماً من اغتيال البنا في الثاني عشر من فبراير عام 1949.

أكد ذلك المفكر الشهيد فتحي الشقاقي من خلال كتابه (الخميني..الحل الإسلامي والبديل)، الذي نشرته دار المختار الإسلامي للنشر عام 1979، ونص الإهداء "إلى رجُلي القرن.. الإمام الشهيد حسن البنا.. والإمام الثائر آية الله الخميني".

أما مضمون الإهداء فأكبر من أن يُمكن اختصاره في هذا المقال، ولكن ما يُمكن ذكره أن الشقاقي قد اعتبرهما أهم رجلين أثرا في العالم الإسلامي في القرن العشرين بعد سقوط آخر نظام سياسي إسلامي ممثلاً بالخلافة العثمانية عام 1924، فقد أسس الإمام الشهيد حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928 كمكون أساسي لحركة البعث والإحياء الإسلامي بعد سقوط الخلافة. وقد فجّر الإمام الثائر آية الله الخميني الثورة الإسلامية في إيران ضد النظام الملكي المستبد الفاسد التابع للاستعمار الصهيوأمريكي، فكان أول انتصار لحركة البعث والإحياء الإسلامي بعد سقوط الخلافة، أدى إلى نشأة الجمهورية الإسلامية في إيران، ولقد تنبه الشقاقي إلى أن يوم اغتيال البنا في الثاني عشر من نوفمبر هو نفس اليوم الذي انتصرت فيه الثورة في إيران بعد ثلاثين عاماً ما بين عامي 1949 – 1979، ولذلك ربط بين المناسبتين في ذكرى استشهاد الإمام حسن البنا عام 1981 بقوله: "ويمر يوم استشهادك يا سيدي وكأنه على موعد كان المسلمون الفقراء في طهران يفجرون أعتى الأنظمة ويرسمون ملامح كون جديد... سيدي الإمام والأستاذ المرشد في يوم ما نعاك واحد من أخلص أبنائك قائلاً: إن رقاب ولاة الأمور آنذاك لا تصلح موطئاً لقدميك الطاهرتين... فماذا يبقى لنا غير أن نسكب في ذكرى استشهادك دمعة حزن جديدة ونحن نمضي فوق جسر العذاب والألم والمخاض في اتجاه تباشير الفرح العظيم الذي يلوح في الأُفق.

اعتبار الشقاقي للإمام الشهيد حسن البنا أحد رُجلي القرن العشرين، لم يكن جُزافاً بغير تُبصّر واضح ورؤية ثاقبة، فقد وصل إلى هذه القناعة بعد دراسة أدرك من خلالها دور البنا في عملية إحداث الإحياء والبعث الإسلامي خاصة في الوطن العربي، وجهوده لإعادة توجيه بوصلة الأمة نحو هويتها الثقافية وذاتها الإسلامية، وقضية تحرير فلسطين، وقدرته على تقديم خطاب إسلامي بسيط وواضح وشمولي وعالمي، وإدراكه لحتمية الحل الإسلامي. وتعزز إيمان الشقاقي بفكر البنا بعد قراءته لكتاب المفكر السوري توفيق الطيب (الحل الإسلامي ما بعد النكبتين)، فأدرك أن الهزيمة لم تكن مجرد هزيمة عسكرية؛ بل هزيمة فكر جوهرها عجز الفكر (الليبرالي والاشتراكي) الذي هيمن على العرب بين النكبتين عن مواجهة تحدي الفكر الغربي

الحديث، لأنه يقف على نفس أرضه الفكرية، ولم تكن النكبتان إلاّ التجسيد الواقعي لهذه الهزيمة، فكان لا بد عقب النكبة الثانية (النكسة) أن تعود الأمة إلى أصالتها وإلى حسها الإسلامي ووعيها التاريخي، وكانت خُلاصة الكتاب تُشير إلى أنَ الإسلام وحده كدين وحضارة هو الشرط الوحيد لبقاء واستمرار الأمة وثقافتها في مواجهة التحدي الغربي الحديث، فرأى الشقاقي في فكر البنا الحلَ لتجاوز فكر الهزيمة، ولكنَه أدرك أيضاً أنَ الأسئلة المطروحة أمام جيله وزمنه في الحقبة الإسرائيلية قد اختلفت عن تلك التي واجهها البنا، فبحث عن إجابات أُخرى لأسئلة العصر في أماكن أُخرى خاصة عند سيد قطب ومالك بن نبي وعلي شريعتي وخالص جلبي ومحمد باقر الصدر وغيرهم، واستلهم تجارب عديدة خاصة جمال الدين الأفغاني وعزالدين القسام وأبو الأعلى المودودي وآية الله الخميني وغيرهم، وسبح في بحر الفكر والأدب والفن العربي والعالمي بدون عُقد الانغلاق الثقافي، وعوائق الجمود الفكري، وأمراض التصلب العقلي.

تأثُر المفكر الشهيد فتحي الشقاقي بالإمام الشهيد حسن البنا كان واضحاً خلال مسيرته الفكرية، ولكن تمتعه بالمرونة العقلية والثقافية، وتميزه بالانفتاح الفكري والحضاري، أدى به إلى النظرة الموضوعية لفكر البنا بدون تعصب معه أو ضده، وهذا النهج برز في دراسته (التاريخ لماذا؟) المنشورة في مجلة الطليعة الإسلامية عام 1983 التي أكد فيها دور الإمام الشهيد حسن البنا في إحداث عملية البعث الإسلامي، واستعرض فيها تطور مسيرة الإحياء الإسلامي في القرن العشرين، ووضع فيها الإمام جمال الدين الأفغاني على رأس المرحلة الأولى من تلك المسيرة، واعتبر الإمام الشهيد حسن البنا يقف على رأس المرحلة الثانية في مسيرة الإحياء الإسلامي، التي بدأت من تاريخ تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام 1928، وأطلق عليها اسم (جيل البعث) وفيها يقول الشقاقي: "طرح البنا الإسلام بكل شموله شريعة تنظم كل جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع، بالإضافة إلى كونه عقيدة وعبادة، وخلال عشرين عاماً استطاع الإمام أن يبعث هذه الأمة من تحت الرُكام، وأن يطّور مفاهيم الحركة خلال هذه الفترة بتسارع ثوري متقدم، مُستلهماً القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح..."

وسلط الشقاقي الضوء في هذه الدراسة على دور البنا من خلال الإخوان المسلمين في إعادة الثقة إلى الفرد المسلم والمجتمع المسلم، ونجاحه في طرح الإسلام بشكل ثوري ضد البدائل العلمانية التي طرحها الاستعمار... ثم تطرق إلى دور حسن البنا في حرب فلسطين التي جاءت مشاركة مجاهدي الإخوان المسلمين فيها تتويجاً لوعي وفهم الإمام وذاك الجيل لطبيعة التحدي الغربي الحديث ومشروعه الصهيوني في فلسطين، ويُضيف الشقاقي مُنهياً تلك المرحلة "ولكن تنطلق رصاصات الغدر في فبراير من عام 1949، ويتوقف نبض الإمام لتبدأ ملامح جيل جديد".

المرحلة الجديدة التي تحدّث عنها الشقاقي بعد مرحلة البعث التي كان عنوانها الإمام الشهيد حسن البنا، جاءت بعد اغتياله عام 1949، وأطلق عليها الشقاقي اسم (جيل التردد والمحنة)، واعتبرها مرحلة تراجع في مسيرة الإحياء الإسلامي، بفعل عوامل موضوعية تمثلت باشتداد قسوة الأنظمة العسكرية الحاكمة ضد الحركة الإسلامية خاصة النظام الناصري في مصر، وبفعل عوامل ذاتية متمثلة في فكر وبنية الحركة الإسلامية أهمها: غياب المنهج وفوضى المفاهيم وجمود الفكر وتوقف الاجتهاد. ويؤرخ الشقاقي لمرحلة جديدة بعد النكسة هي (جيل الوعي والثورة). المفترض أنه سيتجاوز مرحلة التردد والمحنة، وسيتقدم بعملية البعث إلى نهايتها المنطقية والطبيعية مستلهماً تجربة وفكر الإمام الشهيد حسن البنا ومتجاوزها ليصوغ معادلة الإيمان والوعي والثورة، ولتحقيق هذه المعادلة كان لا بدَ من الإيمان بحتمية الحل الإسلامي الثوري على اعتبار أنَ الإسلام وحده كدين وحضارة وأيديولوجية ثورية هو الشرط الوحيد لبقائنا واستمرارانا كأمة تستطيع مواجهة التحدي الغربي والمشروع الاستعماري كما قال توفيق الطيب، وكان لا بد من الانفتاح على كل الأفكار والتجارب وفي طليعتها تجربتي رُجلي القرن – البنا والخميني- حسب تعبير الشقاقي، ولذلك "لم يكن بالإمكان استمرار السكونية والجمود وتصلب الشرايين" حسب تعبير الشقاقي أيضاً، الذي اعتبر أنَ مهمة جيل الوعي والثورة هو أن يخوض معركته على مستويين: الأول حيث المعركة مع الأنظمة الحاكمة الاستبدادية الفاسدة، والثاني حيث المعركة التي قد يضطر لدخولها مع بعض أجنحة الحركة الإسلامية نفسها التي عجزت عن فهم نفسها وفهم الآخرين وفهم طبيعة العصر.

وصلنا إلى نهاية المقال، ولم نصل إلى نهاية استحضار الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي لفكر وتجربة الإمام الشهيد حسن البنا، فما كُتب هو جهد المُقل يتناسب مع المقام والمقال. وخلاصته أن الشقاقي كان دائم الاستحضار لفكر وتجربة البنا في لقاءاته وندواته مع إخوانه وتلامذته، كما جاء في مقدمة المقال بتوزيعه كتاب (حسن البنا.. الرجل القرآني) على المجموعة والطلب من كاتب هذه السطور تلخيصه وعرضه. كما أنه دائم استحضار البنا في كتاباته كما ورد في متن المقال، ومن أمثلته إهداء كتاب (الخميني.. الحل الإسلامي والبديل) إلى الإمامين - البنا والخميني- ودراسة (التاريخ لماذا؟) وغيرهما. وخُلاصة الخُلاصة أن الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي كمفكر ومبدع قد استلهم فكر وتجربة الإمام الشهيد حسن البنا التي ساهمت بقوة في حركة الإحياء الإسلامي، إلاّ أنَه أدرك بأنَ التاريخ ليس ساحة انتظار على رصيف الأحلام الوردية، فتجاوزها باحثاً عن إجابة لأسئلة عصره مُحطماً قيود العقل وأغلال البصيرة، صاعداً نحو وعد الآخرة بجيل الإيمان والوعي والثورة.

الإعجاب بصفحة المنسق أخطر من التطبيع

• كُتب بتاريخ:
2020-6-6م

إِذا كان ربُّ البيتِ بالدفّ مولعاً... فشيمةُ أهلِ البيتِ كُلهمِ الرقصُ"، هذا البيت للشاعر العربي سبط ابن التعاويذي من القرن الثاني عشر الميلادي، يُضربُ مثلاً لانعدام القدوة، وعدم جدوى أن نطلب من الآخرين الالتزام بينما صاحب البيت والقضية غير ملتزم، وهذا ينطبق على حالنا مع الفلسطينيين المُعجبين بصفحة المنسق، ومطالبتنا العرب بعدم التطبيع مع الكيان الصهيوني، فإذا كان الفلسطينيون بالمنسقِ مُعجبين، فشيمةُ العربِ كلهم التطبيع، ومن هنا تأتي أهمية حملة النشطاء الوطنيين لإلغاء الإعجاب بصفحة المنسق تحت عنوان (يا عندي يا عند المنسق).

حملة (يا عندي يا عند المنسق) حملة إلكترونية تدعو لإلغاء الإعجاب والمتابعة لصفحة (المنسق) ونصها "أضعك يا صديقي/ صديقتي لتختار، إما إلغاء إعجابك بصفحة المنسق أو أن تُلغي نفسك من قائمة أصدقائي" ، وإلغاء الإعجاب بصفحة المنسق تهدف إلى الحد من انتشارها، وصولاً إلى إغلاقها، باعتبارها شكل من أشكال الاحتلال وأدواته في السيطرة على عقول الفلسطينيين، وإسقاطهم في وحل العمالة، وإضعاف الجبهة الداخلية، وصناعة الطابور الخامس المتعاون مع الاحتلال، وترويج رواية الاحتلال وترسيخها في عقول ونفوس الفلسطينيين. وهي أهم وظائف صفحة منسق أعمال حكومة الاحتلال في الضفة والقطاع والدول العربية كافة.

نشر الرواية الإسرائيلية للصراع من أهم وظائف صفحة المنسق التي يُعجب بها ويتابعها مئات آلاف الفلسطينيين والعرب، وأهم عناصرها: أنَّ الفلسطينيين هاجروا من وطنهم بسبب دعوة الملوك والرؤساء العرب لهم للخروج من فلسطين ليتسنى للجيوش العربية القضاء على (إسرائيل)، وأنَّ اليهود لم يحتلوا فلسطين، بل عادوا إلى

أرضهم من الشتات، وأنَّ الحركة الصهيونية حركة تحرر وطني أعلنت الاستقلال بعدما خرج المحتل البريطاني منها، وأنَّ احتلال الضفة والقطاع هو استكمال تحرير أرض الآباء والأجداد، وأنَّ (الشعب اليهودي) محب للسلام والأمن والاستقرار ويتمتع بالقيم الإنسانية والحضارية، وأنَّ المقاومة الفلسطينية إرهاب وأعمال تخريب تضر بمصالح السكان المحليين في العيش بهدوء واستقرار وازدهار.

عناصر الرواية الإسرائيلية يتم استدماجها في المنظومة الفكرية لمتابعي صفحة المنسق بطريقة لا شعورية بسبب تكرار تلقيها من روايات أحداث الصراع، إضافة إلى الوسائل الإعلامية الأخرى التي يُساهم بها إعلام التطبيع عبر استضافة إسرائيليين ليقدموا روايات الاحتلال للجمهور العربي، فيتم مع الوقت والتكرار التوّحد بالمعتدي بواسطة تبني روايته، واستدماجها في المنظومة الفكرية للإنسان المقهور، الهارب من عالم القهر، كي يذوب في عالم القوي الغالب والتماهي معه والإعجاب به، والاندماج بمصدر الإحباط والتوّحد به، بدلاً من توجيه غضبه لمصدر الإحباط وهو الاحتلال، يتم توجيه غضبه لمصدر إحباط بديل وهو في حالتنا الفلسطينية المقاومة باعتبارها هي السبب في المعاناة والبؤس وليس الاحتلال، كما تروّج لذلك الرواية الإسرائيلية المتدفقة عبر صفحة المنسق وغيرها من وسائل التواصل مع الفلسطينيين.

تجريم المقاومة الفلسطينية هي النتيجة الطبيعية لهذا الكم الكبير من المُعجبين والمتابعين لصفحة المنسق الإسرائيلي أو ضابط الاحتلال المسئول عن التواصل مع الفلسطينيين، من المؤكد أنَ الكم الأكبر من المُعجبين والمُتابعين لا يدركون خطورة إعجابهم ومتابعتهم وتواصلهم مع المنسق الاحتلالي، والكثير منهم قد ألغى إعجابه ومتابعته بمجرد بدء الحملة الداعية إلى ذلك، ولكن من المؤكد أيضاً أنَّ عدداً لا بأس به من (المثقفين الجُدد) قد تأثر بصفحة المنسق ورواية الاحتلال عن المقاومة، تحت ضغط الواقع السيء والمأزق الفلسطيني ومعاناة الناس، فتبنى روايته التي تُجرّم المقاومة وتحمّلها مسؤولية معاناة الناس ومأساتهم، وخلط بشكل مقصود بين المقاومة كسلوك بشري واجتهاد إنساني يقبل الصواب والخطأ، ويحتاج للتصحيح والتصويب، وبين المقاومة كنهج ومبدأ، فضرب بذلك شرعية المقاومة متماهياً مع رواية العدو في

تجريم المقاومة ونزع شرعيتها وضرب مصداقيتها... وهذا أخطر من التطبيع العربي مع الكيان الصهيوني، فتجريم المقاومة من رب البيت الفلسطيني يفقده مصداقيته في مطالبة أهل البيت العرب وقف التطبيع.

والخُلاصة أن إعجاب الفلسطينيين بصفحة المنسق نتائجها أخطر من تطبيع العرب مع الكيان الصهيوني، ولذا كانت الحملة الرامية لإلغاء الإعجاب والمتابعة لصفحة المنسق حملة وطنية بامتياز، تُساهم في إغلاق باب للإسقاط الأمني، وسد بوابة لكسر الحاجز النفسي بين الفلسطينيين والاحتلال، وقفل منصة لنشر الراوية الإسرائيلية المزوّرة، والأهم من ذلك عدم فتح المجال لتجريم المقاومة والهجوم عليها من الطابور الخامس الرديف للاحتلال.

رمضان شلّح.. الرمز والفكرة

• كُتب بتاريخ:
2020-6-12م

لكلِّ شعبٍ رموزهُ الوطنيةُ الموّحَدة، وعناوينهُ القوميةُ الموّحِدة، العلم الوطني، والنشيد القومي، والزعيم المُحرِر... وقد تتسع الرموز والعناوين لتُغطيَ مساحةً أكبر في العقل الجمعي الشعبي، خاصة عند الشعوب التي تعيشُ مرحلة التحرر الوطني كالشعب الفلسطيني، فامتدادها مع امتداد الزمن، فمن عزالدين القسام وعبدالقادر الحسيني وياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي إلى مروان البرغوثي وكريم يونس إلى محمد الدرة ورزان النجار وصولاً إلى رمضان شلّح، فحين يشتدُ ليل الاحتلال حِلكةً وظلاماً تبقى رموزنا نجوماً يهتدي بها الشعب إلى سواء السبيل وطريق الحرية.

وإذا كان الشعب الفلسطيني بحاجةٍ إلى الرموز الوطنية لتوّحده وتهديه، فهو أشد حاجةً لها في زمن الانقسام والفُرقة، وحين يعزُّ الإجماعُ الوطني يبدعُ الناسُ من رموزهم الوطنية الإنسانية قواسمَ مشتركة تجمعهم وتوّحدهم... هكذا كانَ الأمرُ مع رحيلِ القادة الرموز ياسر عرفات وأحمد ياسين وفتحي الشقاقي، وهكذا الأمرُ مع رمضان شلّح، عندما اختارهُ الفلسطينيون ليوّحدهم في لحظةٍ وطنيةٍ حرجة كانوا بأمس الحاجة إليها، ليمنحوا أنفسهم لحظة وحدة وتوحيد، تُعطيهم شحنةً وجدانية، وقوة معنوية، وطاقة إيجابية، وحماسة وطنية...، فيُضفي عليها من روحهِ قبساً من المهابةِ والجلال، وجذوةً من العظمة والوقار... فكان رمضان شلّح من أولئك الرموز الذين جسّدوا معاني السمو في الغايةِ والوسيلة، وقيم الثباتِ على المواقف والمبادئ، وصفات القيادة المتمسكة بالحقوق والأهداف، وسمات الزعامة المؤمنةِ بالشعب والنصر.

لقد كان أبو عبدالله من الذينَ آمنوا بشعبهم وقدرته على صنع المعجزات وتجاوز التحديات، فالفلسطيني قادر أن يأخذ الريح إلى اتجاه النصر، فبادلهُ الشعبُ نفسَ

الإيمان، ففي حضرة الغياب استحضره شعبهُ في عُرسٍ وطني مشهود، خرج فيه من سجون الحزبية الضيقة إلى فضاء الوطن الواسع، وتحرر فيه القائد الوطني من أُحادية اللون الواحد لرايات الفصائل الحركية إلى تعددية ألوان علم فلسطين الوطني... فلم يُعد رمضان شلّح أميناً عاماً لحركة مقاومة فلسطينية فقط، بل قائداً فلسطينياً، ورمزاً وطنياً، ومُفكّراً ثورياً، وزعيماً وحدوياً، وفارساً شجاعاً... قال كلمته بصدق ورحل، وسجّل شهادته بشجاعة وغادر، وأدى واجبه بمسئولية ومضى، ونصحَ قومه بأمانة وذهب، وأوجع عدوه بقوة وترجّل... وعبّرَ عن ضميرِ شعبه، وروح أمتهِ، ورائحة أرضه، وبرتقال الجليل، وعنب الخليل، وزيتون غزة، وشعر محمود درويش، وأدب غسان كنفاني، وتمرد القسام، وثورة الشقاقي، وجهاد الياسين... وكان نتاج كل ذلك تمسكه بالحقوق الوطنية بقوة لا ضعف فيها، وبوضوح لا غموض فيه، وبمثابرة لا مساومة فيها، وبعناد لا هوادة فيه، وباستراتيجية لا خداع فيها... ففلسطين من البحر إلى النهر، وليست الضفة والقطاع، والقدس الموّحدة الكاملة، وليست القدس الشرقية، والتحرير يتم بالمقاومة والجهاد، وليس بالتسوية والتقسيط.

رمضان شلّح كان واضحاً وحاسماً في مبادئهِ الفكرية ومواقفه السياسية المتمسكة بالحقوق الوطنية الفلسطينية والمعارضة الجذرية لنهج التسوية واتفاقية أوسلو ومُخرجاتها، وكان صادقاً مع نفسهِ وحركتهِ وشعبه، فلم يُشارك في أي مؤسسة سياسية أفرزتها اتفاقية أوسلو أو تحت سقفها، تماماً كسلفه الشهيد فتحي الشقاقي، ورغم ذلك كان خطابهُ السياسي وطنياً محوره رفض نهج التسوية بعيدا عن مُهاجمة الأشخاص وتخوينهم، وإقصاء المُخالفين تمهيداً لشيطنتهم وتجريمهم وصولا إلى سفك دمائهم - وهذا أصل الفتنة والاقتتال الداخلي-، فقد آمنَ أن الاختلاف مع إخوة الوطن مهما كان كبيراً وعميقاً يبقى في دائرة الخلاف الفكري والسياسي، بالإمكان أن يُحل بالحوار الوطني، ليبقى التناقض المركزي مع العدو المُحتل للأرض، ليواجه بالعنف الثوري والمقاومة المُسلّحة، آمن بالوحدة الوطنية القائمة على كل مكونات الشعب الفلسطيني، و بالشراكة الوطنية المرتكزة على عدم نفي الآخر، ولم يمنعه خلافه مع الزعيم الراحل

ياسر عرفات على إنصافه كقائد تاريخي كبير دفع حياته ثمناً لدفاعه عن حقوق شعبه الوطنية.

وكما كان المُفكر رمضان شلّح ضد التخوين السياسي في الإطار الوطني، كان ضد التكفير الديني في الإطار الإسلامي، إدراكاً منه بخطورة مآلاته ونتائجه. فخط بحروف من ذهب وثيقته الفكرية لحركة الجهاد الإسلامي في لحظة تاريخية زاخرة بأمواج الفتن، في كتابه (الأسس والمفاهيم الإسلامية) كاشفاً اللثام عن أساس معضلة التكفير لبعض الحركات، النابع من إيمانها بأنها أوحدها الفرقة الناجية وتمتلك الحقيقة المطلقة بما تمتلكه من تفسير وتأويل خاص بها للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فمن كلماته النورانية في مقدمة الكتاب "لا تزعم الحركة أنَّ هذه الوثيقة تُعبّرُ عن الحقيقة المُطلقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام"، وبهذا الوعي أخرج نفسه وحركته من أُحاديةِ الرؤية، والنظرة الإقصائية، وعقيدة الفرقة الناجية، بما تحمله من مخاطر على المجتمع والأمة، ومؤكدا في نفس السياق رفضه أنْ تُعرّف أي حركة إسلامية نفسها بأنها (جماعة المسلمين) واعتبرها (جماعة من المسلمين)، والفرق بينهما كالفرق بين الموت والحياة.، هكذا كان رمضان شلّح الرمز والفكرة.

أمّا رمضان شلّح المجاهد كما عرفه كاتب هذه السطور من خلال شهادته ومشاركته في إحدى محطات حياته وسيرته الجهادية في النصف الأول من ثمانينيات القرن السابق، وهي محطة عودته إلى الوطن مع رفيق دربه ومعلمه الشهيد فتحي الشقاقي الذي وصفه بالجامعة، حين قال في ذكرى رحيله أنه تخرّج من جامعتين في مصر، هما جامعة الزقازيق وجامعة فتحي الشقاقي ،وتضمنت تلك المحطة مشاهدَ عديدة امتدت ما بين مساجد غزة خطيباً وداعياً للإسلام وفلسطين والجهاد، وباحات المسجد الأقصى المبارك بالقدس في ليالي القدر مُبشّراً بالثورة ومُحرّضاً على المقاومة، وبيوت حارات غزة ومخيماتها- بعضها بحضور المعلم الشهيد فتحي الشقاقي – مُنظّراً لنهج الإيمان والوعي والثورة، وزارعاً لبذرة الإسلام المقاوم في فلسطين... وصولا إلى محطة الغُربة عام 1986، مع غربة كاتب هذه السطور بعدها بثلاث سنوات إلى محطة

السجن... حتى دار الزمن دورته بعد عشرين عاماً فكان اللقاء في دمشق حيث وصل قطار حياته وجهاده إلى محطة الأمانة العامة ثم إلى مرحلة الغياب.

رحمك الله يا أبا عبد الله، حاولت توحيدنا حياً ووحدتنا ميتاً كما وصفه كاتب تقرير تلفزيون فلسطين عندما كتب يقول: "وحدتنا يا رمضان، أيُّ قامةً وطنيةً هذه التي ترحلُ في زمنٍ صَعُبَ فيه اجتماعنا، ويُحيلنا بموتهِ من انقسامٍ إلى اتحاد، أيُّ رجلٍ هذا الذي استطاع برحيلهِ أن يُعيدَ إلينا الثقةَ بأننا بخير، وأنَ أخلاقَنا الوطنيةِ ما زالت بعافيتها، وأنَّ فلسطين توّحدنا فعلاً وليس شعاراً... استطاع بهذا الرحيل أن يشعرنا بقوتنا ويجدد فينا عنفوان الفلسطينية الواحدة بكل ألوانها، فالكل الفلسطيني نعى قامةً وطنية صاحبة فكر وطني لا قداسة عنده إلاَّ لفلسطين من بعد الله... أخلاقه الوطنية ستظل تُقدّم دروساً في أخلاقيات الاختلاف دون الخلاف على الهدف...".

الانقسام..الرواية الثالثة

• كُتب بتاريخ:

2020-6-18م

يُروى أنَّ حواراً قد دار بين كاتبين بارزين، ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين، كانتا على عداءٍ شديدٍ بينهما في زمنٍ سابق، ناتجٌ عن حربٍ قد دامت بينهما بضع سنين، أُزهقت فيها أرواح الكثير من الرجال قبل أن تُطفأ نارها ويخمد لهيبها، سببها خلاف حدث بين شيخي القبيلتين في نهاية سباق بين ناقتيهما، فقد وصلتا إلى خط النهاية متحاذيتين، فزعم كلٌ من الشيخين أنَّ ناقته هي التي فازت بالسباق، وتطور الخلاف إلى شجارٍ فعراك، ثم حرب قبلية التهمت نارها خيرة شباب القبيلتين، وأفسدت خصومتها معاني الإخوّة والمحبة، وقتلت مناكفاتها قيم التسامح والتعاطف... كان الحوار في الذكرى السنوية للحرب، تناولا فيه مساوئ الحرب وآثارها المُدمرة، واستخفا بطريقة تفكير شيخي القبيلتين لتسببهما بالحرب دون مبرر، وحمدا الله على انتهاء الحرب... ومضى الحوار على هذا المنوال حتى قال أحدهما للآخر "لو سلّم شيخ قبيلتك بحقيقة أنّ ناقة شيخ قبيلتي هي التي سبقت لما قامت الحرب"، وسرعان ما ردَّ عليه الآخر غاضباً" ولكنَّ هذه ليست بالحقيقة، فالتي سبقت هي ناقة شيخ قبيلتي"، فاختلفا ثم تجادلا فتعاركا، فشج أحدهما رأس الآخر، فكان ذلك إيذاناً ببدء حرب قبلية ثانية.

هذه قصة حوار قديم في الزمن الغابر، لا زالت تتكرر في الزمن الحاضر، وقد كنتُ شاهداً على حوارٍ جديد لكاتبين مثقفين حدث في ذكرى الانقسام السنوية، ينتميان إلى حركتين مختلفتين ومتخاصمتين، بدأ الحوارُ هادئاً موضوعياً بالكلمات، وانتهى صاخباً حزبياً، كادَ أن يتحوّلَ إلى حوارٍ باللكمات، لولا تدخل الحضور، والحوار أظهر الخلاف بينهما على كل شيء يتعلّق بالانقسام، ابتداءً من التسمية ما بين الحسم والانقلاب، وانتهاءً بتحديد الحركة المتسببة بحدوثه، مروراً بتفاصيل أحداثه الدموية،

وتعريف مصطلحاته الجدلية... فاتضح من خلال ذلك الحوار عمق الخلاف بين الطرفين على رواية الانقسام. والصراع على الرواية مدخل متجدد لإعادة إشعال النار من تحت رماد الانقسام، ما لم ينتهِ الانقسام نفسه، وتُكتب روايته بطريقة موضوعية بعيدة عن الذاتية، وبرؤية وطنية مُتحررة من الحزبية، لتكونَ هي الرواية الثالثة للانقسام، وما لم يحدث ذلك سنظل أسرى لروايتين متعادلتين في القوة ومتضادتين في الاتجاه؛ فلا يوجد منتصر يفرض روايته كما في كل الحروب الخارجية والصراعات الداخلية، فلنا أن نتخيّل ماذا لو انتصرت دول المحور على الحلفاء في الحرب العالمية الثانية؟، ألم يكن جنرالات أمريكا وبريطانيا سيُحاكمون كمجرمي حرب بدل النازيين والفاشيين؟!، وماذا لو فشلت حركة الضباط الأحرار في السيطرة على الحكم بمصر عام 1952؟، ألم يكن الضباط الأحرار سيُحاكمون كخونة ويُسجّل ذلك في سفر التاريخ؟!.

الروايتان الأولى والثانية للانقسام كُتبتا من وجهة نظر أُحادية الرؤية وإقصائية التوّجه، وقطعية الثنائية... لذلك ما أن تلتقيا حتى يتطاير الشرر منهما ليؤجج نار الانقسام، ولعلَّ ذلك ما اتضح من حوار الكاتبين حول رواية كل منهما للانقسام، كما على منصات التراشق الالكتروني التي يقذفُ فيها كثيرٌ من الناس أسوأ ما في باطنهم من سفاهة وفُحش، وأقبح ما في دخيلتهم من بذاءةٍ ودناءة، وأرذل ما في نفوسهم من نقص وعيب، وأردأ ما في أخلاقهم من فجور ورذالة... وكأننا نُعيدُ إنتاج الانقسام كيوم ولدته الخطيئة، وهذا يؤكد أهمية وجود رواية ثالثة للانقسام تخرجنا من حالة التضارب والتجاذب والاستقطاب بين الروايتين... وفي هذا الإطار لا بأس من الاجتهاد لتوضيح بعض النقاط قد تُساهم في وضع ملامح على طريق كتابتها. ولكتابة أكثر عُمقاً لا مناص من العودة بالزمن القهقري لنتبع الزمن الذي زُرعت فيه بذرة الانقسام، وبالتحديد عندما حدث تحوّل في الفكر السياسي الوطني منتصف سبعينيات القرن العشرين عام 1974 عندما تبنى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة بالقاهرة البرنامج المرحلي للمنظمة المعروف بالنقاط العشر، وفيه أقَرّ "إقامة

سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها"، وأن هذه السلطة سيكون هدفها "استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني".

بعد ما يقرب من عشرين عاماً من تبني البرنامج المرحلي، وقّعت منظمة التحرير الفلسطينية اتفاقية أوسلو مع حكومة الكيان الصهيوني، مضمونها مختلفٌ تماماً عن البرنامج المرحلي يصل إلى حد التناقض، فقد تبنى البرنامج مرحلية التحرير المنسجم مع استراتيجيات حركات التحرير الوطنية، خلافاً لما حدث في اتفاقية أوسلو فقد تمت بموجبها مرحلية التسوية وفيها " نقل السلطة من الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية إلى الفلسطينيين المخوّلين بهذه المهمة"، وبذلك تكون السلطة قد أُنشئت في ظل الاحتلال وإجرامه بعيداً عن الكفاح المسلح، وأُقيمت على أرض ما زالت يد الاحتلال عليها وليست مُحررة، وبعقيدة أمنية تُنسق مع الاحتلال وليس مقاتلته، وبسقف تحرير الضفة والقطاع وليس تحرير كامل التراب الفلسطيني... وصولاً إلى "سلطة بدون سلطة تحت احتلال بدون كُلفة " كما وصفها رئيس السلطة والمنظمة. وبوجود السلطة بهذه المواصفات زُرعت بذرة الانقسام الفلسطيني، باختلاف الشعب والفصائل حولها، فكانت السلطة الخط الفاصل بين برنامجين متضاربين ومشروعين متناقضين، وفي ذلك تربة خصبة لنمو بذرة الانقسام.

وإذا كانت السلطة الفلسطينية بوجودها قد زُرعت بذرة الانقسام بطبيعتها ووظيفتها المناقضة لمفهوم السلطة الوطنية الموجودة في البرنامج المرحلي القائم على مرحلية التحرير، فإنَّ تلك البذرة أورقت بدخول حركة حماس للسلطة بعد انتخابات المجلس التشريعي عام 2006، فقد دخلت سلطة أُقيمت على أساس اتفاقية بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة الكيان الصهيوني، وهي ليست جزءاً من المنظمة – المرجعية السياسية للسلطة – ولا تعترف بدولة الكيان الصهيوني، الطرف الثاني في الاتفاقية–، وهي لا تعترف بمرجعية السلطة القانونية (اتفاقية اوسلو)، وتتبنى برنامج المقاومة المُناقض للبرنامج الذي قاد إلى إنشاء السلطة (برنامج التسوية)، وفي ظل وجود فجوة فكرية وسياسية ونفسية بين حزبي السلطة – فتح وحماس –فكان من شبه المستحيل ألا يحدث الانقسام في ظل وجود هذا التناقض بين السلطة وحماس،

إلى جانب التحول الفكري السياسي لحركة حماس بدخولها إلى السلطة والذي نضج بصورته النهائية بعد عقد من الانقسام عبر الوثيقة السياسية للحركة عام 2017 ليُشكل أبرز تحول بالانزياح نحو البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير، والانزياح نحو توجه الفكر الوطني الفلسطيني، إضافة إلى عامل أساسي وهو الاحتلال المعني بوجود الانقسام مع وجود التدخلات الإقليمية المعنية بمصالحها كان من شبه المؤكد حدوث الانقسام.

ختاماً إذا كانت كتابة الرواية الثالثة للانقسام عمل وطني يؤدي إلى طي صفحة الانقسام الماضية وفتح صفحة الوحدة القادمة، فإنَّ مغادرة محطة الانقسام فعلياً إلى محطة الوحدة الوطنية هو الذي سيساعدنا على كتابة رواية المستقبل الفلسطيني المُشرق، ولا يتم ذلك إلاّ بقراءة كتاب الصمود والمقاومة، لتحقيق أهداف التحرير والعودة والاستقلال، ويومئذٍ يفرح الفلسطينيون بنصر الله وتحقيق وعد الآخرة.

المقاومة و"مربع العنف"

• كُتب بتاريخ:
2020-6-25م

"إنَّ السلطة الفلسطينية قررت أنها لن تعود لمربع العنف"، هذا التصريح لأحد كبار مسئولي السلطة جاء في سياق مقابلة لقناة (كان) الإسرائيلية الرسمية، عندما سُئِل عن رد السلطة على مخطط الضم في الضفة الغربية، المقابلة حملت مضامين عديدة أهمها هو الخلط المقصود بين المقاومة بمعانيها الإيجابية المرتبطة بالكفاح والنضال والثورة، والعنف بمعانيه السلبية المرتبط بالدم والقتل والتدمير، وبذلك يُخرج العنف من معناه النضالي ومضمونه الوطني وبُعده القانوني، وسياقة الثوري، ويستحضر أنواع العنف الديني والمذهبي والعرقي... ليظل مفهوم (مربع العنف) السلبي هو المهيمن على المشهد الذهني والواقعي، من أجل طمس مفهوم (المقاومة) الإيجابي السائد في العقل الجمعي الفلسطيني منذ بداية الحركة الوطنية الفلسطينية وانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة.

(مربع العنف) الذي لن تعود إليه السلطة الفلسطينية - حسب المسئول الكبير- غير محدد المرحلة الزمنية للعنف الفلسطيني، فهل هو هبة أو انتفاضة القدس التي غلب عليها طابع العمليات الفدائية الفردية كالطعن والدهس، أم انتفاضة الأقصى التي بدأت شعبية وانتهت مُسلّحة، أم انتفاضة الحجارة التي انتهت بإنشاء السلطة الفلسطينية التي أصبح فيها مسئولاً كبيراً يُهاجم العنف الذي جاء به. ربما أراد المسؤول الكبير أن يُحذّر من العودة لمرحلة الكفاح المُسلّح الذي تبنته منظمة التحرير الفلسطينية في الأردن ثم لبنان، مُستحضراً سلبيات العنف الثوري عندما تحوّل الكفاح المُسلّح إلى نوع من السلطة اُستخدمت فيها القوة العسكرية للسيطرة على المخيمات الفلسطينية وحسم الصراع بين المنظمات الفلسطينية حسب موازين القوة على الأرض. ومُستدعياً تسبب القواعد العسكرية الثابتة للمقاومة في مشاكل مع الدول المُضيفة، وتحوّلها إلى

أهداف سهلة مكن العدو من ضربها، وربما أراد عندما تحدّث عن (مربع العنف) إشكاليات المقاومة عندما تكون جزءاً من السلطة أو تتولّى السلطة لتقع تحت ضغط توفير متطلبات الشعب الحياتية. وتضطر إلى ضبط إيقاع المقاومة وفق استحقاقات السلطة.

وطالما أنَّه لم يُحدد أي مرحلة من (مربع العنف) الذي لن تعود السلطة الفلسطينية إليه، ولم يتحدّث عن مربع العنف الإسرائيلي إن كان سيقف أم سيتواصل كجزء من هوية الكيان وطبيعته منذ نشأته وقبلها وبعدها، فسنأخذ تصريحه على المقاومة في كل مراحلها، منذ بداية الثورة الفلسطينية المعاصرة بعد نشأة منظمة التحرير الفلسطينية، في النصف الثاني من ستينيات القرن العشرين، التي جاء في ميثاقها الوطني عن الكفاح المُسلّح أو (مربع العنف) بالمفهوم الانبطاحي الجديد " الكفاح المُسلّح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، وهو بذلك استراتيجية وليس تكتيكاً، ويؤكد الشعب الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح، والسير قدماً نحو الثورة الشعبية المسلحة، لتحرير وطنه والعودة إليه"، وهو الأسلوب الذي تبنته كل فصائل المنظمة آنذاك قبل ظهور حركتي الجهاد وحماس، فكان الكفاح المُسلّح العامل الأساسي في تجسيد الهوية الوطنية الفلسطينية، وتحويل القضية الفلسطينية من كونها قضية لاجئين إنسانية إلى قضية وطنية تحررية، وإبقاء القضية حية على المستويات الوطنية والعربية والإسلامية والدولية، وهذا لم يكن ليحدث لولا المقاومة أو مربع العنف الثوري.

ومع مرور الزمن العربي الرديء، وبفعل عوامل التعرية الوطنية الفلسطينية، وبتأثير مفاهيم الواقعية الثورية والنظريات السياسية الانتهازية، لم يبق الكفاح المُسلّح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، فأُضيف إليه طُرق أخرى إلى جانبه، فأصبح طريقاً رئيسياً، ثم أحد الأساليب والطرق الكفاحية، حتى أُزيح إلى الصفوف الخلفية، وصولاً إلى استبعاده كطريق للتحرير، تمهيداً لنبذه وتجريمه كما حدث في اتفاقية أوسلو وتبعاتها، لنجد أخيراً من يُحّذر من العودة إلى (مربع العنف) وكأنه رجس من عمل الشيطان، وليس حق طبيعي للشعب الواقع تحت الاحتلال، اكتسب شرعيته من وجود المحتل نفسه على الأرض الفلسطينية، باعتباره يستند إلى حقين طبيعيين للشعوب وهما حق

الدفاع عن النفس وحق تقرير المصير، لذلك فقد أيدته كل المواثيق الدولية وأحكام القانون الدولي، الذي أعطى الحق لسكان الأراضي المُحتلة في الثورة على سلطات الاحتلال ومقاومتها، ولهذا فإن حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال حق ثابت وأصيل وليس مُجرد سلوك يُدرج في (مربع العنف).

إنَّ المقاومة وفي مقدمتها الكفاح المُسلّح حق طبيعي للشعب الفلسطيني من أجل تحرير أرضه المُحتلة والعودة إلى وطنه المسلوب، فهو ينسجم مع منطق الواقع وقوانين التاريخ، ويتسق مع خبرات الأمة في التحرر من الاستعمار، ويتفق مع تجارب حركات التحرير الوطني العالمية، فنهج الجهاد والمقاومة هو النهج الأكثر واقعية والأجدى من أجل التحرير، خاصة ونحن خارجون من تجربة فاشلة عمرها أكثر من ربع قرن من المفاوضات العبثية مع العدو المُحتل، وقد تأكد ذلك في تحرير المقاومة اللبنانية لجنوب لبنان من الاحتلال الصهيوني، وهزيمته في حرب تموز مرة أخرى، وفي تحرير المقاومة الفلسطينية لقطاع غزة من جيش الاحتلال ومستوطنيه رغم بقائه تحت الحصار، ثم منعه من تحقيق النصر في ثلاثة حروب لاحقة، وكلمة السر في هذا التحرير اللبناني والفلسطيني هو جعل الاحتلال والاستيطان باهظ الثمن ومرتفع الكُلفة البشرية والمادية، لوضعه في مأزق أمني هو جزء من مأزقه الوجودي الأكثر عمقاً.

كلمة السر في التجربتين اللبنانية والفلسطينية يُمكن استخدامها في الضفة الغربية بنفس الطريقة، وهي أن نجعل للاحتلال والاستيطان ثمناً باهظاً بالمقاومة التي تستنزف الاحتلال والاستيطان بشرياً ومادياً عن طريق إبقاء حالة الاشتباك والمشاغلة معه، ليصل إلى مأزقه الأمني المرتبط بمأزقه الوجودي، ليكون أمام خيارين: إمّا الانسحاب من الضفة والمحافظة على وجود دولته في حدود النكبة إلى حين، أو الذهاب نحو المجهول بمواجهة المخاطر الأمنية والديموغرافية المؤكدة من بقاء الضفة في حدود دولة الكيان، بما يحمل ذلك من تهديد وجودي للكيان الصهيوني، والمقاومة كلمة السر في التحرير لا بد أن تشق طريقها على هدى وبصيرة، وفي ضوء المشروع الوطني الفلسطيني القائم على التحرير والعودة والاستقلال، بعد أن تكنس من طريقها كل المفاهيم الدخيلة على الثورة الفلسطينية التي أفرزت مصطلحات غريبة ومُعادية للثورة مثل (مربع العنف) وغيرها.

رواه البخاري

• كُتب بتاريخ:
2-7-2020م

يُروى أنَّ أحدَ مشاهيرِ القُرّاءِ المصريين أخطأَ فيْ تلاوةِ القرآنِ الكريم، فعوتبَ فيْ ذلكَ، فردَّ مُدافعاً عنْ نفسهِ، "هوَّ أنا غلطتُ فيْ البخاري" ، فذهبتْ العبارةُ مثلاً يُقالُ عندما يُلامُ أحدُ الناسِ علىْ قولٍ أوْ فعلٍ خطأ، للتهوينِ منْ حجم خطئهِ، والتخفيفِ منْ وزنِ غلطتهِ، والعبارةُ دليلٌ علىْ عُمقِ التعظيم وقوةِ التمجيدِ لصحيحِ البخاري، كإيمانٍ راسخٍ فيْ العقلِ الجمعي، يتوارثهُ المسلمون جيلاً بعدَ جيل، وكيقينٍ متجذرٍ فيْ الوجدانِ الشعبي، يتشّربهُ الصغارُ منْ الكبارِ، بمختلفِ مستوياتهمْ الثقافيةِ، ودرجاتهمْ العلمية، والتزاماتهمْ الدينية. فقدْ كبرنا، وتشكلتْ عقولنا، وبُنيتْ ثقافتنا، ونحنُ نسمعُ ونقرأُ أنَّ صحيحَ البخاري أصحُّ كتابٍ بعدَ كتابِ الله، فارتبطَ شرطياً بالقرآنِ الكريم، وكأنّهما فيْ مرتبةٍ متقاربة تقديساً، ومنزلةٍ متشابهةٍ تنزيهاً، وجملةُ (رواه البخاري) أكبرُ دليلٍ علىْ ذلكَ التقديسِ والتنزيهِ، فكثيراً ما أنهتْ الجدالَ بالضربةِ القاضيةِ عندما يكونُ موضوعهُ صحة حديثٍ نبويٍ ما، فتُسكتُ الجملةُ المتجادلين فلا تسمعُ إلاَّ همساً، وتُصمتُ المتناظرين فلا تكادُ تسمعُ لهمْ رِكزاً.

(رواه البخاري)، أنهتْ نقاشاً لمجموعةٍ منْ الزملاءِ المعلمين، كانَ كاتبُ المقالِ أحدَهمْ، وموضوعهُ الحديثُ النبوي "إنَّ الميتَ يُعذّبُ ببكاءِ أهلهِ عليه"، وتفاصيلهُ محاولةُ التوفيقِ بينَ ما يُفهمُ منْ معناه تحريمُ البكاءِ علىْ الميتِ، وما يُفهمُ منْ معاني نصوص أحاديثِ نبوية أُخرى بإباحة البكاء على الميتِ كتعبيرٍ عن انفعالِ الحزنِ الإنساني الطبيعي. وكذلكَ محاولة التوفيق بين ما يتضمنه نص الحديث منْ تحميلِ الميت لمسئوليةِ عملٍ لم يعمله، مُخالفاً للقاعدة القرآنية الموجودة في الآية " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" كأهم قواعد العدل الإلهي. فذهبَ الزملاءُ فيْ تأويلاتهم وتفسيراتهم كلَّ

مذهب آخذين من أقوال العلماء حيناً، ومجتهدين بآرائهم حيناً آخر، حتى قال أحدُهمْ: ربما كانَ الحديثُ موضوعاً أو ضعيفاً! ، وسرعانَ ما أجابَ عليه معلمُ الدين غاضباً: وكيفَ ذلكَ والحديثُ (رواه البخاري)، فتدخلَ كاتبُ المقالِ قائلاً: إذنْ قدْ يكونُ الخطأُ فيْ صحيحِ البخاري، فربما حدثَ خطأٌ فيْ نقلِ متن (نص) الحديث النبوي في سلسلةِ رواة البخاري، ولمْ يكدْ يُنهي جملتهُ حتى انهالَ عليه التوبيخُ والتقريعُ منْ كلِّ حدبٍ وصوبٍ، ولمْ يوقفهُ إلاَّ جرسُ نهايةِ الفُسحةِ مُنهياً النقاش بين الزملاء، دونَ أنْ ينهيهُ في عقل الكاتب.

غابَ عنّا آنذاك موقف أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – عندما ذُكرَ الحديثُ أمامها مرّوياً عن الخليفةِ الراشد الثاني عمر بن الخطاب – رضي اللهُ عنه – فقالتْ: "رحمَ اللهُ عمرَ، والله ما حدّثَ رسولُ الله (أنَّ الميتَ يُعذّبُ ببكاءِ أهلهِ عليه)، ولكن قال: (إنَّ الله يزيدُ الكافرُ عذاباً ببكاءِ أهلهِ عَليهِ)، حسبكم القرآن (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). " . وموضع الحديث والنقاش حوله يشيرُ إلى وجودِ إشكالية منهجية في التعامل مع كتب الأحاديث النبوية، خاصة كتب الصحاح الستة، وبالتحديد كتاب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) لصاحبه الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، المعروف اختصاراً بـ (صحيح البخاري)، وهذه الإشكالية محددة بمدى التطرف في تقديس صحيح البخاري وكأنه معصوم من الخطأ كالأنبياء والرسل، وهذا التطرف مدخل لمنع استمرار الاجتهاد في تصحيح الأحاديث النبوية، وكأنَّ كتب الصحاح آخر العلم وكماله، وهذا بدوره مدخلٌ لوقف تجديد الخطاب الديني، وبابٌ لاستغلال بعض الأحاديث للإساءة لصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتشويه صورة الإسلام لا سيما فيما يتعلّق بالنساء والدماء. ورغم اتفاق غالبية العلماء بأنَّ صحيح البخاري هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم، فهذا لا يمنحه العصمة من الخطأ، فقد اختار الإمام البخاري بطريقة علمية دقيقة حوالي سبعة آلاف حديث نبوي نصفها تقريباً مُكرر، من بين مئات آلاف الأحاديث الأخرى التي جمعها، ومن الجائز عقلاً وشرعاً، وعلمياً ومنطقياً، وجود أحاديث صحيحة قد تركها، وأحاديث غير صحيحة قد أخذها بغض النظر عن عددها.

فرضية الخطأ في صحيح البخاري نابعة من طبيعة البشرية غير المعصومة من الخطأ والنسيان والنقص في العمل البشري، دون أن تُبطلَ الأصل في صحة الكتاب بجملته بما أُبعُ في جمعه من منهجية علمية مُحكمة، وفرضية الخطأ موّجهة إلى العمل الذي قام به البخاري، وغير موّجهة بالطبع إلى نصوص الأحاديث النبوية عندما يثبت صحتها سنداً ومتناً. فلا يجوز تقديس الرواية المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد نسبتها إليه بجهد بشري غير معصوم من الخطأ والنسيان، أو الغفلة والنقصان، وهذا ما أشار إليه العلاّمة المحدّث ناصر الدين الألباني في فتاويه "... أثناء البحث تمر معي بعض الأحاديث في الصحيحين، أو في أحدهما، فينكشف لي أنَّ هناكَ بعضُ الأحاديث الضعيفة!، لكن من كان في ريب مما أحكم أنا على بعض الأحاديث فليعد إلى فتح الباري فيسجد هناك أشياء كثيرة وكثيرة جداً ينتقدها الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني". وتأكيداً لأهيمة ثبوت صحة السند والمتن جاء في كتاب (الفروسية) لإبن قيم الجوزية "فإنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن لاحتمال أن يصح الإسناد ويكون في المتن شذوذاً أو علة تمنع صحته"، وهذا ما أكده العالم محمد الغزالي في كتابه (تراثنا الفكري في ميزان الشرع) بقوله : "إنّ الحديث يُعرض على معايير نقد المتن حتى لو كان صحيح السند"، ولهذا استنبط الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) معايير لنقد المتن أهمها: ألا يكون ركيك اللفظ، ومخالفاً لبديهيات العقول، وحقائق العلم والتاريخ، وصريح القرآن، ومُحكم السنة، ومقاصد الشرع...

إذا كانَ إنكار فرضية الخطأ في صحيحي البخاري تطرفاً باتجاه الحق، ويحجبُ بعضَ الصواب، فإنَّ إنكار صحة كتاب البخاري بالجملة كمصدر ثانٍ للدين الإسلامي – ومعه كل كتب الأحاديث النبوية– تطرفاً اتجاه الباطل، ويحجبُ معظم الصواب، وهذا التطرف يمثله بعض التيارات الفكرية قديماً وحديثاً، ولعلَّ أحدثها ما يُسمى بتيار (القرآنيون)، الذين يرون في القرآن الكريم المصدر الوحيد للإيمان والتشريع في الإسلام، باعتباره الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه، وأجمع المسلمون على صحته، بينما الأحاديث النبوية فيها اختلاف كبير على صحتها، خاصة

أنها كُتبتْ وصححت بمنهجية غير علمية وغير موضوعية، وبعد أكثر من قرنين من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تناقلها شفوياً عبر سلسلة طويلة من الرواة، معرضون للخطأ والنسيان والغفلة والزيادة والنقص، وهذا التيار لا يعترف بوحي ثانٍ مع القرآن الكريم، زاعمين بأنَّ كلام النبي خارج القرآن ليس وحياً من الله، وبالتالي غير مُلزم للمسلمين. ويرى كبيرهم الدكتور أحمد صبحي منصور في مقاله (السم الهاري في تنقية صحيح البخاري) المنشور في فبراير 2010، أنَّ ما أسماه (السنة البخارية)، تناقض (السنة القرآنية). وخطورة هذا التيار أنّه لا يدعو إلى منهجية علمية جديدة لمراجعة وتصحيح كتب الاحاديث، بل يستبعدها جملة، وفي ذلك هدم للسنة النبوية كمصدر ثانٍ للإسلام، مما يفتح المجال لهدم الدين كله.

فصل المقال إذا كانت الفضيلة وسط بين رذيلتين، والاعتدال وسط بين تطرفين، فالفضيلة والاعتدال في الوسط بين استبعاد الخطأ في صحيح البخاري وغيره من كتب الصحاح، وبالتالي رفض مراجعته وتصحيحه بمنهجية علمية محكمة، وبين استبعاد الصواب في صحيح البخاري وغيره من كتب الصحاح، وبالتالي رفض التعامل معه كمصدر ثانٍ للدين الإسلامي. ويعبر عن هذا الفهم العلاّمة المحدّث ناصر الدين الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) بقوله : "جهل بعض الناشئين الذين يتعصبون لصحيح البخاري، وكذا صحيح مسلم تعصباً أعمى، ويقطعون أنَّ كل ما فيهما صحيح!، ويُقابل هؤلاء بعض الكتاب الذين لا يقيمون للصحيحين وزناً، فيردون من أحاديثهما ما لا يوافق عقولهم وأهواءهم" وحال الفريقين كحال الخوارج والأمويين في تمردهم المسلّح على الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب- كرّم الله وجهه - واصفاً حالهم: " ليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأدركه". ورحم الله الإمام مالك القائل "كلُّ يؤخذ منه ويُرد إلاّ صاحب هذا القبر"، وهذا هو مفتاح تجديد الخطاب الديني، وكلمة السر لنهضة الأمة ورقيها.

المكارثية بثوب ديني

• كُتب بتاريخ:
9-7-2020م

المكارثية مصطلح سياسي مُشتق من اسم السناتور الأمريكي الجمهوري (جوزيف مكارثي)، الذي كان الواجهة الأمامية لجماعة المحافظين في الحزب الجمهوري ذوي التوّجه الديني المتعصب الرافض للتجديد، وشغل مكارثي منصبه كعضو في الكونجرس في ذروة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في عقد الخمسينيات من القرن العشرين، فصعد نجمه من خلال استغلاله لحالة الخوف الأمريكي من الشيوعية والنفوذ السوفيتي في أوج تمدده، فرّوج في خطابه السياسي لمزاعم وجود مئات الجواسيس الشيوعيين في المؤسسات الحكومية الأمريكية، بدون أدلة محددة وبراهين واضحة، فأثار هستيريا جماعية ضد الشيوعية، وتشكلت (لجنة الممارسات غير الأمريكية) في الكونجرس برئاسته لملاحقة المشتبه بهم بالشيوعية والتجسس، والعمل على تصفيتهم معنوياً وفعلياً بتشويههم وتحطيمهم وسجنهم وطردهم من وظائفهم ودفعهم للصمت والانزواء بالعزلة أو الهجرة، وتجنّدت أجهزة الدولة الأمنية والإعلامية لملاحقة المعارضين لا سيما المؤثرين منهم في الرأي العام، وكانت النتيجة حالة إرهاب فكري ضد المفكرين والمثقفين والفنانين الأحرار، وكاد وحش المكارثية يفتك بالمجتمع الأمريكي لولا شجاعة عدد من الشخصيات الحرة في مجال الإعلام والفكر والأدب، تحدوا الإرهاب الفكري وقهروا الخوف، فأسقطوا المكارثية الشريرة ورمزها القبيح (جوزيف مكارثي) فمات مذموماً مدحوراً ومدمناً مثبوراً عام 1957.

المكارثية اتجاه سياسي يتسم بالغوغائية والاستبداد، مضمونه اغتيال الخصوم السياسيين معنوياً (وربما جسدياً)، وتصفية المعارضين الفكريين وإقصائهم عن المشهد،

واجتثاث المُخالفين لمنظومة الأفكار التسلطية المهيمنة. والمكارثية تعتمد على آليات ووسائل ميكافيلية غير أخلاقية لتحقيق أهدافها السياسية، منها القيام بحملات إعلامية لتشويه الخصوم والمعارضين والمخالفين، وكيل الاتهامات جُزافاً وبدون أدلة وبكثرة وفي كل الاتجاهات، وتجريدهم من إنسانيتهم وكرامتهم بطريقة همجية تحريضية تُثير الجمهور عليهم، والتشكيك في مبادئهم وقيمهم بأسلوب دنيء يُغري الناس بشتمهم والطعن فيهم، والاعتماد على تزوير المعلومات، وتزييف الحقائق، وصناعة الإشاعات؛ للتغطية على المعلومات الحقيقية، والحقائق الواقعية، والأخبار الصادقة، واستخدام كلمات الشتم والذم والقدح والسخرية، وتوظيف عبارات التسفيه والتحقير والتشنيع والإساءة، بدلاً من مقارعة الحجة بالحجة، ومواجهة الدليل بالدليل، ومقابلة البرهان بالبرهان.

والمكارثية تطبيق الشعار النازي (اكذب اكذب حتى يُصدقك الناس)، كي تتحوّل الأكاذيب والاتهامات والإشاعات إلى حقائق مُسلّمة غير قابلة للنقاش، وبديهيات مُصدّقة غير قابلة للجدال، واستخدام خطاب ديماغوجي لشيطنة الآخر وتكوين صورة ذهنية شريرة تنطبع في عقول الناس تجاه الشخصيات التي تفكر خارج الصندوق المُقدس لمنظومة التصلب الفكري، وصناعة قوالب نمطية جاهزة تُصوّر المخالفين كشخصيات هدّامة تهدد أمن الوطن وتهدم جوهر الدين، وتطبعهم بوصمة الخيانة أو الكفر أو الجهل أو الشر...، وزراعة الخوف في قلوب الناس باختراع أعداء وهميين للوطن والدين، وهذا كله بهدف إيجاد حالة من الإرهاب الفكري تقمع المعارضين وتغتالهم معنوياً، وتردع المؤيدين لهم من الجهر بآرائهم وإعلان أفكارهم، فلا يجرؤ أحد على الدفاع عنهم خوفاً ورعباً، فيؤثرون الصمت مع السلامة على الكلام مع الندامة.

وإذا ما وصل الإرهاب الفكري إلى هذه الدرجة من القسوة والوحشية يُصبح تفنيد التُهم الباطلة أشبه بالمستحيل، ودحض المزاعم الكاذبة شيء من المُحال، وتكذيب الافتراءات المزورة هو المستحيل بعينه والمُحال بنفسه... فيُصاب الناس بالرهاب الاجتماعي والعصاب النفسي والذهان العقلي، تدفع بعض أصحاب الآراء الحرة

المخالفة لجوقة المكارثيين إلى التقوقع حول الذات كمداً، أو الانطلاق خارج الوطن هرباً. والخطورة تكون مُضاعفة عندما ترتدي المكارثية ثوب الدين فتضع مُخالفيها في دائرة الكفر والردة والفسق والزندقة، فحينئذٍ تصبح المكارثية بثوبها الديني أخطر أنواع الإرهاب الفكري وأكثرها بربرية في تحطيم المخالفين، ولذلك انتبه (جوزيف مكارثي) إلى هذا الأمر فاستخدم خطاباً دينياً مفاده أن الشيوعية دين هدفها هدم المسيحية والوطن، وأنَّ المشتبه بهم أعداء للدين والوطن يجب استئصالهم.

لم تقتصر المكارثية بثوبها الديني على أمريكا فقد أصبحت ظاهرة انتشرت في الكثير من البلدان والأديان، فالمكارثية بثوبها الديني من أخطر آليات القهر والتسلط، بما أوتيَ بعض المتدينين المتطرفين من غلظة وقسوة في قلوبهم، وجمود وتحجر في عقولهم، ووحشية وشراسة في سلوكهم، وفجور وفظاظة في خصومتهم...، وبما طوروه من أساليب المكارثية كشعار (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس) أصبح بنسخته الجديدة (اكذب اكذب حتى تصدق نفسك)، ومفهوم (النخبة المختارة) في المكارثية القديمة التي يحق لها فرض رؤيتها الفكرية والسياسية، يتحوّل إلى عقيدة (الفرقة الناجية) التي يحق لها الحياة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، والشعور بالأفضلية في المكارثية القديمة يصبح الشعور الخادع باحتكار تمثيل الدين والنطق باسمه من دون الناس، ومن يخرج عن رأي شيوخهم وحاخاماتهم فكأنما خرج من الدين كله وليس عن اجتهاد بشري يُصيب ويُخطئ.

والمكارثية بثوبها الديني تنطلق من نمط تفكير خاطئ يتصف بأُحادية الرؤية فلا يرون الحق والصواب إلاّ من عيونهم، ورؤية إقصائية ترفض الآخر ولا تعترف بحقه في الاختلاف، وثنائية قطعية لا ترى الناس إلا صنفين: معنا فهو مؤمن في الجنة، وضدنا فهو كافر في النار، وينطبق عليهم منطق فرعون في احتكار الصواب عندما قال لقومه " مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ " ومنطق كفار قريش عندما قابلوا القرآن الكريم وآياته المحكمات باللغو والتشويش واللغط والضجيج والشتائم... بدلاً من مواجهته بالحجة والبرهان والدليل استجابة لقوله تعالى "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، فاتبعوا منهجية المكارثية بقولهم " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا

الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" وطريقة اللغو تطورت تقنياً بتطور وسائل الإعلام والتواصل الإلكتروني التي اخترعها وصنعها الكفار ليستخدمها المتطرفون من كل الديانات في السُباب والشتائم وتحويل أي رأي منطقي وعقلاني يتفق مع الدين ولا يتفق مع فهمهم إلى هستيريا جماعية يتوّلى كبرها فئة نزلت بمستوى خطابها الديني إلى القاع الأدنى من السفاهة، وهوت بأدب الاختلاف إلى الدرك الأسفل من الفجور. ومن المفترض ان المكارثيين الجدد يعتبرون من مصير ومآل مكارثي ومن حذا حذوه، بسقوطه وتهاويه، وانتصار المنطق العقلي والفكر التنويري في كل المواجهات التي حدثت بين أصحاب الفكر التجديدي وبين أصحاب الفكر المكارثي.

الخلاصة أنَ المسلمين أولى الناس حاجةً للتخلص من نهج المكارثية الدينية، لما تحمله من إساءة للإسلام وتشويه للدين، ولما يُصاحبها من إرهاب فكري يقتل الإبداع، ويُبدد الطاقات، وينشر الفتن، ويُفسد الأخلاق، ويُعطّل البحث العلمي، ويحجب الكثير من الصواب. ونحن بحاجة مُلحة للتمييز بين ما هو ثابت مُقدس في الدين لا يقبل الاجتهاد، وما هو متغير في التراث ويقبل الاجتهاد والتجديد، والتفريق ما بين النصوص الدينية قطعية الثبوت والدلالة، والنصوص الدينية ظنية الثبوت والدلالة، ونحن بحاجة شديدة إلى إشاعة ثقافة التفكير والتسامح التي تعترف بحق الاختلاف والنقد وتعدد الأفكار والرؤى في الدائرة الإسلامية. وهذا يتطلب أن يقتنع الجميع أنهم يمثلون رؤى مختلفة واجتهادات متنوعة في فهم الدين الإسلامي في إطار الضوابط والقواعد الشرعية المعروفة، دون أن يحتكر أحد لنفسه تمثيل الإسلام... ورحم الله الشيخ العالم محمد الغزالي القائل " العلماء لا يرون في وجهات النظر المتباينة في قضية واحدة مثار شقاق أو خصومة، وأحياناً أسأل هل الخلاف الذي يقع والشجار الذي نراه مسألة خلقية أم عقلية، القضية أنّ الخلاف العقلي لا شيء فيه إنما سوء النية وسوء توجيه الكلام عن مجراه السليم هو الذي أخافه على أمتي".

الثــأر

• كُتب بتاريخ:
2020-7-16م

قبل أيام اُغتيل الأسير المحرر جبر القيق رمياً بالرصاص وذبحاً بالسكين، المشتبه بهم بتنفيذ الجريمة البشعة أبناء رجل قُتل في الانتفاضة الأولى، قاموا بفعلتهم بدافع الثأر لأبيهم المقتول، وكأنها استحضار لمشاهد الثأر العربية الجاهلية، تلك المشاهد القبيحة إذا ما تكررت قد تفتح باب الفتنة القبلية على مصراعيه، وتُطلق وحش الفوضى العشائرية من قُمقُمه، وتفك لجام غول الصراع العائلي من شكيمته... فتُمزّق نسيج وحدة الشعب، وتُقطّع أواصر الترابط الاجتماعي، وتُصدّع بُنيان الهوية الوطنية، وتُزعزع أمن السلم الأهلي... ونظراً لهذه الخطورة الكامنة في الجريمة ونتائجها؛ فمن الضروري تسليط الضوء على بيئة الفعل الثوري آنذاك.

إنَّ ظاهرة تصفية العملاء ممتدة مع تاريخ الثورة الفلسطينية، فاتسمت الانتفاضة الأولى بتلك الظاهرة، وقد تم إعدام وردع المئات المُتهمين بالعمالة للاحتلال، الأمر الذي ساهم حينها في تقليص ظاهرة العمالة للاحتلال إلى حدٍ كبير؛ ولكن هذا العمل الوطني كان يتم تحت حراب الاحتلال بدون وجود مناطق آمنة، وفي ظل ظروف أمنية ضاغطة بدون أريحية في العمل، ويقوم بتنفيذه مناضلون مطاردون لا يمتلك الكثير منهم الخبرة الأمنية اللازمة، وهو ما لا يسمح بإعطاء فرصة لإثبات التهم ضد المتهمين بالعمالة، ولا يُعطي فرصة لاختيار وتنفيذ العقوبة المناسبة لمستوى الجريمة، ولا يتم التفريق أحياناً بين السقوط الأخلاقي والسقوط الأمني، وكانت الرغبة في التخلّص السريع من العملاء وردع غيرهم هو النهج المُتبع من المجموعات الضاربة للفصائل الفلسطينية، وهذا يتناقض مع مبدأ تحقيق العدالة، مما أدى مع كل العوامل السابقة إلى إعدام أشخاص بتهم لا تستحق الإعدام، وتشويه آخرين كان بالإمكان

إصلاحهم دون فضحهم، ولكن هذه الأخطاء والتجاوزات لا تُبطل الأصل في عدالة مبدأ إعدام العملاء، ولا تطعن في مصداقية الثوار الذين نفذوا حكم الشعب والثورة في المتهمين بالعمالة، خاصة وأنَّ الكثير منهم قد قضى شهيداً أو جريحاً، وضحى بربيع عمره وراء القضبان سجيناً أو داخل الوطن مطارداً وخارجه منفياً.

إضافة إلى ذلك أنَّ المناضلين الذين نفذوا عمليات الإعدام في العملاء أو المتهمين بالعمالة لم يقوموا بذلك العمل الثوري بدوافع شخصية أو عائلية أو جنائية، بل قاموا بذلك تنفيذاً لإرادة شعبية بمعاقبة العملاء، واستجابةً لقرار وطني بتصفية المتعاونين مع الاحتلال، وتطبيقاً لأوامر تنظيمية بإعدام الجواسيس، بغض النظر عن الصواب والخطأ في التطبيق، أو مدى القُرب والبُعد من العدل، وهذه الحقيقة تُسقط أي مبرر للثأر العائلي من هؤلاء المناضلين، وتنزع الحق من أولياء الدم بالقصاص، وبناءً على ذلك فإنَّ أي جريمة ثأر للقتلى في الانتفاضة الأولى أو أي مرحلة نضالية أخرى من الثوار والمناضلين الذين نفذوا الإرادة الشعبية والقرار الوطني وأوامر المقاومة، يجب أن يُعتبر جريمة أمن قومي من الدرجة الأولى، وبالتالي فإنَّ أي تحريض أو تشجيع أو إشادة أو إعجاب بجرائم الأخذ بالثأر الآثمة، تصب في خدمة الاحتلال، وتعود بالمجتمع إلى غياهب القبلية، وأعراف الجاهلية، وقانون الغابة، وستؤدي إلى إشعال نار الفتنة النائمة تحت رماد النعرات الجاهلية، لتُلقي الشعب الفلسطيني في أتون نار عمليات ثأر متبادلة تشبه حروب الجاهلية الجهلاء أمثال داحس والغبراء. ولم ينتبه هؤلاء إلى أنَّ الثأر سلاح ذو حدين قد يصيبهم أنفسهم، فماذا لو قام أبناء الشهداء بالثأر من العملاء أو ابنائهم الذي تسببوا في استشهاد آبائهم؟!، وماذا لو قام أبناء عملاء من عائلات أخرى بالثأر من مناضلين من نفس العائلة التي أخذت بثأرها سابقاً؟!، أليس أولى بالضحايا من أن يوجهوا ثأرهم إلى المجرم القاتل وهو الاحتلال؟!.

توجيه الثأر إلى الاحتلال المجرم الحقيقي المسئول عن ضحايا الاحتلال وكل مآسي الشعب الفلسطيني يضع بوصلة الشعب بالاتجاه الصحيح والطريق الصواب، ويقودنا إلى الخروج من مفهوم الثأر بالمعني القبلي إلى مفهوم الثأر بالمعني الوطني، وإعادة تعريفه كمفهوم كفاحي مقاوم، ودمجه في منظومة النضال الوطني، وهذا ليس

جديداً في الثورة الفلسطينية، فقد بدأ النضال الوطني الفلسطيني المُسلّح ضد الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني كعمليات ثأرية فردية وجماعية، قبل أن يتحوّل إلى عمل وطني جماعي منظم وأدركت الثورة أهمية توظيف الثأر للانتقام من جرائم العدو ومذابحه، دون أن يؤثر على أصل الصراع مع العدو ومقاومة الاحتلال كمشروع وطني يهدف للتحرير والعودة والاستقلال، وكحركة تحرير وطنية بأبعادها القومية والإنسانية، ولم يغب هذا المفهوم الوطني لثقافة الثأر عن أول نشرة لحركة القوميين العرب بعد النكبة التي صدرت باسم (الثأر)، ولم تغب عن أول شعاراتهم وهو (الوحدة والتحرير والثأر)، وكانت حاضرة في اسم إحدى المنظمات المكوّنة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد النكسة (منظمة شباب الثأر)، وهذا البُعد الوطني ظهر واضحاً في إطار قومي في العهد الناصري بمصر.

الثأر بمفهومه الوطني والقومي ظهر في آداب وفنون المرحلة الناصرية القومية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ومن أمثلة ذلك قصيدة (بالدم) للشاعر عبدالرحمن الأبنودي التي غناها عبدالحليم حافظ، ومطلعها "بالدم هناخذ ثارنا... بالدم نعود لديارنا.. من دم الإسرائيلي.. من دم الأمريكاني.. من دم الانجليزي..."، وأُغنية محمد قنديل مُخاطباً الاستعمار " أحنا ما بينا وبينك ثار.. أكبر ثار.. خلّي الثورة تولّع نار.. تولّع نار". وكان مفهوم الثأر كقيمة وطنية حاضراً بقوة في قصيدة (لا تصالح) للشاعر المصري الثائر (أمل دنقل) التي دعا فيها السادات إلى عدم الصلح مع الكيان الصهيوني والتمسك بثأر العرب منهم، وبإبداع الفنان ألبس قيمة الثأر القبلي في حرب البسوس ثوباً وطنيا وقومياً، وارتقى بقيمة الثأر من مفهومه الجاهلي المُتخلّف إلى مفهومه الإنساني السامي، وصعد بالثأر إلى درجة عُليا؛ فحوّله إلى قيمة دافعة للصمود والمقاومة ومواصلة النضال والكفاح والتمسك بالثوابت الوطنية والحقوق، ومما جاء في قصيدته الرائعة " لا تصالح ... سيقولون.. ها أنت تطلب ثأراً يطول.. فخذ الآن ما تستطيع.. قليلاً من الحق.. في هذه السنوات القليلة.. إنّه ليس ثأرك وحدك.. لكنه ثأر جيل فجيل.. وغداً سوف يولد من يلبس الدرع كاملة.. يوقد النار شاملة.. يطلب الثأر.. يستولد الحق.. من أضلع المستحيل.. لا تصالح.. ولو قيل إنَّ التصالح حيلة.. إنه الثأر...".

وانسجاماً مع هذا التراث الثوري الوطني والأدبي القومي، ولتحويل الثأر إلى قيمة وطنية دافعة للجهاد والمقاومة، ورافعة للكفاح والنضال لا بد من إغلاق ملف العملاء في الانتفاضة الأولى بإيجابياته وسلبياته نهائياً وقطعياً وبدون رجعة، علماً أنَّ الكثير من المعالجات قد تمت مع قدوم السلطة الفلسطينية وبالتعاون مع الفصائل الفلسطينية حفاظاً على النسيج الاجتماعي وعلى عوائل ضحايا الاحتلال (المتهمون بالعمالة) والتعامل بحزم وقسوة مع من يسعى لفتحه عملياً بتنفيذ جرائم الثأر، ونظرياً بالدعوة إلى فتحه من بعض أشباه المثقفين الأغبياء، وأمثال العملاء الخبثاء، وتشكيل محاكم ثورية سريعة لمحاكمة ومعاقبة كل مجرم يُقدم على قتل مناضلي الانتفاضة الأولى على خلفية الثأر، ومحاكمة كل مُحرّض أو مُشجع أو معجب بالجريمة ومرتكبيها القتلة. والعمل على تعزيز القيم الوطنية والثقافة الوحدوية والوعي المجتمعي... من أجل تقوية الانتماء للشعب والوطن قبل الانتماء للعائلة والقبيلة، وتمكين سلطة القانون والمؤسسات فوق كل سلطة أخرى، وتمتين السلم الأهلي، والترابط الوطني، والتماسك المجتمعي، وهذا يتطلب إعادة النظر في نظام العشائر الآخذ بالتضخم في المجتمع الفلسطيني مما يُهدد الجسد الوطني الفلسطيني، وإذا لم تتم إعادة النظر فيها لوضعها في إطارها الطبيعي فهذا نذير شؤم سيسمح للتجمعات السكانية إلى إنشاء مجالس وروابط على أساس بلداتها الأصلية أو جذورها الجغرافية، ولات حين مناص.

فقه الاستبداد وفكر الاستعباد

• كُتب بتاريخ:
2020-7-25م

أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر برئاسة الشيخ حسنين مخلوف عام في عهد جمال عبدالناصر 1956 فتوى دينية تُحرّم الصلح مع الكيان الصهيوني جاء فيها "إنَّ الصلح مع إسرائيل كما يريده الداعون له لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه"، واستندت الفتوى على النصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية في دعم مضمونها. وفي عام 1979 في عهد أنور السادات أصدرت دار الافتاء المصرية برئاسة الشيخ جاد الحق جاد الحق فتوى دينية تُحلل الصلح مع الكيان الصهيوني جاء فيها "نصوص اتفاقية السلام وملحقاتها لم تضيّع حقوقاً ولم تقر احتلالاً" واستندت الفتوى على النصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية في تأييد محتواها. تغير فحوى الفتوى الدينية من التحريم إلى التحليل في نفس الموضوع سببه ليس تغير الفتوى بتغير الزمان، بل تغيَر الحكام وتوجهاتهم السياسية تجاه الكيان الصهيوني، فذهبت المؤسسة الدينية المصرية الأشعرية ممثلة في الأزهر ودار الإفتاء لتبرير الواقع بالنص الديني وإضفاء الشرعية الدينية لسياسة النظام الحاكم.

مؤسسة دينية أُخرى تُمثّل مدرسة إسلامية مختلفة تتقاسم وتتنافس مع المؤسسة الدينية المصرية المرجعية الدينية والشرعية الإسلامية في العالم، هي المؤسسة الدينية السعودية السلفية، فوظفت النص الديني لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية الدينية على سياسة النظام الحاكم. ومن أمثلة ذلك قيام بعض الفقهاء بشرعنة (إمارة المتغلّب) فقد أدركوا أنَّ السمة الغالبة بعد عصر الخلفاء الراشدين لتوّلي الخلافة والولاية والحكم

هي (التغلّب)، وهي بالمفهوم المعاصر السيطرة على السلطة بالقوة العسكرية أو الثورية، فصاحب هذا الواقع التاريخي تبرير ديني لإضفاء الشرعية الدينية على الواقع بخلاف الأصل في تولية الخليفة أو الإمام (الرئيس) القائم على الشورى والاختيار. وكان أبو الحسن الماوردي أهم المنظرين لشرعنة الحاكم المتغلّب في كتابه (الأحكام السلطانية والولايات الدينية)، وجاء بعده شيخ الإسلام ابن تيمية الذي دعا إلى طاعة الحاكم المتغلّب مهما كان مستبداً وجائراً طالما يُقيم الشريعة الإسلامية.

وكانت المدرسة السلفية – قديماً وحديثاً – متميزة في ذلك، كما كل مفردات فقه التغلّب، ومن ذلك فتوى الشيخ صالح الفوزان "إذا تغلّب الحاكم على المسلمين بسيفه، وأخضعهم لطاعته... يلزم المسلمين طاعته في ذلك لأجل جمع الكلمة وتجنّب المسلمين سفك الدماء واختلاف الكلمة"، وكذلك فتوى الشيخ محمد العثيمين "لو خرج رجل واستولى على الحكم وجب على المسلمين أن يدينوا له حتى وإن كان قهراً بلا رضى، لأنه استولى على السلطة" هكذا لأنه فقط استولى على السلطة يجب طاعته، وواضح أنَّ طريقة التغلّب هي التي استولى بها آل سعود على الحكم في بلاد العرب، فكان لزاماً إعطائها الغطاء الشرعي بتحليل إمارة المتغلّب.

مثال آخر وعلى نفس المنهج من التراث الفقهي الإسلامي ومن أخطر الموضوعات التي تم تناولها محاباة وإرضاء للحاكم هو موضوع (الشورى) فقد جعلها بعض الفقهاء مُعلِمة اختيارية بخلاف الأصل الديني الذي يجعلها مُلزِمة إجبارية، بعد أن وجدوا أنَ المتبع تاريخياً لدى غالبية الحكام بعد عصر الخلفاء الراشدين هو عدم تطبيق الشورى كمبدأ أساسي في نظام الحكم الإسلامي، وأنها تطبق على نطاق ضيق محصور بالنخبة الصغيرة المُحيطة بالخليفة أو الحاكم، بدون توسيعها لتشمل (أهل الحل والعقد)، فضلاً عن أن تمتد إلى كل الأمة أو (الرعية)، وبالتالي كانت في معظم الأزمنة والأمكنة غير مُلزِمة للحاكم وأولي الأمر، فتكيّف بعض الفقهاء والعلماء مع هذا الواقع وذهبوا إلى القول بأنَ الشورى إنما هي للاستنارة والتوضيح فهي للإعلام وليس للإلزام، وأنَ الحاكم ليس مُجبراً للتقيد بالمشورة التي تُعرض عليه أو برأي الأغلبية. وابتكروا نظرية أنَ الشورى مُعلِمة وغير مُلزِمة، بخلاف النص القرآني القطعي الدلالة

"وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ"، وهو خطاب موّجه للرسول ﷺ بصفته إمام المسلمين، ولكل من ولي من أمر المسلمين شيئاً، وينسجم مع صفات المؤمنين في سورة الشورى "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ"، ومع السنة النبوية القولية والعملية عندما كان الرسول ﷺ يقول في كل موقف اجتهادي "أشيروا عليّ أيها الناس". فكانت نظرية الشورى المُعلِنة وكذلك نظرية إمارة المتغلَّب من أهم ركائز فقه الاستبداد السياسي.

توظيف الدين وتطويع النص بما يوافق الواقع السياسي، لتبريره وإضفاء الشرعية عليه، يُخالف الأصل في العلاقة بين النص والواقع، ويجعل الواقع حاكماً على النص بدلاً من أن يكون النص هو الحاكم على الواقع، هذه المنهجية التبريرية أنتجت تراثاً فقهياً في السياسة الشرعية حلَّ مكان النص؛ فأصبح يُساويه في القداسة، في عصور التخلّف التي لا زلنا نعيش آثارها من تقدم التراث على النص، مما سمح لفقه الاستبداد السياسي بالتقدم والتمدد في الواقع، على حساب فقه الحرية الذي تراجع وانكمش في الكتب، تحت تأثير الإرهاب الفكري وفكر الإرهاب الذي يمارسه التراثيون والصحراويون، فتم تفكيك المصطلحات الشرعية والمفاهيم الدينية، وإعادة تركيبها لتنسجم مع فقه الاستبداد، وفكر الاستعباد...

فكان من ثمراته المُرّة اختراع شرعية إمارة الحاكم المُتغلّب رغم مخالفتها لمبدأي الشورى والاختيار في تولية الحاكم، وتحويل الشورى المُلزمة بنص القرآن الكريم إلى شورى اختيارية بتأويل الفقهاء، واُختُزِلت إرادة الأمة (الرعية) في إرادة أهل الحل والعقد (النُخبة)، وتم تحريف مفهوم الطاعة لـ (أولي الأمر منكم) لتتساوى مع طاعة (أولي الأمر عليكم)، وتم الخلط بين الخروج المُسلّح على الحاكم الشرعي والمعارضة السياسية للحاكم الشرعي وغير الشرعي، وتم التوّسع في مصطلح (التعزير) ليشمل القتل تعزيراً لإطلاق يد الحكام في قتل معارضيهم السياسيين بغطاء شرعي، وتم تشويه مفهوم البيعة العامة لتصبح مدخلاً لشرعنة ولاية العهد للأبناء والأحفاد... وفي غفلة من فكر الحرية أبدع فكر الاستعباد نظرية (المستبد العادل) للتنظير للعبودية الطوعية للمستبد الجائر ثم المستبد الفاجر.

فقه الاستبداد وفكر الاستعباد لن ينتهي إلاّ بفقه الحرية والتجديد وفكر التحرر والتنوير وهذا يحتاج إلى مواجهة الإرهاب الفكري وتهيئة مناخ ثقافي وبيئة علمية مستندة على البحث والاجتهاد والتجديد، وعلى هذا الطريق الأمة بحاجة دوما إلى من يُشعل نور الإيمان والوعي والثورة مع إشراقة نور كل صباح جديد.

في البدء كانت الفكرة

• كُتب بتاريخ:
2020-7-30م

يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي في كتابه (ميلاد مجتمع) مؤكداً على قيمة الفكرة للحضارة "لا يُقاس غنى المجتمع بكمية ما يملك من أشياء، بل بمقدار ما يملك من أفكار، ولقد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة، كأن يحدث فيضان أو تقع حرب، فتمحو فيه (عالم الأشياء) محواً كاملاً، أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة عليه، فإذا حدث في الوقت ذاته أن فقد المجتمع السيطرة على (عالم الأفكار) كان الخرابُ ماحقاً، أمّا إذا استطاع أن ينقذ أفكاره، فإنّه يكون فقد أنقذ كل شيء، إذ إنّه يستطيع أن يُعيد بناء (عالم الأشياء)". وقد أشار مالك بن نبي إلى ألمانيا كمثال عندما مرّت بتلك الظروف ذاتها أثناء الحرب العالمية الثانية، فدمّرت الحرب فيها (عالم الأشياء) تدميراً شبه كامل، ولكنها سرعان ما أعادت بناء كل شيء، بفضل رصيدها من (عالم الأفكار)، الذي مكّنها من امتلاك الفكرة الحضارية، فحافظت بها على وجودها وديمومتها وتقدمها كأمة وحضارة.

عالم الأفكار الذي كتب عنه مالك بن نبي هو الذي يُميز بين الأمم السائرة في قافلة الحضارة والمُتخلّفة عنها، فالأُمم المُتقدمة تمتلك الفكرة الحضارية التي تُحوّل ثرواتها البشرية والطبيعية إلى مشروع حضاري، بخلاف الأمم المُتخلّفة التي لا تمتلك الفكرة الحضارية التي تعجز عن تحويل ثرواتها البشرية والطبيعية إلى مشروع حضاري. فأي حضارة بشرية بدايتها فكرة مُوحىَ بها في قلب نبي، أو فكرة مُلهَمة في عقل عبقري، فيوقن بها ثُلة من الثوار الأحرار، ويسعوْن بها مُبشّرين الناس، حتى إذا ما آمنوا بها تحوّلت الفكرة إلى روحٍ تسري في جسد الأمة، فيصبح لها مشروعٌ تحمله يُفجّر طاقاتها، وهدفُ تسعى إليه يشحذ هممها، وطريقٌ تسير فيه يُحدد بوصلتها، ومنهاجٌ

يضيء دربها ويُنير وعيها. وتصّهر الأمة في بوتقة واحدة تُذيب ما عندهم من أنانية وفردية وانتهازية، وتستبدلها بقيم الإيثار والتضحية والوطنية، ويدرك كل شخص فيها واجبة فيؤديه دون تقصير، ويعرف حقه فيأخذه دون تجاوز.

الفكرة هي أصل وبداية كل نهضة حضارية، وبغيابها لا تقوم الحضارة الإنسانية، والتاريخ مليء بشواهد تؤكد ذلك، فقد كان المغول قوة بشرية وعسكرية كاسحة، سيطرت على معظم آسيا من الصين شرقاً إلى الشام غرباً في فترة وجيزة، جمعوا خلالها كميات هائلة من الغنائم والثروات (الأشياء)، ولكنها لم تمتلك الفكرة الحضارية (الأفكار) أو مشروع النهضة الحضاري، ولذلك لم نسمع أبداً عن (الحضارة المغولية)، بل الذي حدث هو العكس، فقد ذابوا في حضارات الأُمم التي غزوها وهزموها، لا سيما الحضارة الإسلامية، فرغم هزيمتها كدولة وانهيار نظامها السياسي (الخلافة العباسية)، فقد امتلكت كأُمّة الفكرة الحضارية، المُتخذة من جذوة الإسلام القبس الذي يُضيء لها الطريق ويهديها سواء السبيل، فبقيت الفكرة حتى بعد زوال دولة الخلافة وانسحاب جيوشها من أرجاء الأرض، فوصلت الحضارة الإسلامية كدين وثقافة إلى أمم وشعوب لم تطأها أقدام المجاهدين الفاتحين على الإطلاق، هذا القانون ساري المفعول في كل الأزمنة وعلى كل الجماعات والتجمعات البشرية.

حركات التحرير الوطنية هي إحدى هذه الجماعات أو التجمعات البشرية التي يسري عليها مفعول قانون عالمي الأشياء والأفكار لمالك بن نبي، وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كنموذج امتلكت (عالم الأفكار) قبل أن تمتلك (عالم الأشياء)، ففي البدء كانت الفكرة الأصل والأساس في نشأة الحركة ومشروع الجهاد، ويؤكد هذه الحقيقة مؤسس الحركة وأمينها العام الأول الشهيد المفكر فتحي الشقاقي بقوله : "مع نهاية السبعينيات كان الحوار الفكري يتحوّل إلى مناخ سياسي تنبثق عنه نواة تنظيمية اندفعت لاحقاً باتجاه فلسطين المُحتلة لأجل بناء الحركة الإسلامية الثورية المُحاطة بالجماهير الواعية المُتحمسة لخلاص الذات والوطن تحت راية الإسلام" ووضح الشهيد الشقاقي ما أبدعه الحوار الفكري من حل الإشكالية بوجود حركة إسلامية لا تتبنى الجهاد في فلسطين ولا تعتبر فلسطين قضيتها المركزية، ووجود حركة

وطنية تستبعد الإسلام من فكرها السياسي ونظريتها الثورية ومحتواها الأيديولوجي، فجاء الحل في فكرة الجهاد الإسلامي التي جمعت بين الإسلام كمنطلق ومرجعية وفلسطين كهدف وقضية، والجهاد كوسيلة وتربية.

فكرة الجهاد الإسلامي لم تكن مُجرّد استعجال في الذهاب نحو الجهاد المسلح لتحرير فلسطين تحت راية الإسلام، كما لم تكن مُجرّد حماسة شباب يتوقون للجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فهي قبل ذلك رؤية فكرية انبثق عنها مشروع نهضوي لتحرير الإنسان والأرض، الجهاد والمقاومة وسيلته وجوهره، وهذا ما يؤكده صاحب الفكرة والرؤية والمشروع، ومتخذ قرار البدء بالثورة والجهاد، الشهيد المُفكر فتحي الشقاقي قائلاً: " لا شك أنَّ طرح مسألة مقاومة المُحتل دون إرجاء (الجهاد الآن) كان فارقاً أساسياً بين حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وبين الإخوان المسلمين، ولكن هذه المسألة انبثقت من فهم متميز لدينا حول علاقة الإسلام وفلسطين... هذا الفهم والرؤية انبثق أيضاً من فهم متميز للقرآن الكريم، والإسلام نفسه، ولحركة التاريخ والواقع، أي أنّ نقطة الانطلاق الحقيقية هي التمايز في الرؤية والمنهج أصلاً.

وحركة الجهاد الإسلامي ليست مُجرد مجموعات عسكرية مُقاتلة، وإن كان القتال جوهرها ومبرر وجودها، فقد نهضت الحركة لقتال العدو وما دون ذلك مجرد هوامش كما قال مؤسس الحركة ومُبدع الفكرة، ولكنه أكد على أولوية الفكرة على الطلقة، وأفضلية الرؤية على التنظيم، فقال: "حركة الجهاد الإسلامي ليست مجرد مجموعات عسكرية مُقاتلة كما تصوّر أو سألنا كثيرون، ولكنها إضافة إلى ذلك، وربما قبل ذلك رؤية مُتجددة في العمل الإسلامي، ورؤية منهجية تحدد بوضوح ووعي فهمها للإسلام وللتاريخ الإسلامي ولحركة التاريخ... وهي إسهام فكري مُتجدد على الساحة الإسلامية عامة والساحة الفلسطينية خاصة". هذا الإسهام الفكري عززه الشقاقي بإعادة استلهام تجارب القسام والبنا والخميني لصياغة النظرية الثورية الإسلامية، وإعادة قراءة فكر مالك بن نبي وسيد قطب وعلي شريعتي لاستنباط شرطي النهضة الذاتي والموضوعي، والنظرة النقدية للحركة الإسلامية فانتقد بعض أجنحتها المُنغلقة على ذاتها، والمُعادية للآخرين، والعاجزة عن فهم نفسها وغيرها

وعصرها، وكان في صُلب اجتهاده الفكري شعار الحركة المركزي: القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية والأمة الإسلامية.

هذه الرؤية المُتجددة المنهجية أكدها الشهيد الشقاقي في اسهاماته واجتهاداته الفكرية التي تناولت قضايا فكرية وسياسية عديدة منها: الإنسان كموضوع وأداة ومحور التغيير، والمرأة كمشاركة في النضال الاجتماعي والكفاح الوطني بعيداً عن التطرفين الديني والعلماني، والتراث كمنطلق للتجاوز والتجديد بعيداً عن الرفض والتقديس، والتاريخ وضرورة فهمه لامتلاك الحاضر والمستقبل، والثورة كمحصلة لمعادلة الإيمان والوعي، والحرية المرتبطة بتفكيك منظومتي التطرف الديني والاستبداد السياسي، والتجديد الذي يسبقه فتح باب الاجتهاد الديني والإبداع الفكري، والوحدة من خلال التعدد إسلامياً ووطنياً، والتربية من خلال المواجهة في علاقة جدلية بين الجهاد والهداية، والسلفية بمفهوم العودة إلى النبع الصافي لنشرب من القرآن والسنة وليس بمفهومها المُتخلّف عندما نشرب من النبع المُلوّث الذي نفث فيه قرن الشيطان، والمنهجية في التفكير والعمل كنتاج لفهم الإسلام والتاريخ والواقع، والثقافة التي تُحرّض على المقاومة وتمنع الانكسار، والفكر الديني باعتباره فهماً بشرياً للدين وليس الدين نفسه، وفقه الأولويات كي لا نُقدم صراعاتنا الداخلية الثانوية على صراعنا المركزي مع الكيان الصهيوني، وهوية الصراع في بُعديه الوطني كمشروع تحرر وطني والديني كمشروع إسلامي مُعاصر وتكامل الانتماء للوطن كجماعة وطنية وللدين كأمة إسلامية.

واستمراراً على نفس النهج، وتأكيداً على أهمية الفكرة للحركة كتب خليفة الشهيد الشقاقي الأمين العام الثاني للحركة الراحل المجاهد رمضان شلّح الوثيقة الفكرية للحركة بعنوان (الأُسس والمفاهيم الإسلامية)، لتكون دستور الحركة الفكري، جاء في مقدمتها: "انطلقت الحركة في رؤيتها منذ نشأتها من الفكرة الإسلامية، وخصوصية علاقة فلسطين بالإسلام، فكانت سبّاقة في طرح رؤيتها حول الصراع على فلسطين، بأبعاده العقدية والتاريخية والواقعية". وكي لا تقع الحركة في وهم امتلاك الحقيقة المُطلقة كمدخل للتكفير والعنف، فقد كتب يقول : "لا تزعم الحركة أنَّ هذه

الوثيقة تُعبّر عن الحقيقة النهائية أو خاتمة فهمها للإسلام، بل هي اجتهاد متواضع في زمن الصراع على الإسلام". ورفض زعم أي تيار إسلامي بأنه المُمثل الوحيد للإسلام أو (أهل السنة والجماعة)، وأن تدعي أي حركة إسلامية أنها جماعة المسلمين، بل هي جماعة من المسلمين فيها الصواب والخطأ، ودحض عقيدة الفرقة الناجية وشعب الله المختار باعتبار ذلك مدخل للاستعلاء والعنصرية والتكفير.

إذنْ في البدء كانت الفكرة نواة لأي مشروع للنهضة، وبذرة لأي مشروع وطني للتحرير، ونبته لأي مشروع ثوري للمقاومة... في تاريخ نهضات الأُمم وثورات التحرير وحركات المقاومة، وأي فصل للفكرة عن حركات النهضة والتحرير والمقاومة سيكون بمثابة فصل الروح عن الجسد، فتُصبح تلك الحركات مُجرد جثث وهامدة بلا روح تُحييها، وأجهزة ساكنة بلا وقود يُحرّكها. وتكون أشبه بالسفينة الفاقدة لدفتها، السائرة في ظُلمات بحرٍ لُجيٍّ يغشاها الموج من كل اتجاه، فتسير بغير هُدى، وتُسافر بدون هدف، وتُبحر بدون بوصلة... وعندئذٍ سيؤدي فصل الطلقة عن الفكرة، وفصم البندقية عن الرؤية، وعزل الجهاد عن المنهج... إلى انحراف الطلقة، وزيغ البندقية، وتبديد الجهاد... ولتجنّب ذلك لا مناص من جعل الفكرة حاضرة في كل المراحل، ليصبح شعارنا (في كل المراحل كانت ولا زالت الفكرة).

انفجار بيروت.. الكارثة والفتنة

• كُتب بتاريخ:
2020-8-6م

ما إن وقع انفجار بيروت الرهيب، وفيما كانت النيران تلتهم الحجر والبشر، وبينما كان الناس يعيشون هول الصدمة الأولى، ويغرقون في فزع لحظة الكارثة، لم تتردد وسائل الإعلام الخليجية من محاولة استغلال ما حدث للاستثمار السياسي في الهجوم على حزب الله، من خلال تحميله المسئولية عن كارثة بيروت وإثارة الفتنة ضد المقاومة، بطرقٍ مُضللة ووسائل خبيثة، عبر نشر موجات من الأخبار المزيفة زعمت أنها نقلاً عن مصادر لبنانية أو إسرائيلية أو أمريكية، تركّزت حول ربط الانفجار بحزب الله، سواء بالزعم بأنَّ المواد المتفجرة تابعة للحزب، أو أنها ضُربت بصاروخ إسرائيلي استهدف حاوية للحزب كما يدعي الإعلام الخليجي، أو ربط الانفجار بعمليات (الجريمة المنظمة) داخل الميناء الذي يسيطر عليه الحزب كما يدعي الإعلام الخليجي... وهذا يُذكّرنا باستغلال هذه الوسائل الإعلامية والمواقع الإلكترونية لبعض الأحداث الأمنية في قطاع غزة لشن هجوم شرس على المقاومة الفلسطينية، وهي الحملة المستمرة والمتصاعدة منذ ثلاث سنوات بعدما تولّى محمد بن سلمان دفة الحكم الفعلي في السعودية، مما يقتضي البحث في أسباب عداء هذه الأنظمة للمقاومة في كل من لبنان وفلسطين.

الهجوم الخليجي على المقاومة لا يأتي في إطار النقد المشروع للمقاومة كممارسة بشرية مُعرّضة للصواب والخطأ، فالمقاومة ليست صك غفران تُعفي أصحابها من النقد والتقييم، ولا تُضفي على أهلها عصمة تمنع محاسبتهم وتصحيح مسارهم، ولا تعطيهم الحق في انتهاك حرية الناس وحقوقهم. ولكنه يأتي في إطار تقويض أساس مبدأ المقاومة، وهدم جوهر فكرتها في رفض الاستسلام والإصرار على انتزاع الحقوق. وهذا ما يُفسّر سرعة استغلال كارثة انفجار بيروت، للهجوم الإعلامي على حزب

الله قبل أن تتضح الحقائق، وهو نابع من طبيعة هذه الأنظمة وجوهر بُنيتها العائلية المُتخلّفة المُرتبطة وظيفياً بالمشروع الغربي الاستعماري المُعادي للأمة ومصالحها، والمُرتبطة بالوجه الآخر للمشروع الغربي في المنطقة وهو الكيان الصهيوني، من حيث أنَّ كليهما إفراز للمشروع الغربي الاستعماري، فعداؤها للمقاومة والتحريض عليها منسجم مع طبيعتها وبنيتها المُعتمدة على الغرب ممثلاً في بريطانيا سابقاً وأمريكا حالياً في وجودها وضمان بقائها في الحكم، ولذلك فهي تتبنى الرواية الإسرائيلية التي تشيطن المقاومة كمدخل لإرضاء السيد الأمريكي ومن قبله أو بعده الكيان الصهيوني، متوّهمة أنَّ ذلك فيه ضمان وجودها واستمرار مصالحها، وليس الاعتماد على شعوبها في تثبيت شرعيتها واستمداد قوتها.

الهجوم على المقاومة وشيطنتها وتحميلها مسئولية مآسي الشعبين اللبناني والفلسطيني عبر الأبواق الإعلامية بمختلف الطرق والوسائل التابعة لبعض الأنظمة الخليجية، له سبب آخر إضافة إلى طبيعة تلك الأنظمة، وهو إعطاء الأُسر الحاكمة ونخبها التسلطية مُبرراً سياسياً وأخلاقياً أمام أنفسهم وشعوبهم لمعاداة المقاومة والتطبيع ثم التحالف مع العدو، ويُمهّد الطريق أمامهم للانتقال من صف الأمة العربية والإسلامية، إلى الصف المُعادي لها مع التحالف الصهيوأمريكي، فصورة المقاومة بنهجها وقيادتها ومجاهديها (الشريرة)، بالرواية الخليجية والتي (تعمل لأجندات خارجية) ونفي الصفة الوطنية والقومية والإسلامية عنها، تخدم الأنظمة في مصداقية عدائها للمقاومة، وفي رغبتها في التأثير على جمهورها، وتشكيل الرأي العام وفقاً لما يخدم أهدافها، وتخلّص النخبة الحاكمة من الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير في التخلّي عن مناصرة القضية الفلسطينية والحق اللبناني، والذهاب نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني، وهذا ما اشتركت به الدراما الخليجية مؤخراً عندما أنتجت مُسلسلات تتضمن إعادة تعريف العدو باتجاه الفلسطينيين، وتحويل التطبيع إلى قضية عادية مشروعة للدول العربية.

الهجوم على المقاومة من بعض أنظمة الخليج يأتي في إطار الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران، فعدم دعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية من قبل الدول العربية

ترك المجال لإيران لتكون الدولة الوحيدة تقريباً الداعمة للمقاومة بالموقف السياسي والدعم المالي وبالسلاح والخبرة، وهو ما ينسجم مع مبادئ إيران الثورة والدولة، التي استطاعت عن طريق هذا الدعم تكوين محور المقاومة ضد الهيمنة الصهيوأمريكية في المشرق العربي، مقابل ما يُسمى بمحور الاعتدال العربي الذي تقوده السعودية والذي في طبيعته جزء من النفوذ الأمريكي في المنطقة، ويتقاطع مع الهيمنة الأمريكية على المنطقة، وهو المحور الذي وظّف البُعد المذهبي بين السنة والشيعة في الصراع الإقليمي بين إيران والسعودية، فوسم المقاومة بالبُعد المذهبي والطائفي بغرض تشويهها أمام العرب والمسلمين، لتحريض السُنّة على المقاومة (الشيعية) من الزاوية المذهبية، وتحريض العرب على المقاومة (الفارسية) من الزاوية القومية. واستخدم نفس الرواية الإسرائيلية التي تزعم أن سبب معاناة اللبنانيين والفلسطينيين هي المقاومة وصراعها مع الكيان الصهيوني، وليس الكيان الصهيوني وعدوانه المستمر عليهما.

انفجار بيروت كارثة رهيبة ناتجة عن عمل إجرامي سواء أكان بسبب الإهمال الحكومي، أو الهجوم العدواني، وفي كل الأحوال ترك هذه الكمية الضخمة من المتفجرات الخطرة في مرفأ بيروت وسط السكان جريمة لا تُغتفر، تتطلب مُحاسبة المسئولين مهما كانت أوزانهم السياسية، ومناصبهم الإدارية، وطوائفهم المذهبية. وإذا كانت الكارثة الرهيبة قد وقعت بالفعل، ولم يبق أمام اللبنانيين سوى دفن ضحاياهم، وتضميد جرحاهم، وتسكين آلامهم، وتجاوز محنتهم، وإعادة بناء خراب الانفجار... فإنَّ الفتنة الأكثر خطورة من الكارثة لم تقع بعد، وبالإمكان تجاوزها، الفتنة المُرادة لهم إسرائيلياً وأمريكياً وخليجياً التي تبدأ بتحميل المقاومة مسئولية الكارثة تمهيداً لتجديد اسطوانة المُطالبة بنزع سلاح المقاومة، ولن تنتهي إلاّ بتدمير لبنان كله وليس مرفأ بيروت فقط، وبذلك يتحقق الهدف الأكبر للكيان الصهيوني الذي لن يمنع تحققه إلاّ وعي اللبنانيين بقدرتهم على استعادة ثقتهم بأنفسهم ومقاومتهم وقدرتهم على تجاوز الكارثة وتخطي المحنة بعيداً عن أصوات الفتنة التي تخدعهم بوهم الخلاص بعد تخلّصهم من المقاومة، ووهم الازدهار عبر بوابة الاستسلام، وكذبة الحصول على الدعم الأمريكي والأوروبي والخليجي عبر البوابة الإسرائيلية. وتحويل المحنة إلى منحة بتوحدهم وانتصارهم على كل المؤامرات التي تستهدف لبنان الشعب والمقاومة.

من قصر الصنوبر..
الاستعمار يُبعث من جديد

• **كُتب بتاريخ:**
2020-8-13م

وقف الجنرال هنري غورو- المندوب السامي الفرنسي - على شرفة قصر الصنوبر ببيروت، في الأول من سبتمبر عام 1920 م، لُيعلن قيام (دولة لبنان الكبير). وبعد قرن من الزمان في السادس من أغسطس الحالي لعام 2020 م وقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في نفس المكان على باب قصر الصنوبر بعد يومين من انفجار بيروت ليُعلن أنَّ (دولة لبنان الكبير) لم تُعد صالحة للحياة، داعياً إلى إقامة (دولة لبنان الحديث)، وكأنَّ الاستعمار يُبعث من جديد، ولكن هذه المرة بطلب بعض اللبنانيين الذين هتفوا على باب قصر الصنوبر باللغة الفرنسية أمام ماكرون مُطالبين بعودة الانتداب الفرنسي على لبنان، وبالتزامن مع توقيع عريضة إلكترونية تدعو إلى وضع لبنان تحت الحماية الفرنسية، في مشهد سياسي مقتبس من مسرح اللامعقول، جامعاً بين المأساة والملهاة، ودامجاً الجد بالهزل، ومازجاً التعقُّل بالتهكُّم. ولمحاولة فك رموز شيفرة المشهد اللبناني المُرتبك لا بد من الرجوع إلى أصل الحكاية وبداية النهاية، لندرك منبع نهر الأحزان اللبناني، على أمل تخيّل نهاية سعيدة لرواية حزينة كان لسكان قصر الصنوبر الفرنسيين من الجنرال غورو إلى الرئيس ماكرون على مدار قرن كامل دورٌ في صناعة التراجيديا اللبنانية.

قبل الفتح الإسلامي كان لبنان الحالي يتبع ولاية سوريا الواقعة تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية الرومانية قُرابة السبعمائة سنة، ثم دخلت الشام ومعظم بلاد العرب تحت كنف دولة الخلافة الإسلامية وصولاً إلى الخلافة العثمانية، فتم توزيع أراضي لبنان الحالية على ولايتي دمشق وطرابلس حتى عام 1861م، عندما أُقيمت

(مُتصرفية جبل لبنان) بعد الحرب الأهلية بين المسيحيين الموارنة والدروز، حيث تدخلت فرنسا مدعومة ببعض الدول الأوروبية لدى الدولة العثمانية، وضغطت عليها لإقامة (مُتصرفية جبل لبنان) بإدارة منفصلة تتبع السلطة المركزية في الأستانة، وتعيين حاكم مسيحي غير لبناني بموافقة فرنسا، لتكون المُتصرفية نواة دولة لبنان المُعاصرة، ولتُنصّب فرنسا نفسها حامية لنصارى المشرق العربي عامة ونصارى لبنان خاصة، وليكون الكيان الجديد ركيزة للنفوذ الثقافي والسياسي الفرنسي في لبنان والمشرق العربي كأداة للاستعمار وتمهيداً للاحتلال.

ظلت متصرفية جبل لبنان نواة الدولة اللبنانية المُرتقبة منذ إنشائها عام 1861م، بسيطرة مسيحية واضحة، ورعاية فرنسية متزايدة، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهزيمة وتفكك دولة الخلافة العثمانية، وتوزيع أملاكها في المشرق العربي بين بريطانيا وفرنسا حسب اتفاقية سايكس بيكو، فكانت سوريا ولبنان من نصيب فرنسا، ليدخل الجيش الفرنسي دمشق بعد معركة ميسلون في يوليو عام 1920م، ليتوّجه في نفس العام إلى بيروت، ويتخذ من قصر الصنوبر مقراً له، ثم مقراً للمندوب السامي الفرنسي في لبنان، ويُعلن من على شرفته إقامة (دولة لبنان الكبير) في الأول من سبتمبر عام 1920م، ويحدد عاصمتها (بيروت)، ويرسم علمها (المأخوذ من علم فرنسا)، ويزيد مساحة المتصرفية من 3500 كيلو متراً مربعاً إلى أكثر من عشرة آلاف كيلو متراً مربعاً بعد ضم مدن الساحل والبقاع وغيرها، لتوضع الدولة الجديدة تحت الانتداب الفرنسي، بغطاء دولي من (عُصبة الأمم)، في إطار شرعنة وتجميل الاحتلال دولياً، فكانت الدولة على خُطى المتصرفية ركيزة للاستعمار الفرنسي ونفوذه الثقافي والسياسي، وبنظام سياسي وضعت فرنسا أُسسه الطائفية العنصرية.

لم يتغير النظام السياسي الطائفي بعد استقلال لبنان عام 1943م، فبقيت دولة لبنان بعد الاستقلال بمساحتها وحدودها وعلمها وتفاصيل نظامها السياسي تجسيداً واضحاً لإرادة المستعمر الفرنسي في فصل لبنان عن عمقه ومحيطه العربي السوري- بخلاف إرادة معظم اللبنانيين، ولكن الأمور بدأت تتغير مع بدء الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975م التي غيّرت موازين القوى على الأرض، مما ساهم في الوصول

إلى اتفاق الطائف عام 1990 م، وصياغة عقد لبناني جديد، ساوى بين المسيحيين والمسلمين في توزيع السلطات والمسئوليات، ابتداءً من قمة السلطة مُمثلة في رؤساء الجمهورية والوزراء والنواب، نزولاً إلى أدنى السلطات والمسئوليات، بعد أن كانت السلطة مُركّزة بيد رئيس الجمهورية المسيحي الماروني. ولكن وجود الجيش السوري في لبنان، وبروز قوة حزب الله في إطار مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، أحدث خللاً في هذا التوازن لم يُرضِ قوى محلية وإقليمية ودولية، فكان اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري عام 2005 م فُرصة لإخراج السوريين من لبنان، واعتقد البعض أنَّه فرصة لإضعاف تحالف المقاومة بالمطالبة بنزع سلاح حزب الله؛ لتعديل التوازن الداخلي، وتساوقاً مع المشروع الصهيوأمريكي لضرب المقاومة، دون نجاح ، فجاء انفجار بيروت الكبير الأخير ليُجدد المطالبة بنزع سلاح حزب الله في نفس الإطار.

تجديد المُطالبة بنزع سلاح المقاومة بعد انفجار بيروت، لا يحل مشكلة لبنان الكبيرة، ولا يُنهي مأزقه العميق، بل ينزع من اللبنانيين عامل القوة الوحيد الذي منع ولا زال استباحة لبنان الأرض والشعب إسرائيلياً، بعد أن طرد المقاومة للاحتلال عام 2000 م ثم هزيمة جيشه عام 2006م. ويُجرّد اللبنانيين من القوة التي هزمت قطعان المتوّحشين داخل الحدود اللبنانية، فولّوا الأدبار هاربين لا يلوون على أحد، فحالت المقاومة دون تحويل نساء لبنان إلى سبايا لعصابات داعش وأخواتها. والمُطالبة باستدعاء الاستعمار الفرنسي بعد فقدان الشعب اللبناني الثقة بنظامه السياسي والطبقة الحاكمة والأمل في التغيير، لن يحل مشكلة لبنان أو يخرجه من مأزقه، بل سيكون ضرباً من العبودية الطوعية حسب نظرية (ايتيان دو بوليسيه)، ونوعاً من القابلية للاستعمار على حسب قول (مالك بن نبي)، وقد يكون أحد أشكال الاستحمار كما وضّح ذلك (علي شريعتي)، وهذا ما لا يرضاه الشعب اللبناني على نفسه بالطبع مهما بلغ السخط والغضب من النخبة السياسية الحاكمة والنظام السياسي الطائفي، وأوضاعه الاقتصادية المُنهارة، التي أوصلت لبنان إلى كارثة انفجرت في بيروت، وانفجرت معها براميل الفساد والتقصير والإهمال... المتوارثة من عهود النظام السياسي الطائفي

المُتعاقبة والمصنوعة على عين فرنسا الاستعمارية، منذ إقامتها (متصرفية جبل لبنان)، وحتى إعلان (دولة لبنان الكبير)، وصولاً إلى محاولة ماكرون لإنشاء (دولة لبنان الحديث).

حل مشكلة لبنان والخروج من مأزقه لن يكون باستدعاء الانتداب الفرنسي، ونفخ الروح بجثة الاستعمار الهامدة، ليُبعث من جديد على أنقاض حُطام بيروت، ولن يكون بالمُطالبة بنزع سلاح المقاومة مصدر قوة وعزة وكرامة لبنان الدولة والشعب، هذا إن تم لن يزيد لبنان إلاّ ضعفاً وفقراً وتبعية وتفرّقاً... والحل يبدأ بالتمسك بالاستقلال الوطني في إطار الانتماء لعمقه العربي، وتثبيت عوامل القوة وأهمها الوحدة والمقاومة والنهضة. أمّا زعماء الطوائف الذين جلسوا مع ماكرون في قصر الصنوبر يشكون إليه فساد زمانهم، وما لزمانهم فساد سواهم، ويهجون أمامه طائفية بلدهم، وما لبلدهم طائفية غيرهم... ذلك بأنَّ الفساد والطائفية من صُنع أيديهم بعد أن غرسها الفرنسيون في لبنان، وسقوها من دماء شعبهم بعد أن ارتوى منها الفرنسيون... فشكواهم إلى ماكرون الفرنسي حفيد غورو صانع نكبتهم، كشكوى الفلسطينيين حالهم إلى جونسون البريطاني حفيد بلفور صانع نكبتهم، وحالهم وهم يستمعون إلى نصائح ماكرون كمن يستمع إلى موعظة الثعلب في قصيدة (الثعلب والديك) لأمير الشعراء أحمد شوقي ولكن دون أن يعي خاتمتها

"مُخطئٌ منْ ظنَّ يوماً *** أنَّ للثعلب ديناً".

كي لا يصبح الضجيج ثورة

• كُتب بتاريخ:

2020-8-20م

عندما يُصبح الضجيجُ فناً، تنتشرُ الأغاني الهابطة، بمعانيها التافهة، وموسيقاها الصاخبة. وعندما يُصبح الضجيجُ أدباً، يتمدد الأدب السخيف، بمضامينه الرديئة، وأساليبه الركيكة. وعندما يصبح الضجيج إعلاماً، يتقدم الإعلام المُبتذل، برسالته الخاوية، وطرقه الخادعة. وعندما يصبح الضجيج ديناً، يهيمن دين الذبح، بإرهابه الفكري، وصراخه الصوتي. فلماذا لا يصبح الضجيج ثورة؟!، يُترك التخطيط والعمل، ويؤخذ بالتصفيق والدجل، ويُهجر التصميم والفعل، وتُمارس الثرثرة والجدل. فإذا وصلنا إلى ذلك الحد، فذلكم الضجيج الهادم للثورة، والضجيج المُفسد لها حينما يكون الكلام في غير محله، والعمل في غير مكانه، والجهد في غير زمانه، والعشوائية بدلاً من التخطيط، والتخبّط عوضاً عن خارطة الطريق، والنمطية القاتلة للإبداع، والتكرار المُعيق للابتكار، وردات الفعل دون المبادرة بالفعل.

الضجيج والثورة جاء ذكرهما في كتاب (الضجيج) فصل (المهرجان) للكاتب هنري ديفيد، فقال: "لم يكن في العصور الوسطى خط واضح بين الضجيج والثورة... ففي كثير من الأحيان يبدوان شيئاً واحداً واحداً"، وعن المهرجان كنوع من الضجيج وعلاقته بالثورة أضاف "هاتان الكلمتان- المهرجان والثورة- ترتبطان ببعضهما بعضاً، فقد يكون إنتاج الضجيج بهذه الطريقة مع أشخاص منسجمين في الإيقاع والنشاط مُمتعاً وقوياً... وفرصة للجميع للتنفيس عن ضغطهم قليلاً". هذا الضجيج كنوع من الاستمتاع والتنفيس دون التأثير والتغيير أكده مشهد (المهرجان) من فيلم (الحدود) للأديب محمد الماغوط والفنان دريد لحام، اللذين فرّقا بين المهرجان كضجيج والثورة كتغيير، فعندما عُقد مهرجان خطابي للتضامن مع قضية المواطن عبد الودود العالق على

الحدود، بعد فقدانه لجواز سفره بين دولتين عربيتين، فألقى السياسيون خطباً نارية في المهرجان، أوسعوا الاستعمار فيها شتماً، وأشبعوا الأنظمة لعناً، ورفع فيه الإعلاميون شعارات برّاقة تدعو للوحدة وتستنكر الفُرقة... حتى إذا ما انفض المهرجان، ورُفع الصيوان، وغادر الجمع وولوا الدُبر، حاول عبدالودود عبور الحدود فمُنع، فتبخر ضجيج المهرجان، وبقيت قضية المواطن الغلبان.

حالة الضجيج التي كتب عنها هنري ديفيد في فصل (المهرجان)، وصوّرها محمد الماغوط ودريد لحام في مشهد (المهرجان)، تُصيب الشعوب في مراحل هزيمتها وانكسارها، وأزمنة تراجعها وانحدارها، وتضرب الأمم عندما تتولى عن رسالتها الإنسانية، وتتخلّى عن فكرتها الحضارية. فتلجأ بعقلها الجمعي الباطن، ووجدانها الشعبي العميق، إلى آلية التعويض النفسي اللاشعوري، لتجاوز الهزيمة والانكسار، ولتخطي التراجع والانحدار، بطريقة وهمية أقرب إلى الهروبية، من أجل تغطية ضعف قوتهم وقلة حيلتهم في ميادين النصر والتقدم، ومن أجل ستر عجز قدرتهم وندرة إنجازهم في مجالات الحضارة والمدنية، فتهرع إلى التفاخر بالنصر والتقدم، وتُسرع إلى التباهي بالحضارة والمدنية، بما أوتيت من فصاحة اللسان، وبما وُهبت من بلاغة البيان، فيوهموا أنفسهم أنهم فعلوا ما تفاخروا به بلسانهم كذباً، ويخدعوا ذواتهم أنهم عملوا ما تباهوا به ببيانهم زوراً. ويؤكد ذلك دراسات أظهرت أنَّ أكثر الشعوب ثرثرة عبر منصات التواصل الاجتماعي بما فيها من إشاعات كاذبة وتعليقات مسيئة هم أقلهم عملاً وإنتاجاً وإنجازاً كالعرب، وأنَّ أقلها ثرثرة... أكثرها إنتاجاً كاليابان والألمان.

ربما كان هذا حالنا كعرب فلسطينيين في مرحلة الهزيمة والانكسار، وزمن التراجع والانحدار بخلاف حالنا في مراحل الظفر والانتصار، وأزمنة التقدم والارتقاء- ولنقارن بين نهجنا في إدارة الصراع مع نهج عدونا، وهذه المقارنة لا علاقة لها بموازين القوة المادية والظروف الموضوعية، لأنها تتعلّق بطريقة التفكير والعمل وبالظروف الذاتية. كما أنها لا علاقة لها بحجم التضحيات التي قدمناها، وعدد الثورات التي فجرناها، وكثرة المواجهات التي خضناها، فهي بغير نتائج تساويها، وبدون إنجازات توازيها، مما يؤكد على اتباعنا لنهج الضجيج الذي أوصلنا لمأزقنا الحالي في صراعنا مع الاحتلال،

أو في إدارة خلافاتنا الداخلية. ولنأخذ مثالاً على ذلك من المحطة الأولى للصراع مع الحركة الصهيونية مطلع القرن العشرين، وبالتحديد منذ انعقاد المؤتمر الفلسطيني الأول عام 1919م، وحتى انعقاد المؤتمر الفلسطيني السابع عام 1928، فرغم أهمية تلك المؤتمرات في بلورة الهوية والمطالب الوطنية الفلسطينية، ولكن قراراتها كانت حبراً على ورق، وكلمات دون عمل، فجميعها يبدأ بكلمات الاحتجاج والاستنكار والرفض والدعوة والمطالبة، الخالية من الرصيد العملي، والمجرّدة من الأدوات التنفيذية لترجمتها على الأرض، فينتهي أثرها بمجرد تبخر ضجيج المؤتمر في الهواء، بخلاف نهج الحركة الصهيونية البعيد عن الضجيج.

نهج الحركة الصهيونية اليهودية كان على النقيض من نهج الحركة الوطنية الفلسطينية، في مرحلة بدء المشروع الصهيوني، عندما كان حُلماً في الخيال، ثم أضحى حقيقة في الميدان، فقد كانت الحركة الصهيونية تعقد مؤتمراتها المُتتالية لرسم ملامح مشروعها الاستعماري، ولوضع أُسس كيانها الاستيطاني، ولتخطيط بناء مؤسسات دولتهم القومية. فمنذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام 1897م، وكل المؤتمرات اللاحقة، كان الهدف واضحاً وثابتاً عند الحركة الصهيونية، وهو إقامة وطن قومي لـ (الشعب اليهودي) في فلسطين، وكانت المرجعية والقيادة مُحددة وموّحدة في (المنظمة الصهيونية العالمية) وأدواتها التنفيذية (الوكالة اليهودية)، وضعت الخطط العديدة للحصول على دعم الدول الكبرى المؤثرة لمشروعهم، ولتشجيع وتنفيذ الهجرة اليهودية إلى (أرض الميعاد)، ولإقامة المستوطنات اليهودية، وإنشاء مؤسسات الدولة المدنية والعسكرية... ولم يكد يمر خمسون عاماً على المؤتمر الصهيوني الأول حتى أعلنوا دولتهم المنشودة (إسرائيل)، على (الأرض الموعودة)، وواصلنا نحن العرب تأكيد مفهوم (الظاهرة الصوتية) للمفكر السعودي عبدالله القصيمي، فأوسعنا الصهاينة شتماً ولعناً وفازوا بالدولة، بينما أوسعونا ضرباً وألماً وفزنا بالخيبة.

بعد أكثر من قرن على انطلاق المشروع الصهيوني ، وأكثر من سبعة عقود على إقامة الكيان الصهيوني، لا زلنا نُفضّل الضجيج على الثورة، وبالرغم من كل المحطات التاريخية المُشرقة، كانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة منتصف ستينيات

القرن العشرين، وتجديد دماء الثورة الوطنية بفصائل الجهاد والمقاومة الإسلامية مطلع ومنتصف ثمانينيات القرن العشرين، وانتفاضتي الحجارة والأقصى، ومعارك البطولة والشرف الفدائية والشعبية في حروب غزة وانتفاضات الضفة... فهذا كله وغيره لم يُخفِ حالة الضجيج التي ساعدت طريقة إدارتنا للصراع، وتلك الحالة التي تُعبّر عنها كثرة الثرثرة بدون عمل، وتكرار المهرجانات منزوعة النتائج، وتوالي المؤتمرات الخالية من الإنجازات، واستمرار العشوائية في العمل الوطني بعيداً عن التخطيط، أو خارطة الطريق... ، ألم يكن هذا النهج هو الذي واجهنا به صفقة القرن، ثم خطة الضم؟ وها نحن نواجه به اتفاقية السلام والتطبيع بين الإمارات والكيان، أليس هذا النهج هو الذي مارسناه في إدارة صراعاتنا الداخلية بعد الانقسام وزدنا عليه المناكفة السياسية، والمناطحة الحزبية، وصولاً إلى (المهرجان) المستحيل؟!

خُلاصة الموضوع كي لا يصبح الضجيج ثورة، ومن أجل بقاء الثورة ثورة، من المُفيد أن نسأل أنفسنا: لماذا لم تصل سفينة المشروع الوطني الفلسطيني إلى ساحل التحرير والعودة، وتحط مرساها في ميناء الحرية؟، رغم سرعة جريان مياه نهر الدماء الذي يحملها، وقوة رياح ثورة المستضعفين التي تدفعها... ويبقى السؤال المُلح: لماذا لا نُعيد بناء السفينة سوياً وموّحدين، بتخطيط جديد، وعزم أكيد؟!.

العروبة والإسلام.. تناقض أم توافق!

• كُتب بتاريخ:
24-9-2020م

"إنْ رأيتَ شاعراً من الشعراء، أو عالماً من العلماء، أو نبيلاً في قومه، أو داعياً في أمته قد انقسم الناس في النظر إليه وفي تقدير منزلته انقساماً عظيماً وانفرجت مسافة الخلاف بينهم في شأنه، فافتتن بحبه قوم حتى رفعوه إلى مرتبة الملك، ودان ببغضه آخرون حتى هبطوا به إلى منزلة الشيطان، فاعلم أنه رجل عظيم"...، هذا بعض ما كتبه الأديب مصطفى المنفلوطي تحت عنوان (العظمة) في كتاب (النظرات والعبرات)، ومن أمثلة هذا الانقسام العظيم انقسام الناس حول جمال عبد الناصر، الذي تمر علينا ذكرى وفاته الخمسين في الثامن والعشرين من سبتمبر أيلول الحالي، والذي ارتفع به محبوه إلى الدرجات العُلا من الزعماء والرؤساء، وهبط به مبغضوه إلى الدركات السُفلى من الطغاة والبغاة، ومن أمثلة محبيه المغالين التيار القومي الناصري، ومن أمثلة مبغضيه القالين التيار الديني الإخواني.

هذا الانقسام حول جمال عبد الناصر بين التيارين الناصري والإخواني، أو بصورة أوسع بين التيار العروبي الذي يتبنى رابطة القومية العربية، والتيار الإسلامي الذي يتبنى رابطة الجامعة الإسلامية، انقسام له وجوه عديدة ليس فقط حول شخصية جمال عبد الناصر، ولكن حول قضايا فكرية وسياسية عديدة، لعل أهمها العلاقة بين العروبة والإسلام، إن كانت علاقة تناقض وصدام أم علاقة توافق وانسجام؟، فبالنظر إلى التيار العروبي نجد أنه قد برز لديه اتجاهين: اتجاه يرى أن العلاقة بين العروبة والإسلام علاقة تناقض وصدام، واتجاه آخر يرى أنها علاقة توافق وانسجام.

يرى بعض منظري القومية العربية أنَ العلاقة بين فكرتي الجامعة الإسلامية والقومية العربية علاقة تناقض وصدام، وأنَ تيار الجامعة الإسلامية الذي يريد توحيد

العرب تحت راية الخلافة الإسلامية حركة رجعية مُتخلّفة تُريد أن تُعيد العرب إلى عصر الظلام، انطلاقاً من رؤية سلبية للدين والإسلام، وترى أنَ للعرب حضارة قبل الإسلام، وأنَ رابطة العروبة أقوى من رابطة الإسلام، كما يقول ساطع الحصري المُنّظّر الأول للقومية العربية "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة أمة واحدة، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية". وهذا التيار القومي المتطرف ربط فكرة القومية العربية بمضمون أيديولوجي بعيداً عن الإسلام كالعلمانية اللادينية، كما قال قسطنطين زريق- أحد مفكري القومية العربية - "القومية والعلمنة مرتبطان بعضهما ببعض، بحيث أنَ وجود وقوة أي منهما يعتمد بشكل مباشر على وجود وقوة الآخر". والماركسية اللينينية كما جاء في وثيقة المؤتمر الثاني للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الجناح الفلسطيني لحركة القوميين العرب "إنّ النظرية التي تطرح كل قضايا الإنسان والعصر بشكل علمي وثوري هي الماركسية اللينينية".

التيار العروبي الثاني يرى أنَّ العلاقة بين فكرتي الجامعة الإسلامية والقومية العربية علاقة توافق وانسجام، فلا يمكن الفصل بين العروبة كلغة وهوية، والإسلام كثقافة وحضارة ، فالعلاقة العضوية الجدلية بينهما تتجاوز المفهوم العقائدي للإسلام إلى المفهوم الحضاري الأوسع، باعتبار الإسلام هو المحتوى الحضاري للعروبة، ورسالة العرب للإنسانية، وتراث الحضارة الإسلامية هو تراث العرب جميعاً مسلمين ونصارى، وفي هذا المعنى يقول ميشيل عفلق - مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي- "إنَّ العروبة من غير الإسلام مفهوم سلبي، ومن دونه تبقى القومية العربية قالباً أجوفاً فارغاً، وأنَّ الإسلام هو المضمون الحي الثوري للقومية العربية". وكتب جمال عبدالناصر زعيم التيار القومي الناصري في كتابه (فلسفة الثورة) عن الرابطة الإسلامية " لقد ازداد إيماني بمدى الفاعلية الإيجابية التي يمكن أن يترتب على تقوية الرباط الإسلامي بين جميع المسلمين... لا يمكن أن نتجاهل أن هناك عالماً إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشدها حقائق التاريخ". وكتب عصمت سيف الدولة المفكر القومي في كتابه (أُسس الوحدة العربية) عن علاقة الإسلام بالعروبة: "

لم يكن الإسلام بالنسبة إليها عقيدة فحسب... بل عنصراً من عناصر تكوينها القومي، وكان جزءاً من وجودها ذاته تحققت به وحدة الأرض، ثم أخذت عنه لغتها الواحدة، وصنعت في ظله تاريخها الواحد، فأصبحت بهذا كله أمة عربية واحدة".

كما برز لدى التيار الإسلامي اتجاهان في تقدير العلاقة بين العروبة والإسلام، التيار الأول يرى أن فكرة القومية العربية مؤامرة على الإسلام والمسلمين لإضعافهم، وفكرة استعمارية لتحطيم وحدة البلدان الإسلامية، ونتاج الغزو الفكري الغربي الذي وصل إلينا عن طريق المبشرين والمستشرقين والمتغربين والمستشرقين والأقليات اليهودية والنصرانية لهدم الإسلام، وتقويض الوحدة الإسلامية، ونزعة جاهلية قد تصل لدرجة الكفر. فقد جاء في مجلة حزب التحرير (الوعي) "إنّ الهدف الأساسي في خلق الحركات القومية كان تفتيت الوحدة الإسلامية، وإسقاط الوجود السياسي للإسلام، فقد أُسست هذه الدعوات في وقت كانت فيه أغلب الشعوب الإسلامية متصلة ومتحدة فمزّقتها باسم القومية". وانتقد التيار السلفي الوهابي ممثلاً في الشيخ عبدالعزيز بن باز الدعوة إلى القومية العربية قائلاً: " من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أنَ الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية، وكيد سافر للإسلام وأهله". ورأى الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين أنَ القومية المقترنة بالجنس والمنفصلة عن الإسلام مرفوضة، وكتب المفكر الإسلامي سيد قطب في (معالم في الطريق) رافضاً الرابطة القومية كأساس لبناء الأمة وبناء الحضارة.

أما التيار الإسلامي الذي يحمل فكرة الجامعة الإسلامية التنويرية بزعامة الشيخين المُصلحين: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده اللذان قدما أطروحة فكرية نفت التناقض بين العروبة والإسلام، وأكدت التمايز القومي التكاملي داخل الرابطة الإسلامية، وأنَ هذا التوافق بينهما يعكس مكانة العروبة في الإسلام الدين والإسلام الحضارة، ومكانة الإسلام باعتباره الرسالة الخالدة التي بوأت للجماعة العربية مركز القيادة لشعوب الشرق منذ الوحي. ولم يُفرّق صاحب كتاب (طبائع الاستبداد) عبدالرحمن الكواكبي بين العروبة والإسلام على أرضية رفض الاستبداد التركي ونفي أحقيتهم بالخلافة الإسلامية، وتأكيد أحقية العرب بها، وضرورة عودة الخلافة إليهم،

وعودة التلاحم بين العروبة والإسلام، لإعادة مجد الإسلام الضائع بالقيادة العربية. ورأى المجاهد الجزائري الكبير عبدالحميد بن باديس في العربية مضمون حضاري غير عرقي، وفي اللغة أبرز جامعات العروبة كأمة، وأن الإسلام هو الرسالة الخالدة التي هيأت للجماعة العربية مركز القيادة لشعوب الشرق. والشيخ المُجدد محمد الغزالي يرى في العروبة وعاءً للإسلام، وأنَ الثقافة الإسلامية قامت على ركنين هما: الدين الإسلامي واللغة العربية فلا يوجد تناقض بين القومية كلغة وثقافة والدين كرسالة ومنهج.

إشكالية العلاقة بين العروبة والإسلام لدى التيارين القومي والديني كانت حاضرة بنفس الدرجة عند المُفكر الإسلامي الفلسطيني فتحي الشقاقي فقد رأى في التناقض بين العروبة والإسلام تناقضاً وهمياً سببه المحتوى الايديولوجي العلماني أو الماركسي للقومية العربية، فليس هناك تلازم ضروري بين القومية العربية وكل من العلمانية والماركسية، فالقومية العربية يجب أن يكون محتواها الفكري إسلامي لينسجم مع الإسلام كدين لمعظم العرب وثقافة لكل العرب. وقدّم رؤية لإعادة قراءة كل تيار لتجربة الآخر على أرضية تعميق التحالف ضد الاستعمار والاستبداد والتجربة والتبعية، والاعتراف بدور الإسلام كقوة مُحرّكة للأمة في صراعها ضد المشروع الاستعماري الغربي نحو التحرر والوحدة والنهضة.

خلاصة الأمر لا يوجد تناقض حقيقي بين العروبة والإسلام، أو بين فكرة القومية العربية، وفكرة الجامعة الإسلامية، كرابطتين موحدتين للأمة العربية في إطار الأمة الإسلامية، والتناقض يبرز بسبب المحتوى الفكري والسياسي لكل من منظري الفكرتين أو التيارين، كأن يكون المحتوى الفكري والسياسي للقومية العربية هو العلمانية اللادينية، أو الاشتراكية المُلحدة، اللتان تريدان فصل الأمة عن أساس وجودها ومصدر قوتها ووقود نهضتها. وكأن يكون المحتوى الفكري والسياسي للتيار الإسلامي نافياً لوجود القومية، ومتجاهلاً لدورها، ومُنكراً لجوانبها الإيجابية في إطار وحدة الأمة الإسلامية. ختاماً أنَ العروبة وعاء يملأهُ الإسلام، وأنَ وجود العرب كأمة وبقائهم ونهضتهم مرتبط بالإسلام كدين وثقافة وحضارة وثورة، إذا أرادوا مكاناً بين الأُمم تحت الشمس.

الوطنية والمواطنة بين فكرين

• كُتب بتاريخ:
1-10-2020م

حينما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مُهاجراً إلى المدينة التفت إليها قائلاً: "ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك". وحينما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رجُلاً من أهل الذمة يتسوّل في الطريق أمسك بيده قائلاً: "والله ما أنصفناك نأخذ منك شاباً ثم نضيعك شيخاً"، فأخذه إلى بيت المال وقال لخازنه: "افرض لهذا وأمثاله من بيت المال ما يُغنيه ويُغني عياله". الحديث النبوي يتضمن جوهر الوطنية وأسمى معانيها المؤكدة لحب الوطن، وتفضيله على غيره من البلاد، والسياسية العُمرية تجاه أهل الذمة تُجسّد صميم المواطنة وأرقى قيمها المُرسخة لمفهومي التوازن بين الواجبات (ضريبة الجزية) والحقوق (الضمان الاجتماعي)، والمساواة بين مواطني الدولة المسلمين وغير المسلمين. هذه المعاني والقيم لم تستمر بهذا الوضوح الموجود في صدر الاسلام، فقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا التسامح واتبعوا التشدد، فرأوا في الغلو تديناً، وفي التطرف ورعاً، وفي التعصب زهداً، فنثروا بذورهم الفكرية الجافة، في أرضٍ صحراوية قاحلة" فأنبتت أشجاراً من أصل التصلّب والجمود، ثمارها بطعم التحجّر والركود، تجرّعها المسلمون كُرهاً، وتبلعوها قهراً، فأصابتهم وعكة عقلية، وعلّة فكرية، فتعطلّت لغة الإبداع والابتكار، وفسدت ملكة الاجتهاد والتجديد، ونال فكرهم السياسي من ذلك نصيب وما الارتباك في تحديد مفهومي الوطنية والمواطنة عن ذلك ببعيد.

الوطنية والمواطنة شكّلا عنواناً لأزمة في الفكر السياسي الإسلامي، وتلك الأزمة متعددة الأسباب والمصادر، منها عدم القدرة على تفكيك المفهومين نظراً لتداخلهما وتمايزهما في نفس الوقت، فبالرغم من أنَّ الوطنية والمواطنة أصلهما اللغوي

واحد من (الوطن)، بمعنى المكان الذي ولد ونشأ وسكن فيه الإنسان فأصبح موطنه بما فيه من جماعة بشرية (الأرض والناس). ولكنهما يختلفان من حيث الاصطلاح، فالوطنية مفهوم ذو مضمون عاطفي يرتبط بمشاعر الحب والإخلاص والانتماء للأرض والجماعة (الوطن)، ويُقاس بالاستعداد للتضحية من أجله. والمواطنة مفهوم ذو مضمون قانوني يرتبط بمفاهيم الجنسية والمسئولية والالتزام بقوانين الدولة، ويُقاس بمدى الالتزام بالواجبات والحقوق القانونية. ومن أسباب ومصادر الأزمة العجز عن التوفيق بين ثنائيات: النص والعقل، التراث والتجديد، التقليد والاجتهاد، النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، ثوابت الدين ومتغيرات العصر. ومن مصادر الأزمة كذلك إشكالية الفكر العربي المُعاصر الذي جعل الوطنية والمواطنة بديلاً عن الإسلام عندما استورد مضمون أيديولوجي مناقض للإسلام كمرجعية للوطنية والمواطنة كالعلمانية اللادينية والاشتراكية المُلحدة، أو جعلها بديلاً عن العروبة عندما ارتد إلى وطنيات ما قبل العروبة كالفرعونية والفينيقية، أو جعلهما بديلاً عن الوطن عندما استدعى ولاءات ما دون الوطنية كالقبلية والطائفية والحزبية، أو جعلهما بديلاً عن الوطنية نفسها عندما ربط مفهوم الوطنية بطاعة أولي الأمر في الأنظمة الحاكمة، أو جعلهما بديلاً عن المواطنة نفسها عندما اشترط الخضوع للنظام السياسي للتمتع بحقوق المواطنة.

مهما كان مصدر الأزمة في الفكر السياسي الإسلامي وأسبابها، فالنتيجة ارتباك في الموقف من الوطنية والمواطنة، ولعلَّ أحد مظاهر ذلك الارتباك بروز اتجاهين فكريين ما بين التقليد والتجديد، فالاتجاه التقليدي لا يرى في الوطنية أي قيمة خارج رابطة العقيدة، ولا يعترف بوجود الوطن خارج الشريعة، ولا يُقر بأي انتماء للجماعة بعيداً عن الأمة الإسلامية. وفي هذا المعنى قال مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا "إنَّ رابطة العقيدة أقوى من كل الروابط، وإننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة، وأنَّ أساس وطن المسلم العقيدة". وقال مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان أبو الأعلى المودودي "لو ثمة عدو لدعوة الإسلام بعد الكفر والشرك فهو شيطان القوم والوطن"، وقال المفكر الإسلامي سيد قطب في المعالم " لا وطن للمسلم إلاّ الذي يُقام فيه شريعة الله... ولا جنسية للمسلم إلاّ عقيدته".

أما مفهوم المواطنة فظل مُقيّداً بمفهوم (أهل الذمة) في صورته المتطرفة المُعتمدة على ممارسات تاريخية في عصور إسلامية متأخرة، أكثر من اعتماده على أحكام النصوص القطعية، والمُعتمدة على تراث فقهي من عصور الانحطاط، أكثر من اعتمادها على مقاصد الدين الكلية. وفي هذا الإطار أبدعت المدرسة السلفية تخلّفاً وتعصباً، فتنافس أقطاب التيار السلفي المصري في إصدار فتاوى التصغير والتحقير ضد نصارى مصر الأقباط، بهدف وحيد هو نزع حقوق المواطنة من المصريين الأقباط، وهدم العلاقات الودية بين المصريين المسلمين والنصارى، بتحريم رد السلام عليهم، وتهنئتهم في أعيادهم، وإظهار المحبة لهم، والتبسم في وجوههم... ولم يكن جهّال داعش عن ذلك ببعيد، فأصدروا القوانين العديدة عندما كانت دولتهم باقية وتتمدد، قبل أن تزول وتتبدد، محورها الوحيد هو إذلال وإهانة غير المسلمين من السوريين والعراقيين، وتحويلهم إلى مواطنين من الدرجة العاشرة بعد أنَّ حوّلوا المسلمين إلى رعايا ليس لهم إلاّ السير مع قطيع الخراف أو الذبح كالخراف.

الاتجاه التجديدي يتفق مع الاتجاه التقليدي في مفهوم الوطنية من زاوية حب الوطن والدفاع عنه كفريضة دينية بنص الحديث النبوي "من قُتل دون أرضه فهو شهيد"، وبنصوص الآيات القرآنية التي تدعو للتصدي للعدوان، ورفض الظلم، ومقاومة الإخراج من الوطن. ولكن يختلف الاتجاهان في مفهوم (الجماعة الوطنية)، كما استنبطه مؤسس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي من نص صحيفة المدينة التي اعتبرت "أن اليهود والمسلمين أمة" سمّاها أمة الوطن على اختلاف الدين. والخلاف موجود في مفهوم (الإخوّة الوطنية) الذي استقرأه الشيخ العالم يوسف القرضاوي من مجموعة الآيات القرآنية التي تصف علاقة الأنبياء بأقوامهم بالإخوّة رغم اختلاف الدين، ومنها قوله تعالى: " إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ"، فالاشتراك في الوطن يفرض الإخوّة الوطنية. والخلاف موجود في مفهوم (الوحدة الوطنية) الذي دعا إليه الإمام المُجدد محمد عبده بقوله: "لا بد لذوي الحياة السياسية من وحدة يرجعون إليها ويجتمعون عليها، وإنَّ خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع النزاع فيه".

ويتفق الاتجاهان – التقليدي والتجديدي– في بعض حقوق المواطنة الأساسية، كحرية العقيدة، والمساواة أمام القضاء، وإدارة الأمور الدينية والأحوال الشخصية... ولكن الخلاف موجود في فلسفة التعامل مع غير المسلمين ما بين اعتبارهم أهل ذمة لهم حقوق وعليهم واجبات مُحددة، أم اعتبارهم مواطنين متساويين في الحقوق والواجبات، وقد استند الاتجاه التجديدي على (صحيفة المدينة) كما فسرها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب– كرّم الله وجهه– بقوله :"إنما أُعطوا الذمة ليكون لهم ما علينا، وعليهم ما علينا"، وهذا يعني أنهم مواطنين متساويين مع وجود بعض التمايز تتطلبه هوية الدولة الإسلامية، وضرورة الحفاظ على مظهرها الإسلامي العام، وهو ما أكده المفكر السعودي حسن الصفّار بتعليقه على صحيفة المدينة بأنها "نصت على الحقوق والواجبات المشتركة لليهود والمسلمين كمواطنين في ظل كيان واحد" ، وأكده الشيخ محمد الغزالي في اعتبار أنهم "أصبحوا من الناحية السياسية والجنسية مسلمين فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات وإن بقوا على عقائدهم وعباداتهم"

الحركة الإسلامية الفلسطينية كانت ولا زالت جزءاً من هذه الأزمة في الفكر السياسي الإسلامي، لا سيما فيما يتعلّق بمفهومي الوطنية والمواطنة، وقد حضر الاتجاهان– التقليدي والتجديدي– في كل من الميثاق والوثيقة لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، ومن أدلة ذلك أن الميثاق عرّف الحركة بهويتها الإسلامية الإخوانية، بينما الوثيقة عرّفتها بهويتها الوطنية الفلسطينية. والميثاق حدد هدف الحركة الديني بإحياء الإسلام، بينما الوثيقة حددت هدفها الوطني بتحرير فلسطين. والميثاق عرّف أرض فلسطين بأنها أرض وقف إسلامي، بينما الوثيقة عرفتها بأرض الشعب الفلسطيني ووطنه، والميثاق اشترط على المنظمة تبنى الإسلام لدخولها، بينما الوثيقة اشترطت إعادة بناء المنظمة على أسس وطنية. والميثاق استخدم مصطلحات إسلامية مثل : الأمة، والحقوق الدينية، واليهودية، والجهاد، وإعلاء كلمة الله، فاستبدلتها الوثيقة بمصطلحات وطنية مثل: الشعب، والحقوق الوطنية، والصهيونية، والمقاومة، وتحرير فلسطين.

تلك الأزمة غير موجودة لدى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي مالت منذ البداية نحو الاتجاه التجديدي فلم ترَ تناقضاً في الجمع بين الهويتين الإسلامية والوطنية، والتوفيق بين الخطابين الوطني والإسلامي، كما عرّفت نفسها كحركة وطنية بمرجعية إسلامية، وربما كان تحديد الإسلام كمرجعية، وفلسطين كهدف، والجهاد كوسيلة عامل التقاء بين الهويتين والخطابين، ولذلك قال مؤسس الحركة المُفكر الشهيد فتحي الشقاقي "أن فلسطين تقع في قلب القرآن، وأن فلسطين آية من الكتاب، وأدركنا بهذا الفهم مركزية القضية الفلسطينية بالنسبة للحركة الإسلامية والأمة الإسلامية". وبهذا الفهم الوطني قال الشقاقي عن مكانة المسيحيين الفلسطينيين ودورهم: " المسيحيون الفلسطينيون شركاء لنا في الأرض والتاريخ والمصير، ولقد عاشوا معنا نفس الحضارة، وعندما نُعطي النضال وجهته الإسلامية فهذا برنامج عمل وليس عقيدة مفروضة على أحد... إننا في حركتنا نقبل مشاركة إخواننا المسيحيين لنا في النضال دون أن يغيروا من معتقداتهم شيئاً".

هذه الرؤية للوطنية والمواطنة المُتقدمة للحركة يؤكد عليها الأمين العام الثاني للحركة الدكتور المجاهد رمضان شلح بقوله " طرحت حركة الجهاد فكرة الجماعة الوطنية، من أجل بناء حركة وطنية على قاعدة الانتماء إلى الوطن، بعيداً عن أي صراع أيديولوجي أو عقائدي، لأن الصراع الوحيد الذي له الأولوية هو الصراع مع الاحتلال". وقد أكده كذلك في الوثيقة الفكرية للحركة "الترابط بين الإسلام والوطنية ترابط وثيق راسخ، فحب الوطن من الإيمان، والدفاع عنه واجب وأعلى فرائض الدين، والمواطنة في الدولة المسلمة تسع المسلمين بإسلامهم وولائهم لجماعة المسلمين، وغير المسلمين بولائهم للدولة، والجميع يشكلون معاً منهجاً إسلامياً الناس فيه سواء، إلاّ ما اقتضاه التميز الديني".

فصل المقال أنَّ الوطنية لا تعني حب الوطن والدفاع عنه فقط؛ بل تتجاوز هذا المعنى إلى تأكيد الانتماء لأرض الوطن الصغير كجزء من الوطن العربي والإسلامي الكبير، وتأكيد الانتماء للجماعة الوطنية (الشعب)، في إطار الانتماء للأمة العربية والإسلامية، وضرورة الاعتزاز بالهوية الوطنية ببعديها العروبي والإسلامي، والتحلّي

بروح الإخوة الوطنية دون التخلي عن روح الإخوة العربية والإسلامية والإنسانية، والسعي لتحقيق الوحدة الوطنية في الوقت الذي نسعى فيه لتحقيق الوحدة العربية والوحدة الإسلامية، والعمل على إنجاز الأهداف الوطنية كمدخل لإنجاز الأهداف القومية والدينية. وأنَّ المواطنة لا تعني المحافظة على حقوق غير المسلمين في الدولة وفق مفهوم (أهل الذمة) المشوّه فقط؛ بل تعني المحافظة على حقوق كل المواطنين في الدولة القائمة على الشراكة الوطنية، والمساواة أمام القانون، والتوازن بين الحقوق والواجبات، والتمتع بالحريات العامة... إلاّ ما اقتضاه التميز الديني.

الانطلاقة الجهادية.. رؤية لمستقبل وطن

• كُتب بتاريخ:
6-10-2020م

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حركة فلسطينية إسلامية مقاتلة تبلورت في مطلع الثمانينيات، بعد أن كانت حواراً فكرياً اشترك فيه مجموعة من الشباب الفلسطيني المتدين المثقف أثناء دراستهم في مصر... ثم وبعد سنوات قليلة أي حوالي العام 1985–1984، انتقلت الحركة إلى مرحلة ثانية وإلى مستوى آخر في نضالها، أي إلى الكفاح المسلح والجهاد المسلح ضد العدو الصهيوني. في العام 1987–1986، وهو العام الذي سبق انطلاقة الانتفاضة، قامت حركة الجهاد الإسلامي بعمليات عسكرية نوعية مهدت للانتفاضة بشكل مباشر، وفي نهاية عام 1987 دخلنا نحن والشعب الفلسطيني والأمة العربية المرحلة الثالثة وهي مرحلة الانتفاضة. ما سبق جاء في مجلة النداء الإيرانية في ديسمبر عام 1991 على لسان مؤسس حركة الجهاد المفكر الشهيد فتحي الشقاقي وثقّه الدكتور رفعت سيد أحمد في كتابه عن حياة الشقاقي بعنوان (رحلة الدم الذي هزم السيف).

حركة الجهاد الإسلامي في عهد أمينها العام الثاني الدكتور المجاهد رمضان شلّح اختارت أن تُحيي ذكرى انطلاقتها الجهادية في السادس من تشرين وهو التاريخ الذي اعتبره الشقاقي انطلاقة الانتفاضة في عام 1987 عندما اُستشهدت مجموعة من مُجاهدي الحركة في حي الشجاعية بغزة تضم الشهداء مصباح الصوري ومحمد الجمل وزهدي قريقع وأحمد حلس وسامي الشيخ خليل، اشتبكوا مع جيش العدو بعد قيامهم بعدد من العمليات الفدائية تلت هروبهم من سجن غزة المركزي، وقد أشعل دمهم فتيل الانتفاضة في السادس من اكتوبر تشرين في قطاع غزة استمرت تتصاعد حتى انفجرت بقوة وامتدت إلى الضفة الغربية في التاسع من ديسمبر على أثر حادث المقطورة الذي

أودى بحياة عدد من العمال الفلسطينيين. فكان اختيار هذا التاريخ تزامناً مع انطلاقة انتفاضة الحجارة تعبيراً عن رؤية الحركة في اعتبار انطلاقتها الحقيقية يوم تحوّل فعلها الثوري الجهادي وعملها العسكري التنظيمي إلى حالة مقاومة شعبية شاملة واعتزازها بمساهمتها من خلال فكرها الثوري وعملياتها الجهادية في إيجاد بيئة ثورية مهدت لانطلاق الانتفاضة الجماهيرية الأولى (انتفاضة الحجارة).

الانطلاقة الجهادية بهذا الفهم ليست مجرد إعلان قيام حركة سياسية فلسطينية جديدة؛ بل إعلان بداية مرحلة جديدة من تاريخ الشعب الفلسطيني ساهمت في صناعته حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، التي قدمت إضافة نوعية للحركة الوطنية الفلسطينية لخّصها مُبدع الفكرة والحركة بقوله: "لقد جاءت حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حلاً للإشكالية القائمة حيث وطنيون بلا إسلام، وإسلاميون بلا فلسطين... الإسلام منطلقها، وفلسطين هدفها، والجهاد وسيلتها"، فأنهى بذلك الفصام النكد بين الحركة الإسلامية والحركة الوطنية، عندما جمع بين الإسلام وفلسطين، وزاوج بين القرآن والبندقية، ودمج بين الإيمان والوعي والثورة، وجعل الوطنية في صُلب العقيدة، واعتبر الإسلام روح العروبة، فأجاب بذلك على السؤال الفلسطيني إسلامياً، والسؤال الإسلامي فلسطينياً، فاكتشف كلمات السر التي أبدعت الحركة: الإسلام وفلسطين والجهاد، فكانت حركة وطنية بمرجعية إسلامية، أو حركة إسلامية قضيتها المركزية وطنية، وقدّم رؤية تجديدية داخل الحركة الإسلامية والفكر الإسلامي في مختلف القضايا المعاصرة.

الإضافة النوعية لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين للحركة الوطنية الفلسطينية لم تقتصر على حل إشكالية الفصام بين الإسلاميين والوطنيين؛ ولكن في رؤيتها المستقبلية لتحرير فلسطين، فقد حملت في رحم انطلاقتها رؤية لمستقبل وطن، رؤية انبثقت من قراءة واعية للتاريخ، وفهم موضوعي للواقع، كمدخل للتأثير في الحاضر، وامتلاك المستقبل. فالتاريخ يبدأ من غار حراء عندما انطلقت الثورة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول الأعظم محمد بن عبدالله ﷺ في صراعها مع الباطل، وامتد عبر التاريخ في محطات عديدة كان آخرها التحالف الصليبي الصهيوني، عندما أفرز المشروع

الاستعماري الغربي المشروع الصهيوني كإفراز لحضارة عنصرية تحمل بذوراً دينية خبيثة مُحملة بأكاذيب الوعد الإلهي وأرض الميعاد والشعب المختار والألفية السعيدة... فانبتت شجرة الكيان الصهيوني الخبيثة مركز المشروع الاستعماري الغربي ورأس حربته ضد الأمة العربية والإسلامية وأهم ركائزه في السيطرة على الأمة.

هذا الفهم لطبيعة الكيان الصهيوني، وعلاقته الأيديولوجية والعضوية بالمشروع الاستعماري الغربي تؤدي بالضرورة إلى نتيجة تُخطّئ الفرضية التي قامت عليها عملية (التسوية السلمية) التي انطلقت من اتفاقية أوسلو وما قبلها القائمة على إمكانية الحصول على جزء من فلسطين والحق الفلسطيني استناداً إلى الضغط الدولي أو العدالة الدولية أو الشرعية الدولية، فالضغط الدولي (الغربي) يُمارس فقط على الخارجين على بيت الطاعة الأمريكي، والعدالة الدولية تُطبق على الضعفاء فقط، والشرعية الدولية هي التي أوجدت (إسرائيل)، وبهذا الفهم لطبيعة الكيان والغرب استشرف الشقاقي حتمية فشل اتفاقية أوسلو، وأنها ستُكرس الاحتلال وتزيد الاستيطان، وستمهد للانقسام والتطبيع، وستعمق معاناة الشعب الفلسطيني، فاحتجنا بقراءتنا الخاطئة ربع قرن لنتأكد من مصداقية تلك الرؤية لمستقبل أوسلو، هذه الرؤية للحركة هي جزء من رؤية أوسع تتعلق برؤية نهاية الصراع في فلسطين وحتمية النصر على الكيان الصهيوني والمشروع الغربي كله.

رؤية نهاية الصراع في فلسطين ترتبط بتدمير العلو والإفساد الإسرائيلي بعد هزيمة (إسرائيل) وزوالها من الوجود كحتمية قُرآنية مستوحاة من وعد الآخرة الذي سيدخل المسلمون بموجبه المسجد الأقصى على يد "عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ"، الذين سيسيئون وجوه بني إسرائيل ويتبرون علوهم وينهون إفسادهم، وهذا يحدث بعد اكتمال دائرة ضعف الكيان وتفككه، مع دائرة قوة الأمة ووحدتها، وحتى يأتي وعد الله، والشعب الفلسطيني ظاهرٌ على الحق، لا يضره المستسلمون والمتخاذلون والمطبعون، لا بُد أن يقوم بدوره في النصر، وهو إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة في فلسطين، ولا بُد من استمرار مشاغلة الكيان واستنزافه ومواصلة المقاومة ضده، لمنع استقراره وزعزعة أمنه وتعميق مأزقه الأمني والوجودي، ولمنع هزيمة الأمة والعمل على استنهاضها،

والمحافظة على روحنا أن لا تنكسر، ونفوسنا أن لا تنهزم، وهويتنا أن لا تندثر، ووجودنا أن لا ينتهي.

انطلاقة الجهاد ليست فقط رؤية لمستقبل وطن؛ بل مستقبل أمة قلبها فلسطين، وارتبط مصيرها علواً وهبوطاً بفلسطين، فتعلو الأمة بقوتها ووحدتها ونهضتها واستقلالها عندما تكون فلسطين حُرة، وتهبط الأمة بضعفها وتفرقها وتأخرها وتبعيتها عندما تكون فلسطين أسيرة، كما هي أسيرة اليوم تحت حراب علو وإفساد الكيان الصهيوني رأس حربة المشروع الغربي الاستعماري، هذا العلو والإفساد سيُدَمر وتزول دولته. استناداً إلى حقائق الإسلام القرآنية والنبوية المؤيَدة بسنن التاريخ ومعطيات الواقع، وهذا اليقين لا ينبغي أن يحوّلنا إلى طوابير منتظرة على أرصفة التاريخ وهوامش الفعل، بل ينبغي أن يستفزنا لمزيدٍ من العمل للأخذ بأسباب النصر وامتلاك مفردات القوة كتكليف إلهي. وأن نقوم بدورنا كشعب فلسطيني وطليعته المقاومة في إنجاز النصر، بمواصلة الثبات على التمسك بالحقوق، والصمود داخل الوطن، والمقاومة ضد الاحتلال، حتى يأتي وعد الآخرة بالنصر ونحن كذلك، كي نسلم علم فلسطين من النهر إلى البحر وراية الثورة الناصعة إلى الجيل الصاعد ليواصل طريق الإيمان والوعي والثورة محتضناً في صدره الإسلام وفلسطين والمقاومة، رافعاً القرآن بيده والبندقية باليد الأخرى حتى يحط رحاله في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾.

بين الذات والآخر.. وجهة نظر إسلامية

• كُتب بتاريخ:

2020-10-8م

الآخر هو الطرف المُقابل للذات، فكل ما عدا الأنا، وكل ما ليس نحن هو آخر، وهو المفهوم الجماعي للآخر في صوره العديدة مثل: الجماعة الوطنية كالشعب الفلسطيني، والجماعة القومية كالأمة العربية، والجماعة الدينية كالأمة الإسلامية، أو في صورة حزب سياسي، أو طائفة مذهبية، أو جماعة عرقية، ورؤية الثقافات للآخر تعتمد على نظريتين: هما رفض الآخر وتقبل الآخر، وهذا يحتاج إلى شيء من التوضيح لنصل إلى رؤية الآخر في الفكر السياسي الفلسطيني لا سيما الإسلامي.

ثقافة رفض الآخر أنكرها القرآن الكريم من خلال استنكار خصائصها التي تبدأ بتضخيم الذات كما فعل فرعون بقوله " أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى"، فلم يرَ غير رأيه وزعم امتلاكه الحقيقة المُطلقة " مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"، وإنكار وجود الآخر " أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ"، واحتقار الآخر بسبب الجنس أو اللون أو العرق كما فعل إبليس عندما رفض أمر الله تعالى بالسجود لآدم مُعللاً ذلك بقوله " أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ"، ومآلات ذلك التخلّص من الآخر المختلف كما حدث مع أصحاب الأخدود عندما تخلّص منهم النظام الحاكم بسبب إيمانهم بالله فقط " وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ". ومن سمات أصحاب هذه الثقافة أنهم يتحدثون دائماً عن المُطلقات فالأمور إما خير مطلق أو شر مُطلق، والناس إما صديقٌ مُطلق أو عدوٌ مطلق، فمن ليس معنا فهو ضدنا. كما أنهم يتحدثون عن المقدسات، فما يصدر عن الذات إيمانٌ ومُقدس، وكل ما يصدر عن الآخر كفرٌ ومدنس. وكذلك يركزون على الذات لدرجة التضخيم، ويتجاهلون الآخر لدرجة التحقير، وخطابهم باتجاه واحد من المتحدث إلى المُتلقي بدون حوار حقيقي بين طرفين متساويين.

ثقافة رفض الآخر موجودة بوضوح عند الديانة اليهودية والأيديولوجية الصهيونية، فاليهودية تُسمي غير اليهود (جويم) بمعنى الغريب والغير، ويتضمن مفهوماً سلبياً ونظرة دونية فيها احتقار لغير اليهود، والتوراة المُزيفة تجعل الذات اليهودية مُقدسة انطلاقاً من فكرة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل فهم شعب الله المختار ودونهم شعوب مُدنّسة مهمتها خدمة الشعب المقدس، والتلمود عزز هذه الفكرة العنصرية الاستعلائية، والأيديولوجية الصهيونية تؤكد على هذه المعتقدات التوراتية والتلمودية. كما تبرز هذه الثقافة بوضوح عند الكنيسة المسيحية والحضارة الغربية، فالمسيحية كديانة ترتكز على المحبة في العلاقات بين المسيحي وغير المسيحي، ومحبة الله ترتبط بمحبة الإنسان الذي هو أخ لأخيه الإنسان، ولكن الكنيسة استدعت صوراً نمطية مزيفة للإسلام لشيطنة المسلمين، الذي احتل الأرض المسيحية، وقدّم ديناً بديلاً عن الدين المسيحي، والثقافتان الدينية والعلمانية الغربية لا تعترفان بالإسلام كحضارة ودين سماوي.

ثقافة رفض الآخر تظهر في الإطار الإسلامي والعربي والفلسطيني من خلال ثقافتي التكفير والتخوين، فالتكفير في الدائرة الإسلامية موجود، فتكفير المسلم عندما يكون بخلاف الضوابط الشرعية، ونتيجة لفهم خاطئ للإسلام، انطلاقاً من رؤية مشوّهة للذات الجماعية الدينية عندما تتوهم أنها جماعة المسلمين، وغيرهم خارج الإسلام وكافر، كما كانت بعض الأنظمة العربية الحاكمة التي تُعلّق يافطات إسلامية تجعل مؤسساتها الدينية تُطلق أحكام التكفير على معارضيها السياسيين، وكما كانت بعض أجنحة الحركة الإسلامية الفلسطينية تصف الوطنيين بأنهم كفار.

والتخوين في الدائرة الوطنية موجود، فالتخوين الوطني عندما يكون بخلاف الضوابط القانونية والوطنية، ونتيجة لفهم خاطئ للوطنية، انطلاقاً من رؤية مشوّهة للذات الجماعية الوطنية، عندما توهم نفسها أنَها الجماعة الوطنية الوحيدة الممثلة للوطن، وغيرهم خارج الدائرة الوطنية وخائن، كما كانت ولا زالت الأنظمة العربية الحاكمة تصف معارضيها السياسيين بأنهم خونة، وكما كانت بعض أجنحة الحركة الوطنية الفلسطينية تصف الإسلاميين بأنَهم خونة.

ثقافة تقبّل الآخر أثبتها القرآن الكريم من خلال توضيح التصور الإسلامي للآخر الذي يصب في اتجاه تقبله والتعايش السلمي معه، من خلال تأكيد أن الناس جميعاً يشتركون في الطبيعة الإنسانية المخلوقة من تراب "فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ"، ونفخة من روح الله "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي"، والناس جميعاً مشتركون في الكرامة الإنسانية "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"، والناس مختلفون بحكم إلهي "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ"، والناس مطالبون بالبحث عن القواسم المشتركة بينهم والالتقاء عليها "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ"، والإسلام يدعونا إلى توسيع دائرة التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، والتعامل بالبر والقسط معهم "أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ"، ودعا إلى التمييز بين غير المسلمين "لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ"، والتعامل بالعدل معهم "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا"، ولم يُفرض الجهاد لإكراه الناس على اعتناق الإسلام " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"، ولكن لرد العدوان، ورفع الظلم، وانقاذ المستضعفين، ومنع الفتنة، وإزالة العوائق أمام الدعوة.

هذا التصور الإسلامي للآخر أنتج حضارة إسلامية تتقبل الآخر وتتعايش مع المختلف، ولذلك حددت العدو الذي يجب محاربته بطريقة مضبوطة من خلال قوله تعالى: " إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ" فالمحدد الأول للعدو ديني (القتال في الدين)، والثاني وطني (احتلال الوطن)، والثالث سياسي (التحالف مع العدو)، وما دون هذه الأصناف الثلاثة ليس عدواً، فقد يكون محايداً أو حتى صديقاً، وبناء على هذا المفهوم استنبط الفكر السياسي – الوطني والإسلامي- رؤيته لليهودي، فقد جاء في الميثاق الوطني الفلسطيني أنّ "اليهود الذين يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لها يُعتبرون فلسطينيين".

والوثيقة السياسية لحماس تؤكد "أنَّ الصراع مع المشروع الصهيوني ليس صراعاً مع اليهود بسبب ديانتهم، وحماس لا تخوض صراعاً ضد اليهود لكونهم يهوداً، إنما تخوض صراعاً ضد الصهاينة المُحتلين المعتدين"، والوثيقة السياسية لحركة الجهاد

الإسلامي في فلسطين تؤكد أنَ "كل يهودي خارج هذا الكيان، وأينما كان وجوده لا يوالي (إسرائيل) ولا يساندها في اغتصابها لأرضنا وحقوقنا، ولا يعادينا، لا نعتبره عدواً لنا"، وقد قال المفكر الشهيد فتحي الشقاقي موضحاً ذلك "نحن لسنا ضد اليهود بأي حال من الأحوال، نحن ضد أن يتحوّل هؤلاء اليهود إلى قوة سياسية استعمارية مغتصبة لحقوقنا وأرضنا".

ثقافة تقبل الآخر في الإطار الوطني الفلسطيني تتمثل في نماذج عديدة، يُمكن اعتبار نموذج الجهاد الإسلامي ممثلاً واضحاً لها، وهذه الرؤية تتضح من خلال ابتعاد الحركة عن خطابي التكفير والتخوين كأبرز مداخل رفض الآخر تمهيداً لإقصائه ثم قتله، ومن خلال رؤية الحركة للآخر المختلف دينياً كالنصارى الفلسطينيين، أنَهم إخوة في الوطن، وشركاء في التاريخ والمصير والحضارة، وقبول مشاركتهم في الحركة والنضال دون تغيير معتقدهم ودينهم (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، وعلى أساس مفهوم المواطنة في الدولة المسلمة التي تتسع للمسلمين وغير المسلمين كمجتمع واحد الناس فيه سواء إلا ما اقتضاه التميز الديني، ومن خلال رؤية الحركة للآخر المختلف فكرياً كالقوميين والعلمانيين والاشتراكيين، فترى إمكانية التعاون والتنسيق معهم وفق مفهوم الجبهة وعلى أرضية تحرير فلسطين ومعاداة الإمبريالية والصهيونية. ومن خلال رؤية الحركة للآخر المختلف سياسياً كالفصائل الفلسطينية، فترى الحركة أن العلاقات الوطنية يجب أن تقوم على أساس الاعتراف بالآخر الوطني، واحترام التباين في الرؤى والأهداف والوسائل، واللقاء على القواسم الوطنية المشتركة، وتعزيز الشراكة الوطنية في صنع القرار الوطني، واعتماد اسلوب الحوار الفكري والسياسي مع الكل الفلسطيني، ورفعت شعاراً واضحاً هو الوحدة من خلال التعدد، ورفض استخدام العنف على قاعدة توجيه كل البنادق ضد الاحتلال.

السعودية وفلسطين: من الجهاد إلى الشيطنة

• كُتب بتاريخ:
2020-10-15م

وثّق الباحث السعودي محمد الأسمري في كتابه (الجيش السعودي في حرب فلسطين)، نقلاً عن (دار الوثائق المصرية)، رسالة من قائد الجيش المصري في فلسطين اللواء أحمد المواوي لقيادته في القاهرة يُشيد ببسالة الجيش السعودي المُشارك في حرب فلسطين إلى جانب الجيش المصري، جاء فيها:" أرى أنه من باب المجاملة للدولة الوحيدة التي اشتركت معنا اشتراكاً بجيشها أن يُكافأ رجالها الذين اشتركوا وامتازوا في الميدان أسوة برجالنا... إنَّ الروح المعنوية السائدة بين هذه القوات روح عالية؛ فكلهم متشوقون للقتال ومؤمنون بالقضية العربية يدفعهم في ذلك شعور ديني". هذا الشعور الديني الذي ذكره المواوي في رسالته هو فريضة الجهاد في سبيل الله للدفاع عن فلسطين والقدس، الأرض المُباركة والمقدسة، أرض الإسراء والمعراج، التي فيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما وثق الأسمري نقلاً عن (مركز المعلومات الفلسطيني) أسماء (155) شهيداً سعودياً من أصل (3200) مُقاتلاً نظامياً ومتطوعاً شاركوا في الحرب. هذا الدافع للجهاد من أجل تحرير فلسطين وحباً لها يحاول النظام الحاكم السعودي عبثاً بعد سبعة عقود من حرب فلسطين، أن يزرع مكانه شيطنة فلسطين: القضية والشعب والمقاومة، وما بين الجهاد لتحرير فلسطين وشيطنة فلسطين مساحة زمنية وتحوّلات جوهرية.

استمرت المملكة العربية السعودية بقيادة آل سعود بدعم القضية الفلسطينية ودول الطوق ضد الكيان الصهيوني- على الأقل في العلن- انسجاماً مع إرادة الشعب العربي المسلم في الجزيرة العربية المُحب لفلسطين والقدس والأقصى، فكما وقفت المملكة مع فلسطين في حرب النكبة عام 1948م في عهد الملك المؤسس عبدالعزيز

بن سعود، وقفت مع مصر أثناء العدوان الثلاثي عام 1956 م في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، فقدمت الدعم المالي، واستضافت الطائرات المصرية المحتمية من القصف في مطاراتها لحمايتها. وبعد النكسة عام 1967م قدّمت المملكة في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز لمصر أموالاً ضخمة لتعويض خسائر الحرب. أما في حرب اكتوبر عام 1973م فأمر الملك فيصل باستخدام سلاح النفط للضغط على الدول الغربية الداعمة للكيان الصهيوني، وأرسل قوات عسكرية لمساندة الجيش السوري على جبهة الجولان. وعندما خرج الرئيس المصري أنور السادات عن الإجماع العربي ضد الكيان، وعقد اتفاقية كامب ديفيد عام 1978 م معه، وأخرج مصر من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي، كانت المملكة بقيادة الملك خالد بن عبد العزيز في طليعة الدول العربية التي قاطعت مصر للضغط على نظامها الحاكم للعودة إلى الإجماع العربي، وتصويب سياساتها اتجاه فلسطين.

لم يمر زمن طويل على خروج مصر من الصراع والإجماع العربي، وبتعبير الشاعر العراقي أحمد مطر فرار الثور من الحظيرة، حتى بدأ العرب يشقون طريقهم خلف الثور الهارب من الحظيرة، فلم يرجع الثور، ولكن ذهبت وراءه الحظيرة، وبما أنَّ (أول الرقص حنجلة)، فجاءت المبادرة السعودية للسلام عام 1981م المعروفة بمبادرة الأمير فهد لتكون أول حنجلة العرب، التي أعطت صاحب البيت ثلثه، ومغتصبه الثلثين. وكان حنجلة صاحب البيت سلسلة من التنازلات انتهت باتفاقية اوسلو عام 1993م، التي جعلت صاحب البيت يرضى بالعيش تحت سلطة مغتصب البيت، وطبّق العرب المثل (إن كان صاحب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص)، فرقص العرب على إيقاع موسيقى سلام الشجعان التي كان يعزفها أبو عمار من سجن المقاطعة برام الله، فحوّلوا المبادرة السعودية للسلام إلى المبادرة العربية للسلام في قمة بيروت عام 2002م، التي سجلوا فيها براءة اختراع نظرية (الأرض مقابل السلام)، ومع عوامل التعرية القومية بفعل رياح التغيير القادمة من الشمال الغربي تآكلت الأرض ولم يبقَ إلاّ السلام، مُضافاً إليه رمال التطبيع التي ألقتها رياح التغيير الشمالية الغربية، فتكوّنت نظرية جديدة هي (الحماية مقابل السلام والتطبيع)، وجاري

العمل على تطوير النظرية لتنسجم مع إرادة سيد البيت الأبيض الجديد وصفقة قرنه، ولتتوّج إنجازات بطلي الحرب على اليمن والسلام على (إسرائيل)- ابن سلمان وابن زايد- فيتطور التطبيع إلى تحالف، فكانت سياسة شيطنة فلسطين: القضية والشعب والمقاومة ممراً إجبارياً للاعتراف بالكيان، والسلام والتطبيع معه، وصولاً إلى التحالف.

شيطنة فلسطين – القضية والشعب والمقاومة – كسياسة منهجية موّجهة من السلطة السعودية العُليا اتخاذها ممراً إجبارياً للسلام والتطبيع مع العدو، وربما التحالف معه، يهدف إزالة حضور فلسطين في عقول وقلوب السعوديين، ومحوها من ذاكرتهم ووجدانهم، ولإزالة الحاجز النفسي المانع لارتكاب جريمة الصلح مع الكيان وإدارة الظهر لفلسطين، ولإيجاد مبرر أخلاقي يسمح بالتخلّص من عبء القضية الفلسطينية الثقيل المُعيق لتنفيذ إرادة سيد البيت الأبيض، ولإماتة الضمير المُسبب للشعور بالذنب بعد الوقوف مع الجلاد الإسرائيلي ضد الضحية الفلسطيني. ولذلك كانت شيطنة فلسطين عبر الإعلام والدراما استحقاقاً مفروضاً يتم بموجبه استبدال الصورة النمطية الايجابية لفلسطين – القضية والشعب ومقاومة – الجامعة بين صورتي الضحية والبطل، وبين مأساة الاحتلال وبسالة المقاومة، وبين معاناة اللجوء وعنفوان الثورة، لتكون الصورة النمطية سلبية تقوّض عدالة القضية، وتشيطن صورة الشعب، وتُجرّم نضال المقاومة، فالقضية مجرد تجارة بأيدي القادة، والشعب باع أرضه وناكر للجميل، والمقاومة تعمل لأجندة خارجية لحساب إيران وتركيا والإخوان المسلمين... وهذا من شأنه خلق حالة من العدائية والكراهية لكل ما هو فلسطيني، فلا عجب بعد ذلك إن تمَ الترويج لشعار (فلسطين ليست قضيتي) في أوساط العرب الخليجيين وخاصة السعوديين، ولا عجب بعد شيطنة الفلسطيني من الذهاب نحو أنسنة الجلاد الإسرائيلي.

أنسنة الإسرائيلي في وسائل الاعلام والدراما السعودية والخليجية هي الوجه الآخر لشيطنة الفلسطيني، ومفهوم الأنسنة كمقابل للشيطنة يعني إضفاء الصفات الأخلاقية الإنسانية على الإسرائيلي بمعزل عن كونه مُحتلاً ومغتصباً للأرض، ومُهجّراً ومُشرّداً للشعب، وبتجاهل لحقيقة دولة (إسرائيل) ككيان قائم على أرض الشعب

الفلسطيني، وكيان عسكري استيطاني إحلالي عنصري إرهابي، قام بالعنف واستمرار وجوده مرتبط بإدامة العنف. إضفاء الصفات الإنسانية على اليهودي الصهيوني الإسرائيلي وكيانه هدفه تغيير الصورة النمطية الشريرة للإسرائيلي المرتبطة بالعدوان، إلى صورة نمطية إيجابية جديدة، ترسم صوراً مختلفة للإسرائيلي الفرد كإنسان عادي، وإنسان طيب، وإنسان متفوّق، وللإسرائيلي الشعب كأمة مظلومة مكافحة من أجل البقاء تستحق الحياة في وطنها (إسرائيل). ولاستكمال أنسنة الإسرائيلي كعدو سابق، لا بد من إعادة تعريف العدو، فعندما تصبح فلسطين ليست قضية السعوديين، تصبح (إسرائيل) ليست عدواً لهم، بل العدو هو الشعب الفلسطيني الناكر للجميل "اللي ما يقدر وقفتك معاه ويسبك ليل نهار"، وبذلك بعد شيطنة الفلسطيني وأنسنة الإسرائيلي تصبح الطريق ممهدة للصعود إلى هاوية التطبيع والتحالف مع الكيان الصهيوني.

انتقال النظام السعودي الحاكم بقيادة ثنائي استبداد آل سعود السياسي وتطرف آل الشيخ الديني من صورة الجهاد لتحرير فلسطين المُشرقة إلى صورة شيطنة فلسطين المُظلمة، كان نتاج مسيرة تحالف شريرة بين السلطتين السياسية والدينية، تولّى كبرها الأمير والشيخ، أنتجت فكراً تكفيرياً دموياً، وزّع (المجاهدين) على شتى بقاع الأرض التي يريدها الأمريكان، فسقط على هذه الطريق المليئة بالشبهات آلاف الشباب السعوديين، ذهبوا قرابين بشرية على مذبح تضليل وإرادة الأمريكان، ابتداءً من أفغانستان وانتهاءً بسوريا مروراً بالشيشان والصومال وغيرهما كثير، في حروب عبثية ومعارك وهمية، لا ناقة للأمة فيها ولا جمل، وبقى عشرات الشهداء السعوديين الذين ارتقوا دفاعاً عن الأقصى والقدس وفلسطين بقعة صغيرة ناصعة البياض في ثوب كبير حالك السواد، ولكن البقعة حتماً ستكبر وتتسع حتى تملأ الثوب كله بياضاً وتُبدد سواده الحالك (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا).

نحو نظام سياسي بوصلته المشروع الوطني

• كُتب بتاريخ:

2020-10-22م

النظام السياسي لأي شعب يعيش في دولته مُستقلاً حُرّاً هو نظام الحكم فيها، الموَزّع بين مؤسسات السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، التي تتقاسم فيما بينها عملية صنع القرار السياسي الوطني. أمّا النظام السياسي لأي شعب يعيش محروماً من دولته مُحتلاً مُهجّراً، فنظامه السياسي هو مجموع مكوّنات مؤسساته الوطنية، التي يتوّزع بينها عملية صُنع القرار السياسي الوطني. والأصل في النظام السياسي في حالتي الاستقلال والاحتلال أنْ تكون بوصلته موّجهة لإنجاز مشروعه الوطني، ففي حالة الاستقلال قد يكون مشروعه إحداث نهضة اقتصادية شاملة، أو تطور اجتماعي جوهري، أو نشر رسالة حضارية ما. أمّا في حالة الاحتلال فلا يوجد مشروع وطني يسبق إنهاء الاحتلال وتحقيق الاستقلال، وهذا المشروع سيكون هو الروح التي تدب الحياة في جسد الشعب، فتُلهب حماسته، وتشحذ همه، وتُفجّر طاقاته، وتوّحد صفوفه، وتُنير طريقه، وتصوّب بوصلته... حتى تصل سفينة الشعب إلى مرساها على شاطئ الحرية، فلماذا لم تصل سفينة الشعب الفلسطيني إلى شاطئ الحرية والعودة والاستقلال؟!، وكيف يمكن تصويب بوصلتها لتصل إليه؟!، وللإجابة على هذين السؤالين من المفيد العودة إلى ذاكرة التاريخ من حيث انطلقت السفينة حتى دخولها إلى نفق اللحظة التاريخية الحالية المُظلمة، لنبحث معاً عن بصيص ضوء يخرجها ويخرجنا من النفق المُظلم.

أثناء الحرب العالمية الأولى وقعت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني العسكري، وبعدها برز خطر المشروع الصهيوني على فلسطين، قاوم الشعب الفلسطيني الخطرين، وبلوّر مشروعه الوطني في هدفين: التخلّص من الاحتلال البريطاني، وإجهاض المشروع

الصهيوني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأفرز الشعب أُطره الوطنية لتحمل مشروعه الوطني، وأهمها: المؤتمر العربي الفلسطيني، واللجنة العربية العليا، والهيئة العربية العليا، بين الحرب العالمية الأولى والنكبة، لتكون هي والأحزاب السياسية، وتشكيلات المقاومة، وقيادات العائلات، وغيرها تُمثل نظامه السياسي في مرحلة مقاومة الخطرين البريطاني والصهيوني، بالمقاومة السلمية والشعبية والمُسلّحة. ولكن النظام السياسي فشل آنذاك في إنجاز مشروع الشعب الفلسطيني الوطني، وكان إعلان قيام دولة (إسرائيل) عام 1948م هو شهادة الوفاة للمشروع الوطني آنذاك، وبداية دخول الشعب الفلسطيني في حالة الضياع والتيه بمعالمها التي حرمته من وجود نظام سياسي وطني جامع له باستثناء بعض الحركات الوطنية المُبعثّرة، وحرمته من بلورة مشروع وطني واضح له باستثناء بعض الأحلام الفردية والجمعية بالتحرير والعودة والاستقلال مغروسة في وجدان الشعب، وحرمته من الفعل الوطني الفعّال باستثناء بعض الفعاليات الرافضة لمشاريع التوطين... حتى إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

أُنشئت منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م، فأصبحت بعد دخول حركات المقاومة فيها ورئاسة حركة فتح لها بعد النكسة، هي الإطار الجامع لكل مكوّنات النظام السياسي الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني، والحاملة للمشروع الوطني الفلسطيني، المُعبر عن طموحات الشعب وأهدافه الوطنية، والمتبنية لنهج المقاومة الشعبية الشاملة واستراتيجية التحرير الوطنية المتكاملة، فكان التطابق كاملاً بين المنظمة كنظام سياسي وطني من جهة وبين طبيعة مرحلة التحرر الوطني، ومشروع التحرير والعودة والاستقلال الوطني، واستراتيجية المقاومة التحريرية من جهة أُخرى... ولكن هذا التطابق لم يستمر طويلاً، فقد حدثت فجوة في منتصف السبعينيات عند تبني برنامج النقاط العشر على أساس مرحلية التحرير ثم مرحلية التسوية، وأخذت الفجوة بالاتساع في الثمانينيات عندما أُعلن الاستقلال على أساس تقاسم فلسطين، بفعل عوامل التعرية الوطنية القومية، الناتجة عن رياح الواقعية الثورية والانتهازية السياسية، حتى تحوّل الاتساع إلى تناقض عندما أُقيمت السلطة الفلسطينية تحت الاحتلال في منتصف التسعينيات، فأصبح المشهد الفلسطيني بنظامه السياسي ومشروعه الوطني

مُعقداً ومرتبكاً، فهو خليط من مؤسسات مرحلة التحرر الوطني، ومؤسسات الدولة، بعض مكوناته داخل النظام السياسي الرسمي وبعضه الآخر خارجه، وزاد الانقسام المشهد تعقيداً وإرباكاً، والسلطة التي قيل أنها ستكون جسراً للمشروع الوطني المُعدّل أصبحت مقبرة ومأزقاً له لأنها ذهبت إلى مرحلة بناء السلطة والدولة قبل إنجاز مرحلة التحرر الوطني، واصطدمت السلطة مع كل النظام السياسي الرسمي بحائط صفقة القرن وخطة الضم وهرولة التطبيع.

المدخل للخروج من مأزق النظام السياسي الحالي لن يكون من نفس الباب الذي دخل منه الفكر السياسي بفرضياته الخاطئة التي أوصلتنا إلى هذا التناقض بين الحركة الوطنية كنظام سياسي، وبين الأهداف الوطنية للشعب كمشروع وطني. وبالتأكيد لن يكون الخروج من المأزق عبر إعادة إنتاج النظام السياسي الذي أوصلنا إلى مأزقي السلطة والانقسام. ولكن المخرج سيكون عبر الوضوح التام في تحديد طبيعة المرحلة، وطبيعة المشروع الوطني، وإستراتيجية التحرير. وفي هذا السياق من المفيد تحديد بعض النقاط المهمة لتكون مُنطلقاً نحو إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني لتكون بوصلته موّجهة إلى المشروع الوطني الفلسطيني، وأولها الإقرار بأنّ فلسطين مُحتلة من البحر إلى النهر، رغم اختلاف تفاصيل الاحتلال ما بين الضفة والقطاع، وما بينهما معاً وبين فلسطين المُحتلة عام النكبة، وأنَّ السيطرة الحقيقية والسيادة الفعلية للاحتلال وكيانه رغم وجود السلطة بقسميها المُحتل والمُحاصر. وبما أنَّ الشعب الفلسطيني يعيش تحت الاحتلال أو التهجير، فطبيعة المرحلة التي يعيشها هي مرحلة الكفاح الوطني من أجل تحرير الأرض وعودة اللاجئين وإنجاز الاستقلال، وبما أنَّ طبيعة المرحلة هي التحرر الوطني فهي التي تُحدد طبيعة المشروع الوطني بهويته الثورية وأهدافه الوطنية وركائزه الأساسية المنبثقة من التحرير والعودة والاستقلال. وكل من مرحلة التحرير ومشروع التحرر تُحددان استراتيجية التحرير بالمقاومة الشاملة وفي مقدمتها الكفاح المسلح، وهكذا فإنَّ بناء النظام السياسي الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني يجب أن تكون بوصلته نحو المشروع الوطني بكل مكوناته وآلياته ووسائله، وأي أولويات بديلة هو انحراف للبوصلة الوطنية.

خُلاصة الأمر طريق الخروج من المأزق الفلسطيني الحالي شاقة وطويلة، ولكنها ستكون موّفقة إذا انطلقنا من المدخل الصحيح، وهو إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية، العمود الفقري للنظام السياسي الفلسطيني في مرحلة التحرر الوطني، وهذا المدخل الذي سيوصلنا إلى المخرج الصحيح من المأزق وصولاً إلى التقدم في المشروع الوطني عندما ترسو سفينة الشعب على شاطئ التحرير والعودة والاستقلال، ومدخل بناء المنظمة ضروري لإعادة شرعيتها الشعبية عندما تكون بيتاً لكل الشعب الفلسطيني وجامعة لجميع مكوّنات حركته الوطنية، ولإعادة شرعيتها الثورية عندما تؤكد التزامها بإستراتيجية التحرير المتكاملة، ونهج المقاومة الشاملة، وفي مقدمتها الكفاح المُسلّح. ولإعادة شرعيتها الوطنية عندما تُعيد الاعتبار للميثاق الوطني الأصلي الحامل لمشروع التحرير والعودة والاستقلال. وإذا تم ذلك فإن كل المؤسسات المنطوية تحت غطاء المنظمة يُمكن أن تؤدي دورها الوطني في إطار متكامل، فالسلطة بعد تغيير دورها الوظيفي تؤدي دوراً وطنياً داعماً لصمود الشعب في وطنه من خلال توفير مقومات الحياة له، والفصائل تقوم بدورها الوطني بالمقاومة التي ترفع كُلفة الاحتلال والاستيطان، والمؤسسات الأهلية تؤدي دورها الوطني من خلال تصويب أداء المنظمة والسلطة والفصائل وتعزيز قيم الحرية وحقوق الإنسان، والمنظمة تحتفظ بالدور الوطني الأهم في مرجعية الحركة الوطنية، وقيادة المشروع الوطني، وتوحيد الشعب الفلسطيني، والحفاظ على الهوية الوطنية.

من الذي ذبح معلم التاريخ الفرنسي؟!

• كُتب بتاريخ:

2020-10-29م

في مثل هذه الأيام من شهر أكتوبر قبل عامين مات المؤرخ الفرنسي روبير فوريسون معزولاً مُهملاً في منزله بمدينة فيشي، فوريسون صُنف فرنسياً من الإنكاريين الذين شككوا في الرواية الصهيونية للمحرقة اليهودية (الهولوكوست)، والإنكاريون وصمة سلبية في فرنسا تتناقض مع الحقيقة، فلم يُنكر هؤلاء المؤرخون المحرقة بالكامل، ولكنهم توصّلوا بعد المراجعة التاريخية والبحث العلمي إلى نتائج تؤكد حجم التضخيم والمبالغة في عدد القتلى اليهود، وإثبات عدم وجود غرف الغاز. وهذا كان كافياً لأن يُقدَّم فوريسون إلى المحاكمة بتهمة إنكار المحرقة، والحكم عليه بالسجن والغرامة، ثم يُفصل من جامعة ليون، ثم تُمنع كتبه من التداول، حتى الاعتداء عليه بالضرب المُبرح، وتبع كل ذلك حملة تشويه مكارثية عزلته عن المجتمع وألزمته بيته منذ عام 1990م، إلى أن مات محُاصراً منبوذاً في أكتوبر عام 2018م، شاهداً على زيف مبادئ العلمانية، وقيم الحرية في فرنسا، عندما يتعلّق الأمر برواية مُخالفة للرواية الصهيونية، لا سيما عندما تنجح الرواية في تحطيم أحد أصنام الفكرة الصهيونية.

مصير روبير فوريسون ناله عشرات المؤرخين والمفكرين الفرنسيين والغربيين، الذين عُلّقوا على صليب الحرية، وذُبحوا بسكين الديمقراطية، فقط لأنهم حطموا أحد الأصنام الصهيونية، فشككوا في الرواية الصهيونية للمحرقة، ومنهم الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، والمؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينج، والمؤرخ الأمريكي آرثر بونز، ومن قبلهم الروائي الفرنسي لويس سيلين، الذي تنبأ بحملات التشويه التي ستنال مُحطمي الأصنام الصهيونية، وخاصة أكذوبة المحرقة، فقال: "إنَّ عالماً من الأحقاد سيُحرّض على العواء في وجه مُحطّم الأصنام"، وكتب فوريسون في كتابه (أكذوبة المحرقة اليهودية)

مُعلّقاً على كلام سيلين :" إنَه منذ أكثر من نصف قرن على تكهن سيلين ارتفع العواء أكثر فأكثر، ولم يتوّقف ولو للحظة واحدة ضد مُحطمي الأصنام، أي المُراجعين الذين أصبحوا يوصفون في فرنسا اليوم بالإنكاريين في حين أنهم لا ينكرون شيئاً سوى الأكذوبة". الأكذوبة الصهيونية أصبحت في فرنسا وأوروبا بقرة مُقدّسة من يقترب منها يُحاكم ويُجرّم ويُشوّه، أما الإساءة إلى خير البشرية وأعظم الرسل محمد ﷺ فحرية رأي وتعبير عند المؤسسة الفرنسية الرسمية وعلى رأسها إيمانويل ماكرون رئيس الجمهورية الفرنسية الخامسة.

الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لا يكاد يترك فرصة يستطيع فيها أن يُسيء إلى الإسلام ويُهين المسلمين دون استغلالها، ومقتل معلم التاريخ الفرنسي صاموئيل باتي ذبحاً على يد طالب فرنسي مُسلم من أصل شيشاني بعد توزيعه رسوماً مُسيئة للنبي محمد ﷺ على طلابه تُعد فرصة ذهبية له، حّرض من خلالها ضد الإسلام مُدافعاً عن الحق في رسم وتوزيع الصور المُسيئة باعتبارها حرية رأي وحق تعبير، قائلاً:" لن نتخلّى عن الرسومات والكاريكاتيرات وإن تقهقر البعض". ماكرون يُبرر موقفه بأنه ينسجم مع قيم الجمهورية الفرنسية العلمانية، ومنها حرية الرأي، وهي قيمة جميلة وراقية، ولكنها تُطبق بانحياز ضد الإسلام والمسلمين، فهذه القيمة تتبخّر إذا كانت الحرية تُخالف الرواية الصهيونية، حتى لو راجعت حدثاً تاريخياً كالمحرقة يقبل الصدق والكذب، وحتى لو ناقشت قضية سياسية كالمقارنة بين الصهيونية والعنصرية تقبل الصواب والخطأ. وقيمة حرية الرأي والتعبير جميلة وراقية بشرط أن لا تتعدى على حقوق الآخرين أو تضر بهم - حسب كل قوانين الأرض- وهذا الشرط غير موجود في الرسوم المُسيئة التي تتعدى على حقوق المسلمين وتضُر بهم معنوياً لمساسها بأهم رموزهم الدينية.

يأتي دفاع ماكرون عن الرسوم المُسيئة بغرور الثورة الفرنسية، وغطرسة الامبراطورية الاستعمارية، واستعلاء الجمهورية العلمانية، تلك العلمانية المُتطرفة المُعادية للدين، والمستهترة بمشاعر المتدينين، خاصة عندما يكون هذا الدين الإسلام، ويكون المتدينون المسلمين، فتُلغى حينئذٍ قيمة الحرية الشخصية، وهي أهم إنجازات العلمانية

الأوروبية، وجوهر الفكر العلماني؛ بل وتتحوّل إلى اعتداء على الحرية الشخصية، فتُمنع مظاهر التدين الإسلامي الفردية تحت مبرر منع الرموز الدينية وتحت هذا المُبرر تنتهك الحريات الفردية فيُصادر حق المرأة المسلمة في لبس الحجاب، وتُجبر في المؤسسات التعليمية والحكومية على القيام بأعمال تُناقض قناعتها وحريتها، بينما فُتح باب الحرية الشخصية أمامها على مصراعيه إذا أرادت أن تتعرّى أو تُقيم علاقات إباحية. والعلمانية المتطرفة في فرنسا تناقض القيم النظرية التي قامت عليها باحترام الاختلاف والتعددية والتنوّع، فلا تقبل الإسلام كدين مختلف وثقافة مُتميزة، وترفض المسلمين كأفراد مُختلفين وجماعة متميزة، داخل المجتمع الفرنسي رغم أنَ غالبيتهم العُظمى تلتزم بالقانون الفرنسي ومبدأ المواطنة بواجباتها وحقوقها، أمّا ظهور التطرف لدى بعضهم فصناعة ساهمت فرنسا العلمانية في إنتاجها.

التطرف صناعة ساهمت فرنسا في إنتاجها ومعها كل الغرب الأوروبي والأمريكي، منذ التطرف الصليبي وحتى التطرف الصهيوني، مروراً بكل أنواع التطرف القومي والفاشي والنازي والعنصري والاستعماري... ذهبت ضحيته عشرات الملايين من البشر داخل أوروبا وخارجها، وكان نصيب الأسد من الضحايا خارج القارة البيضاء للمسلمين، وبعد كل ذلك يتحدث ماكرون عن أزمة التطرف الإسلامي بقوله : "إنَّ الإسلام يعيش اليوم أزمة في كل مكان"، فصدق وهو كذوب، فهذه الأزمة كانت فرنسا والغرب شريكة في صناعتها، ووصولها إلى أوروبا، عندما قامت مدفوعة بجشع نهب البترول السعودي والخليجي بغض النظر عن تمدد نموذج الإسلام السعودي الوهابي المتطرف في بلادها، فنخر سوس التكفير والتفجير في عقول عشرات الآلاف من شباب المسلمين فحوّلهم إلى قنابل موقوتة تنتظر صاعق التفجير، وعندما قامت مدفوعة برغبة صهيونية متوّحشة بتدمير الوطن العربي لصالح الكيان الصهيوني بالسماح للآلاف منهم بالسفر للقتال في سوريا وغيرها. وعندما انتهت صلاحيتهم القتالية رُدت بضاعتهم إليهم، ومن قبل ذلك ما اعترف به حاكم السعودية الجديد محمد بن سلمان من أنَ بلاده نشرت النموذج الوهابي في العالم لمواجهة النفوذ السوفيتي ثم الإيراني.

معلم التاريخ الفرنسي ذُبح بسكين التطرف الذي صنعته بلاده بعلمانيتها المُتطرفة المُعادية للإسلام والرافضة للمسلمين، والتي ساهمت في صناعتها بمساعدتها في نشر نموذج مُتطرف للإسلام انتج القاعدة وداعش وأخواتهما، التطرف الذي تشرّبه صاموئيل باتي خدعه فجعله يعتقد أنّ الإساءة لنبي الإسلام محمد ﷺ حرية رأي، وأنَ تحقير معتقدات المسلمين حق تعبير، وأنَّ إهانة مشاعر المسلمين حرية شخصية، هذا التطرف هو الذي ذبحه، وهو الذي يعتبره رئيسه ماكرون قيمة ديمقراطية ومنهجاً لمحاربة التطرف والإرهاب، مُتجاهلاً حقيقة أنَّ الرسومات المُسيئة هي أعلى درجات التطرف وأخطر أنواع الإرهاب، بما تحمله من دلالات تطرف ضد الإسلام، وبما تؤدي إليه من إرهاب نفسي وفكري للمسلمين بترويعهم، وإرهاب لغير المسلمين بتخويفهم من المسلمين. وبعد كل ذلك وقبله من المفيد أن نسأل أنفسنا كمسلمين: ألم يكن هناك طريقة للدفاع عن الإسلام أفضل من الذبح؟!، ماذا لو قمنا بحملة إعلامية باللغة الفرنسية توضح إنسانية الرسول ﷺ ورحمة الإسلام؟!، وحتى نُفكر بطريقة أفضل دعنا نردد قصيدة الشاعر المصري فاروق جويدة التي كتبها رداً على كتاب (آيات شيطانية) لسلمان رشدي قبل أكثر من ثلاثة عقود ومطلعها :" في زمن الردة والبُهتان... اكتب ما شئت ولا تخجل.. فالكل مُهان... واكفر ما شئت ولا تسأل... فالكل جبان". وختامها: "فمحمد باقٍ ما بقيت دنيا الرحمن.. وسيعلو صوت الله.. ولو كرهوا.. في كل زمان ومكان".

فيلم المصالحة لم يعد يجذب المشاهدين

• كُتب بتاريخ:
1-11-2020م

بعد نجاح فيلم الرسالة قام أحد رجال الأعمال بعمل حفلة على شرف مخرج الفيلم مصطفى العقاد بالقاهرة، وكان من ضمن المدعوين الممثل توفيق الدقن، وكان غاضباً بسبب استبعاده من المشاركة في الفيلم، وأثناء الحفل توّجه توفيق الدقن إلى الطاولة التي يجلس عليها مصطفى العقاد، وبدون تحية قال له: "ممكن أسأل سؤال محيرني يا أستاذ مصطفى لا مؤاخذة هوَّ أنا ليه ماكنليش دور في فيلم الرسالة؟! وأنا فنان مصري معروف زي ما أنت عارف وسمعتي زي البريلنت"، فطلب منه العقاد أن يهدأ ويجلس ليحدثه، فرفض الدقن الجلوس وهو ينتظر الإجابة منه أمام الضيوف، فقال العقاد: "أستاذ توفيق أنت فنان بارع، وهذا لا يختلف عليه اثنان، ولكن تعرف خصوصية الفيلم إسلامي ديني، وأنت أدوراك فيها الشخص اللعوب والحرامي والبلطجي والسكير وغير الملتزم"، فردَّ عليه الدقن بشكل ساخر أمام المدعوين: "والله عال عال يعني أنت خايف على سمعة الإسلام مني مش كده؟!... يا أخي كنت أخذتني مع الكفار... كنت خليني أبو لهب؟!".

السبب الذي جعل المخرج السوري مصطفى العقاد يستبعد الممثل المصري توفيق الدقن من فيلم الرسالة الإسلامي، هو الصورة النمطية المرسومة في السينما عن شخصيته الشريرة، وعدم قدرته الخروج من عباءة الشر التي لبسها من أول مشواره الفني، عندما لبس فيه قناع الشرير في كل أدواره الدرامية، في المسرح والسينما والتلفزيون والإذاعة، وكان صادقاً في التوّحد مع شخصياته المُمَثلة، فأقنع مشاهديه بالشخصية النمطية الشريرة التي تلبّسها لدرجة عدم تخيلّهم وجوده في شخصيات خارج نطاق الشر والجريمة، حتى عندما يُشاهده جمهوره في حياته الخاصة وشخصيته الحقيقية، وقد

سبب له ذلك مشاكل طريفة عديدة في حياته، منها أنَّ جزاراً طرده ولحقه بساطور عندما جاء يشتري منه لحمة لأول مرة... وهذا النموذج يختلف عن نموذج بطل فيلم (الأرض) الفنان محمود المليجي الذي تحرر من عباءة الشرير في الفيلم ليقوم بدور (محمد أبو سويلم) الفلاح المصري المُكافح الصامد في أرضه المُقاوم لثالوث الاحتلال والملكية والاقطاع فأقنع جمهوره بشخصيته الجديدة.

عدم تخيّل القيام بأعمال تُخالف طبيعة الشخصية التي عُرفت للجمهور ليست فقط في التمثيل والدراما، فهو في الحياة الواقعية، فما الدنيا إلاّ مسرح كبير كما قال عميد المسرح العربي يوسف وهبي، بل إن الأعمال الدرامية هي تمثيل للواقع في معظمها، والواقع السياسي خير دليل على ذلك، فالشخصيات السياسية تلعب دوراً نمطياً مُحدداً لا تكاد تتغير طوال حياتها السياسية، يعرفها الجمهور بها وتتطور شخصياتها داخل نفس الدائرة النمطية، لا سيما في البلدان العربية التي تحتكر فيها النخبة السياسية السلطة والثروة، باعتبار أنَّ السلطة عند العرب طريقاً للحصول على الثروة، وتظل على ذلك على مدار عقودٍ طويلة لا يقطعها سوى انقلاب عسكري يأتي بغيرهم، أو ثورة شعبية تُطيح بعرشهم، أو غزو خارجي يستبدلهم... وفلسطين ليست بدعاً من البلدان العربية، وإن كانت لا زالت تعيش مرحلة الثورة، فخلطت معها بعض السلطة، فأصبحت النخبة السياسية موّزعة ما بين الاحتكارات الثلاثة – السلطة والثروة والثورة– وقد تجمع بينهن كلهن أو تكتفي باثنتين منهن، فعاشت في أدوار نمطية لا تكاد تتغير، لا سيما منذ أكثر من ربع قرن مضى عندما أُنشئت السلطة فتبعها الانقسام وما تبعهما من جولات حوار المصالحة المتنقلة بين شتى العواصم من مكة إلى اسطنبول مروراً بغزة والقاهرة والدوحة وموسكو... ولا زال فيلم المصالحة مُستمراً، ولم يعد يجذب المشاهدين، ولا زال الجمهور الفلسطيني المُشاهد لفيلم المصالحة غير واثق بأدوار المصالحة وغير مُصدّق له وغير مقتنع بأبطاله بعدما لعبوا أدوار الانقسام ردحاً من الزمن.

عدم اقتناع معظم الجمهور الفلسطيني، أكدته استطلاعات الرأي العلمية، وتقارير الإعلاميين الصحفية، فعقب كل اتفاق مصالحة كان الشعب الفلسطيني

يتفاءل في البداية، ولكنه يعود للتشاؤم بعدما يُطلق أول تصريح يتهم الطرف الآخر بتعطيل المصالحة، مُعلناً البدء بجولة جديدة من الردح السياسي المتبادل عبر كل فضائيات الأرض العربية وأحياناً الأجنبية، حتى فقد الشعب ثقته بالحوارات والاتفاقيات مُفضّلاً الانتظار للتطبيق الذي يحتاج لعشرات الحوارات والاتفاقيات التفصيلية الأُخرى، وحول آخر جولة حوار في اسطنبول أظهر استطلاع رأي قام به المركز الفلسطيني للدراسات السياسية والمسحية في سبتمبر الماضي أنَ حوالي (60٪) من الشعب الفلسطيني غير متفائل بنجاح المصالحة، وفي تصويت إلكتروني لموقع وكالة وطن للأنباء انتهى بنهاية شهر اكتوبر الماضي اتضح أن (76٪) من المشاركين بالتصويت أجابوا (لا) على سؤال :" هل تعتقد أنَ إجراء الانتخابات العامة بات قريباً في ظل أجواء المصالحة الإيجابية؟". وكان ما قالته إحدى الطالبات الجامعيات لوكالة الرأي الفلسطينية عام 2011 م تعبيراً واضحاً عن خيبة الأمل الشعبية "كثيراً ما كنت ولا زلت أتابع الأخبار باستمرار وخاصة فيما يتعلّق بالمصالحة، وفي كل مرة تجدني وتجد الكثيرين تتحطم أحلامهم على صخرة الانقسام المرير، فتشعر وكأنَ الانقسام أصبح جزءاً منا لا يمكن أن تمحوه الأيام، لذلك ونتيجة لهذه التخاذلات في تطبيق المصالحة أصبحت لا اكترث بما يدور بين الجانبين، لأنه في النهاية سنسمع خبراً أنَ هذا انتهك الاتفاق فلم يعد هناك مصالحة ولذلك أريّح عقلي من التفكير بها".

عدم قناعة الجمهور الفلسطيني بنجاح تطبيق اتفاقيات المصالحة المتكررة سببه تكرار الفشل في تطبيق الاتفاقيات السابقة على أرض الواقع، وارتباط الشخصيات السياسية القائمة على حوارات المصالحة، بصور شخصيات نمطية مرتبطة بأدوار الانقسام الذي لعبته في الماضي، ثم الإخفاق السياسي بتطبيق اتفاقيات المصالحة السابقة. ولكن تبقى فرصة أمامهم للخروج من هذه الصورة النمطية السلبية إلى الصورة النمطية الإيجابية إذا ما امتلكوا الإرادة السياسية وقرروا تطبيق اتفاقيات المصالحة فعلاً ، فهل ينجح أبطال فيلم المصالحة الفلسطينية في السير على خُطى بطل فيلم الأرض؟!، أم يبقون أسرى شخصياتهم النمطية في فيلم الانقسام؟!.

الإسلام والفن.. الجمال المُحرّم

• كُتب بتاريخ:

6-11-2020م

سألني صديق: "لماذا أشعر بالذنب عقب استماعي إلى موسيقى الأخوين رحباني التي أحبُها رغم أنها تساعدني على ارتخاء الأعصاب وهدوء النفس؟!"، فأجبته مبتدئاً بالجزء السهل من الإجابة وهو شعوره بالراحة النفسية عندما يستمع إلى الموسيقى، فالموسيقى نوع من الجمال، والإحساس بالجمال فطري في طبيعة الإنسان، والموسيقى جمال مسموع في لغة إنسانية تستخدم الأنغام والألحان فتُثير الوجدان وتُحرّك العواطف فتريحه. أما الشعور بالذنب، وهو ما خزّنه العقل في عمق الوعي من تعليمات دينية تُحرّم الموسيقى، تطفو إلى سطح الوعي على شكل تأنيب ضمير وشعور بالذنب على ارتكاب (اثم) الاستماع للموسيقى، فتُسبب الاضطراب النفسي.

هذا الاضطراب سببه جمود فكري في فهم النصوص الدينية تحجّرت عند تفسير مدرسة إسلامية ممتدة عبر الزمان والمكان زادت سطوتها مع اختلاطها بأموال البترودولار ترى في الفن رجساً من عمل الشيطان فمالت إلى تحريم معظم الفنون لا سيما الموسيقى والتصوير والتمثيل. وهذا يقتضي أن نوضح بعض النقاط حول الفن بشكل عام والفنون الجميلة الثلاثة والموسيقى والتصوير والتمثيل، فالفن نمط خاص من التعبير عن حقائق الحياة من وجهة نظر الفنان بطريقته الخاصة يُعبّر فيها عمّا في نفسه مستشعراً ما في الكون من جمال، فإذا التقت قيمة الجمال مع قيمة الحق، وارتبط الفن بمقاصد أخلاقية، وغايات سامية، وعبّر عن الوجود منسجماً مع التصور الإسلامي له، ومع مقاصد الشريعة الإسلامية، وبدون مخالفة لأحكامها أصبح فناً مُباحاً، وإذا كان عكس ذلك أصبح غير مباح... والقرآن الكريم تحدّث عن الزينة كتعبير عن الجمال المطلوب من الإنسان (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)، ونهى عن

تحريم الزينة والجمال (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ) ، وأرشدنا إلى قيمة الجمال في المخلوقات (... وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) إضافة إلى قيمتها النفعية.

والموسيقى كفن وفق المنهج الإسلامي توضع في خانة المباحات لذاتها، قد يُعرض لها ما يجعلها واجباً ومندوباً، أو حراماً ومكروهاً، رغم الصورة السلبية الطاغية للموسيقى والغناء الحالية فلا ينبغي أن تخرجها عن أصل الإباحة، كما لا ينبغي أن تُغطّي على الصورة الجميلة القليلة الموجودة حالياً في الموسيقى والغناء، ورأي حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ويوافقه الكثير من العلماء المعاصرين منهم الشيخ محمد عمارة أنَّ الموسيقى والغناء فطرة إنسانية تُحاكي بها الصنعة الإنسانية الخلقة الإلهية التي أبدعها الله تعالى في الطيور والأشجار، فالصوت الجميل الصادر من حنجرة الإنسان هو محاكاة للأصوات الجميلة من حناجر الطيور، ومعزوفات الأوتار الصادرة من صنع الإنسان هي محاكاة لما تعزفه أوراق الأشجار وأغصانها عندما تهب عليها نسمات الرياح، فإذا كان من غير المعقول تحريم الأصوات الجميلة الصادرة عن حناجر الطيور وأنغام الأشجار، فمن غير المعقول منطقياً وفطرياً تحريم ما يصدر من حنجرة وعزف الإنسان، وهذا المنطق العقلي والفطري يتفق مع النصوص النبوية الصحيحة، ففي صحيح البخاري روت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– الحديث النبوي الذي أقرّها على سماع جارتين تُغنيان في بيتها، وكذلك قال ﷺ لها عندما زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار "يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو". ما دام اللهو مُباحاً وبعيداً عن المخالفات الشرعية.

النظرة الإسلامية للتصوير كفن تشكيلي يخضع لنفس القاعدة في التحريم والتحليل، فقد حُرّمت الصور والتصوير في الأحاديث النبوية، ونهى الرسول ﷺ عن الأصنام المعبودة المُعبّر عنها بالإله أو الصنم أو الصورة، ففي حديث رواه البخاري ومسلم " يُجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين ثم يُقال : ألا تتبع كل أمة ما كانوا يتبعون، فيتمثل صاحب الصليب صليبه، ولصاحب الصورة صوره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون"

فارتباط تحريم التصوير هنا بالشرك، وعندما لم تكن مظنة الشرك والعبادة كانت آية من آيات الله تعالى ونعمه (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ)، أما عندما كانت مظنة الشرك والعبادة فلا بد أن تُحطّم (مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ)، ولذلك حطّم الرسول ﷺ تماثيل المسجد الحرام. فالقضية قضية المقاصد وليست الصورة مجردة، ولهذا ترك الفاتحون الأوائل الآثار التي فيها صور وتماثيل في البلاد المفتوحة بسبب وعيهم الديني لهذه القاعدة، ولقد فسّر الإمام محمد عبده الحديث النبوي "إنَّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون"، أي الصورة التي تسبب اللهو الشاغل عن الله، أو التبرك الممهد للشرك، فإذا زال هذان العارضان وقُصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير مظاهر الطبيعة التي تحقق القيمة الجمالية والفائدة العلمية ولا خطر على الدين في ذلك لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل.

ولا تختلف النظرة الإسلامية للتمثيل كفن وعمل بشري يخضع للمعاملات المباحة في الأصل ما لم يرد دليل على تحريمها، والحكم الشرعي مبني على قرائن التمثيل الإيجابية أو السلبية، والواقع الحالي لفن ومهنة التمثيل هو سلبي، وهذا هو سبب التحريم وليس ذات التمثيل، فالتمثيل حرام إن كان هدفه نشر الرذيلة والشر وصاحبه مُخالفة لضوابط الشرع، وحلال إن كان هدفه نشر الفضيلة والخير ولم يصاحبه مُخالفة لضوابط الشرع، وفي فتوى لدار الإفتاء المصرية توضح حكم العمل بالتمثيل قال أمين عام الفتوى الشيخ محمد عبد السميع " إنَّ التمثيل مهنة مثل كثير من المهن يعتريها أحكام، فإذا كانت في ممارساتها تدعو إلى الخير وتأمر الناس بمكارم الأخلاق والفضيلة، وليس فيها مخالفة لأحكام الشرع فهي جائزة ومالها حلال"، وإذا كان معظم القائمين على مهنة وفن التمثيل عند العرب والمسلمين يوظفونه في اتجاهات مُخالفة لمقاصد الشريعة الإسلامية، ومناقضة لمعايير التصوّر الإسلامي، وغير ملتزمة بضوابط المعاملات الإسلامية، فهذا يستوجب من الآخرين أن يوظفوه في اتجاهات منسجمة مع مقاصد الشريعة والتصور الإسلام، وملتزمة بالضوابط الإسلامية، ليكون فن التمثيل وسيلة للدعوة إلى الإسلام، والتحريض على الثورة، ونشر الوعي بالدين والتاريخ

وقضايا الواقع، ونشر الرواية العربية لدحض الرواية الصهيونية. وهناك نماذج لأعمال درامية جميلة ونافعة ساهمت في تقديم صورة مُشرقة للإسلام، وساهمت في خدمة قضايا الأمة الكبرى وفي مقدمتها قضية التحرر من الاستعمار والقضية الفلسطينية.

خلاصة الأمر أنَ المنهاج الإسلامي يجعل كل عمل الإنسان لوناً من العبادة لله تعالى، والمعاملات نوع من العبادة بمفهومها الواسع، الأصل فيها أن تُضبط بمعايير الشرع، وألاّ تخالفه لتكون مُباحة، وهو ما ينطبق على الفن بكافة أنواعه وأشكاله ومنه الموسيقى والتصوير والتمثيل، خاصة عندما يكون الفن محكوماً بالذوق الجميل، الذي يُعبّر فيه الفنان عما في نفسه، عندما يستشعر ما في الكون من جمال مُظِهر لعظمة الخالق، وعندما يكون الفن جزءاً من تزكية النفس، وترقيق المشاعر، وترقية العواطف، وتهذيب الذوق... ولكن دون أن يحوّل حياتنا كلها إلى فن وزينة يغرق فيها الإنسان بالمُتع الحسية واللذة المادية، ويغوص فيها في وحل عالم المنفعة واللذة. والفرق بين كون الفن جزءاً من حياتنا، أو كل حياتنا، كالفرق بين حاجتنا لحبيبات السكر من أجل تحلية المشروب، وإغراق المشروب بالسكر ليتحوّل إلى سكر، فالزينة مطلوبة لحياتنا كقيمة جمالية نحتاجها لإصلاح الفرد والمجتمع والأمة، وبقي لنا أن نحدد المضمون الذي يصلح الإنسان والمجتمع والأمة.

ترامب.. آخر رعاة البقر المتوحشين

• كُتب بتاريخ:
2020-11-13م

غزا الأوروبيون الساحل الشرقي للعالم الجديد مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وبعد قرن بدأوا بالاندفاع غرباً لاستيطان الغرب الأمريكي، وصاحب هذا الاندفاع السكاني ظاهرة رعاة البقر المعروفة بالإنجليزية (الكاوبوي)، وهم رجال أشداء ومحاربون قُدامى، يمتطون أحصنتهم القوية السريعة، ومُسلّحون بمسدسات وبنادق للدفاع عن القطيع وأنفسهم، ومع مرور الزمن تجاوزت مهنتهم كرعاة بقر إطارها الوظيفي، إلى إطار رمزي يدل على الغرب الأمريكي الجامح، والبطولة الأمريكية الخارقة، فذاعت سمعتهم كرجال أشداء وفرسان أقوياء، وشاعت عنهم حكايات عجيبة وأحداث مُثيرة، تراكمت في العقل الجمعي والوجدان الشعبي، لتصبح نبعاً لا يجف ومعيناً لا ينضب، نهل منه كُتّاب القصص ومؤلفو الروايات، تحوّل الكثير منها إلى أفلام سينمائية في القرن العشرين أنتجتها هوليود، وعُرفت باسم أفلام الكاوبوي، شكلّت بدورها نموذجاً للحياة الأمريكية النمطية، القائمة على فكرة الانطلاق الجسدي والفكري، نحو المغامرة والمجهول، بحثاً عن الثروة والخيال، وطلباً للقوة والمال، وقدّمت صورة مُكبّرة للرجولة الخارقة والبطولة الأسطورية، ورسمت صورة مقلوبة للحقيقة يُرى فيها الأشرار من الغزاة الأوروبيين أخياراً، والأخيار من السكان الأصليين الضحايا أشراراً.

أفلام رعاة البقر (الكاوبوي) رسمت ملامح الشخصية الأمريكية الفردية والجمعية، فصوّرت هويتها الفعلية والمُتخيّلة، وأهم ملامحها: الطبيعة الفردية النفعية، والنزعة الاستعمارية الاستعلائية، والروح الحربية الدموية، وهيمنة عُقدة التفوّق العرقي والثقافي العنصرية، والاعتقاد بأفضلية حضارة الأنجلو ساكسون البروتستانتية، وسيطرة

فكرة التفويض الإلهي لإنقاذ البشرية، وامتلاك حق التضحية بالآخر لصالح الإنسانية، واحتكار دور المُخلّص للعالم، والإيمان بعقيدة أرض الميعاد التوراتية، واستحواذ حُلم امتلاك القوة والمال والجمال... فكانت هذه الملامح عصير فكر عنصري، وخلاصة تاريخ دموي، ثمارها المُرّة إبادة ملايين السكان الأصليين، أو ما سمّوهم تلفيقاً (الهنود الحمر)، واستعباد ملايين الزنوج الأفارقة، من الذين اصطادوهم وجلبوهم قسراً من بلادهم الأفريقية، وإزهاق أرواح ملايين آخرين في الصراعات الداخلية للغزاة الأوربيين... وكانت هذه الملامح نتاج سلسلة أكاذيب بدأت بأكذوبة كُبرى اسمها: اكتشاف العالم الجديد، الذي لم يكن جديداً إلاّ على الأوربيين، فقد اكتشفه الآسيويون واستوطنوه منذ آلاف السنين بالملايين، وأقاموا فيه حضارات إنسانية مستقرة ومزدهرة قبل أن يُدمّرها الغزاة الجُدد، ويسموها زوراً (أمريكا) نسبة إلى البَحّار الدموي (أمريكو)، واعُتبرت كذباً أنها (أرض بلا شعب)، لتكون أساساً للفكرة الصهيونية المؤسسة للكيان الصهيوني في استنساخ مشوّه للتجربة الأمريكية.

لم تكن أفلام الكاوبوي صورة للواقع التاريخي الأمريكي فقط، أو خلاصة لروح أمريكا المتوّحشة فحسب. بل كانت مؤشراً لملامح السياسة الأمريكية الخارجية تجاه الآخر (المُتخلّف)، خارج نطاق حضارة الرجل الأبيض (المُتقدم)، وبالتحديد بعد خروج أمريكا من عزلتها، لا سيما أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، التي كان لراعي البقر الأول فيها هاري ترومان- الرئيس الديمقراطي- دورٌ مركزي في حسم نهاية الحرب بحركة الكاوبوي في إطلاق النار الخاطفة الصاعقة بإلقاء القنبلتين الذريتين على اليابان لإجبارها على الاستسلام. ورسّخ هذه السياسة الكاوبوي الديمقراطي جون كيندي، مُستحضراً الصورة النمطية لأبطال أفلام الكاوبوي، الذين يُغيرون على القرى بدعوى إنقاذ أهلها المظلومين من (الهنود الحمر الهمج) أو من (المكسيكيين الأشرار)، فأمر جيشه بغزو فيتنام لإنقاذها من (الثوار الشيوعيين الأشرار). حتى تولّى الرئاسة الجمهوري رونالد ريغان، لينقل أفلام الكاوبوي من السينما عندما كان أحد أبطالها في منتصف القرن العشرين، إلى الواقع السياسي عندما مارسها في عقد الثمانينيات من القرن العشرين، فضرب ليبيا جواً، وغزا لبنان براً. وبعد ضرب البرجين في نيويورك، أظهر

الرئيس الجمهوري جورج بوش الابن الروح العدوانية المتوحشة لرعاة البقر في غزو أفغانستان والعراق، وقسّم العالم إلى محورين للخير والشر، في معادلة مركزها أمريكا، ومضمونها (من ليس معنا فهو ضدنا)، ليأتي آخر رعاة البقر المتوحشين دونالد ترامب ليُدِخل تعديلاً عملياً على المعادلة الشريرة مركزها (إسرائيل)، ليصبح مضمونها (من ليس مع إسرائيل فهو ضدنا).

بهذه المعادلة الشريرة المتمحورة حول (إسرائيل)، وبعقلية الكاوبوي المتوحشة، كانت القضية الفلسطينية أولى ضحايا ترامب، فطرح (صفقة القرن) لتصفية القضية الفلسطينية وإنهاء الصراع لصالح الكيان الصهيوني، مُنطلقاً من عقيدته الإنجيلية المُتطرفة، وأطماعه الاقتصادية الجشعة، مُستغلاً عنصري القوة والزمن لفرض الأمر الواقع الإسرائيلي، فكانت كل سياسته في المنطقة محورها دعم وجود وأمن وازدهار الكيان الصهيوني، ونهب ثروات العرب، ابتداء من إلغاء الاتفاق النووي مع إيران واغتيال الشهيد قاسم سليماني، وانتهاء بفرض التطبيع على حكام العرب، مروراً بمواصلة الحرب والحصار على سوريا، مدفوعاً بروح الكاوبوي الشريرة التي تسكنه.

وبهذه الروح الشريرة التي استعادها ترامب بفتح غطاء قمقم مارد الكاوبوي المدفون داخله، حاول استعادة (العظمة الأمريكية)، فاستهان بالقانون الدولي، وخرق الاتفاقيات الأُممية، وسعى لتدمير بعض المؤسسات العالمية، فانسحب منها أو هاجمها أو ابتزها بحجج واهية، وهي معاداة السامية، كلمة السر لنقد سياسة (إسرائيل)، أو أنها مناقضة للمصلحة الأمريكية تحت شعار (أمريكا أولاً). ووجه إهانات لحكام العديد من الدول الذين رفضوا الدخول في بيت الطاعة الأمريكي، فردوا الإهانة له، بخلاف بعض حكام العرب الذين دخلوا بيت الطاعة الأمريكي طوعاً، ورضوا بالإهانة جبراً، ثم دفعوا المال (خاوة) لسيد البيت الأبيض كبير الرعاة المتوحشين، مقابل حمايتهم من شعوبهم أو (البُعبُع) الذي صنعه لهم، فرضوْا بالعبودية الطوعية، ولم يعانقهم شوق الحياة.

إذا كان ترامب آخر رعاة البقر المتوحشين، فإنَّ غيابه لا يعني نهاية السياسة الأمريكية المتوّحشة تجاه الشعوب الأخرى، لأنَّ ذلك مرتبط بتلك الشعوب ذاتها، وليس بسيد البيت الأبيض ولعل أهم ما يجب أن يميز الشعوب الحرّة: امتلاك إرادة الحياة خارج بيت الطاعة الأمريكي، وإشعال روح التحدي لمواجهة طغيان القوة الأمريكية، وتنفّس عزيمة النصر للصمود أمام أعاصير الهزيمة الشمالية الغربية... هكذا فعلت شعوب صغيرة بإمكانياتها المادية، ولكنها كبيرة بما لديها من إرادة الحياة، وروح التحدي، وعزيمة النصر، هكذا فعلت ولا زالت كوبا وفيتنام وإيران وبوليفيا وكوريا الشمالية واليمن الحُرة وغيرها، هذا هو طريق الخلاص للدول التي تحب شعوبها وحكامها صعود الجبال وروعة الجمال، وتستلذ ركوب الخطر، وتكره العيش بين الحُفر.

عندما يُجرّم علماء الوهابية الإخوان المسلمين

• **كُتب بتاريخ:**
2020-11-19م

عندما التقى الإمام الشهيد حسن البنا- مؤسس جماعة الإخوان المسلمين- بالملك الراحل عبد العزيز آل سعود- مؤسس المملكة العربية السعودية- في آخر موسم حج حضره، طلب منه السماح بفتح فروع للجماعة في المملكة، فردّ عليه بالرفض قائلاً: "كلنا إخوان، وكلنا مسلمون"، فأوصل الملك من خلال هذه الجملة القصيرة والعميقة رسالة للإمام فحواها أنَّ الدولة الإسلامية التي يسعى الإخوان لإقامتها موجودة في المملكة، فلا مبرر لوجودهم فيها، وربما أراد أن يقول لا مبرر لوجودهم من الأساس كي تبقى دولتهم هي النموذج الإسلامي الوحيد القائم بعد سقوط الخلافة العثمانية، فكانت هذه الجملة بمضمونها السياسي هي التي رسمت ملامح العلاقة بين المملكة السعودية الوهابية وجماعة الإخوان المسلمين، تلك العلاقة التي قامت على التدافع والتنافس على احتكار تمثيل الإسلام، فتراوحت بين التصارع والتصادم حيناً، والتصالح والتحالف حيناً آخر، وتخللها محاولات الاستيعاب والاختراق المتبادل، وعمليات التلاقح والامتزاج الثنائية، دون أن تحيد عن خط التزاحم على نفس الأرضية الإسلامية السُنية صعوداً إلى هاوية التجريم السياسي للإخوان المسلمين من السلطة السياسية السعودية الحاكمة، ثم تبعها الصعود إلى هاوية التجريم الديني من السلطة الدينية الوهابية العُليا، ممثلة في (هيئة كبار العلماء)، في فتوى دينية تتهمهم بالانحراف والإرهاب والخروج عن منهج الإسلام. ولمعرفة طبيعة العلاقة بين الطرفين وأسباب الخلاف من المفيد الحفر عميقاً في الجذور كي نصل إلى قرار النبع.

قرار النبع يبدأ من الإمام الشهيد حسن البنا، الذي تأثر بالفكر السلفي للشيخ المُصلح محمد رشيد رضا، من خلال تتلمذه في مدرسته الفكرية، المتمحورة

حول مجلة (المنار) للشيخ رضا، وتلك المدرسة التي خرجت بين مدرستين سلفيتين: الأولى منهجية عقلانية مُستنيرة للإمامين المُجددين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده (تيار الجامعة الإسلامية)، والثانية مذهبية نصية مستقاة من فكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بامتدادها التاريخي للإمامين الكبيرين أحمد بن تيمية وأحمد بن حنبل (تيار السلفية الوهابية)، فكانت الدعوة السلفية أحد روافد فكر الإمام البنا خاصة في عقيدة التوحيد. ولكنه تأثر أيضاً بالمدرسة الصوفية، من خلال تتلمذه على يد مشايخ الطريقة الشاذلية الحُصافية، فانعكست على نظام التربية الروحية الذي وضعه للجماعة، فكان هذا التنوّع عاملاً لوجود التوازن ما بين السلفية والصوفية منعت طغيان أحدهما على الآخر، ولذلك وصف الجماعة بأنها: "دعوة سلفية... وحقيقة صوفية"، فكانت حركة سلفية بنكهة صوفية أو طريقة صوفية بنكهة سلفية. هذا التوازن جعل سلفية الإمام البنا بعيدة عن الجدل العقائدي العقيم، والتعصب المذهبي الذميم، مع الآخر المُختلف مذهبياً، وجعل سلفيته قريبة من الرؤية الجامعة الموّحدة للمسلمين، والمنهجية الباحثة على القواسم المشتركة للأمة، لذلك كان من المؤسسين لـ (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) في القاهرة، بمشاركة علماء الشيعة الإمامية، وكان منهجه في بناء العقيدة منهجاً عملياً سلوكياً يعتمد على الكتاب والسنة، قبل أن يختل هذا التوازن بعد استشهاده.

بعد اغتيال الإمام البنا بثلاث سنوات، سقط نظام الملك فاروق، على يد الجيش المصري بقيادة تنظيم (الضباط الأحرار)، بزعامة جمال عبد الناصر، فيما عُرف بعد ذلك بثورة 23 يوليو 1952م، وبدأت حقبة الحكم الناصري، ولم تمضِ سنوات قليلة حتى وقع الصدام بين نظام الحكم الناصري وجماعة الإخوان المسلمين؛ بعدما اعتبرها النظام تشكل تهديداً لسلطته، وشهدت مرحلتا الخمسينيات والستينيات حملات بطش دموية ضد الجماعة، أسفرت عن آلاف المعتقلين والضحايا، وآلاف الهاربين من قمع النظام، سافر معظمهم إلى المملكة العربية السعودية، وشهدت سوريا ظروفاً مُشابهة في السبعينيات والثمانينيات، عندما وقع الصدام بين نظام الحكم البعثي والإخوان المسلمين، فهاجر الكثير من قياداتهم وكوادرهم من سوريا إلى السعودية، وفتحت

المملكة أبوابها للإخوان المسلمين من البلدين وغيرهما ليندمجوا في مجالات العمل، لا سيما التعليم المدرسي والجماعي، وتحالف التياران- الوهابي والإخواني- ضد عدو مشترك، هو القومية العربية، ممثلة في الناصرية بمصر، والبعثية بسوريا، وهذا الالتقاء بين التيارين كان في إطار محاولة نظام الحكم السعودي استيعاب جماعة الإخوان المسلمين داخل عباءته الوهابية، لخدمة مشروعه في احتكار تمثيل الإسلام السُني، والنطق باسم (أهل السنة والجماعة)، والتفرّد بزعامة الأمة العربية والإسلامية، ومناكفة أنظمة الحكم العربية المنافسة لزعامتها في مصر الناصرية وسوريا البعثية، وكذلك في إطار محاولات الاختراق الفكري المتبادل بين التيارين الإسلاميين المركزيين.

محاولات الاستيعاب والاختراق لم تنجح بشكل كامل، ولكن التقاء التيارين الوهابي والإخواني ساهم في حدوث ظاهرتين مهمتين هما: تسلّف الإخوان، وتأخوِن السلفية، وظاهرة تسلُّف الإخوان برزت من خلال تأثرهم بالمضمون العقائدي والفقهي السلفي الوهابي، دون أن يُغيّروا من المضمون الحركي الفكري والسياسي للجماعة. وهذا التأثر كان ولا زال واضحاً في تراجع المذهب الأشعري لصالح السلفي على مستوى العقيدة، وتراجع الأخذ بالمذاهب الفقهية الثلاثة لصالح الحنبلي، وتشددوا في لبس النقاب وفي تحريم أنواع من الآداب والفنون خاصة الموسيقى بعد الانفتاح عليها، وتمسّكوا بإطلاق اللحى بعد التساهل في تقصيرها، وأخذوا بفقه التضييق على أهل الذمة بعد تقبلهم، وتطرفوا في الموقف من الشيعة بعد فقه التقريب للإمام البنا... أما ظاهرة تأخوِن السلفية برزت من خلال تأثر الوهابيين بالمضمون الحركي: الفكري والسياسي الإخواني، دون أن يُغيّروا من المضمون العقائدي والفقهي للتيار الوهابي، وهذا التأثر كان ولا زال واضحاً في المملكة من خلال الدعوة إلى الإصلاح السياسي والاقتصادي والإجتماعي، والمناداة بالحقوق الدستورية للشعب، وتطبيق مبدأ الشورى المُلزِمة، وتحقيق العدالة الإجتماعية، ومحاربة الفساد المالي والإداري، والتخلّص من الاستبداد السياسي والديني... وقد أنتجت ظاهرتي التسلُّف والتأخوِن تياري القاعدة والصحوة.

تيارا القاعدة والصحوة نتاج مشترك بين التيارين الإسلاميين. الوهابي والإخواني، فتيار (القاعدة) أو السلفية الجهادية، وُلد بعدما تلاقحت العقيدة السلفية الوهابية ممثلةً في الشيخ أسامة بن لاذن، بالفكر الإخواني الحركي والسياسي، بصورته المتطرفة القطبية، المُستلخّص من كتاب (معالم في الطريق) للمفكر الإسلامي سيد قطب، ممثلاً في الدكتور أيمن الظواهري، فكان نتاج هذا التزاوج نشأة تنظيم (القاعدة)، الذي فرّخ العديد من التنظيمات مثل : داعش والنصرة وغيرها. وتيار (الصحوة) أو صحوة بلاد الحرمين، وُلد بعدما تلاقحت العقيدة السلفية الوهابية، بالفكر الإخواني الحركي والسياسي، بصورته المعتدلة، التي رسمها المرشد العام الثاني للجماعة المستشار حسن الهضيبي في كتابه (دعاة لا قضاة) محاولاً إعادة الجماعة إلى فكر مؤسسها البنا بعد هيمنة القطبية عليها، ومن رموز تيار الصحوة في المملكة العلماء: سلمان العودة، وسفر الحوالي، وسعد البريك، وعوض القرني، ومحسن العواجي وآخرين غيرهم، ومعهم تيار شبابي سعودي، يتبنى المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل، ويدمج بين التمسك بالإسلام والمبادئ الليبرالية. فكان لوجود تياري القاعدة والصحوة كمعارضين للنظام السعودي الحاكم. على يمين ويسار تياره الوهابي المركزي المتحالف مع السلطة، مُبرراً للملكة لمهاجمة الجماعة وتحميلها مسؤولية وجودهما، ومدعاة لتعميق حالة الصراع والصدام بينهما.

تعميق حالة الصراع بين المملكة والجماعة زادت أثناء ثورات (الربيع العربي)، حيث وقفت المملكة إجمالاً ضد تلك الثورات، باستثناء سوريا التي اشتركت مع الإخوان في دعم (الثورة) فيها، كما اتفقوا سابقاً في دعم (الجهاد) في أفغانستان، ولكن مساحة الخلاف كانت واسعة لدرجة التناقض في بلدان عربية أُخرى خاصة في مصر، وبالتحديد عندما انتُخِب الدكتور محمد مرسي رئيساً لمصر، فأصبحت الدولة السعودية أمام تهديد خطير لنموذجها الوهابي المُحتكِر للإسلام، من النموذج المصري الإخواني، الذي يقف على نفس الأرضية الإسلامية السنية، وُيزاحمها على لقب (أهل السنة والجماعة)، وإذا ما كُتِب له النجاح فقد يُشكِل بديلاً للنموذج السعودي الوهابي المتطرف دينياً والمستبد سياسياً، وإذا كانت المملكة في السابق لم تجد صعوبة في تشويه النموذج

الإيراني الثوري للدولة الإسلامية، بحملات تكفير وتشويه مذهبية ضد الشيعة، فإنها ستجد صعوبة بالغة في تشويه النموذج المصري الإخواني للدولة الإسلامية، باعتباره نموذجاً سُنياً، وهذا ما دفع النظام السعودي لأن يكون أول المباركين لعزل الرئيس الراحل محمد مُرسي، وأول المهنئين بقدوم النظام الجديد القديم، وفي هذا السياق جاء بيان (هيئة كبار العلماء) في السعودية في تجريم الإخوان المسلمين.

بيان (هيئة كبار العلماء) في السعودية الذي جرّم الإخوان المسلمين، الذي صدر بصورة فتوى دينية، تُحذِّر من الجماعة، وتدعو لعدم الانتماء لها أو التعاطف معها، باعتبارها (جماعة إرهابية منحرفة عن منهج الإسلام)، وتتهمها بـ (إثارة الفتن، وزعزعة التعايش، في الوطن الواحد)، وبأنها (تصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، وخرّجت جماعات إرهابية متطرفة)، هذا البيان أو الفتوى يأتي في سياق الصراع على تمثيل الإسلام، وبعد عجز النظام السعودي على مدار سنوات طويلة من استيعاب الإخوان المسلمين تحت عباءته، أو توظيفهم لخدمته، أو إذابتهم عبر اختراقهم... وهي اتهامات تنسجم والمثل القائل (رمتني بدائها وانسلّت)، فكل ما ورد في هذه الفتوى هي أهلها وصاحبتها؛ وهم أصحاب أكبر تراث تكفيري في تاريخ الإسلام بعد الخوارج، وهم الذين أقاموا دولتهم على تكفير المجتمعات الإسلامية التي لا تعتنق مذهبهم، ثم غزوهم فقتلوا رجالهم، ونهبوا ثرواتهم، وسبوا نساؤهم، هكذا فعلوا في كل مكان وصلوا إليه في الجزيرة العربية والعراق والشام، وهكذا فعل من اعتنق مذهبهم وسار على دربهم من القاعدة وداعش وأخواتها، وهكذا تنزلق دولتهم إلى قاع الفجور في الخصومة مع إخوانهم المسلمين، وهكذا تنزلق إلى الدرك الأسفل من التبعية والولاء لأعداء الأمة من الأمريكان والصهاينة.

الانتصار على الطريقة الفلسطينية

• كُتب بتاريخ:
2020-11-26م

دون كيشوت، رواية عالمية للكاتب الإسباني (ميجيل سيرفانيتس)، تروي قصة رجل تخيّل نفسه فارساً من العصور الوسطى، فارتدى ملابس الفروسية المخزونة البالية، وحمل سلاح أجداده القديم الصدأ، وامتطى صهوة فرسه العجوز الهزيل، وانطلق هائماً على وجهه في ربوع إسبانيا، باحثاً عن بطولات وهمية، وانتصارات مزعومة، وإنجازات مختلقة، فخاض معارك مُظفّرة عديدة من وحي خياله، أولها مع طواحين الهواء، مُتخيِّلاً أنها شياطين عملاقة تُصارعه، وثانيها مع قطيع الغنم مُتوّهِماً أنها جيش جرّار يُنازله، وهكذا تتوالى معاركه المُفتعلة، مُحوِّلاً بأوهامه الهزيمةَ إلى نصر، ومُبدِّلاً بظنونه الإخفاقَ إلى إنجاز، ومُغيِّراً بأخيلَته الفشلَ إلى نجاح، وعندما اكتشف الحقيقة المُرّة رفض الاعتراف بالهزيمة والإخفاق بالفشل، وأصرَّ على التشبث بأوهامه وظنونه وأخيلَته، مُفسِّراً ذلك بوجود مؤامرة عليه يقودها السحرةُ حرموه فيها من النصر والإنجاز والنجاح، فمسخوا الشياطين العملاقة إلى طواحين هواء، وطمسوا الجيش الجرار ليبدو قطيعاً من الأغنام... وهكذا آثر المسكين الإيمان بالوهم الكاذب المُريح على اليقين بالحقيقة الصادقة المُتعِبة.

رواية (دون كيشوت) كُتبت مطلع القرن السابع عشر الميلادي، وأصبحت مع الزمن جزءاً من التراث الأدبي العالمي؛ ذلك بأنها تُناقش ظاهرة إنسانية عُرفت بـ (الدونكيشوتية)، أو تضخيم الذات والإنجازات، وتُطلق على كل شخص يصنع من هزائمه انتصارات، ويختلق من إخفاقاته إنجازات، ويبتدع من أفشاله نجاحات، وقد فاق العرب غيرهم في جميع جوائز ظاهرة الدونكيشوتية، ومن أكثر الأمثلة غرابة وعجباً، ما قاله بعض الناصريين عقب هزيمة يونيو الساحقة المُسماه (النكسة)

تخفيفاً، "أنَّ النصر قد تحقق، فرغم خُسارة المعركة قد ربحنا الحرب، طالما لم يتحقق هدف العدو بإسقاط النظام الثوري الناصري!". ولم يكن البعثيون في العراق عن ذلك ببعيد، حين زعموا أنهم قد انتصروا في حرب الخليج الأولى، أو حرب الثمان سنوات، المُسماه تضخيماً (قادسية صدام)، رغم سقوط أكثر من مليون عراقي ما بين قتيل وجريح وأسير، وخسارة مئات المليارات من الدولارات، واندحار الجيش العراقي من (الأراضي العربية) التي زعم أنه خاض الحرب لتحريرها. ولا زال نظام آل سعود الحاكم في جزيرة العرب يواري هزيمته في اليمن بعد خمس سنوات من العدوان المُسمّى تزويراً (عاصفة الحزم) التي بعثرتها عاصفة الصمود والمقاومة اليمنية.، باحثاً عن صورة النصر المفقود بين حُطام المباني المُدّمرة، وأشلاء الأطفال المُبعثرة.

وإذا كان النظام السعودي الحاكم لا زال يبحث بصعوبة عن صورة النصر المفقودة في اليمن التعيس، فإنَّ البحث عن الصورة الدونكيشوتية للنصر المفقود في فلسطين السعيدة لم يكن بهذه الصعوبة؛ بل كان في منتهى السهولة، ولم يكن بهذا العُسر؛ بل كان في غاية اليُسر، فالنصر على الطريقة الفلسطينية يأتي دائماً بجهدٍ أقل، ووقتٍ أقصر، وإبداعٍ أسهل، فليس أكثر من أن نقول (انتصرنا) بعد كل حرب، فيتحوّلُ القولَ من حروفٍ إلى وقائع، وينقلبُ الكلامَ من كنْ إلى كائن، ويتبدّلُ الخطابَ من خيالٍ إلى واقع، وإن عجزنا عن تحقيق النصر في ميادين المعارك، فقد حققناه في ميادين المفاوضات، وإن ضعفنا عن انتزاع الانتصارات في ساحات الوغى، فقد انتزعناها في ساحات السلام، والانتصار في ميادين المفاوضات وساحات السلام، ليس بالانتصار العابر العادي، أو الطارئ العرضي؛ بل هو انتصارٌ تاريخيٌ عظيم، وأبدي جوهري، لأنه انتصار لثبات وصمود وكبرياء الزعيم وشعبهِ العظيم، رضخ فيه العدو، وجاء صاغراً مُستسلِماً، ومقهوراً ذليلاً، فأعلن - مُجبراً غير راضٍ، ومُرغماً غير مُخيّر- عن عودة العلاقات مع الفلسطينيين، وفي مقدمتها التنسيق الأمني المُقدّس.

التنسيق الأمني المُقدّس الذي أُجبِر عليه الطرف الآخر (الاحتلال)، مصلحة وطنية فلسطينية عُليا، لا يدركها إلاّ من أوتيَ الحكمة في السياسة، وأُعْطِيَ الفطنة في الكياسة، وامتلك الحنكة من الزعماء والساسة، وهذه الصفات يفتقدها الدُهماء

والسواد الأعظم من العامة، لأنها من مزايا الأصفياء والنخبة القليلة من الخاصة، وقد لا تكون موجودة إلاّ في زُبدة الصفوة من خاصة الخاصة، ممن يعرفون بواطن الأمور، ومداخل الثغور، فأدركوا بحكمتهم وفطنتهم وحنكتهم أنَّ التنسيق الأمني اسم على غير مُسمّى، وصورة بدون مادة، نخدع به العدو لنوهمه أنه يتم بين طرفين متكافئين، ودولتين متجاورتين، ويسير في اتجاهين متبادلين، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك تماماً، لأنَّ التنسيق الأمني تعاون باتجاه واحد، من الطرف الآخر (الاحتلال) إلى الطرف الأول (السلطة)، يستفيد منه الشعب الفلسطيني، من خلال الكشف عن الإرهابيين اليهود واعتقالهم، والكشف عن العمليات الإرهابية الصهيونية وإحباطها، وبالتنسيق الأمني نستولي على أموال المقاصة الإسرائيلية، المحجوزة عندنا، ونسترجع أموالنا المجمدة في البنوك الأمريكية، وفيه ضمان لاستمرار حياة الثراء والرخاء لأولي الأمر من الفقراء والبؤساء.

خلاصة القول، لمن لا يزال يعيش في عصر القيم والأوهام، ويتمسك بزمن المبادئ والأحلام، ويُمارس الثورة والوطنية رغم الآلام، ممن ينتقدون عودة التنسيق الأمني ليل نهار، ويتهم أبطاله بالشنار والعار، ويوّزع الاتهامات عليهم سداح مداح، ... لقد آن لكم أن تفيقوا من أوهامكم وأحلامكم، وجاء الوقت لتستيقظوا من ثوريتكم ووطنيتكم، لتتعلموا فن الثورة، ومعنى الوطنية، وأصول السياسة، بناء على المنطق الانهزامي الانبطاحي (حط راسك بين الروس وقول يا قطّاع الروس)، ووفق الفلسفة الانتهازية النفعية (اللي يجوّز أُمي أقوله يا عمي)، وحسب النظرية السياسية العبقرية (البندقية تزرع والسياسة تحصد)، التي زرع بموجبها المناضلون من الثوار والشهداء والجرحى والأسرى بذور الحرية فأكلوا على رؤوسهم، وحصد فيها السياسيون من الزعماء والقادة وأولادهم وأحفادهم ثمار تضحيات المناضلين فأكلوا في بطونهم.

التطبيع المستحيل بين ظاهرتي (شعبولا) و (نمبر- ون)

• كُتب بتاريخ:
2020-12-3م

أثمر فن الغناء الشعبي في مصر العديد من المطربين المشهورين، تحوّل بعضهم إلى ظواهر فنية وشعبية، برز منهم بعد ثورة يوليو في عهد الناصرية المحمدون الأربعة: طه ورشدي وقنديل والعزبي، الذين التزموا بقضايا الشعب، وعبّروا عن وعيه ووجدانه، وأعربوا عن آلامه وآماله، فغنّوا لفلسطين والزعيم والثورة والوطن، ومن أمثلة ذلك : موّال محمد طه " يارايح فلسطين حُوّد على غزة.. تقعد مع أهل الكمال تكسب وتتغذّى"، وأُغنية محمد رشدي "يا أبو خالد يا حبيب.. بكرا هتدخل تل أبيب"، وطرب محمد قنديل "ع الدوار ع الدوار.. راديو بلدنا فيه أخبار.. كنّا عبيد وبقينا أحرار"، وتغريد محمد العزبي "صباح الخير على بلادي.. صباح الخير على أهلي". وبعد نكسة حزيران، ووفاة عبدالناصر، وتوّلي أنور السادات الحكم، حدث الانقلاب السياسي على القيم الناصرية بمضمونها الاشتراكي والقومي، وساد عصر الانفتاح الاقتصادي بسماته الاستهلاكية والتبعية واتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وغاب المشروع الوطني والهدف القومي والرسالة الحضارية عن الدولة، فجاء الغناء الشعبي مُعبّراً عن هذا الواقع، وكانت (ظاهرة عدوية) خير من يُمثله.

ظهر المطرب الشعبي أحمد عدوية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين كالشبح في كل الحفلات والأفلام، وسُمِع كالصدى في كل المقاهي والملاهي، ووضعت أشرطته في كل وسائل المواصلات، ومع تزايد انتقادات المثقفين والفنانين لأغانيه الرديئة، ازدادت شهرته ومبيعات أشرطته في أوساط غالبية الشعب من البُسطاء والغلابة والكادحين، ورغم أنَّ أغانيه كعصره خلت من المضامين الوطنية والسياسية،

إلا أنها عبرّت بمدلولاتها على هذا العصر، ومن أهمها: انعدام المعنى "السح أدح أمبو"، وضعف الأخلاق "زحمة يا دنيا زحمة.. زحمة وما عدش رحمة.. مولد وصاحبه غايب"، وفقدان المعايير "كله على كله"، وغياب الهدف "أنا عايش والسلام.. وبصحى زي ما أنام"، والنفعية الانتهازية" سيب وأنا أسيب"، والاغتراب عن الناس "أغراب يا دنيا"، والاغتراب عن الذات "ارجع إنسان.. نقصاك حاجة وحشاك.. ترجع إنسان" ورغم معاصرته لعهد السلام مع (إسرائيل)، لم ينضم إلى جوقة المطربين المدّاحين للسادات ولعصر السلام المزعوم، ولم يُسجّل على نفسه أي إشارة توحي بتأييده السلام أو التطبيع مع الكيان الصهيوني.

تلاشت ظاهرة عدوية في مطلع التسعينيات، ليحل مكانها (ظاهرة شعبولا)، وهو المطرب الشعبي شعبان عبدالرحيم المُمثل لجيل مطربي الميكروباصات في عصر حسني مبارك، الخالي من الملامح والأهداف، والمتميز بالجمود السياسي والانحطاط الفني، وتآكل الطبقة الوسطى لصالح طبقتين: أقلية مُترفة وأغلبية بائسة فجاء شعبان عبدالرحيم من وسط الأغلبية البائسة فتحدث بلسانها، وقدّم سلسلة من الأغاني الشعبية المُعبرّة عن وجهة نظر الطبقة الشعبية الكادحة في الأحداث الجارية بأسلوب سهل وبسيط، وبدون الالتزام بالمعايير الفنية للأُغنية، فغنّى لأزمة السكر منتقداً للغلاء "الناس من الغلا بتلالي والشعب هيعمل ايه.. أتريها لعبة سكر ولعبة ناس كبار ونهب واحتكار"، وغنّى لفلسطين داعياً للوحدة "عايزين فتح وحماس يتحدوا من جديد.. علشان القدس ترجع ونصلي فيها العيد"، وغنى ضد ترامب مُهاجماً سياسته تجاه فلسطين "ترامب خلاص تجنن.. محتاج يا ناس قفص.. وكله يخلي باله.. لو عض أو رفس"، وتجاوب مع إحساس الشعب المصري بكراهية (إسرائيل)، باعتبارها العدو الأول للمصريين بأغنية " أنا بكره إسرائيل" التي انتشرت كالنار في الهشيم، فكانت السبب في شهرته الكبيرة.

شعبان عبدالرحيم بأغنية " أنا بكره إسرائيل " كان أكثر ذكاء من محمد رمضان الشهير بـ(نمبر ون)، الذي أصبح ظاهرة فنية شعبية بعد ثورة يناير 2011م، بما سادها من اضطراب سياسي، وانهيار اقتصادي، واغتراب ثقافي، وخواء فكري... فكانت

ظاهرة محمد رمضان هي النموذج الأكثر تعبيراً عن تدني الحالة العامة، لا سيما الحالة الفنية، التي تخلّت بمجملها عن رسالة التنوير والتوعية، وهدف الارتقاء بالفكر والعاطفة، فروّجت للتفاهات والحماقات، وأشاعت العبث والسطحية، وشجعت العنف والبلطجة، ونشرت المسكرات والمخدرات... ورغم ذلك فقد أصبح محمد رمضان القدوة التي يسعى لتقليدها الشباب من الطبقة الدُنيا المسحوقة، بعد أن وجدوا فيه بطلاً يشبههم، ينتصر على الجوع والفقر والحرمان، بطريقة شرعية أو غير شرعية، لا يهم طالما أنه (يقب على وجه الدينا)، ليجدوا مكاناً لهم تحت الشمس، ولو في الأفلام والأحلام، فاكتسب شعبية طاغية عندهم، وقدم قدوة سيئة لهم، وأفسد الذوق العام، ورغم شعبيته الكبيرة في مصر وغيرها، إلا أنها لم تشفع له عندما مسَّ أحد ثوابتهم الوطنية الراسخة وارتكب الحرام الوطني المصري، وهو التطبيع مع (اسرائيل).

مشاركة الفنان محمد رمضان في الحفل التطبيعي الإماراتي الإسرائيلي بدبي، لم يكن عملاً عشوائياً، أو حدثاً عابراً؛ بل كان عملاً مُدبّراً، وحدثاً مُخططاً، قام به منظمو الحفل وأسيادهم، بهدف الاستفادة من ظاهرة (نمبر- ون)، لإيصال رسالة للعرب عامة والمصريين خاصة، تخدم التطبيع، من خلال إظهار العلاقات مع الإسرائيليين كأنها شيء طبيعي، ممكن الأكل والضحك والرقص معهم، والتقاط الصور الثابتة والمتحركة التي تُظهر ذلك مطلوب بشدة في هذه الحالة، للاستفادة من نظرية (بافلوف) في التعلم الشرطي، لتغيير الاتجاه الفكري والعاطفي نحو المُثير السلبي الإسرائيلي، ليُصبح إيجابياً مثل المُثير الأصلي، فتتغير الاستجابة السلوكية تجاه (إسرائيل)، باتجاه كسر الحاجز النفسي الذي يمنع التطبيع معها، ويقف كالصخرة الراسخة أمام محاولات الكيان الصهيوني المتكررة الفاشلة لاختراق جدار صخرة العقيدة الثابتة لدى الشعب المصري المُشبّعة بكراهية (إسرائيل)، تلك العقيدة التي عبّر عنها (شعبولا) في أُغنية (أنا بكره إسرائيل)وعمل بنقيضها (نمبر ون) بمشاركته في الحفل التطبيعي بدبي".

عقيدة كراهية (إسرائيل) المغروسة في وعي وجدان المصريين عبّر عنها الشعب المصري بواسطة أُطره الشعبية العديدة، وفي مقدمتها النقابات المهنية الرافضة للتطبيع مبدءاً وممارسة، فتمنع أعضاءها من المشاركة فيه، وتنزل عقوبات تأديبية بالمخالفين

له، ويُنظر إليهم كحالات شاذة عن الأصل، مما جعل مجرد النظر للتطبيع مثل النظر إلى الحرام، وفعله كفعل الحرام، الذي يلزم مواراته وستره إذا خُفي، وتعليله وتبريره إذا عُرِف، والاعتذار والتوبة عنه إذا فُضح، وربما هذا ما فعله محمد رمضان في مراحله الثلاث: ستره ثم تبريره ثم الاعتذار عنه، دون أن يمنع نقابة المهن التمثيلية التي ينتمي إليها من إيقافه مؤقتاً عن العمل لحين انتهاء التحقيق معه على مخالفته إرادة الشعب المصري وقرارات النقابة الرافضة للتطبيع مع الكيان"، هذا الموقف الوطني والقومي علله للصحفيين عضو مجلس النقابة الفنان سامي مغاوري بقوله: "في دماء الشهداء عبر التاريخ في مصر يا جماعة.. في ضحايا في بحر البقر... والسويس... وأبو زعبل... وفي ناس ماتت عالجبهة... ما ينفعش".

صدق الفنان الوطني سامي مغاوري (ما ينفعش)، فعلاً ما ينفعش الشعب المصري يُطبع مع عدو الأمة، بما يمتلك من فطرة سليمة، ووعي وطني، وحس قومي، وعاطفة دينية، ما ينفعش الشعب المصري بهذا التاريخ العريق والحضارة الأصيلة أن يقبل الاستحمار الذي قبل به حكام الخليج ونخبتهم الطفيلية العائشة على فتات موائدهم، الاستحمار الذي يفتح أبواب بلادهم للعقل اليهودي الخبيث لتشغيل المال العربي والأيدي العاملة العربية لتحويل الوطن العربي إلى جنّة يعيش فيها الصهاينة أسياد والعرب عبيد، كما جاء في كتاب شمعون بيريز (الشرق الأوسط الجديد)، والجديد فيه هو كيفية تحقيق الحلم الصهيوني بإقامة (إسرائيل الكبرى) بالمفهوم السياسي والاقتصادي، وهذا هو جوهر الاستحمار بمفهوم التطبيع الذي يرفضه الشعب المصري العربي المسلم.

عندما يموتُ الجَمَالُ!

• كُتب بتاريخ:

2020-12-20م

كانَ الوقتُ بعد الفجرِ بقليل، والليلُ يوشكُ على الرحيل، عنْدمَا رنَّ جرس هاتفي الجوّال، ففتحتهُ وقلبيَ مُعلّقٌ بين الخوفِ والرجاء، فإذا بصوتِ ليلى - بنتي البكر- يستصرخني ضعيفاً مكتوماً **"الحقني يابا أنا بموت تعال خدني"**، فكانَ ذلك آخرُ عهدها بالكلام، وغابتْ عن الوعي بضعةَ أيام، ثم لفظتْ آخرُ زفيرِ أنفاسها، ونبضتْ آخرُ دقاتِ قلبها، وأسلمتْ الروحُ إلى بارئها، وسكنَ جسدُها فلا حراك، وغفت عيونها في وجهٍ كالملاك، وأُسدلَ الستارُ على قصتها مع مرضِ السرطان بعد عامٍ ونصف من المعاناة، وأثنين وثلاثين ربيعاً من الحياة، بدأت بالفشل الكلوي وانتهت بوباء الكورونا، الذي تسلل فيروسه اللعين إلى جسدِها المُنهك بالسرطان فأضناهُ، ونفسها المُتعبة بالهموم فأوهَنَها، وروحها المُثقلة بالأحزانِ فأردَاها. فكانتْ المستشفى هي عنوان اقامتِها الجبريةِ الدائمة، ومرضُ السرطانِ عنوانُ أخرِ فصلٍ في كتابِ حياتِها القصير الحزين، والغدُ الأجملِ عنوانُ قصتُها الجميلة التي آمنتْ بها دون أن تقرأها، وشوقُ الحياة عنوانُ قصيدتِها المُفضّلة التي عشقت معانيها ولم تعشْها، ورحمةُ اللهِ عنوانُ الأملِ الذي تشبثتْ بهِ دون أنْ تيأسَ من روحِ الله.

ليلى كغيرها من مرضى السرطان في غزة وكل فلسطين، الذين تتضخم أعدادهم ككرة الثلج المتدحرجة، وهم يمضون على طريق الآلام في قافلة الموت، فيتساقط على جانبيها المرضى صرعى كأعجاز نخلٍ خاوية، وليلى من الذين ركبوا عير القافلة زمناً معلوماً، فأخذت نصيبها وعداً مكتوباً، ثم ترَجّلت أجلاً محتوماً، فكانت في الدنيا كأنها غريبة أو عابرة سبيل، فمرت كنسمة ربيع رقيقة، وعبرت كلحظة ذكرى جميلة، ومضت كسحابة صيف خفيفة، في مأساة إنسانية مُتجددة، بطلها مرض السرطان، وضحاياها المرضى وأهلهم، من الذين بسطت مشاعر الحزن ظلالها الثقيلة على نفوسهم الحزينة، ونسجت عواطف الأسى خيوطها الغليظة على قلوبهم الكسيرة، فعانوا أوجاع مرض

السرطان مرة، وكابدوا عذابات العلاج الكيماوي مرات عديدة، وكان لنا من الحزن والأسى نصيب، عندما انتزع المنون فلذة كبدنا، واستأثر لنفسه بجزء من روحنا، ودفنا في التراب بعض قلبنا،وأهلْنا الرملَ على شطر نفسنا فمات بعض الجمال الساكن في أعماقنا، وخيّم ليل الحزن على منزلنا، وحلّت حُرقة الآه في صدورنا، ثم غادَرَنا قطار الموت ثكلى إلى غيرنا، ليكمل رحلته الأبدية، لينزع ركابه ممّن كُتِبَ عليهم الموت إلى مضاجعهم.

ليلى كغيرها من مرضى السرطان، لم تعرف للدنيا معنىً بعيداً عن الصحة، ولم ترجُ من الحياة أملاً سوى العافية، ولم ترَ في منامها حُلماً عدا معجزة تعيدها إلى الحياة، أو تعيد الحياة إليها، ولذلك كتبت من وحي آلامها وآمالها في صفحتها على (الفيسبوك) تقول: **"لا اعتراض على حكمك يارب، فقط أبث حُزني ووجعي إليك، قلبي ينزف دماً، ارحمني يارب، وخفف عني وجعي، لا أُريد من هذه الدنيا سوى الصحة يا كريم، وجعي فاق الأُفق، ارحمني برحمتك يارب، نفسي أشوفك يا زيون وسلمى وأحمد وريان بأعلى المراتب"**. لعلَّ الله تعالى قد اطّلعّ على آخر أمنياتها فألهمها النظر فيما وراء حجاب الحاضر لترى أُفق المستقبل، فرأتهم بعين اليقين، كما تمنت نجوماً تتلألأ في سماء المجتمع، فذهبت إلى ربها بروح آمنة ونفسٍ مطمئنة.

ولعلَّ الله تعالى قد اطّلع على صدق يقينها فأراها فيما يرى النائم قبل رحيلها صور أطفالها الأربعة نائمين بدفء وأمان تحت جناح الرحمة الإلهية، فحمدت الله على مغادرتها الدنيا قبلهم ولم تغادرها بعدهم، فرحلت إلى بارئها مبتسمة وراضية مرضية، ولعلَّ الله تعالى قد اطلع على صدق سريرتها فأكرمها بسماع أصواتهم وهم يودعونها، أو رأت وجوههم وهم يقبلونها، أو تنسمت عبيرهم وهم يحضنونها، أو رنّت في أذنيها ضحكاتهم وهم يلاعبونها، فهوّن عليها سكرات الموت الأخيرة، فكانت من الذين تتوفاهم الملائكة طيبين. ولعلَّ الله تعالى قد اطّلع على صالح أعمالها فخُيّل إليها قبل موتها أنها تعد لهم أطيب طعامهم. وتلبسهم أجمل ثيابهم، وتلعب معهم أحب ألعابهم، وترتب لهم حقائبهم المدرسية، وتراجع معهم واجباتهم المنزلية، فغادرت الدنيا ضاحكة مستبشرة.

وقبل رحيلها- كغيرها من مرضى السرطان - كان وحش المرض قد نهش الحُسْنَ الذي أودعه الله في خلْقها، وغول السرطان قد التهم الجمال الذي أبدعه الله في رسمها،

ففرغ جسمها اليافع من نضارته، كما تفرغ الكلمات البليغة من معانيها الجميلة. وخلا وجهها الوردي من رونقه، كما تتخلّى الأزهار اليانعة عن ألوانها البديعة. وخبا بريق عينيها الخضراوين كما تخبو أنوار النجوم عن تألقها. وغادر الجمال شعرها الأشقر، كما تغادر المياه العذبة جداولها فتتركها صخور صلدة. وضعفت رجلاها عن حملها، كما تضعف النفوس عن حمل هموم أصحابها، وعجز لسانها عن الكلام، كما تعجز العصافير عن التغريد، ودُفِنتْ في أعماقها ابتسامتها، كما تُدفنْ ابتسامة لوحة الموناليزا... فعزَّ عليَّ يا بُنية حين أرنُو إليك... أبحثُ عن جمالِك لا أراه!، ولقد عجبتُ لحُسنِ خَلْقكِ كيفَ يُمحى؟.. ويزولُ بعد الحُسْنِ بهَاه!، فوا اسفا على ملاحةِ وجْهكِ كيفَ يَفنى؟... ويمضي بعد رونقهِ سنَاَه!، ويا حُزنِي على نضارةِ جسم كيف يَبلى؟.. ويَهْرَمُ بعد شبابهِ صِبَاه!. ويكأنَ الله يَبسطُ الجمالَ لمن يشاء من عباده ويَقدر؛ لحكمة لا يعلمُ تأويلها إلاَ الله، والراسخون في المرض يقولون سلَمنا بها كُلُ من عند ربنا.

وعند ذلك الحد من اشتداد المرض واستعصاء الشفاء كتبت ليلى في صفحتها على (الفيسبوك) تقول: **"كنتُ اعتقد أنَّ القادم أجمل، كانَ لديَّ أحلام، وكنتُ أصدق المعجزات، وكنت أظنُّ أن تلك المعجزة هي عبارة عن حب سيأخذني ويخرجني من هنا، كل ما عشته في المرض كان مُخيفاً، لا يستطيع أحد أن يشعر بما في داخلي، ولا استطيع أن أُعبّر عن بحر الأوجاع التي لا يستطيع أحد استيعابه، الإنسان لا يستطيع أن يترك حياته لأن الدنيا حياة واحدة، لا أريدها أن تمضي عبثاً وتنتهي ولكن لا استطيع أن أغيّر القدر، ولا استطيع أن أبدأ حياتي كما أُريد"**.

ربما أدركت ليلى في آخر أيامها قرب رحيلها، بما أزال الله لها عنها من حُجب كشَفَها لها لاقترابها من نفخة الروح وسمو السماء، وسترها عنّا لالتصاقنا بقبضة الطين ووحل الأرض، فلم تعُدَ تأبَه لأوجاعها وآلامها ليقينها بأنَّ الله تعالى سيمحُها عند أول غمسة في الجنة، وأول صبغة نعيم، بما صبرت على مرضها، واحتسبت أجرها، وحمدت ربها، فاهتمت بأوجاع غيرها وآلامهم، ممن لا زالوا يتقلّبون وجعاً على جمر مرض السرطان، ويتلوون ألماً من نار العلاج الكيماوي، فكتبت في صفحتها على (الفيسبوك) في أخر تغريداتها تدعو لهم: **"اللهم يا من شفيت أيوب، وكشفت الضر عن يعقوب، أشف كل مريض يتألم ولا يتكلم، ولا يعلم بحاله إلاّ أنت، اللهم إني أسألك الشفاء لكل روح عجزت عن النوم بسبب المرض، رب أرح ثم هوّن ثم اشف كل نفسٍ لا يعلم بوجعها إلا أنت"**.

فهرسّت
الجزء الثالث

فهرست المحتويات

• الترتيب حسب تاريخ النشر

إهداءٌ..7
تقديم..9
ما الذي أضحكهم؟!..12
من الذي يجب أن يرحل؟!...................................15
منظمة التحرير والجهاد الإسلامي............................18
بدنا نعيش وبدنا نقاوم.......................................22
صراع الضحايا وضحايا الصراع..............................25
رسالة صاروخ تل أبيب: حياة غزة أو موت تل أبيب.............28
في يوم الأرض (خلي هواك فلسطيني)........................31
تفاهمات التهدئة فصل المقال بين الشك واليقين.................33
عندما تنتصر إرادة الحياة على غريزة الموت....................38
خرافةُ البُعبُعْ وصفقةُ القرن...................................41
إرهابٌ واحد وضحايا مختلفون...............................44
التهدئة والعمادي والجهاد الإسلامي............................47
مؤتمر المنامة الاقتصادي: لماذا البحرين؟!.....................50
تخاريف من الزمن السخيف...................................54
شخابيط عن أسرار الحمار والاستحمار..........................57
مأزق خطباء البؤس والنكد....................................60

مـأزق الإعـلام الفلسطيني مـا بين خطابـي المظلوميـة والقـوة.................... 63
مات الفيلسوف ولم يمت (الطاغية).. 66
أوسعنا مؤتمر المنامة شتماً.. وماذا بعد؟.................................. 70
لماذا لم تفتح ألـ (ويكيبيديا) يا مدحت؟.................................. 73
البُعد الوطني في الوثيقة السياسية للجهاد الإسلامي.......................... 77
ثـرثـرة غيـر وطـنيـة.. 81
مفهوم الأمة في الفكر السياسي للجهاد الإسلامي........................... 84
الخطأ والإهمال الطبي ولجان التحقيق الوهمية............................... 88
المرأة في الفكر الاجتماعي للجهاد الإسلامي................................ 91
الفكـر الإسـلامي والقيود الأربعـة... 95
ماذا دار في عقل انتحاريي غزة قُبيل التفجير؟!............................. 98
قراءة في الوثيقة الفكرية للجهاد الإسلامي.................................. 102
استشراف الشقاقي لمستقبل أوسلو..!...................................... 105
إسراء غريب 110
المشروع الوطـنـي.. خرجَ ولم يَعُدْ... 113
انتفاضة الأقصى بين مرحلية التحرير ومرحلية التسوية......................... 118
جُحا والسجن وأوسلو والتهدئة.. 122
عملية نبع السلام أم نبع الحرب؟!.. 125
عودة الروح والوعي للثورة التونسية....................................... 129
مأزق النصر وصيحة الفجر... 132
أزمة نتنياهو ومأزق (إسرائيل).. 135
المقاومة والسلطة وبينهما أمور مشتبهات................................... 139

الثورة والفساد 142
أوبريت "ملاك السلام" إبداع من الزمن الجميل.................................. 146
المقاومة الفلسطينية بين مُراكمة القوة ومُشاغلة العدو.......................... 150
هل سيصبح للعرب رؤساء سابقون؟! 158
سليماني وفلسطين.. حضور رغم الغياب 162
مؤتمر الهولوكوست.. 165
توظيف المحرقة وتقديس الضحية 165
صفقة القرن.. متى ينتهي الضجيج ويبدأ العمل؟ 170
الاستحمار يتجلّى في عصر التطبيع 173
خَيْبتنا وحُلْمنا 177
أصبح عندي الآن بندقية 181
كورونا بين العقاب الإلهي.. 185
وسيكولوجية الشماتة 185
حريق النصيرات.. لكل ضحية اسم 189
السخرية من كورونا.. الوجه الآخر للهلع...................................... 193
الأرض.. 196
النظام الدولي وفلسطين بعد زمن كورونا.. 199
الشرعية الدولية.. رؤية مختلفة 203
من وحي الأذان في زمن الوباء.. 207
قبسات من وحي السجن.. 211
الإسلام والإسلام الآخر.. 215
في عيد العمال.. 219

يُكافأ أصحاب القرار والأموال...219
دراما التطبيع وإعادة تعريف العدو 223
ضم الضفة.. زوبعة في عقل مأزوم 227
يوم القدس العالمي وأيام المُطبعين...231
حسن البنا. 235
كيف استحضره الشقاقي في ذكرى استشهاده؟ 235
الإعجاب بصفحة المنسق أخطر من التطبيع..240
رمضان شلّح.. الرمز والفكرة 243
الانقسام..الرواية الثالثة 247
المقاومة و"مربع العنف"..251
رواه البخاري...254
المكارثية بثوب ديني...258
الثــأر..262
فقه الاستبداد وفكر الاستعباد...266
في البدء كانت الفكرة 270
انفجار بيروت.. الكارثة والفتنة 275
من قصر الصنوبر.. 278
الاستعمار يُبعث من جديد...278
كي لا يصبح الضجيج ثورة 282
العروبة والإسلام.. تناقض أم توافق! 286
الوطنية والمواطنة بين فكرين..290
الانطلاقة الجهادية.. رؤية لمستقبل وطن 296

بين الذات والآخر.. وجهة نظر إسلامية........................ 300
السعودية وفلسطين: من الجهاد إلى الشيطنة........................ 304
نحو نظام سياسي بوصلته المشروع الوطني........................ 308
من الذي ذبح معلم التاريخ الفرنسي؟!........................ 312
فيلم المصالحة لم يعد يجذب المشاهدين........................ 316
الإسلام والفن.. الجمال المُحرّم........................ 319
ترامب.. آخر رعاة البقر المتوحشين........................ 323
عندما يُجرّم علماء الوهابية الإخوان المسلمين........................ 327
الانتصار على الطريقة الفلسطينية........................ 332
التطبيع المستحيل بين ظاهرتي (شعبولا) و (نمبر- ون)........................ 335
عندما يموتُ الجَمَالُ!........................ 339

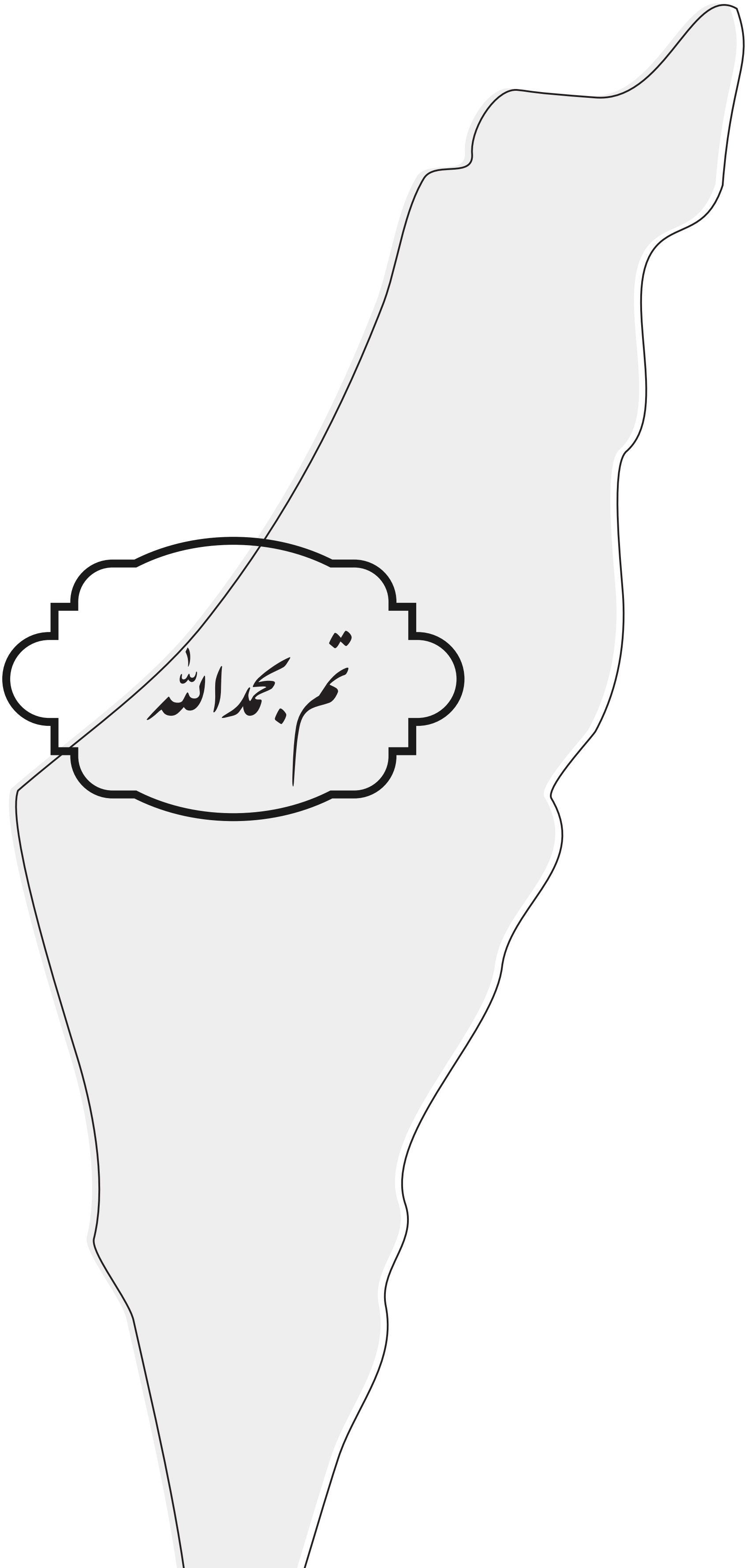

تم بحمد الله